

دار الكتب والوثائق القومية

مركز تحقيق التراث

السبع السابع

من

عيون الأخبار وفنون الآثار

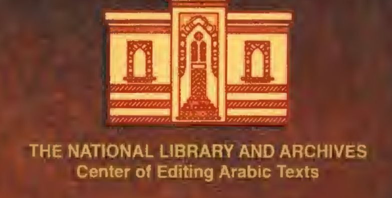
للداعي عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف

المتوفى سنة ٨٧٢ هـ



قابله بأصوله وأعده للنشر

أيمن فؤاد سيد



THE NATIONAL LIBRARY AND ARCHIVES
Center of Editing Arabic Texts

The Fatimids and their Successors in Yaman

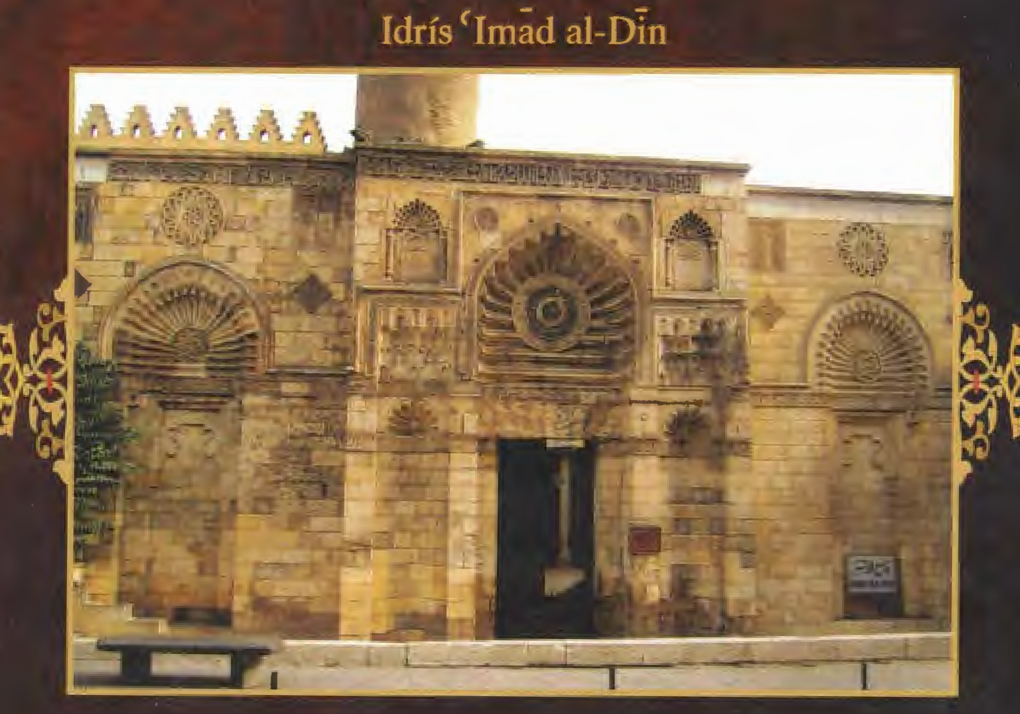
ʿUYŪN AL-AKHBĀR

WA FUNŪN AL-ATHĀR

vol. 7

of

Idrís ʿImād al-Dīn



A critical Edition by

AYMAN FU'ĀD SAYYID

تصميم الغلاف: محمد عماد

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. هشام عزمي

إدريس عماد الدين، إدريس بن الحسن بن عبدالله بن علي
ابن محمد، ١٤٢٨ - ١٤٦٧.
عيون الأخبار وفنون الآثار/ لعماد الدين إدريس بن الحسن الانف؛ قابله بأصوله وأعده للنشر أيمن فؤاد سيد.- القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، ٢٠١٩.
مج ٧ ؛ ٢٤ سم.
تدمك 9 - 1356 - 18 - 977 - 978
١ - التاريخ الإسلامي.
أ - سيد، أيمن فؤاد (معد)
ب - العنوان.

٩٥٣

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٩٨٣ / ٢٠١٩
I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 1356 - 9



السبع السابع

من

عيون الأخبار وفنون الآثار

للداعي عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف

المتوفى سنة ٨٧٢ هـ

قابله بأصوله وأعده للنشر

أيمن فؤاد سيد

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م

فهرست الموضوعات

صفحة

السَّبْعُ السَّابع من عُيُون الأخبار

المُسْتَنْصِرُ بِالله

صفحة

صفحة

صفحة

المُستعلي بالله

الآمِر بأحكام الله

صفحة

الإمامُ الطَّيِّب بن الآمِر

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ المُحَقِّق

كان التُّراثُ الفاطمي الإسماعيلي يُعَدُّ إلى وقتٍ قريبٍ جانبًا مجهولًا من جوانب التراث الإسلامي، ويَرْجِعُ السببُ في ذلك إلى أنه تراثٌ سِرِّيٌّ لا يَطَّلِعُ عليه إلَّا من يَثِقُ الدُّعاةُ في استجابته للدَّعْوَة الإسماعيلية؛ مما أدَّى إلى عدم تداوله في العصور الإسلامية المتأخِّرة وبداية العصر الحديث، فظَلَّ بذلك الكثيرُ من هذا التراث مجهولًا للدراسات الإسلامية الحديثة.

ومازالت مكتباتُ الدَّعْوَة في اليمن وغرب الهند وإيران وآسيا الوسطى وسوريا تحتفظ بالعديد من مخطوطات هذا التراث لا يَطَّلِعُ عليها سوى أتباعُ الدَّعْوَة فقط. ويعود حَجْبُ هذا التراث إلى فترة إمامة المُسْتَنْصِر بالله الفاطمي في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي عندما لاحظ داعي الدُّعاة المُؤَيَّدُ في الدين هِبَةُ الله الشِّيرازي ازدياد نفوذ الوزراء في مصر وتراجع سُلْطَة الأئمة، وخَشِيَ أن يُؤَدِّي ذلك إلى القضاء على كُتُب الدَّعْوَة لو زالت دولةُ الفاطميين في مصر، ورأى ضرورة تحويل آداب الدَّعْوَة إلى مكان يَضْمَن حِفْظها. وكانت اليمنُ في ذلك الوقت البلادَ الوحيدة الآمنة بسبب القُوَّة السياسية للصُلَيْحيين دُعاة الفاطميين هناك. وكان من نتائج سفارة القاضي لَمَك بن مالِك قاضي قُضاة اليمن - الذي أرسله داعي اليمن عليُّ بن محمد الصُّلَيْحي إلى القاهرة في سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م على رأس وَفْدٍ إلى بلاط الإمام المُسْتَنْصِر بالله ليَطْلُب له الإذن «في الحَجّ إلى مَكَّة والمسير بعد ذلك للهجرة إلى شريف الحضرة» - نَقْلُ تراث الأدب الإسماعيلي الذي كُتِبَ في إفريقية ومصر وفارس وأماكن أخرى أثناء العصور الفاطمية إلى اليمن.

وفي أعقاب مقتل الإمام الآمِر بأحكام الله سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م وعَدَم اعتراف الدَّعْوَة اليمنية بإمامة الحافظ عبد المجيد وتبنِّيها الدَّعْوَة للإمام المستور الطَّيِّب بن الآمِر، قامت السَّيِّدَةُ الحُرَّةُ الصُّلَيْحِيَّة بفَصْل وظائف الدَّعْوَة عن وظائف الدَّوْلَة وعَيَّنَت الداعي الذُّؤَيْب بن موسى الوادِعي كأوَّل داعٍ مُطْلَق ليواصل الدَّعْوَة للإمام المستور وليتولَّى رعاية أدب الدَّعْوَة الفاطمية الإسماعيلية. وبعد ذلك أدَّى اضطراب الأحوال السياسية في نهاية حُكْم السَّيِّدة الحُرَّة ثم وفاتها في سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م إلى إخفاء «الدُّعاة المُطْلَقين» لهذا التراث. وفي القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي تَمَكَّن الداعي عمادُ الدين إدريس بوصفه الداعي المُطْلَق التاسع عشر للدَّعْوَة الطَّيِّبِيَّة في اليمن من الاطلاع على هذه المصادر والاعتماد عليها في كتابة سائر مؤلَّفاته التاريخية الهامَّة.

وفي السنوات التي تَلَت احتلال العُثْمانيين لليمن سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧م، وانقسام الدَّعْوَة الطَّيِّبِيَّة إلى دَاوُدِيَّة انتقلت إلى الهند وسُلَيْمانية استمرت في اليمن، وَجَدَ هذا الأدبُ في النهاية طريقه إلى إقليم كُجَرَات على الساحل الغربي للهند. واحتفظت اليمن بقسمٍ كبيرٍ من هذا التراث ظَلَّ محفوظًا في مواطن الدَّعْوَة وخاصةً في إقليمي ذي جِبْلَة وحَراز إلى أن استولى عليه الإمام الزَّيْدي المُتَوَكِّل على الله يحيى بن محمد حميد الدين (١٣٢٢-١٣٦٧هـ/ ١٩٠٤-١٩٤٨م) وحَبَسَه في بعض الصناديق بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، وتَمَكَّنت بعثةُ الوثائق والمخطوطات التي أرسلتها وزارة الثقافة المصرية إلى اليمن سنة ١٩٦٤ من تصوير ٥٨ كتابًا هامًّا منه محفوظة الآن في دار الكتب المصرية بالقاهرة، من بينها أجزاءٌ من «عُيون الأخبار» للداعي عماد الدين إدريس، و«المصابيح في إثبات الإمامة» لحميد الدين الكِرْماني،

و « رسائل حميد الدين الكِرْماني » (١٣ رسالة) ، و « المجالس المُؤَيَّدِيَّة »[1].
وتمتاز هذه المخطوطات بقِدَمِها وأصالتها ، على عكس المخطوطات الإسماعيلية ذات الأصل الهندي فهي مخطوطاتٌ حديثةٌ كتبت جميعها في القرنين الأخيرين ، ويبدو أن الأصولَ التي نُقِلَت عنها هذه المخطوطات محفوظةٌ في مكتبة الداعي نفسه ويُحظَرُ الاطلاع عليها الآن ، ويرجع أغلبها إلى أدب الدَّعْوَة المُسْتَعْلِيَّة – الطَّيِّبِيَّة .

ويَرْجِعُ الفَضْلُ في تَعَرُّف الدراسات الحديثة على أفكار وعقائد الإسماعيلية من خلال المؤلَّفات الإسماعيلية نفسها ، إلى المستشرق الروسي فلاديمير إيفانوف Wladimir Ivanow (١٨٨٦– ١٩٧٠) الذي هاجَر في عشرينات القرن العشرين – بعد اندلاع الثورة البُلْشُفِيَّة – إلى الهند حيث تعرَّف إلى السلطان محمد شاه الأغاخان الثالث المتوفى سنة ١٩٥٧م ، ويَسَّر له الاطلاع على المخطوطات والمؤلَّفات الإسماعيلية التي يحتفظ بها الفرع الثاني للإسماعيلية المعروف أتباعه بالنِّزارِيَّة ؛ فكتب العديد من الدراسات الإسماعيلية الرائدة مازالت هي الأساس لأية دراسات أخرى ، كما نَشَرَ اعتمادًا على هذه المخطوطات بعض المصادر الإسماعيلية الأصلية الهامَّة التي لَفَتت انتباه عدد من الباحثين الغربيين أمثال برنارد لويس Bernard Lewis وماريوس كانار Marius Canard وهنري كوربان Henry Corbin وغيرهم الذين استخدموا منهجيات حديثة في التعامل مع هذه النُّصوص وطرحوا نظريات جديدة فتحت الباب واسعًا أمام دراسة التاريخ والفكر الإسماعيلي .

وإلى جانب ذلك ، فبفضل جُهُود مجموعةٍ من الباحثين الإسماعيليين الذين نشأوا في جَوٍّ إسماعيلي خالص ، ثم دَرَسوا في الغرب بمنهجِيَّات

---

[1] أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى ٤٢٨ – ٤٢٩ .

حديثة، ظَهَرَ العديدُ من المؤلَّفات الإسماعيلية الأصلية إلى الوجود وبدأت تَعْرِف طريقها إلى النَّشْر العلمي. فقد ورث هؤلاء الباحثون أمثال حُسَيْن فَيْضُ الله الهَمْداني وآصِف علي أصْغَر فَيْظي ثم عَبّاس الهَمْداني وإسماعيل قُرْبان بوناوالا مكتبات أسرهم التي تحتوي على العديد من مخطوطات الدَّعْوَة الإسماعيلية واعتمدوا عليها في دراساتهم، مما ساعد على إعطاء صورة أكثر دِقَّة لحقيقة هذا المذهب وتاريخه وعقائد أتباعه؛ وينتمي هؤلاء الباحثون جميعًا إلى الفرقة الإسماعيلية المُسْتَعْلِيَّة.

ومن بين هؤلاء الباحثين يُعَدُّ حسين فَيْضُ الله الهَمْداني (١٩٠١-١٩٦٢) رائدَ الدِّراسات الإسماعيلية الحديثة التي قام بها اعتمادًا على مجموعة المخطوطات الإسماعيلية التي كانت تحتفظ بها أسرته في سُورت بالهند (الخزانة المحمدية الهَمْدانية التي أسَّسَها جَدُّه محمد علي اليَعْبُري الهَمْداني). وقد أشار حُسَيْن الهَمْداني إلى أهم هذه المؤلَّفات في مقال نشره سنة ١٩٣٣م في مجلة الجمعية الملكية الأسيوية بلندن H. Hamdani, «Some Unknown Ismaili Authors and their Works», *JRAS* (1933), pp. 319-78.؛ كما يقوم الآن وَلَدُه عَبّاس الهَمْداني - الأستاذ بجامعة وِسْكُنْسون بالولايات المتحدة الأمريكية - بإسهامات هامَّة حول تاريخ الدَّعْوَة الطَّيِّبِيَّة بوجه خاص ورسائل إخوان الصَّفا اعتمادًا على هذه المصادر الأصلية. وأهدى حُسَيْن الهَمْداني كذلك إلى مدرسة الدراسات الشرقية في لندن School of Oriental Studies - London النسخة المعروفة من «السِّجِلّات المُسْتَنْصِرِيَّة» - أهم مصدر لا يقبل الشك عن فترة حكم الصُّلَيْحيين في اليمن - وكَتَبَ عنها مقالًا نشره سنة ١٩٣٣ في مجلة مدرسة الدِّراسات الشرقية في لندن H. Hamdani, «The Letters of al-Mustansir

‹billâh», *BSOS* VII (1933-35), pp. 307-24 ثم نَشَرَها كاملةً في القاهرة سنة ١٩٥٤م عبد المنعم ماجد.

وكانت مدرسةُ الدِّراسات الشرقية في لندن قد اقتنت كذلك في سنة ١٩٣٢م مجموعةً هامَّةً من المخطوطات الإسماعيلية كانت في ملك أحد رجال البُهْرَة في الهند – الذي توفي قبل ذلك بنحو ثلاث سنوات – وآلت بعضُ كتبه إلى ابن له اعتنق المسيحية! وبما أنه لم يعد له اهتمامٌ بالعقيدة الإسماعيلية فقد تخلَّص من هذه المخطوطات وعرضها للبيع خارج الهند، وقَدَّم لها تريتون Tritton عرضًا موجزًا في مقال نشره سنة ١٩٣٣م في مجلة مدرسة الدِّراسات الشرقية في لندن A.S. Tritton, «Notes on some Ismaili Manuscripts», *BSOS* VII (1933-35), pp. 33-39.

وفي سنة ١٩٣٣م قام المستشرق الروسي فلاديمير إيڤانوف – اعتمادًا على مخطوطة «فهرسة الكتب والرَّسائل ولمن هي من العلماء والأئمة والحُدود والأفاضل» لإسماعيل بن عبد الرَّسول الآجيني المجْدوع، أحد علماء الإسماعيلية في القرن الثاني عشر الهجري [١]، وهي من بين مخطوطات الخزانة المحمدية الهَمْدانية – بكتابة دليل للأدب الإسماعيلي، وعلى الأخَصِّ ما يتعلق بأدب الدَّعْوَة المُسْتَعْلِيَّة، W. Ivanow, *A Guide to Ismaili Literature, London 1933.* [٢] ثم قَدَّم له في سنة ١٩٦٣ طبعةً جديدةً مزوَّدَةً بالحواشي بعنوان W. Ivanow, *Ismaili Literature - A Bibliographical Survey,* Tehran 1963. وكتب مؤخَّرًا إسماعيل قُربان بوناوالا بيليوجرافيا شاملة للأدب الإسماعيلي مع ترجمة لمؤلفيه بعنوان I.K. Poonawala, *Biobibliography of*

---

١ نشر علينقي منزوي هذا الكتاب الهام في طهران سنة ١٩٦٦م.

٢ راجع P. Kraus, «La bibliographie Ismaelienne de W. Ivanow», *REI* VI (1932), pp. 483-95.

وكتب كذلك مقالاً هامًا *Ismâ'îlî Literature*, Malibu, California 1977 عن «المصادر الإسماعيلية لتاريخ جنوب غرب الجزيرة العربية» I.K. Poonawala, «Ismâ'îlî Sources for the History of South-West Arabia» in *Sources for the History of Arabia,* Riyad 1979, I, pp. 151-59. كما كتب كاتب هذه السطور مقالاً في نفس الكتاب عن مصادر جنوب الجزيرة في العصر الفاطمي ، أيمن فؤاد سيد : «دراسة نقدية لبعض مصادر جنوب غرب الجزيرة العربية في العصر الفاطمي» في مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الرياض ١٩٧٩، ١:٢٤٥- ٢٥٢.

وظهرت في الوقت نفسه فهارس وصفية لبعض المجموعات المشتملة على مخطوطات إسماعيلية مثل :

Goriawala, Mu'izz, *A Descriptive Catalogue of the Fyzee Collection of Isma'ili Manuscripts.* Bombay 1965.

Fyzee, Asaf 'A.A., «A Collection of Fatimid Manuscripts», in Gidwani, N.N. (ed.), *Comparative Librarianship: Essays in Honor of Professor D.N. Marshall,* Delhi 1973, pp. 209-20.

Gacek, Adam, *Catalogue of Arabic Manuscripts in the Library of the Institute of Ismaili Studies,* 2 vols., London 1984-85.

Cortese, Delia, *Ismaili and Other Arabic Manuscripts. A Descriptive Catalogue of Manuscripts in the Library of the Institute of Ismaili Studies,* London 2000.

الكِتَابُ وَمُؤَلِّفُه

١- مَوْضُوعُ الكِتَابِ

يُعَدُّ الجزءُ السابع من كتاب «عُيُون الأَخْبار» للداعي عماد الدين إدريس ابن الحسن الأَنْف المصدر الوحيد الذي يبحث المظهر الديني للأسرة الصُّلَيْحِيَّة في اليمن. فقد جَعَلَ وَضْعُ المؤلِّف كداعٍ مُطْلَق للدَّعْوَة الطَّيِّبِيَّة في اليمن والمصادر والوثائق الإسماعيلية النادرة التي اطَّلَع عليها من كتابه المصدر الرئيسي لدراسة الدَّعْوَة اليمنية.

ويبدأ هذا الجزءُ بإظهار الداعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي للدَّعْوَة الفاطمية في جزيرة اليمن في زمن إمامة المُسْتَنْصِر بالله الفاطمي، وتستغرق هذه المرحلة أكثر من نصف المجلد. ويُقَدِّم لنا المؤلِّف بعد ذلك تاريخًا مختصرًا لفترة إمامة كلٍّ من المُسْتَعْلي بالله والآمر بأحكام الله (٤٨٧- ٥٢٤هـ/ ١٠٩٤- ١١٣٠م) اللذين عَدَّهما المؤلِّف آخر الأئمة الفاطميين في مصر، فقد اعتبرت الدَّعْوَة اليمنية الأئمة الأربعة الأواخر في الدولة الفاطمية في مصر (الحافِظ والظَّافِر والفائِز والعاضِد) ليس لهم حَقٌّ شرعيٌّ في الإمامة وأنهم اغتصبوها من صاحب الحَقّ الإمام المُسْتَتِر الطَّيِّب بن الآمر بأحكام الله.

ويلي ذلك فصلٌ عن الإمام المَسْتُور الطَّيِّب بن الآمر والسِّجِلّ الذي أرسله الإمام الآمِر بأحكام الله إلى السَّيِّدة الحُرَّة في اليمن والذي يُثْبِت شرعية وراثته لأبيه؛ فيعتقد الإسماعيليون الطَّيِّبِيُّون في اختفاء الإمام الطَّيِّب بن الآمِر معلنًا بذلك عودة «دَوْر السَّتْر» مرةً أخرى. وينتهي هذا الجزء بعرض سريع

للتطوُّرَات التي حدثت في مصر حتى استيلاء صلاح الدين يوسف بن أيُّوب على مقاليد السُّلْطَة بها سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م وزوال الدَّوْلَة الفاطمية منها.

ويشير هذا الجزء إشارةً مُطَوَّلةً إلى الدور الذي قام به داعي الدُّعاة المُؤَيَّد في الدين هِبَةُ الله الشّيرازي في العراق والشام ومساندته لحركة القائد التركي أبي الحارث أرْسلان البَساسيري في بغداد اعتمادًا على «السيرة الذاتية» للمُؤَيَّد في الدين، ثم تولِّيه رَسْمِيًّا رُتْبَةَ «داعي الدُّعاة» في مصر سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م لمدة نحو عشرين عامًا. ويشير كذلك - اعتمادًا على مَصْدَرٍ مصري غير معروف - إلى الأزمات الإدارية والفَوْضى السياسية التي اجتاحت القاهرة - مقر الإمامة الفاطمية - في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي على أيدي الجنود الأتراك بقيادة ناصر الدَّوْلَة ابن حَمْدان، حتى اضْطُرَّ الإمام المُسْتَنْصِر بالله إلى الاستعانة بوالي عَكّا القائد الأرمني بَدْر الجمالي لإعادة النِّظام إلى الدَّوْلَة سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٤م، وكيف أصبح هذا القائد العسكري - بعد وفاة المُؤَيَّد في الدين الشّيرازي سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م - هو رئيس الدَّعْوَة الفاطمية والمُشْرِفُ على السُّلْطَة الدينية وزيد له في ألقابه سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م «كافِلُ قُضاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين».

ويتناول المؤلِّفُ في هذا الجزء أيضًا ببعض التفصيل الجَدَل الذي نشأ في أعقاب وفاة الإمام المُسْتَنْصِر بالله حول خلافته، والذي يُعَدُّ أكبر أزمة داخلية أثَّرت في الأسرة الفاطمية. ودار هذا الجَدَلُ حول من يكون صاحب الحَقِّ في خلافة والده؛ ابنه الأكبر نِزار أم ابنه الأصغر أبو القاسم أحمد (المُسْتَعْلي بالله). فقد كانت وفاةُ المُسْتَنْصِر بالله هي نهاية «فترة الدَّعْوَة الإسماعيلية المُوَحَّدَة»، وتَسَبَّب هذا النِّزاع - الذي انتهى بانتصار المُسْتَعْلي بالله - في انشقاقٍ كبيرٍ في كيان الحركة الإسماعيلية الفاطمية أدَّى إلى انقسامها إلى

جناحين متنافسين: المُسْتَعْلِيَّة أو الدَّعْوَة الإسماعيلية القديمة (الغربية)، والنِّزارِيَّة أو الدَّعْوَة الإسماعيلية الجديدة (الشرقية)، كانت له عواقبُ قاسية ودائمة أثَّرت على مستقبل الحركة الإسماعيلية، وقد تبنَّت دَعْوَةُ اليمن حَقَّ المُسْتَعْلي في خلافة والده كإمام للطائفة الإسماعيلية.

ويعرض المُؤَلِّف بعد ذلك لفترة إمامة المُسْتَعْلي بالله ثم إمامة ولده الآمِر بأحكام الله والفترة التي أعقبت وفاته مباشرةً حتى ادِّعاء الحافِظ عبد المجيد - ابن عم الآمر - للإمامة؛ ويشمل كذلك هذا القسم تاريخًا مُفَصَّلًا للصُّلَيْحيين خُلَفاء علي بن محمد الصُّلَيْحي مؤسِّس الدَّوْلَة، ولتاريخ الدَّعْوَة الفاطمية في اليمن في هذه الفترة.

ويتردَّدُ المؤلِّفُ في أحداث هذا الجزء بين مصر واليمن، حيث يَقْطَع تسلسل أحداث تاريخ الصُّلَيْحيين لينتقل إلى القاهرة لإلقاء الضوء على الأحداث الهامة التي تَمَّت هناك.

ويُلاحَظ أن الأحداث التي يذكرها عن مصر غير محدَّدة التواريخ في الغالب، وتحتوي أحيانًا على خَلْط بين التواريخ وتسلسل الأحداث، حتى أنه يعمد أحيانًا - لأغراضٍ مذهبية - إلى تقديم أحداثٍ مخالفة لما أجمعت عليه المصادر المصرية [١].

ورغم ذلك فيظَلُّ هذا الجزء مصدرًا أساسيًا لتاريخ الدَّعْوَة الفاطمية في اليمن في زمن الأسرة الصُّلَيْحِيَّة، وللحروب والانتصارات والهزائم التي صاحبتها، بفضل اشتماله على تراجم لأهم رجال الدَّوْلَة والدَّعْوَة وعلى قصائد ذات أطوال مختلفة تتَّصِل بالأحداث المذكورة.

---

[١] عماد الدين إدريس: عيون الأخبار ٧ :١٩٣- ١٩٤، ٢٥١، ٢٥٧.

أما مَيْزَةُ هذا الجزء الأولى التي جعلت له قيمةً علميةً خاصةً ونَصًّا بالغ الأهمية في تاريخ الدَّعْوَة الإسماعيلية، فهي أنه - برغم أن مؤلِّفه تفصله عن الأحداث التي يصفها بين ثلاثة وأربعة قرون - استقى معلوماته من أصول معاصرة لعهد الصُّلَيْحيين، ونَقَلَ عن عدد معتبر من الوثائق الرسمية التي لم يكن من الممكن أن تتوفَّر لمؤرِّخين آخرين من خارج الدائرة الدينية المتعلِّقة بالمذهب، فالمؤلِّفُ باعتباره رئيسًا للدَّعْوَة اليمنية كان وارثًا لتقاليدها محتفظًا بكتبها؛ وقد أورد على امتداد صفحات هذا الجزء نصوصًا تامةً للعديد من السِّجِلات التي وَجَّهها الأئمةُ الفاطميون (المُسْتَنْصِر بالله والمُسْتَعْلي بالله والآمِر بأحكام الله) وكذلك جِهات الأئمة (أمهاتهم وزوجاتهم) إلى دعاتهم الصُّلَيْحيين باليمن، إضافةً إلى نَصِّ السِّجِلّ الذي عَيَّنَ فيه الإمام المُسْتَنصِرُ بالله المُؤَيَّدَ في الدين هبة الله الشِّيرازي في رُتْبَة داعي الدُّعاة، ونَصّ بعض الخُطَبِ التي كان يُلقيها الإمام الآمِر بأحكام الله في الاحتفال بصلاة عيدي الفِطْر والنَّحْر والتي ترجع أهميتها إلى اعتبار الإسماعيليين الخليفة الفاطمي إمامًا وزعيمًا دينيًّا أكثر منه حاكمًا سياسيًّا ورئيسًا لدولة مترامية الأطراف.

وأوَّلُ من نَبَّه إلى أهمية هذا الجزء من كتاب «عيون الأخبار» العالم الراحل حسين بن فَيْضِ الله الهَمْداني واعتمد عليه في كتابه «الصُّلَيْحيُّون والحركة الفاطمية في اليمن»، كما ضَمَّنَ ملاحق هذا الكتاب نُصوصًا مُطَوَّلَةً من هذا الجزء (٣٠١- ٣٠٧، ٣١٩- ٣٣٠) الذي تحتفظ المكتبة المحمدية الهمدانية بنسخة كاملة منه أتاحها للباحثين، فأفاد منها في دراساتهم كُلٌّ من محمد كامل حسين وعبد المنعم ماجد وإسماعيل قُرْبان بوناوالا وكاتب هذه السطور.

٢- مُؤَلِّفُ الكِتَابِ

عمادُ الدين إدريس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن الوَليد الأَنْف ، الداعي المُطْلَق التاسع عشر في سلسلة الدُّعاة الطَّيِّبيين في دور السَّتْر الثاني الذي أعقب وفاة الإمام الآمر بأحكام الله واستتار ابنه الإمام الطَّيِّب بن الآمر ، ويرجع نَسَبُه إلى أسرة الوليد القُرَشي التي قادت الدَّعْوة الطَّيِّبيّة في اليمن لأكثر من ثلاثة قرون [١]. لم ترد له ترجمةٌ في كتب التراجم المعروفة ، ولكن الداعي الهندي قُطْب الدين سليمان جي بُرْهانْبوري المتوفى سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م أورد له في كتابه « مُنْتَزَع الأخبار في أخبار الدُّعاة الأخيار » ترجمةً اعتمادًا على مؤلَّفيه « نُزْهَة الأفكار » و« رَوْضَة الأخبار » . ولمْ يذكر بُرْهانْبوري تاريخ ميلاد الداعي إدريس ، ولكن إسماعيل قُرْبان بوناوالا جعلَه في سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م بقلعة شبام بجبل حَراز باليمن [٢]؛ ولا نعرف أيَّ شيء عن حياته قبل أن يتولّى رئاسة الدَّعْوَة اليمنية خَلَفًا لعمه عليّ بن عبد الله ابن عليّ بن الوليد الداعي المُطْلَق الثامن عشر بوصية منه عقب وفاته في الثالث من شهر صفر سنة ٨٣٢هـ/١٣ نوفمبر سنة ١٤٢٨م [٣].

---

[١] راجع ترجمته ومؤلّفاته عند ، قطب الدين برهانبورى : منتزع الأخبار في أخبار الدعاة الأخيار ١٦٦-١٧٥ ؛ المجدوع : فهرسة الكتب والرسائل ٧٣-٧٧ ، ١٥٠-١٥١ ؛ W. Ivanow, *Ismaili Literature* pp. 77 - 82; C. Brockelmann, *GAL S* II, 239, 250 ؛ مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، بيروت-دار اليقظة العربية ١٩٦٤ ، ١٣٧-١٣٩ ؛ أيمن فؤاد : مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ١٨٠-١٨٣ ؛ الزركلي : الأعلام (الطبعة الرابعة) ١ : ٢٧٩ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ٢ : ٢١٦ ؛ على حسنى الخربوطلي : عماد الدين إدريس الداعي والمؤرخ الفاطمي (٧٩٤-٨٧٢هـ) مع دراسة للدعوة والمكتبة الفاطمية في بلاد اليمن والهند ، القاهرة ١٩٧٣ ؛ I. K. Poonawala, *Biobibliography of Ismaili Literature*, pp. 169-75; id., *EI*[2] art. *Idris b. al- Hasan* Suppl. p. 407; F. Daftary, *The Ismailis: Their History and Doctrines, Cambridge* 1990, pp. 258-59, 290-91 .

[٢] I. K. Poonawala, *EI*[2] art. *Idris b. al-Hasan* Suppl. p. 407 .

[٣] برهانبوري : منتزع الأخبار ١٦٦ .

وتولّى عمادُ الدين إدريس رئاسةَ الدَّعْوَة الطَّيِّبِيَّة في فترة عصيبة شهدت فيها اليمن حروبًا شديدة بين سلاطينها وأئمتها ، كما قاوم فيها عمادُ الدين إدريس – الذي كان يُحالفُ السّلاطين الطاهريين – أئمة الزَّيْدِيَّة في شمال اليمن وافْتَكَّ منهم العديد من الحصون والقلاع . وفي سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م داهَمَ منطقة جبل حَراز وجهاتها طاعونٌ أوْدَى بحياة العديد من أنصار الدَّعْوَة منهم عِزُّ الدين مَعَدُّ بن الداعي عبد الله بن عليٍّ بن الوليد وعَمُّه محمد بن عليٍّ ، وكانت وفاةُ معظم هؤلاء في شهر صفر من هذا العام[1]، مما اضطَرَّ عماد الدين إدريس للارتحال إلى شِبَام التي لم يعد منها إلى حَراز – أهم معاقل الدَّعْوَة الإسماعيلية في اليمن – إلّا في شعبان سنة ٨٥٣هـ/ نوفمبر سنة ١٤٤٩م ، يقول : « فسُرَّ أهلُ الدَّعْوَة بوصولي سرورًا ، وكانوا كمن غاب والدُه عنه ورَجَعَ بعد السَّفَر البعيد »[2]. وقام عمادُ الدين إدريس بدور مهم في الاهتمام بدَعْوَة الهند ومَهَّد السبيل لتحويل مراكز الدَّعْوَة الإسماعيلية من اليمن إليها[3].

وعندما أحَسَّ عمادُ الدين إدريس بدُنُوِّ أجَلِه نَصَّ على ولده الحسن بن إدريس بدر الدين ليخلفه في رئاسة الدَّعْوَة وعَزَّزَه بابن عمه عبد الله بن عليٍّ ابن الحسن فخر الدين . وتوفي عمادُ الدين إدريس يوم التاسع عشر من ذي القعدة سنة ٨٧٢هـ/١٠ يونية سنة ١٤٦٩م بعد أن تَوَلّى رئاسة الدَّعْوَة اليمنية أكثر من أربعين عامًا[4].

---

[1] برهانبوري : منتزع الأخبار ١٧٠-١٧٢ .
[2] نفسه ١٧٢ .
[3] نفسه ١٧٣-١٧٤ .
[4] نفسه ١٧٥ .

مُؤَلَّفاتُه

يُعَدُّ عمادُالدين إدريس «أكبرَ مُؤَرِّخ للدَّعْوَة الإسماعيلية» بالرغم من تأخُّره الزمني، ويرجع السبب في ذلك إلى وضعه كداعٍ مُطْلَق للدَّعْوَة الطَّيِّبِيَّة في اليمن الذي أتاح له الاطلاع على التراث الإسماعيلي المحفوظ في اليمن، والذي انتقل قِسمٌ كبيرٌ منه إليها في أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أثناء سفارة القاضي لَمَكَ بن مالِك الحَمَّادي، ثم بعد استتار الإمام الطَّيِّب بن الآمر في سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م، واحتفظت به مؤسَّسة الدَّعْوَة في اليمن التي تولَّى هو رئاستها في عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م. وكَتَبَ عمادُ الدين إدريس العديد من المؤلَّفات التاريخية والعقائدية التي اعتمد فيها على هذه المصادر الأصلية التي لم تصلْ إلينا.

وقد أشار قُطْبُ الدين بُرْهانْبوري إلى مؤلَّفات عماد الدين إدريس التي يمكن أن نقسمها إلى: مُؤَلَّفاتٍ تاريخية تناولت تاريخ الدَّعْوَة الإسماعيلية عمومًا، وتاريخ اليمن وتاريخ الدَّعْوَةِ الإسماعيلية فيه، حيث يُعَدُّ إدريس خير من يؤرِّخ له باعتباره من أبناء اليمن؛ ومؤلَّفاتٍ عقائدية وفي الرد على أهل الفِرَق الأُخرى.

كَتَبَ عمادُ الدين إدريس ثلاثة أعمال تاريخية مُرَكَّزَة هي:

١- عُيونُ الأَخبار وفنون الآثار في ذكر النَّبيِّ المصطفى المختار ووَصِيِّه عليِّ بن أبي طالب قاتل الكُفَّار وآلهما الأئمة الأطهار عليهم صلوات الله العزيز الغَفَّار.

وهو أهم كتاب يؤرِّخ للدَّعْوَة الإسماعيلية منذ نشأتها وحتى النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. يقع في سبعة أجزاء أطلق المؤلِّف على كل جزء منها «سُبْع»، وهو لفظ ذو دلالة عند الإسماعيليين الذين يُعْرَفون أيضًا بـ «السَّبْعِيَّة» نسبة إلى إمامهم السابع محمد

ابن إسماعيل بن جعفر الصّادِق. وتشتمل هذه الأسْباع (الأجزاء) على الآتي:

الأول – فضائل الرسول ﷺ وسيرته، وزواج فاطمة وعليٍّ.

الثاني والثالث – سيرة الإمام عليّ بن أبي طالب ووقائع الجَمَل وصِفّين والنَّهْرَوان حتى مقتله.

الرابع – في ذكر الأئمة من الحسن بن عليّ بن أبي طالب إلى نهاية عصر الأئمة المستورين وبداية ظهور المَهْدي عبد الله.

الخامس – قيام الدولة الفاطمية في إفريقية وذكر الأئمة الثلاثة الأُوَل: المَهْدي والقائم والمَنْصور.

السادس – في ذكر الأئمة ابتداءً من المُعِزّ لدين الله وانتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، ثم عهود كل من العَزيز بالله والحاكِم بأمر الله والظّاهِر لإعزاز دين الله وبداية عهد المُسْتَنْصِر بالله.

السابع – يتناول بتفاصيلَ غنية وبالغة القيمة تتمة عهد المُسْتَنْصِر بالله وقيام الدَّوْلَة الصُّلَيْحية في اليمن، والانشقاق الذي أعقب وفاة المُسْتَنْصِر، وعَهْدَ المُسْتَعْلي بالله والآمِر بأحْكام الله وبداية فترة الدَّعْوَة الطَّيّبِيّة في اليمن، كما يشتمل على تفاصيل مهمة حول مختلف دُعاة اليمن.

ويُظَنّ أن إدريس بدأ في تأليفه بعد أن انتهى من تأليف كتابه «زَهْر المعاني» سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م.

ونظرًا لأهمية هذا الكتاب لتاريخ الدَّعْوَة الإسماعيلية فإن من واجب كلِّ طالبٍ في الجامعة السيفية في سُورت بالهند نَسْخَ نُسْخَة من هذا الكتاب مطابقة تمامًا للنسخة الخطية الأصلية، يقوم بمراجعتها وتصحيحها

أساتذةُ الجامعةِ، وتحتفظ مكتبة الجامعة بجميع هذه النُّسخ.

[نَشَرَ منه مصطفى غالب الأجزاء الرابع والخامس والسادس، صدر الرابع عن دار التراث الفاطمي في بيروت سنة ١٩٧٣، والخامس والسادس عن دار الأندلس في بيروت ١٩٧٥، ١٩٧٨م.

ونَشَرَ فرحات الدَّشراوي قِسْمًا من الجزء الخامس بعنوان: تاريخ الدَّولة الفاطمية بالمغرب (المَهْدي - القائم - المَنْصور - ثورة أبي يزيد)، تونس ١٩٧٩م.

ثم نَشَرَ محمد اليَعْلاوي الجزأين الخامس والسادس بعنوان: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب - القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، بيروت - دار الغرب الإسلامي ١٩٨٥م].

٢- نُزْهَة الأفْكار ورَوْضَةُ الأخبار في ذكر من قام باليمن من الملوك الكبار والدُّعاة الأخيار.

وهو الكتاب الوحيد الذي يُبَيِّنُ بصورة واضحة تاريخ الدَّعْوَة الإسماعيلية في اليمن مُتَّصِلًا من أيّام مَنْصور اليمن ابن حَوْشَب حتى أيّام المؤلِّف، وعلى الأخَصِّ منذ سقوط الدولة الصُّلَيْحِيَّة سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م وحتى سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م، ويُعْطي المؤلِّف أهميةً خاصةً للدعوة الإسماعيلية في الهند والعلاقات بين الطائفتين الإسماعيليتين في اليمن والهند.

ويقع الكتابُ في جزأين، يتناول الجزءُ الأول الدَّعْوَة في اليمن من وقت مَنْصور اليمن وحتى تعيين الذُّوَيْب بن موسى الوادعي كأَوَّل داعٍ مطلق في دور السَّتْر. ويلي ذلك تراجم مختصرة أشبه ما تكون بمذكّرات في شكل تراجم لعدد من الدُّعاة المتعاقبين مع بعض ملاحظات عن معاصريهم البارزين، وينتهي بذكر الداعي المُطْلَق السابع عشر عبد الله بن عليّ بن محمد بن حاتم وهو جَدُّ المؤلِّف. أما الجزء الثاني فقد خَصَّصَه كليةً لذكر بقية سيرة الداعي السابع عشر وسيرة الداعي الثامن عشر أسلاف المؤلِّف المباشرين.

[نسخة في مجلدين بالمكتبة المحمدية الهمدانية ؛ نسخة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء كتبت في القرن الثالث عشر الهجري في ١٧٨ق (مصورة في دار الكتب المصرية برقم ٢٢٥٣ ميكروفلم) ؛ ويقوم بتحقيق الكتاب الآن وإعداده للنشر الأستاذ سامر طرابلسي بالجامعة الأمريكية ببيروت] .

٣- رَوْضَةُ الأَخْبار ونُزْهَة الأسْمار في حَوادث اليمن الكِبار والحُصُون والأمْصار .

وهو كالذيل على كتاب « نُزْهة الأفْكار » حيث يبدأ بحوادث سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م ويستمر في ذكر الحوادث حتى سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٦م . وهو مصدرٌ هام لتاريخ الدَّولة الطاهرية التي خلفت الدولة الرَّسولية في حكم اليمن ، لأن إدريسَ كان حليفًا لهم . والكتاب كذلك مصدرٌ هام لتاريخ حياة إدريس والدور الذي قام به كرئيس للدَعْوَة الطَّيِّبِيَّة في بلاد اليمن .

[منه نسخة وحيدة كتبت سنة ٩٩١هـ/١٥٨٣م محفوظة في مكتبة جامعة ليدن برقم ١٩٧٢ نشرها في عام ١٩٩٥ محمد بن علي الأَكْوَع الحوالي وصدرت في صنعاء عن الهيئة العامة اليمنية للكتاب] .

ولاحظ حُسَيْن الهَمْداني - أوَّل من نبّه إلى أهمية مؤلَّفات عماد الدين إدريس التاريخية واعتمد عليها - بحَقٍّ أن كتاباته لاتخلو في بعض الأحيان من المحاباة والتحيُّز ، ومن الحب المُفْرِط والكراهية الشديدة ، مما يترتَّب عليه أحيانًا طَمْس الحقيقة وتحريف الوقائع وحَذْف بعض الحوادث ، الأمرُ الذي يبدو من مقارنته بالمصادر التاريخية الأخرى [1] . ورغم ذلك فإن المؤلِّف لا يُمَيِّزُ بوضوح بين المصادر الإسماعيلية والمصادر الأخرى المعادية لها ولا يُحَدِّدها .

أمَّا بقيَّةُ مؤلَّفاته التي ذكرها قُطْبُ الدين بُرهانْبوري فهي :

---

[1] حسين الهمداني : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ٥ .

٤- زَهْرُ المَعاني في توحيد المبدع الحق سبحانه، ومعرفة الكمالين الأوّل والثاني وحصول عالم الجسم وارتقائه إلى العالم الروحاني في الحقائق.

[نشره مصطفى غالب وصدر في بيروت عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر سنة ١٩٩١م].

٥- رسالةُ البَيان لما وَجَب من معرفة الصَّلاة في نصف شهر رَجَب الأَصَبّ.

« بَيَّنَ فيه تأويل الأشهر الثلاثة رَجَب وشَعْبان ورَمَضان ومعنى صَلاة أمّ داوُد [فاطمة بنت عبد الله] ومعنى الصِّيام، وكَشَفَ فيها من الحقائق والعلوم الدقائق مالم ينكشف من قبله »[1]. وهو يُؤَوِّل في هذه الرسالة صلاةً قام الإمام جعفر الصَّادق بتعليمها لفاطمة بنت عبد الله وتتألَّف من ثماني ركعات مع مجموعة من آيات وأدعية تقرأ بعد أداء الصلاة.

٦- رسالةٌ في الرَّدِّ على الزِّنْديق المُسَمَّى بالجَمَل وتعرف أيضًا بـ الرِّسالة الموسومة بمُوَضِّحَة التلْبيس وداحِضَة التدليس في الردِّ على بعض المُعَطِّلين المُسَمَّى بالجَمَل.

وهو شخصٌ غير معروف وَصَفَه بُرْهانبوري بأنه من جملة المتمرِّدين الذين يَطْعَنون على الإسلام والمسلمين، أثبت فيها جميع ما جاء من القرآن والشَّرْع الشريف من البيان والحُجَج القاطعة والبراهين اللامعة وبَيَّنَ فيها فَضْل الإسلام والمسلمين[2].

٧- الرِّسالةُ الموسومة بمُدْحِضَة البُهْتان ومُوَضِّحَة الحَقّ في صَوْم شهر رَمَضان.

صنَّفَها لما خرجت فرقة من المارقين من أهل الهند ولحقوا بزمرة الشياطين واحتجوا في الصِّيام برؤية الهلال وأمر بها إلى جزيرة الهند.

---

[1] برهانبوري: منتزع الأخبار ١٦٧-١٦٨.

[2] نفسه ١٦٨-١٦٩.

٨- رسالة في الرَّدّ على عالم من علماء الزيدية وهَدْم ما بناه في كتابه من المحال .

٩- رسالة زُبْدَة السّرائر وتعرف أيضًا بـ ضِياء البَصَائر وزُبْدَة السّرائر .

١٠- إيضاحُ الإعلام وإبانَة الحُجَّة في كمال عِدَّة الصِّيام في أن الصيام بالحساب لا بالرؤية وأن شهره ثلاثون يومًا لا ينقص من عِدَّته أبدًا .

ومصدره الرئيسي فيه هو « المجالس المؤيدية » .

١١- ديوان شِـــعْر .

وصفه بُرْهانبوري بأنه عظيم الشأن واضح البيان فيه رموزٌ وإشاراتٌ ولُمَعٌ وتلويحات [١].

أما مؤلَّفاته التي لم يذكرها بُرْهانبوري فهي :

١٢- هداية الطالبين وإقامة الحُجَّة في إيضاح الحَقِّ المبين في جواب المارقين من أهل الهند .

١٣- رسالةٌ في هلال الصَّوْم .

١٤- تأويلُ أمثال القرآن .

[١] برهانبوري : منتزع الأخبار ١٦٩ .

مَصَادِرُ الكِتَابِ

إن المصدرَ الرئيسي لهذه الفترة الهامة من تاريخ اليمن المشتملة على تاريخ الأسرة الصُّلَيْحِيَّة وتاريخ سائِرِ الأُسَرِ الحاكمة المعاصرة لها (النَّجاحِيُّون - بنو مَهْدي - الزُّرَيْعِيُّون) هو « تاريخ اليمن » المُسَمَّى « المُفيد في أخبار صَنْعاء وزَبيد » للفقيه الشاعر عُمارَة اليمني ، نجم الدين أبي محمد عُمارَة بن أبي الحَسَن الحَكَمي المتوفى بالقاهرة سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م[١]. وهذا الكتابُ هو الأساس الذي اعتمد عليه فيما بعد كُلُّ من أرَّخ لهذه الدُّوَل ، حتى إنَّ المُؤَرِّخين اليمنيين المتأخِّرين من أمثال الخَزْرَجي وابن الدَّيْبَع ويحيى بن الحسين لم يضيفوا سوى القليل إلى ما كتبه عُمارَة اليمني .

وبدأ عُمارَةُ اليمني في كتابة تاريخه في سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م - أي بعد أن استقر في مصر بثلاث عشرة سنة - بناء على طلب القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البَيْساني صاحب ديوان الإنشاء الفاطمي في زمن العاضِد[٢] (الذي أضْحى بعد ذلك من أكبر المُقَرَّبين لصلاح الدين يوسف بن أيُّوب

---

[١] انظر أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ١٠٨-١١٠ ، ونشر « تاريخ اليمن » أول مرة هنري كاسل كاي في كتابه H. C. Kay, *Yaman its Early Mediaeval History*, London 1892 (وأعيد نشره في لندن سنة ١٩٦٨) اعتمادًا على مخطوطة وحيدة كتبت بعد سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م مصحوبًا بترجمة وتعليقات غنية باللغة الإنجليزية ، وأعاد حسن سليمان محمود نشر الكتاب اعتمادًا على نشرة كاي مع نقل تعليقاته إلى العربية . و في سنة ١٩٧٦ نشر القاضي محمد بن عليّ الأكوع في القاهرة نشرةً جديدةً للكتاب اعتمادًا على مخطوطة مؤرَّخة سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م تشتمل على أخبار الشعراء والأدباء اليمنيين- وهو قسم ساقط من نشرة كاي-وإن كان العماد الأصفهاني الكاتب المتوفي سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م قد ضَمَّنَه في كتابه « خريدة القصر وجريدة العصر » عند ذكره شعراء الحجاز واليمن ، ونشره شكري فيصل في دمشق سنة ١٩٦٤ .

[٢] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ١ (٣٥) .

مزيل دولتهم). وكانت تربطُ عُمارَة علاقاتٌ وطيدةٌ بعدد كبيرٍ من أفراد أسرة الزُّرَيْعيين الذين أقاموا الدَّعْوَة الحافظية (المجيدية) في عَدَن باليمن للخلفاء الأربعة المتأخِّرين في مصر. ورغم أن عُمارَةَ قُتِلَ في محاولة إعادة الخلافَة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م وله القصيدة الشهيرة التي نَعَى فيها مُلْك الفَواطِم، فيغلب على الظَّنِّ أنه ظَلَّ على مذهب أهل السُّنَّة، يقول القَلْقَشَنْدي: «وعُمارَة هذا لم يكن على معتقد الشيعة بل فقيهًا شافعيًّا قَدِم مصر برسالة عن القاسم بن هاشم بن فُلَيْتَة أمير مَكَّة، إلى الفائِز - أحد خلفائهم - في سنة ٥٥٠هـ في وزارة الصَّالِح طَلائِع بن رُزِّيك»[١].

ونَقَلَ عُمارة في «تاريخه» أخبارًا كثيرةً من كتابٍ فُقِدَ اليوم للأسف هو «المُفيد في تاريخ زبيد» لجَيَّاش بن نَجاح المتوفى سنة ٤٩٨هـ/١١٠٥م[٢]. ويُرْجِع الجَنَدي وبامَخْرَمَة فَقْد هذا الكتاب إلى أنه «كَشَفَ أنسابَ عِدَّة من الناس كانوا يعتزون إلى العرب فحكى عنهم غير ذلك فبالغوا في إعدامه، ولم يسمعوا منه بنسخة إلّا اشتروها وأعدموها، فلذلك قَلَّ وجُودُه»[٣].

ورغم أن كتاب «تاريخ اليمن» لعُمارَة أحد المصادر الأساسية لعماد الدين إدريس في الجزء السابع من «عُيون الأخبار» فإن كُلًّا منهما يُقَدِّم تواريخ مختلفة لنفس الأحداث، ولايَتَّفِقا إلّا في خمسة تواريخ فقط! وإثبات التواريخ الصحيحة لهذه الأحداث ممكنٌ من خلال «السِّجِلّات المُسْتَنْصرية» - الوثائق الوحيدة المتوفِّرَة حول هذه الفترة - وهي حاسمة لا تقبل الشك.

---

[١] القلقشندي: صبح الأعشى ٣ : ٥٢٨ .

[٢] راجع، أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ٩٧ .

[٣] الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك ١ : ٢٥٢؛ بامخرمة: تاريخ ثغر عدن ٢ : ٤٧ .

فيجعل عُمارَة – ومن ينقلون عنه – التاريخ الذي ثار فيه علي الصُّلَيْحي في جبل مَسار في سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م، واعتمد إدريس هذا التاريخ في بداية الجزء ولكنه لم يلبث أن صَوَّبه بعد صفحات وذكر التاريخ الصحيح وهو ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، وهو ما يَتَّفِق مع ما أورده محمد بن مالك بن أبي القبائل الحَمّادي –أحَدُ فُقَهاء اليمن وعلماء السُّنَّة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي– وصاحب كتاب «كَشْف أسرار الباطنية»[1]، ويُعَدُّ كتابه هذا مصدرًا بالغ الأهمية لتاريخ الحركة الفاطمية الصُّلَيْحيّة في اليمن، نظرًا لأنه معاصرٌ لهم ودَخَل مذهبهم يتعرَّف عليه، فلما تَحقَّق له – كما يقول – فساد مذهبهم رَجَعَ عنه وعمل هذه الرِّسالة التي يُخْبِر فيها بأصْل مذهبهم ويُبَيِّنُ عَوارَهم ويُحَذِّر من الاغترار بهم. كما أن التاريخ الذي كَتَبَ فيه عليّ الصُّلَيْحي أوَّل مَرَّة إلى الإمام المُسْتَنْصِر بالله يطلب إذنه لفتح اليمن وإعلان الدَّعْوَة له يحدِّده عُمارَة بسنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م، بينما يجعله إدريس في سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، ووجود مراسلات متبادلة بين اليمن والقاهرة في «السِّجِلّات المُسْتَنْصرية» قبل سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م يجعل التاريخ الذي أورده إدريس أكثر احتمالًا.

ويختلفُ الكتابان كذلك حول تاريخ مقتل عليّ الصُّلَيْحي وتاريخ وفاة ولده المُكَرَّم أحمد. فبينما يذكر عُمارَة أن مَقْتَل عليّ الصُّلَيْحي – وتبعه في ذلك مَنْ نقلوا عنه – حَدَثَ في سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م، يذكر عماد الدين إدريس أنه كان في سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م؛ وجَعَلَ عُمارَة اليمني كذلك وفاة المُكَرَّم أحمد في سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، وأثبت إدريس التاريخ الصحيح

---

[1] نشره عزت العطار الحسيني عن نسخة خاصة ونسخة مكتبة سوهاج رقم ١٠٤ تاريخ مع مقدمة للعلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري في القاهرة سنة ١٩٢٩؛ ثم أعاد نشره سنة ١٩٥٩ في مجلد واحد مع كتاب «التبصير في الدين» للأسفراييني.

لوفاته وهو سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م . فلا تترك لنا « السّجلّاتُ المُسْتَنْصِرِيَّة » – التي اعتمد عليها إدريس – أيَّ شك في أن وفاتيهما كانتا في سنتي ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م و ٤٧٧هـ/١٠٨٤م على التوالي .

كذلك فإن عُمارَة اليمني لايشير إلى الأمير المُكَرَّم الصغير عبد المُسْتَنْصِر ابن الملك المُكَرَّم أحمد من زوجته السَّيِّدَة الحُرَّة الذي تولّى الأمر تحت إشراف والدته بعد وفاة المُكَرَّم سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م .

أما الفصل الأخير في كتاب « تاريخ اليمن » لعُمارَة المُعَنْوَن « فَصْلٌ في من وَلِيَ الدَّعْوَة الفاطمية في اليمن » – والذي يتضمَّن نَصَّ السِّجِلّ الذي أرسله الآمِر بأحكام الله إلى السَّيِّدة الحُرَّة الصُّلَيْحِيَّة يخبرها فيه بميلاد ابنه الطَّيِّب فقد سَبَقَ وأثار شكوك هنري كاسل كاي H.C. Kay– أوّل من نَشَرَ الكتاب – الذي أشار إلى اشتماله على كثير من السَّقْط والتحريف الذي جعل معنى كثير من فقراته مبهمًا مستغلقًا ، كما لاحظ أن الطريقة التي أُدْرِجَ بها سِجِلُّ الآمر تدلُّ على أنه قد أُقْحِم إقْحامًا[1] . ورَفَضَ صمويل شتيرن S. Stern أغلب ماوَرَدَ في هذا الفصل وعَدَّه مدسوسًا من كاتب طَيِّبي متأخِّر ، وإن اعتبر القسم الأول منه ومجمل أسماء الدُّعاة الزُّرَيْعيين أصيلًا[2] . أما مايكل باتس M. Bates فقد اعتبر هذا الفصل استيفاءً أو استكمالًا قام به كاتبٌ طَيِّبي ، واستدلَّ على ذلك بأن الداعي لَمَك بن مالِك وولده يحيى بن لَمَك اللذين كانا وراء استقلال دَعْوَة اليمن عن مصر والمذكورَيْن في هذا الفصل ، تجاهلهما تمامًا عُمارَة اليمني ولم يرد لهما ذكرٌ إطلاقًا في « تاريخه »

١ H. C. Kay, *Yaman, its Early Mediaeval History*, pp. 134-37

٢ S. M. Stern, «The Succession to the Fatimid Imam al-Amir, the Claims of the Later Fatimids to the Imamate, and the Rise of Tayyibi Ismailism», *Oriens* IV (1951), pp. 214-19.

هم وسائر أسماء الدُّعاة الذين وردت أسماؤهم في هذا الفصل، مما يعني أنها إضافة من كاتب طَّيِّبي بغرض إعلاء شأن المؤسِّسين الأوائل لهذه الفرقة؛ فكاتبُ هذا الفصل كان على صِلَةٍ بالحركة الطَّيِّبيّة بطريقة أو بأخرى ويعرف الكثير عن تاريخها الرَّسْمي [١]. ويضيف سامر طرابلسي أن قراءةً متأنيةً لهذا الفصل تُظْهر لنا أن له أكثر من مؤلِّف، فالقسم الذي يبدأ بعبارة «فانتقلت من ولاية الحافظ إلى آل زُرَيع» هو إضافة ثانية قام بها كاتبٌ زُرَيعي لم يجد أمامه خيارًا سوى إقحام قائمة بأسماء دُعاة الزُّرَيعيين قبل خاتمة الكتاب [٢].

ونَقَلَ إدريسُ نصًّا من كتاب آخر لعُمارَة اليمني: هو كتاب «أُنموذج ملوك اليمن»، يتعلَّق بالشاعر والداعي السُّلْطان الخَطَّاب، ربما يكون هو النَّصُّ الوحيد الباقي لنا من هذا الكتاب المفقود، وهو يُوَضِّح لنا أنه أوْسَع في منظوره من كتابه «تاريخ اليمن». ولم يكن إدريس يمتلك نسخةً خاصةً من هذا الكتاب حيث خَتَمَ ما اقتبسه منه بقوله: «ولم يحضر كتابه المذكور عندي فأنقل لَفْظَه» [٣].

أما «سيرةُ الداعي المُكَرَّم الصُّلَيْحي» المجهولة المؤلِّف والتي يشير إليها إدريس بقوله: «قال صاحب سيرة (الداعي) الملك المُكَرَّم»، فهي المصدرُ الوحيد الذي يُقَدِّم لنا عرضًا شاملًا لتسلسل حياة المُكَرَّم وزوجته السَّيِّدَة الحُرَّة

---

١ M. L. Bates, «The Chapter of the Fatimid Dâ'is in Yemen in the Tarikh of Umara al-Hakamî (d. 569/1174) : An Interpretation in *Sources for the History of Arabia* II, pp. 53-67.

٢ S. F. Traboulsi, *Gender, Authority and Legitimacy in Medieval Yemen : The Case of Arwa bint Ahmad*, p. 25.

٣ عماد الدين إدريس: عيون الأخبار ٧ : ٢٩٨، نزهة الأفكار ١ : ١٣و. ويوجد في مكتبة جامعة ييل Yale 1312 (L-727) كتابٌ لا يعلم مؤلِّفه عنوانه «أنموذج اليمن» ناقص من آخره وينتهي بحوادث سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م لم أطَّلع عليه، ربما كان كتاب عمارة وأضاف إليه بعض النُّسّاخ أخبارًا أو ذيَّل عليه أحد المؤرخين.

بتفاصيل غنية. والمعلوماتُ التي تُقَدِّمها لنا هذه « السِّيرة » تُغَيِّر تمامًا نظرتنا عن دور المُكَرَّم السَّلْبي كما يبدو في « تاريخ اليمن » لعُمارَة والمصادر السُّنِّيَّة اليمنية المتأخِّرة. وتتَّصل هذه المعلومات على الأَخَصّ بالدور الذي قام به المُكَرَّم لإخضاع العِصْيان الذي ساد كل اليمن في أعقاب مقتل والده عليّ الصُّلَيْحي [١].

وأخبرني الشيخ محمد شاكر – أحدُ علماء طائفة البُهْرَة – أنه وَجَد في إحدى مكتبات اليمن نسخةً من « سيرة المُكَرَّم » وأنه أَعَدَّ لها دارسةً تَقَدَّم بها إلى مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن SOAS!

ويُعَدُّ داعي الدُّعاة المُؤَيَّد في الدين هِبَةُ الله الشِّيرازي الأب الروحي للدَّعْوَة اليمنية بفضل الاتصال المباشر الذي تَمَّ بينه وبين داعي اليمن – في زمن المُكرَّم أحمد والسَّيِّدَة الحرة – القاضي لَمَك بن مالِك الحَمَّادي، الذي أقام لديه في دار العِلْم بالقاهرة لمدة خمس سنوات (٤٥٤– ٤٥٩هـ) وحَصَلَ منه على التعليمات التي حَدَّدت السياسة المقبلة وأوجه نشاط الدَّعْوَة الإسماعيلية في اليمن، فقد كان المُؤَيَّدُ في الدين آخر مُمَثِّلي الدَّعْوَة الفاطمية الذين امتد نفوذُهم خارج مصر، حيث تشهد « السِّجِلّات المُسْتَنْصِرية » (السِّجلان رقم ٥٥ و ٦١) على وجود علاقات مباشرة بين المُؤَيَّد ودَعْوَة اليمن. وقد ترك المُؤَيَّدُ في الدين في أعماله تراثًا للدَّعْوَة اليمنية التي حَفِظَت لنا – لحسن الحظ – أعمال هذا الداعية الكبير. فالواقع أن علماء اليمن هم أكثر الناس حديثًا عن المُؤَيَّد واقتباسًا من كتبه واستنادًا على حُجَجِه، ويشيرون إليه في كتبهم بقولهم « سَيِّدنا المُؤَيَّد » [٢]. لذلك فليس من المستغرب

---

[١] عماد الدين إدريس : عيون ٧ : ١٢٢-١٢٧ .

[٢] أيمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ١٣٦-١٣٨ .

أن تكون « سيرة المُؤَيَّد في الدين » مصدرًا رئيسًا من مصادر عماد الدين إدريس عن فترة إمامة – خلافة المُسْتَنْصِر بالله ، ونَقَلَ منها نقولًا مُطَوَّلَة وخاصة عن الدور القيادي الذي قام به المُؤَيَّد في الدين كوسيط بين الفاطميين والقائد التركي أبي الحارث أرسلان البَساسيري بغرض إقامة الخُطْبَة باسم الفاطميين على منابر بغداد .

ورغم اتِّفاق عماد الدين إدريس في كثيرٍ من المواضع مع نَصِّ كتاب « تُحْفَة القلوب وترتيب الحُدود في الجزيرة اليمنية » للداعي حاتم بن إبراهيم بن الحسين الحامدي المتوفى سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م (وهو كتاب في فلسفة الإسماعيلية يقع في ثمانية وعشرين فصلًا يتناول الفصلان الحادي والعشرون والثاني والعشرون حديثًا مُفَصَّلًا عن الدُّعاة الطَّيِّبيين وحالة الدَّعْوَة في اليمن بعد وفاة الإمام الآمر بأحكام الله)[١]، فإن عماد الدين إدريس لم يذكر عنوان كتابه في المرة الوحيدة التي اعتمد فيها عليه ، وهى الفقرة المُطَوَّلَة الخاصة ببعثة القاضي لَمَك بن مالِك الحَمّادي إلى القاهرة ولقائه بداعي الدُّعاة المُؤَيَّد في الدين الشِّيرازي والإمام المُسْتَنْصِر بالله ودوره في الدَّعْوَة بعد عودته إلى اليمن ، وهي مقتبسة من الفصلين المشار إليهما أعلاه[٢].

ولم يعتمد عمادُ الدين إدريس فقط على مصادر يمنية وإسماعيلية ، بل استخدم مصادر تاريخية إسلامية أخرى مثل « وَفَيَات الأَعْيان » للقاضي أبي العباس أحمد بن محمد بن خَلِّكان المتوفى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م و « أخبار الدُّوَل المنقطعة » لجمال الدين علي بن ظافِر الأَزْدي المتوفى سنة ٦١٢هـ/

---

[١] أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ١١٣ ؛ A. Hamdani, «The Dâ'î Hâtim ibn Ibrâhim al-Hâmidî (d. 596 H./1199 A.D.) and his Book Tuhfat al-Qulûb», *Oriens* 23-24 (1970-71), pp. 258-300.

[٢] عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ١٢٨–١٣١ .

١٢١٥م ، وعلى الأخَصِّ عند حديثه عن تبادل السُّلْطة في مصر ووصول الوزراء العسكريين : بَدْر الجمالي وابنه شاهنشاه إلى قمة السُّلْطَة [١]. أما أخبار الحرب الأهلية والفَوْضَى الإدارية التي سادت مصر في أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي فقد اعتمد في سردها على مصدر مصري غنيٍّ بالتفاصيل لم يشر إليه ، وإن كان قد أشار في بعض المواضع إلى المؤرِّخ والطُّبُوغرافي المصري القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامَة بن جَعْفَر القُضاعي المتوفى سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م [٢] دون تحديد عنوان كتابه ، وهو بالقطع ليس صاحب المصدر الذي اعتمد عليه إدريس لأنه توفي قبل أحداث الحرب الأهلية بنحو عشر سنوات .

ولكن أهم المصادر الأصلية التي اعتمد عليها عمادُ الدين إدريس ومنحت كتابه قيمةً تاريخيةً خاصة فمجموعةُ « السِّجلَّات المُسْتَنْصِرِيَّة » التي تمدُّنا بمعلوماتٍ غزيرة عن « الجزيرة » اليمنية وعلاقتها بالإمامة الفاطمية في مصر . وهي عبارة عن ستة وستين سِجِلًّا صادرةً عن ديوان الإمام الفاطمي المُسْتَنْصِر بالله ومُوَجَّهة إلى دُعاته بجزيرة اليمن كتبت فى أربعة وأربعين عامًا بين سنتى ٤٤٥هـ/١٠٥٣م و٤٨٩هـ/١٠٩٦م [٣]. وتُعَدُّ هذه السِّجلَّات وثيقةً كبيرةَ الأهمية لتأكيد عددٍ من التواريخ ولإلقاء بعض الضوء على الأحداث المعاصرة سواء في اليمن أو في مصر ، ثم لفَهْم العلاقة بين رئاسة الدَّعوة الفاطمية في القاهرة وإحدى جُزُر الدَّعْوَة . وهي تُوَضِّح لنا كذلك ما كان يتمتَّع به اليمن الأَوْسَط من قُوَّة تحت حُكْم الصُّلَيْحيين ، وتعطي انطباعًا بأن رئاسة الدَّعْوَة في

---

١ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧:١٧٨، ٢٣٥-٢٣٦.

٢ انظر عنه ، A. Fu'âd Sayyid, «L'évolution de la composition du genre des Khitat en Egypte musulmane», *An. Isl.* 33 (1999), p. 65 .

٣ H. Hamdani, «The Letters of al-Mustansir billah», *BSOS* VII (1933-35), pp. 307-24، ونشرها عبد المنعم ماجد في القاهرة سنة ١٩٥٤ .

القاهرة كانت تُصَدِّق فقط على ما يراه الصُّلَيْحيُّون فيما يَخُصُّ دَعْوَتي الهند وعُمان [١]. ولكن يجب أن نعلم أن كثيرًا من هذه القرارات كان يُتَّفَق عليها شفويًّا بين الرُّسُل الذين كانوا دائمي التردُّد بين بلاط الإمام الفاطمي وبلاط الصُّلَيْحيين ، وكانت السِّجلّاتُ تأتي فقط لتأكيد هذه القرارات بطريقة رسمية .

وتُلْقي هذه « السِّجلّات » أضواءَ هامة على الفترة المتأخِّرة من حُكْم الإمام المُسْتَنْصِر بالله الطويل (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) فنجد بها معلومات بالغة القيمة عن الأحداث الداخلية في مصر وفي البلاط الفاطمي ، وأحيانًا خارج مصر مثل دَعْوَة المُعِزِّ بن باديس للعَبّاسيين في إفريقية . وتشير « السِّجلّاتُ » بوضوح إلى التغيير الذي طرأ على مؤسَّسَة الدَّعْوَة في مصر بعد وفاة داعي الدُّعاة المُؤَيَّد في الدين هِبَة الله الشِّيرازي سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٨م ، واستنجاد الإمام المُسْتَنْصِر بالله بالقائد الأرمني أمير الجيوش بَدْر الجمالي الذي أصبح اعتبارًا من عام ٤٧٢هـ/١٠٨٠م « كافِلَ قُضاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين » بحيث أن الإمام « أحَبَّ أن لا يكون شيءٌ من أمور الدين والدنيا إلّا وهو به منوط » [٢].

وقد ضَمَّنَ عمادُ الدين إدريس الجزء السابع من « عُيون الأخبار » نَصَّ السِّجلّات أرقام ٥ و١٤ و٣٥ و٣٨ و٥٠ بتمامها والسِّجِلّ رقم ٧ بصورة غير تامة ، ولكنه أضاف إلى ذلك العديد من السِّجلّات التي لم ترد في مجموعة « السِّجلّات المستنصرية » مما يدلُّ على أن عماد الدين إدريس كانت بحوزته وثائق أصلية لم تصل إلينا .

---

[١] عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، والسجلات المستنصرية سجل رقم ٤١ وسجل رقم ٥٠ ؛ أيمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية ١٦٥-١٦٩ .

[٢] نفسه ٧ : ١٨٣ .

النُّسَخُ المُعْتَمَدَةُ في النَّشْرِ

ومَنْهَجُ التَّحقيق

لا توجد من مخطوطات الدَّعْوَة الإسماعيلية عمومًا نُسَخٌ في المكتبات الوطنية المعروفة باعتبارها من التراث المستور، وإنما توجد المخطوطات المعروفة منها في المراكز الرئيسة للدَّعْوَة في اليمن والهند وآسيا الوُسْطَى. وأغلبُ هذه المخطوطات - التي يُسْمَح بتداولها - مخطوطاتٌ حديثة كتبها نُسّاخٌ هنود في المائتي عام الأخيرة، دون شك نقلًا عن مخطوطات أقدم محفوظة في مكتبة الداعي المُطْلَق ولكنها لا تُتاح للبحث العلمي، فيقال إن مكتبة داعي دُعَاة البُهْرَة في سورت بشمال بومباي تحتفظ بنسخة بخط المؤلِّف Autographe من الجزء الرابع من «عُيُون الأخبار» للداعي عماد الدين إدريس جاء بـ «الكولوفون - حَرْد المَتْن» النهائي لها أنها تَمَّت كتابةً في ٢٢ ربيع الأول سنة ٨٤٢هـ![1]

وعلى أمثال هذه المخطوطات الحديثة اعتمد الذين نَشَرُوا الأجزاء المطبوعة من «عُيُون الأَخْبار» للداعي إدريس وهي: الرابع والخامس والسادس. وعندما بدأتُ في الإعداد لنَشْر السُّبْع (الجزء) السابع والأخير من الكتاب اعتمدت فى أوَّل الأمر على نسخة المكتبة المحمدية الهمدانية التي وَجَدت في مكتبة والدي - رحمه الله - صورةً مُكَبَّرَةً لها أهداها إليه الدكتور حسين فَيْضُ الله الهَمْداني ومعها صورة مُكَبَّرَة لمخطوطة «نُزْهَة الأَفْكار» للداعي إدريس أيضًا المحفوظ أصلها في مكتبته، والكتابان بخط واحد فرغ من نَسْخ

[1] W. Ivanow, *Ismaili Literature* p. 78.

« نُزْهَة الأفْكار » في شَوال سنة ١٢٩٠هـ / ديسمبر سنة ١٨٧٣م . وبعد أن قطعت شوطًا في التحقيق علمت أن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة يحتفظ في مكتبته بصورة ميكروفلمية لنسخة قديمة من أصل يمني تشتمل على الأجزاء الثلاثة الأخيرة من الكتاب جاء بآخرها .

« تم السُّبْع السابع من كتاب عيون الأخبار بخط العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير حسن بن عبد الله بن حمزة بن أحمد بن عبد الله النعمان رزقه الله رضا مواليه وغفر له ولوالديه إنه هو الغفور الرحيم .

وكان الفراغُ من نساخة هذا الكتاب المبارك يوم الخميس نصف النهار ثاني شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، نُسِخَ هذا الكتاب من الكتاب الذي بخط المؤلِّف رزقنا الله شفاعته وحَشَرَنا في زمرته بحق محمد وآله بحِصْن القَلْعَة المحروس حرسها الله ببقاء صاحبها بحق محمد وآله الميامين ... » .

فتكون بذلك هذه النُّسْخَة - المنقولة عن خط المؤلِّف Autographe- أقدم النُّسَخ المعروفة لهذا الكتاب الهام ، ولم يُسَجَّل في فهارس معهد المخطوطات وقوائمه المصدر الذي صُوِّرَت عنه هذه النُّسْخَة ، وإن وُجِدَت بطاقة ملصقة على ظهر جلدة الكتاب كتب عليها « من الكتب المخصوصة » ؛ ثم وجدت أن الأستاذة بَدْعَة سيفية قُطْب الدين في رسالتها للماجستير التي تَقَدَّمَت بها إلى الجامعة الأمريكية بالقاهرة - وهي نشرة جزئية لقسم من السُّبْع السابع من الكتاب ، والتي سأشير إلى عملها بعد قليل - قد اعتمدت على ثلاث نُسَخ مخطوطة لهذا الجزء : مُصَوَّرَة لمخطوطة في مكتبة الجامعة السيفية في كراتشي بالباكستان غير مؤرَّخَة وحديثة الخط ، ومخطوطة موجودة في المكتبة الخاصة لسيدنا طاهر سَيْف الدين في بومباي بالهند غير مُؤَرَّخَة أيضًا ولكنها أقدم من السابقة ، ثم مخطوطة من المكتبة الشخصية لسيدنا محمد برهان الدين في بومباي يرجع تاريخها إلى القرن العاشر

الهجري وبالتحديد سنة ٩٢٣هـ كتبها حسن بن عبد الله بن حمزة بن أحمد ابن عبد الله ، هي دون شك أصل النسخة المحفوظة صورتها بمعهد المخطوطات العربية والتي لا نعلم كيفية وصولها إليه ! وقد أعدت مقابلة الكتاب على هذه النُّسْخَة الجديدة التي اعتبرتها أصلًا للتحقيق .

وَصْفُ المخطوطات

اعتمدت في نَشْر هذا الجزء على مخطوطتين : مخطوطة مكتبة الداعي محمد بُرْهان الدين في بومباي ، ومخطوطة المكتبة المحمدية الهَمْدانية في سورت .

فيحتفظ معهد المخطوطات العربية تحت رقم ٦٤٣ تاريخ غير مفهرس بصورة ميكروفلمية للمخطوطة الأولى التي فرغ من كتابتها حسن بن عبد الله بن حمزة بن أحمد بن عبد الله النُّعْمان يوم الخميس نصف النهار ثاني شهر ربيع الآخر سنة ٩٢٣هـ/ ٢٤ أبريل سنة ١٥١٧م - نقلًا عن نسخة بخط المؤلِّف - بحِصْن القَلْعَة باليمن (قلعة حَراز) . ويقع السُّبْع السابع في ١٢٥ ورقة ومسطرته ٢٥ سطرًا والصفحات المشتملة على قصائد ضُيِّقت فيها المسافةِ بين السطور ، وأحيانًا كتبت الأبيات في الهامش بطول الصفحة وبالتعامد مع الكتابة العرضية . وكتبت بعض بدايات الفقرات في المخطوطة بالمداد الأحمر وكلُّها بقلم معتاد . وصُوِّبَت بعضُ الكلمات أو ألحقت بعض الكلمات الساقطة أثناء مقابلة النسخة بالأصل المنقول عنه . كما توجد شروحٌ لبعض الكلمات الصعبة وتعريف ببعض المدن أو القبائل في الهامش أضيفت بخط مخالف دقيق في فترة متأخِّرة . وأَشَرْتُ إلى هذه النُّسخَة بـ «الأصل» .

أما المخطوطة الثانية (مخطوطة المكتبة المحمدية الهَمْدانية) ، فقد اعتمدت على صورة مُكَبَّرَة لها وجدتها في مكتبة والدي - رحمه الله - وهي بخط

نسخي هندي واضح كتبت بعد سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٨م، وتقع في ١٢٨ ورقة ومسطرتها ٢١ سطرًا، ورَمَزْتُ لها بالرمز «هـ».

ونظرًا لأنني لم أطَّلِع على أصول هاتين المخطوطتين فإنني لا أستطيع تقديم أي وصف كوديكولوجي لها.

ما نُشِرَ من هذا الجزء

كان الدكتور حُسَين فَيْضُ الله الهَمْداني أوَّل من عَرَّف بأهمية هذا الجزء من «عيون الأخبار» اعتمادًا على النُّسْخَة المحفوظة في مكتبة أسرته والتي اعتمد عليها في الأساس أثناء تأليفه كتابه «الصُّلَيْحيُّون والحركة الفاطمية في اليمن»، ونَشَرَ في ملاحق هذا الكتاب عددًا من السِّجلَّات التاريخية المُضَمَّنَة في هذا الجزء (الملاحق أرقام ٢، ٣، ٤، ٥، ٧، ٨، ٩).

وقَدَّمت الباحثة الهندية بَدْعَة سيفية قُطْب الدين Baz'at Sayfiyah Qutbuddin – وهي تنتسب إلى طائفة البُهْرَة بالهند – رسالة ماجستير إلى الجامعة الأمريكية بالقاهرة موضوعها *A Section from the ͨ Uyûn al-Akhbâr wa Funûn al-Athâr* (volume VII) *of Dâ͑ î Idrîs ͨ Imâd al-Dîn (d. 872/1468) and the Succession Controversy following the Death of the Fatimid Caliph al-Mustansir: The Claims of the Musta͑ liyya and the Nizâriyya* حَقَّقَت فيها القسم المشتمل على فترة إمامة كل من المُسْتَعْلي بالله والآمِر بأحكام الله وبداية الدَّعْوَة الطَّيِّبِيَّة (ما يقابل الصفحات من ١٨٧ إلى أثناء ٣١٠ من هذه النَّشْرَة)، وهي دراسة عميقة وتحقيق جَيِّد لهذا القسم من الجزء السابع، وعندما علمت مني بعزمي على إخراج الجزء السابع من الكتاب كاملًا أخبرتني أنها لا تنوي نَشْر رسالتها وتفضَّلَت مشكورةً بإعطائي نسخة كاملة من عملها أفادتني كثيرًا أثناء عملي في القسم الثاني من الجزء فلها مني خالص شكري.

طَرِيقَتِي فِي إِخْرَاجِ النَّصِّ

اعتمدت في تحقيق الجزء السابع والأخير من كتاب «عُيون الأَخْبار» للداعي عماد الدين إدريس على نسختين مخطوطتين كما ذكرت؛ واستعنت كذلك بالمصادر التي اعتمد عليها عمادُ الدين إدريس ووَصَلَت إلينا – وعلى الأخصّ، «سيرة المُؤَيَّد في الدين هبة الله الشِّيرازي» و«السِّجِلّات المستنصرية» و«تاريخ اليمن» المسمّى «المفيد في أخبار زَبيد» لعُمارَة اليمني – واعتبرت نصوص هذه الكتب نُسَخًا غير مباشرة صَحَّحْتُ بها النَّصَّ وحَقَّقْتُ منها الخلاف الوارد في العبارة أو اللَّفْظ، وأشرت في الهامش إلى الفروق الواضحة بين نَصِّ هذه المصادر وما نقله عنها مؤلِّفُ «عُيون الأخبار»؛ وجعلت الكلمات أو العبارات التي اقتضى السياق إضافتها بين قوسين معقوفين [ ] ونَبَّهْتُ إلى مصدرها في الهامش.

ومَيَّزت بين نَصِّ المؤلِّف وما استشهد به من كلام الأئمة من سِجِلَّات أو خُطَب، بأن جمعت هذه السِّجِلّات والخُطَب بِبُنْطٍ أصغر تمييزًا لها عن بقية كلام المؤلِّف.

ولما كانَ الكتابُ لا توجد به أيّ عناوين إيضاحية، فقد استبحت لنفسي أن أضيف عناوين رئيسة وفرعية لتوضيح موضوعاته، فكل العناوين التي ستقابلها ليست من أصل الكتاب، وإنما أضفتها لتيسير الانتفاع بمادته الغنية، وعنيت كذلك بضَبْط النَّصّ وشكله حتى يسهل استخدامه، وخاصة أسماء الأعلام والمواضع والبُلْدان والمصطلحات النوعية.

وقَسَّمْتُ هوامش الكتاب قسمين: قسمٍ للمقابلات واختلاف القراءات، وقسمٍ للتخريجات والشروح والتعليقات، حيث عارضت جميع النصوص التي نقلها عماد الدين إدريس على مصادرها التي وَصَلَت إلينا وأَحَلْت إلى

موضع هذه النقول في المصادر. وعَرَّفتُ بالأعلام وأَحَلْتُ إلى مصادر ترجماتهم، كما عنيت بشرح الكثير من ملابسات الأحداث الواردة في الكتاب ـ وعلى الأخَصِّ ما جرى منها بمصر ـ اعتمادًا على المصادر المُوَثَّقَة وعلى الدراسات الحديثة التي قام بها باحثون متخصِّصون في الدراسات اليمنية والإسماعيلية ـ الفاطمية من أمثال: حسين الهَمْداني وعباس الهَمْداني وصمويل شتيرن وفَرْهاد دَفْتري وإسماعيل بوناوالا وكاتب هذه السطور.

وصنعت للكتاب «كَشَّافات» متنوعة: للأعلام، والمواضع والبُلْدان، والقبائل والجماعات، والآيات القرآنية، والقوافي، والمصطلحات، والمؤلِّفين والشُّعراء والرُّواة، والكُتُب المذكورة بالنَّصّ. ولما كنت لم أُعَرِّف بالأماكن والبُلْدان اليمنية في المواضع التي ذُكِرَت فيها في الكتاب، فقد عَرَّفْت بها في الكَشّاف المخصص لها اقتداءً بما صَنعه والدي ـ رحمه الله ـ في نهاية تحقيقه لكتاب «طبقات فُقَهاء اليمن» لابن سَمُرَة الجَعْدي.

*

* *

ولا يَفُوتُني في نهاية هذا العمل أنْ أَتَقَدَّم بخالِص شُكْرِي وامْتِناني إلى الصَّدِيق العزيز البروفيسير فِرْهاد دَفْتَري Ferhad Dattary ـ أحَد أعْلَم المعاصرين بتارِيخ الإسْماعِيلِيَّة ـ الذي رَحَّبَ بنَشْرِ الطَّبْعَة الأولى من تَحْقيقي للسُّبْع السَّابِع من كِتاب «عُيُون الأَخْبَار» للدَّاعي عِماد الدِّين إدْرِيس الأَنْف في سلسلة *Ismaili Texts and Translations Series* التي يتولَّى الإشْرافَ عليها ويُصْدِرُها معهد الدِّراسات الإسْماعِيلِيَّة بلَنْدَن The Institut of Ismaili Studies - London وصَدَرَت سنة ٢٠٠٢.

وأصْدَرَ المعهد نَشْرَةً ثانيةً للكِتاب بأجْزائِه السَّبْعَة بالتَّعاوُن مع المعهد الفِرِنْسي للشَّرْقِ الأدْنَى، بَيْروت ـ دِمَشْق ـ عَمَّان الذي تولَّى طِباعَة الكِتاب في دِمَشْق بين سنتي ٢٠٠٧ و ٢٠٠٩. وأدَّت الظُّروفُ الصَّعْبَة التي تَمُرُّ بها سوريا الآن إلى تَدْمير مَخْزَن الكُتُب بما فيه من نُسَخ هذه المطبوعات. ونَظَرًا لطَلَبِ الباحِثِين لهذه المطبوعات فقد وافَقَ معهد الدِّراسات الإسْماعِيلِيَّة بلَنْدَن مَشْكورًا على أنْ أعِيد إصْدار السُّبْع السَّابع من الكِتاب، ورَحَّبَت دارُ الكُتُب المصرية بالقاهرة ممثَّلَةً في مركز تَحْقِيق التُّراث بإصْدار نَشْرَةٍ جَدِيدَةٍ له مأخوذَة عن الطَّبْعَة الأولى الصَّادِرَة في لَنْدَن.

فالشُّكْرُ الجَزِيل للقائِمِين على المؤسَّستين الكبيرتين على تعاونهما في سَبِيلِ إتاحَة هذا النَّصِّ المهم للدَّارِسِين والمُتَخَصِّصين في الدِّراسات الإسْماعِيلِيَّة ـ الفاطِمِيَّة.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾.

أيمن فؤاد سيد

القاهرة في ١٧ ربيع الآخر سنة ١٤٤٠هـ

٢٤ ديسمبر ٢٠١٨م

مُرَاجَعَاتُ النَّشْرَةِ الأُولَى



The Fatmids and their Successors in Yemen: The History of an Islamic Community

Ayman Fu'ad Sayyid, editor

London & New York: I.B. Tauris, in Association with the Institute of Ismaili Studies in London, 2002. 397p. in Arabic; 109p. in English. Cloth. $39.50. ISBN 1860646905.

Review by
Caesar E. Farah, Ph.D.
University of Minnesota
farah001@tc.umn.edu

This volume consists of the Arabic edition and English summary of Volume 7 of *Idris 'Imad al-Din's 'Uyun al-Akhbar* which, as stated, is the most complete text written by an Ismaili author on the history of the Ismaili community, from its origin to the 12th century CE. This has been edited for the first time — together with an English summary by Ayman Fu'ad al-Sayyid, with assistance from Professor Paul Walker and Doctoral candidate Mauris Pomerantz — both of the University of Chicago.

This volume deals with the tenure of the three Fatimid caliphs, al-Mustansir, al Musta'li and al-Amir and then the Tayyibi Ismaili community in Yaman [1036-1171]. The author, Idris 'Imad al-Din (d.1468) was himself a leader of the Tayyibis; hence his special interest in the commencement of the movement in Yaman, and in the schism that split the Ismailis into two rival communities following the death of al-Mustansir in 1094 and the final rupture with the Fatimid da'wa in Egypt after the murder of al-Amir in 1130. The author also devotes a substantial portion of this volume to the history of the later Ismailis in Yaman, with special reference to the pivotal role of al-Sayyida al-Hurra (d.1138), the famous Sulayhid queen, in establishing the Ŝayyibi Ismaili community independent of the Fatimids in Egypt.

The author was the nineteenth da'i mutlaq [fully empowered missionary] who led the da'wa for four decades and had access to

numerous Ismaili sources, having himself produce several histories of the Ismaili Imams from the earliest time until the late Fatimid period when Ismailism had already split into its major Nizari and Musta'ili factions. This 7th volume was meticulously edited and published here for the first time by Professor Ayman, who had already contributed considerably to Islamic and Egyptian historiography. Idris's work presents us with an indigenous account of the traditions of the da'wa in Yaman. His account of the Nizari-Musta'li succession dispute reflects the official view of the Tayyibis, the only surviving Musta'li Ismaili community who, after the death of al-Amir, recognized the later Fatimid caliphs as their Imams, but did not long survive the collapse of the Fatimid at the hands of the Ayybids state in 1171.

The importance of this work lies in the fact that it finally brings to light a significant legacy of an important Islamic sect which had been considered hitherto too secret to merit attention. But the libraries of the Ismaili da'wa in Yaman, western India, Iran and Central Asia managed to preserve a substantial number of manuscripts belonging to the Fatimid Ismaili legacy which were available for the study by members of the da'wa almost exclusively. This would account also for the fact that only a leading member of the da'wa was suited to bring out the legacy of Ismailism with special reference to its work and successes, however brief [a little over a hundred years] in Yaman.

Making use of the elaborate library on Ismaili studies in the Institute of London, the editor was able to enhance the edition with substantial references to numerous studies pertaining to the topic in both Arabic and Western languages. This adds substantially to the merit of Sayyid's carefully crafted editing process. The seventh volume of the 'Uyun al-Akhbar is considered a unique source for the investigation of the religious character of the Sulayúid dynasty in Yaman. The volume commences with the appearance of the da'i 'Ali b. Muhammad al-Sulayhi on behalf of the Ismaili da'wa on Yaman during the reign of the Fatimed Caliph-Imam, al-Mustansir bil-Lah. An account of this takes up more than half of the book.

Idris then devotes the rest of the volume to a summary of the legacy of the succeeding two Imams. The last four of the Fatimid state in Egypt are not treated as legitimate by the Ismailis of Yaman since they were regarded as having usurped the Imamate from the rightful Imam, the hidden al-äayyib, son of al-Amir bi-Ahkam Allah. The author details at some length the role of the chief da'i al-Mu'ayyad fi 'l-Din al-Shirazi in Iraq and Syria, and his support



for the movement of the Turkish commander, al-Basasiri, in Baghdad. He also relates the role of Badr al-Jamali, Armenian governor of Acre in restoring order when al-Mustansir faced a serious internal crisis following the death of al-Mu'ayyad in 1078.

The death of al-Mustansir is considered to have occasioned the greatest internal crisis to afflict the Fatimid dynasty. It led to the end of the period of the unified Ismaili da'wa, splitting the movement into two competing branches: the Musta'lis and Nizaris. This division held serious consequences for the whole course of Ismailism in the future. The book concludes with a brief account of the role of Salah al-Din al-Ayyubi (Saladdin) who seized power from the Fatimids in 1171.

Throughout his narrative, the author shifts repeatedly between Egypt and Yaman, even interrupting the chain of events in the history of the Sulayhids in order to throw light on important episodes in Cairo; but, in the opinion of the English editor, this data is not considered reliable or accurate as it reflects purely doctrinal-type reasoning and the account differs from what reliable Egyptian sources relate of the same events.

The first scholar to indicate the importance of this volume was Husayn Hamdani, who had access to a complete copy preserved in his family library. The significance of this volume lies in the service it renders the scholar of Ismailism as the principal source for the history of the Fatimid da'wa in Yaman during the time of the êulayúid dynasty. This, despite the author's separation from the period of account by some three to four centuries. He draws on information from sources that were contemporary with that period and copies into it examples of a number of official documents than no historian outside of those in the religious circles associated with the Tayyibi da'wa in Yaman could have had seen. Throughout the whole text Idris draws on the texts of many decrees and letters that the Fatimid Caliph-Imams had dispatched to the da'wa. There are also letters from female relatives of the caliphs (mothers and wives) to the da'wa and the Sulayhids in Yaman. There are also official texts of appointments (sijills), several sermons delivered by al-Amir celebrating feasts and other details embellishing the text and lessening the tediousness of having to concentrate on its predominantly chronological narration.

The Arabic text is remarkable for its accuracy in every respect, from the precise editing to the equally precise qualification, by the introduction of relevant and up-to-date scholarly findings by known authorities. The English summary is equally precise in the

manner, although the Arabic text is reduced to a concise version without compromising the significance of the text. Most of the poetry used by the author, sometimes in profusion, did not lend itself to meaningful translation; hence, the economizing in this respect. All in all, we owe a debt of gratitude to the editor for the excellent work in making this study a fine piece of scholarship, and to the Institute of Ismaili Studies for undertaking the co-publishing of this very important volume.

The numerous appendices are especially informative, and consist, in the Arabic version, of names of places, and of authorities consulted. In addition, there are separate listings of Koranic verses cited, prophetic traditions quoted, glossaries, a list of tribes and peoples, and even the meters of poems included. The English version is also well documented and supplemented with notes, a list of authors, and an index.

السبع السابع

من

عيون الأخبار وفنون الآثار

للداعي عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف

المتوفى سنة ٨٧٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله العزيز الحكيم، وعلى سَيِّدنا محمد وآله أَفْضَل الصلاة والتسليم.

المُسْتَنْصِر بالله

تمامُ قِصَّة أمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله [١]، صَلَّى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطَّيِّبين الطَّاهِرين الأكرمين وسلم.

وفي سنة تسع وثلاثين[a] وأربعمائة ثار الداعي السُّلْطان الأَجَلُّ عليُّ بن محمد الصُّلَيْحي باليمن – قَدَّسَ الله روحه – مُظْهِرًا للدَّعْوَة المستنصرية ناشرًا لفضائل العترة العلوية الفاطمية الحسينية [٢].

---

[a] في الأصل: تسع وعشرين (وانظر التعليق على الخبر).

---

[١] أبو تميم مَعَدّ بن الظَّاهِر لإعزاز دين الله خامس الأئمة–الخلفاء الفاطميين في مصر وثامنهم من المهدي. وَلِيَ الإمامة بعد وفاة أبيه يوم الأحد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة وله من العُمْر سبع سنين وسبعة وعشرون يومًا، وتوفي ليلة الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٤٨٧هـ/ ديسمبر سنة ١٠٩٥م (ابن ميسّر: أخبار مصر ٣–٥٩ وما ذكر من مصادر ومراجع).

[٢] اختلفت المصادر حول السنة التي ثار فيها الصُّلَيْحي فجعلها عمارة اليمني: تاريخ اليمن ١٧ (٥٠–٥١) ومن نَقَلَ عنه مثل ابن خلكان والأشرف الرسولي والخزرجي وابن الديبع والمقريزي وبامخرمة في سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م. وجعلها البعض الآخر مثل ابن أبي القبائل وابن سَمُرَة وابن عبد المجيد =.

وكانت الدَّعْوَةُ بجزيرة اليمن[١] بعد الداعي أبي القاسم الحسن بن فَرَح بن حَوْشَب منصور اليمن – فإنها كانت وَصِيَّتُه بالقيام في دعوته[٢] – إلى الداعي عبد الله بن العَبّاس من شاوَر[٣]، ثم قام بعده جعفر بن أحمد بن عَبّاس، وهاجَر ولده جعفر بن أبي القاسم – كما قَدَّمنا ذكره – إلى الغَرْب[٤] إلى حضرة الإمامة – وقام بعد عبد الله بن العبّاس الدَّاعي يوسف بن موسى بن أبي الطُّفَيْل[٥]، ثم قام بعده عبد الله بن محمد بن بِشْر من وادي قَطَابَة من قُدَم داعيًا إلى الإمام العزيز بالله بن المُعِزّ لدين الله – عليهما السَّلام – واستخلف بعده الدَّاعي محمد بن أحمد بن العَبّاس من شاور وهم من قُدَم ابن قادم بن زَيْد بن عريب بن جُشَم بن خيوان بن نَوْف بن هَمْدان – قاله ابن ماكولا في «إكماله» – ثم الداعي هرون بن محمد بن رُحَيْم من

= ويحيى بن الحسين في سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م. والأرجح أن سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م هي التاريخ الصحيح لثورة الصُّلَيْحي كما يدل على ذلك تسلسل الأحداث وكما ذكر معاصره ابن أبي القبائل: كشف أسرار الباطنية ٢١٩-٢٢٩ (راجع، أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ١٠٠-١٠٢، ١١٨).

[١] قسَّمَ الفاطميون العالم الإسلامي إلى اثنتي عشرة جزيرة لكل جزيرة داعٍ مُطْلَق، ولم نتمكن من معرفة شخصية الدُّعاة الاثنى عشر مجتمعين في عصر واحد (S.M. Stern, Cairo as a Center of the Isma'ili Movement, *CIHC*, p. 446؛ أيمن فؤاد: المرجع السابق ٩٢).

[٢] عن ابن حَوْشَب راجع، حسين الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ٢٩-٤٨؛ وأيمن فؤاد: المرجع السابق ٩١-٩٦؛ H. Halm, «Die Sîrat Ibn Hawshab : Die Ismailitische *da'wa* im Jemen und die Fatimiden», *Die Welt des Orients* XII (1981) pp. 108-35; W. Madelung, *EI*[2] *art*. *Mansûr al-Yaman* VI, pp. 424-25.

[٣] كذا بالأصل وعند القاضي النعمان: افتتاح الدعوة ٥٣ وابن أبي القبائل: كشف ٢١٧ أبو محمد عبد الله بن العبّاس الشاوري.

[٤] عماد الدين إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين ٥٦٩-٥٧١.

[٥] راجع، ابن أبي القبائل: كشف ٢١٨؛ حسين الهمداني: الصليحيون ٥٥-٥٦؛ أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب ٩٧-٩٨.

قُدَم [١]، وبعده الدَّاعي يوسف بن أحمد بن الأَشَجّ من حِمْيَر في مدينة شِبَام حِمْير – نَضَّر الله وجوههم [٢]، وقام بعده الداعي سُلَيمان بن عامر الزَّوَاحي، ولم يقم أَحَدٌ منهم إلَّا باستخلاف من تقدَّمه وبأمر الأئمة صلوات الله عليهم. وهذا سُلَيمان الزَّوَاحي من حِمْير، وكان له حِصْنُ كَوْكَبان – وهو من الحصون القديمة البناء – وكانت مدينة شِبام حِمْيَر لصاحب كَوْكَبان، وهي من مدائن اليمن القديم عهدها الحَسَن مرءاها الكثير جندها، وهيَ اليوم قد خربت فلم يبق منها إلَّا قليل. وفيها مسجدٌ حسنٌ جامعٌ، وكان مُقام سليمان بن عبد الله الزَّواحي في حِصْن كَوْكَبان، ناشرًا لدعوته، هاديًا إلى ولاية أئمته [٣]، وجَدَّد دار الخراطيم في كَوْكَبان، وجعلها مَقَرَّه في ذلك الأوان، وفي ذلك يقول بعض الشُّعَراء في مَدْح السلطان عليّ بن حاتم بن أحمد بن عِمْران اليامي – لما مَلَكَ كَوْكَبان – من قصيدة، حيث قال:

أَشْرَقَت حُجَرَة الصباح وقالت هكذا كنت حجرة للصياح
ورأى مجلس الخراطيم مُلْكًا ما رآه إلَّا بعصر الزَّواحي

عليُّ بنُ محمد الصُّلَيْحي

وكان الداعي سُلَيمان بن عبد الله بن عامر الزَّواحي يتلوَّح في الداعي عليّ ابن محمد الصُّلَيْحي مخائل النَّجابة ويرى فيه دلائل الفضائل، وهو في أوان

---

[١] كان في زمن الحاكم بأمر الله وأورد عماد الدين إدريس في الجزء السادس من «عيون الأخبار» نَصّ سجل موجّه من الإمام الحاكم بأمر الله إلى هارون بن محمد داعي اليمن مؤرخ في ذي القعدة سنة ٣٩١هـ (عيون الأخبار ٦: ٣٠١–٣٠٢) ونشره حسين الهمداني في كتابه «الصليحيون» صفحة ٣٠١.

[٢] الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك ٢١٥.

[٣] راجع جدول مقارنة أسماء الدعاة في الفترة بين موت منصور اليمن وظهور عليّ بن محمد الصُّلَيْحي (٣٠٣–٤٣٩هـ) عند حسين الهمداني: الصليحيون ٥٨–٦٠.

الاستجابة[١]، فرَقّاه في مراتب العِلْم واختصه بالتمرين على الأدب والحِلْم. فحين استكمل هَدْيَه ونال منه الغَرَضَ والبُغْيَة، جعله خليفته في الدَّعْوَة وأرْقاه من مرتبته إلى الذِّرْوَة. وطالع حضرة إمامه في أمره فأتيح له أن يفضي إليه بمكنون سره[٢].

وكان محلُّ أبيه محمد الصُّلَيْحي في قرية تسمى قَتَر، من أعمال حَراز في سفح جباله مما يلي جبلًا يتصل بسُرْدُد – وهي قرية آثارها إلى اليوم معروفة. وكان أبوه محمد بن عليّ الصُّلَيْحي يُدْعَى قاضي حَراز، وله فيه طاعة وتقدمة، وهو مشهورٌ بالرياسة مرفوعُ المنزلة[٣].

فحين اتصل ابنه عليّ بن محمد الصُّلَيْحي بالداعي سليمان بن عبد الله الزَّواحي وأرقاه إلى مقامه، وجعله الخالِفَ له بعد انقضاء أيامه[٤]، فقام بعده بالدَّعْوَة إلى الإمام الظَّاهِر لإعزاز دين الله ثم إلى الإمام المُسْتَنْصِر بالله – صلواتُ الله عليهما – وكان يختلف للحج إلى مَكّة المشرفة ويجتمع هو ومن يأتي للحج من أهل دعوته، ويُفاوضُهم في قيامه، إلى أن اجتمع على القيام معه أمرهم، واتَّفَق عليه سرُّهم وجهرُهم[٥]. وكان سَبَبُ قيام الدَّاعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي أن الظالمين بسطوا أيديهم في دعوته بالقتل والنَّهْبِ،

[١] أي استجابته للدعوة.

[٢] عمارة: تاريخ اليمن ١٤ (٤٧–٤٨)؛ حسين الهمداني: الصليحيون ٦٨.

[٣] ذكر عمارة اليمني أن القاضي محمد بن عليّ والد الداعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي كان سُنّي المذهب وله طاعة في رجال حراز وهم أربعون ألفا، وكانت له رئاسة وسؤدد وصلاح وعلم (تاريخ اليمن ١٤ (٤٨)).

[٤] ذكر الخزرجي أن الزَّواحي أوصى قبل وفاته بجميع كتبه له، وأعطاه مالاً جزيلاً كان قد جمعه من أهل مذهبه (الكفاية والإعلام ٤٧).

[٥] عمارة اليمني: تاريخ اليمن ١٥ (٤٨)؛ حسين الهمداني: الصليحيون ٦٩؛ وأضاف عمارة ١٧ (٥٠) أن عليّ الصُّلَيْحي استمر دليلاً للحج على طريق السَّراة خمس عشرة سنة.

وألسنتهم بالسَّب والثَّلْب ، فلم يرَ الصبر على ذلك مع ظهور دَعْوَة أمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – صَلَّى الله عليه – في الأقطار ، وما قضى الله لأمره في أكثر الجزائر من الإظهار ، فأجمع إجماعه على فَتْح جبل مَسَار ويعمره ، وهو جبلٌ رفيعٌ في حَراز مطل على الخبت المتصل بتهامةَ ، ولا يعلوه من جبال حَراز إلَّا جبل شِبام ، ومَسارُ أكثر اتصالًا بتِهامَة ، فطالع بذلك الحضرة النبوية ، وكاتب إلىَ أمير المؤمنين يسأل الإذن في القيام وعاهَد أهل دَعْوته في نواحي اليمن – كما ذكرناه – ووَعَدَهم إلى يوم معلوم ورَجَعَ وهو قويُّ العَزْم على القيام ثابت البصيرة ، وبقى منتظرًا لأمر الإمام ، عليه السَّلام .

فشاع بذلك الأمرُ وظَهَر وذَاعَ عنه واشتهر ، فعند ذلك ازدادت بَسْطَةُ الأعداء في أهل دعوته ، ووَثَبَ ابن أبي جَهْوَر صاحب لَهَاب على الذين كانوا في ناحيته . فأمر عِدَّة من أصحاب الصُّلَيْحي وخلصائه التابعين له ؛ منهم القاضي الأَجَلّ لَمَك بن مالِك الحمَّادي ، فضاق الأمر على الداعي عليّ ابن محمد الصُّلَيْحي ، ونام ليله وقد امتلأ قلبه من الغَمّ فرأى في منامه ، كأن الإمام المُسْتَنْصِر بالله – سلامُ الله عليه – في مكة وكأنه واقفٌ بين يديه يردِّد الشكوى باستطالة الظالمين على أهل دعوته وعليه ، وهو يستأذنه في القيام عليهم وإظهار كلمته ، فرأى من إمامه إقبالًا عليه ونظرًا بما سَرّه إليه ، وكأنه أذن له في عمارة حِصْن مَسَار وأسْعَفَه إلى سؤاله[1] وقال له : « ستملك جزيرة اليمن بَرَّها وبَحْرَها ونَجْدَها وغَوْرَها » ، فأَبْشِر بذلك وثِق بالله تعالى وبنا » . قال الداعي عليّ بن محمد ، فيما رُوِيَ عنه : « ودعا لي وللمؤمنين بالنَّصْر والظَّفَر » . قال : ثم رأيته في المنام ، أمر رجلين – رأيت لهما هيئةً حسنةً – بقضاء حوائجي جميعها ، وانتبه الداعي عليّ بن محمد من نومه فرحًا

[1] قارن عمارة اليمني : تاريخ اليمن ١٧ (٥٠) .

مسرورًا جَذْلًا مستبشرًا ، وأخبر الرُّسُلُ الذين في حضرة الإمام – عليه السّلام – بعد رجوعهم ، أن في صُبْح تلك الليلة قُضِيَت من الإمام – عليه السّلام – حوائجهم ، وفاضت منه النِّعَم إليهم ، وأذن لهم بالمسير ، وجاوب لهم أمير المؤمنين بالإذن للداعي بالقيام ووَعْدَهم له بالظهور .

وحين أصبح الدّاعي من ليلته التي رأى فيها ما سَرّه في المنام ، أمر رُسُلًا إلى أهل دعوته يحثُّهم على الوصول إليه والمبادرة نحوه ، واشترى العُدَّة واللبابيد ووَعَدَ أهل دعوته بالوصول في ليلة سَمّاها لهم ، وأرسل الدّاعي عليّ ابن محمد لكبراء أهل دعوته ، من أهل نواحي حَراز وجَمعَهم إليه ، فجاءوه مسارعين لأمره مطاوعين ، فوصل إليه من أهل هَوْزَن سليمان بن أبي القاسم ابن وَلِيّ ، وعبد الرحمٰن بن أبي سَبَأ بن أبي سَهْل ، ومن لَهَاب قاسم والحسين بن عبد الله بن أحمد ، وخولة بن أبي القبائل وسبأ بن عَبّاس ، وعبد الله بن أبي المعدل وعبد العزيز بن عليّ . ووَصَلَ إليه من بني قُلَيْد أهل شَذْب عَرّاف بن محمد ، ومحمد بن الحسين . ومن المقافعة سُوَيْد بن أحمد . ومن الوُجُب أبو الجماهِر وأبو العشيرة ابنا قُلَيْد الهَجَرى وأبو الحسين بن أبي العشيرة وحِمْيَر بن عبد الله ، ومن صَعْفان التُّبَّعُ بن محمد بن أبي يَعْلا ، وبَسّام بن قَحْطان بن أبي يَعْلا ، وأبو الحِفاظ بن عبد الله بن يَعْلا وسليمان وعبد الله ابنا كَنْعان ، والمدرمح وكفيعي ابنا أبي العَشيرة . ووَصَلَ إليه من بني الصُّلَيْحي يَعْلا بن المُظَفَّر الصُّلَيْحي ، وجماعةٌ من أهل بيته ، وهؤلاء أعيانُ أهل الدَّعْوَة في ذلك الأوان بحَراز ، وكبراؤهم المُتَصَّبون فيهم من قِبَل الدُّعاة .

فلما وَصَلَوا إليه أشْعَرَهم بما في مرامه وبَشَّرَهم بما رآه في منامه وأخبرهم أنه قد أمر لأهل دَعْوَته إلى النواحي وأزمع على عمارة مَسار وإظهار دَعْوَة وَلِيّ الله – سلامُ الله عليه – والجهاد في سبيل الله ، فاستَبْشَروا وسَرّهم ما أَزْمَعَ

عليه. وأيْقَنوا بالعِزِّ والغَلَبَة والظَّفر، وأجابوه بما جَذِلَ به واستبشر وساروا للأُهْبة، وجَمْع ما استطاعوا عليه جمعه من العُدَّة، وجمعوا للداعي ما يستعين به في القيام وتواصَوْا ببذل النفوس والأموال في طاعَةِ الله تعالى وطاعَةِ رسوله الإمام – عليه السَّلام – وجاء بنو الصُّلَيْحي بخمسمائة دينار، وسُوَيْد ابن أحمد – صاحب المُقَافِعَة – بمائة دينار، وأهل لَهاب بألف دينار، وبنو قُلَيْد بثلثمائة دينار، وأهل هَوْزَن بخمسمائة دينار، فأوصلوا ذلك إلى الداعي عليِّ بن محمد الصُّلَيْحي فأثنى عليهم وشَكَر سَعْيَهم، وقال لهم: « سوف يضَعِّف الله لكم أضعاف ما سَلَّمْتم وليملككم الله ديار الظالمين ولتنالوا ما ترومونه ببَرَكَة أمير المؤمنين ».

ووافى الدَّاعي الصُّلَيْحي أهل دَعْوَتِه في جميع النَّواحي في يوم واحد، وذلك آخر نهار الأربعاء حين صلاة العصر لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى، وهي الليلة التي رَسَمَ لهم أن يوافوه بها. وكان السُّلْطان عليُّ بن محمد الصُّلَيحي قد أعَدَّ لهم القِرى ذلك اليوم وجماعة ممن رآه يفعل ذلك يعجبون ويقولون أتراه قد أيْقَن أن ضيفًا يأتيه من مكان، فما كان ساعة إلَّا وقد وَصَلَوا من السَّراة في أرض يام خَلْف صَعْدَة ومن بلاد هَمْدان في نواحي صَنْعاء ومن أرض حِمْيَر وغيرهم، وأحضر لهم القِرى ساعة وصولهم. وكان الواصلون إليه ثلاثمائة رجل، غير من وَصَلَ إليه من نواحي حَرَاز، فأرسل الداعي من أهل هَوْزَن أربعين رجلًا، وأمرهم أن يسيروا إلى مَسَار من ليلتهم ويلزموا ذروة الجبل، وتكون طريقهم من ناحية صَعْفان، إذ كان أهلُ مَسَار قد تأهَّبوا وحرسوه من كل ناحية حوله غير ناحيةِ بني معجل، وطلع الأولياء منه.

الصُّلَيْحي يستولي على جبل مَسار

وسارَ الدّاعي عليُّ بن محمد الصُّلَيْحي قاصدًا لِمَسَار بعد صــلاة العشاء في الليلة المصبحة عن يوم الخميس لخمس عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى. ولقيه أهلُ المَقَافِعَة وأهلُ الوجب إلى مَناخِه وأغار أهل بيت عناد – وهي قرية كانت بين شِبام وعز اليعابر لم يبق منها إلّا آثارُها – ومعهم أهل كرار إلى مَناخِه ليحفظوا النقيل فوجدوا الدّاعي عليَّ بن محمد الصُّلَيْحي قد علاه ومن معه، وتَعَقَّب الدّاعي الصُّلَيْحي وقومه على أعقاب العسكر، وجَدُّوا في السَّيْر خشية أن يسبقهم أهل كرار وانتهى الدّاعي إلى عَبْري سِهام ووافاه هنالك بنو قُلَيْد وكانوا أرادوا أن يَطْلَعوا مَسار من ناحيتهم من شَذْب فمنعهم الحَرَسُ، وطلعه أهل هَوْزَن الذين أمرهم الدّاعي الصُّلَيْحي من ناحية بيت معجل، وطمع أهل مَسار أن يقاتلوا العسكر بناحية عَبْري سِهام ويمنعوا الجبل وطلع عليهم عسكرُ الداعي وقد لبسوا السّلاح واللبابيد ولم يطيقوا منعهم، فعاد أهل مسار لائذين بقمة الجبل، فأصابوا أهل هَوْزَن، أصحاب الدّاعي فيها، وضربوا طبولهم وانقلبوا على أعقابهم وهربوا عن ديارهم وصَعَدَ الدّاعي، ومَلَكَ الجبلَ بغير قتال، وذلك في آخر الليل، فلما أضاء الصباح وطلعت الشمس أمر بنَشْر بنودٍ كانت معه من عَهْد الدُّعاة الذين قبله مذخورة، فنُشِرَت على رأسه. وطَلَعَ بعسكره إلى حِصْن مَسار وأمر بعمارته وكان غامرًا لا سكن فيه، وإنما كان السُّكّانُ بسَفْحِه، وابتدأ بعمارة قُلَّته حين وصوله صبيحة يوم الخميس للنصف من جمادي الأولى سنة تسع وثلاثين[a] وأربعمائة على ثلاث ساعات مضت من النهار. واجتمع سائرُ من في حَرَاز لحرب الدّاعي الصُّلَيْحي وأهل دعوته إلى مَسَار وبلاد بني الصُّلَيْحي.

---

[a] في الأصول: تسع وعشرين.

خِطابُ الصُّلَيْحي إلى أَهْل حراز

وكَتَبَ الدّاعي كتابًا وأمر ببثّه في جوانب حَرَاز، نسختُه[1] :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي أورى زناد الحَقّ، ورَفَعَ عماد الصِّدْق، بالذين أكمل بهم الحُجّة على الخَلْق وأنار بهم ما بين الغرب والشرق، الهُداة إلى الخير والأَدِلَّة، الدُّعاة إلى أَشْرَف المِنْهاج والمِلَّة، خُلَفاء أنبيائه وأمنائه وأصفيائه وسلالة رُسُله من لدن آدم – عليه السّلام – وَوَصَل نظامهم وأعلى مقامهم وفَتَق بالنور أيامهم ونَشَرَ بالعدل أعلامهم، فهم أعلامُ الدين والدُّعاة إلى الحق المبين الشيعة الميامين، والسُّلالة الطيبين آل طٰه ويٰس، وصلواته على من خَتَمَ به الرّسالة وفَتَحَ بأئمةٍ من عقبه أبواب الدلالة، سيدنا محمد النبيّ وعلى أخيه ووَصِيِّه عَلِيّ وعلى الأئمة من نَسْل مولانا الحسين الزكي وَرَثَة التنزيل والتأويل. وأَفْضَل صلواته وأَنْمَى تحياته وبركاته على وارِث عِلْمهم والقائم من بعدهم، بقية السَّلَف وخيرة الخَلَف، مولانا مَعَدّ أبي تميم الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين وعلى خَلَفِه وسَلَفِه.

أما بعد: يا أهل حَرَاز، أَلهمكم الله رُشْدَكم وجَعَلَ الجنَّة قَصْدَكم، فلم أَطْلَع إلى حِصْن مَسَار مُتَجَبِّرًا باغيًا ولا مُتَكَبِّرًا على العباد عاتيًا، ولا أطلب الدنيا وحُطامها ولا طالبًا أملك غوغاها وطَغامها، لأني لي بحمد الله وَرَعًا يحجرني عما تطمح النفوسُ إليه ودينًا اعتمد عليه، وإنما قيامي بالحق الذي أَمَرَ الله عَزَّ وجَلَّ به، والعَدْل الذي أنزله في محكم كتابه، أَحكُم فيه بحكم

[1] راجع مناقشة الاختلاف حول تاريخ قيام عليّ الصُّلَيْحي بثورته عند حسين الهمداني: الصليحيون ٧٣– ٧٤؛ أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب ١٠١– ١٠٢، واعتبره المقريزي في « الذهب المسبوك » ٦٩ « أحد ثُوّار العالم »، وانظر فيما يلي ص ١٣.

أوليائه وسُنَن أنبيائه وأدعو إلى حُجَّته الذي في أرضه والقائم بفرضه ، لَسْتُ من أهل البِدَع ، ولا من ذوي الزُّور والشَّنَع الذين يعملون في الدين بآرائهم ويحكمون بأهوائهم ، بل أنا متمسِّكٌ بحبل الله المتين ، عاملٌ بما شَرَعَ الله في الدين وداعي إلى أمير المؤمنين – عليه صلوات رَبِّ العالمين – لا أقول إلَّا سَدَدًا ، ولا أُكْرِهُ في الدين أحدًا ﴿ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الآية ١٠٨ سورة يونس] وما الله يريد ظُلْمًا للعباد .

واعلموا يا أهل حَرَاز أني بكم رَؤُف ، وعلى جماعتكم متحنِّنٌ عطوفٌ للذي يجب عَلَيَّ من رعايتكم وحياطتكم ، ويَلْزَمُني من عَشيرتكم وقَرابتكم ، أعرف لذي الحقِ حَقَّه ، ولا أُظْلِم سابقًا سبقه ، وأنصِف المظلوم وأقْمَع الظالم الغَشوم وأبُثُّ فيكم العَدْل وأشْملكم بالفَضْل فاستديموا ذلك بالشكر ، ولا تُصغُوا إلى قول أهل النُّكْر الذين من بقايا أهل الكُفْر ، فيحملونكم على البَغْي والعُدْوان والخِلاف والعِصْيان وكُفْر الإنْعام والإحْسان ، تستوجبوا بذلك تغيير الإنعام وتعجيل الانتقام .

وكتابي هذا حُجَّةٌ عليكم ، ومعذرةٌ إليكم ، والسَّلامُ على من اتَّبع الهدى وتَجَنَّب موارد الرَّدى ، والحمد لله على ما أعاد وأبدى ، وصلواته على من أرْشَدَ به من الضلال وهَدَى ، سيدنا محمد النبي وآله الأئمة الشهداء وسَلَّم تسليمًا ، وحَسْبُنا الله ونِعْم الوكيل »[1].

وكان رُسُلُ الداعي الصُّلَيْحي ، الراجعون من الحَضْرَة الشريفة النبوية المستنصرية ليلة طلوعه جَبَلَ مَسَار ، ممسين في المَهْجَم ، فوصلوا إليه وهو بحصن مَسَار فأوردوا جواب أمير المؤمنين – عليه السَّلام – يُلْزِمهم بالقيام ويعدُه بما يَسَّرَ الله به من الفَتْح ، وهَيَّأ له من النُّجح ، فسَرَّ ذلك الصُّلَيْحي

١ نشر حسين الهمداني نَصّ هذا السجل في كتابه « الصليحيون » ٧٧– ٧٨.

والمؤمنين قِبَلَه، وعلموا أن سوف يُبَلِّغ الله داعي وَلِيِّه أملَه، وما زال الناسُ يتألّبون وبخيلهم ورجلهم يجلبون. وجاء جَعْفَرُ بن أبي القاسم الشريف الرَّسّي[1] إلى حِصْن الأَخْروج، فقاتل أهله، وكان فيه الحسين بن مُهَلْهَل من أصحاب الدَّاعي الصُّلَيْحي ومعه جماعةٌ من هَمْدان وبني شهاب وكان القتال مستمرًّا بينهم. واجتمع لجعفر بن عَبّاس عساكر عظيمة من نواحي حَرَاز وكرار وغيرهم من أهل البأس والشدة والمراس فجاء بهم قاصدًا إلى عَبْرَيْ سِهام أسفل جبل مَسَار وأراد طلوع مَسَار، فنزل إليهم أصحابُ الدّاعي الصُّلَيْحي، فوقع بينهم قتالٌ شديدٌ، وكَثُرَ القومُ على أصحاب الدّاعي، وخاف الهزيمة عليهم فنزل بنفسه ومن بَقِيَ معه فاتَّفَق القوم فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وكرَّ الدّاعي ومن معه على جنود ابن عَبّاس فأتاح الله لهم الغَلَبَ عليهم ووَلّوا منهزمين، وقُتِل ابن عَبّاس وجماعة ثبتوا معه، ولم يزل الأولياء يتبعونهم بالقتل وتفرَّقوا في كل ناحية وأووا إلى كل جبل، وما زال القَتْل فيهم حتى اعتقلوا بجبل شِبام وبيت عِناد، وأحصى من قتل من الجموع الذين هزمهم الدّاعي الصُّلَيْحي وأصحابه ألف قتيل. وانتهب الأولياءُ من السّلاح والعُدَّة والأمتعة مالا يُحْصى وبَلَغَ ذلك الشريف الرَّسّي وهو بحصْن الأَخْروج فنجا بنفسه وترك ما كان معه، وكأنما كانت فيهم صيحة[2]. وكانت تلك الوَقْعَة في شهر رمضان المعظم من سنة تسع وثلاثين وأربعمائة[3]، فبَلَغَ خبرها إلى نواحي اليمن، وعظمت الهيبة في قلوب سلاطينها ورؤسائها.

---

[1] المقصود أحد ابني جعفر بن القاسم العياني وهما الأمير الشريف الفاضل القاسم وذو الشرفين محمد ابني جعفر بن القاسم العياني (راجع، الزّبَمي: سيرة الأميرين الأجلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني، تحقيق رضوان السيد وعلي عبد العاطي، بيروت ١٩٩٤).

[2] حسين الهمداني: الصليحيون ٧٨.

[3] هنا يذكر الداعي إدريس التاريخ الصحيح لثورة علي الصُّلَيْحي.

وكَتَبَ الدّاعي إلى القائد نَجاح - صاحب زَبِيد وتِهامَةَ - يلاطفه ويداريه، إذ كانت قد بقيت له مُدَّة قليلة حتى استوفاها وبَلَغَ من أيامه منتهاها، واجتمع أهلُ حَراز كافة للصُّلَيْحي ودخلوا في طاعته طَوْعًا وكُرْهًا، ما خلا ابن جَهْوَر فإنه أقام على الخلاف في لَهاب، وأمر الدّاعي الصُّلَيْحي والسلطان عامر بن سليمان الزَّواحي فطَلَعَ شِبام وبيت عِناد ومعه جماعة من بني قُلَيْد ومن هَوْزَن وبني الهَجَري، ووَصَلَ إليهم بعد ذلك أحمد بن مُظَفَّر الصُّلَيْحي وجماعةٌ من الحجازيين فيهم عَبّاس بن الكَرَم، فعمروا دارًا في قُلّة شِبام، وعمروا جبل بيت عناد وهو العر، وذلك في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة [1]، ومسار وشِبَام هما جبلا حراز الرفيعان وطَوْداه المنيعان.

محاربة الصُّلَيْحي لابن جَهْوَر

وحارب الداعي ابن جَهْوَر - صاحب لَهاب - حتى أخرج القوم الذين سجنهم من أصحاب الدّاعي وفيهم القاضي الأَجَلّ لَمَك بن مالِك الحمّادي، فوصلوا إلى الداعي وهو في حِصْن مَسَار، وندم ابن جَهْوَر على إطلاقهم. وأُجمِعَت له جموعٌ كثيرة، فعاد لحرب الدّاعي الصُّلَيحي، ومازالت بينهم الحروب. وأمرُ الدّاعي يَقْوَى ويَظْهَر، وأَمْرُ أبي النور يخمل ويضعف. وكاتب أبو النور نَجاحًا صاحب تِهامَة، فأرسل إلى الدّاعي يذكر له أمر حِصْن أبي النور وأنه قد صار إليه فأجابه الداعي بما وافقه. وقال إن سَلَّمَ لك الحِصْن تركت اعتراضه وأعرضت عنه، وإلّا علمت أن قوله غير صحيح. فتوجّه إلى أبي النور رُسُلُ نَجاح وطلبوه تسليم الحصن فغالظهم، ووَضُحَ لهم منه الزور في قوله، فرجعوا إلى القائد وعَرَّفوه قصته ومغالظته، فشكر الدّاعي الصُّلَيْحي وأعرض عن أبي النور.

---

[1] يؤكد إدريس هنا مرة أخرى التاريخ الصحيح لثورة عليّ الصُّلَيْحي.

ومازال أبو النور في محاربة الداعي ، فلما تمادى في بغيه وتناهى في غيِّه ، أمر الدّاعي بعمارة جبل حمضه ، وأرسل عساكره فحاصروا ابن جَهْوَر في حِصْنه – قيل هو زيادة حصن معروف بلَهاب معمور إلى الآن – وملكوا جميع لَهاب عَنْوَةً ، فلما ضاق بابن جَهْوَر المجال وساءت به الحال ، ولم يجد مغيثًا ولا ظهيرًا ، جاء إلى الدّاعي تائبًا مُتَنَصِّلًا ، ووَصَلَ إليه – إلى حِصْن مَسَار – فأنزله الدّاعي في موضع منه وأجرى عليه وأحسَنَ إليه ، وسَلَّمَ حِصْنَه إلى الدّاعي ، ونَقَلَ أولاده إلى حِصْن مَسَار[١].

وَصِيَّةُ الصُّلَيْحي لأهل حَراز

فعَظُمَ أمر الدّاعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي ، واستقامت له الأمور ، واتَّصَلَح له الجمهور ، فأمر بجَمْع أهل حَراز كافة ونزل إليهم – إلى عَبْري دعاس – بنفسه ، بعد أن ترك في مَسار من يحفظه ويحرسه ، وحَدَّثَهم فابتدأ بحمد الله تعالى في أول كلامه والشكر على جزيل إنعامه وإفضاله ، والصلاة على سيدنا محمد والطاهرين من آله ثم ابتدأهم بالكلام ، فأمرهم بتقوى الله ونَهاهم عن ارتكاب معاصيه ، وأمرهم بالصَّلاةِ وإقامة فرائض الدين وعمارة المساجد وإيقاد المصابيح فيها وإقامة الصَّلاة في جميع أوقاتها ، ولم يُرَخِّص لهم في التهاون بشيء من فرائض الدين ، بل شَدَّدَ في ذلك عليهم ، وأعلمهم بمثولات هذه الفرائض ، وذَكَرَ لهم بعد ذلك أن الأمر الذي قام به ليس هو من أمور الدنيا ولا مُراده فيه كمراد سلاطين الدنيا ، بل قام مُؤْثرًا لأمر وَلِيّ الله رَبِّ العالمين ومجاهدًا في سبيله ، غير مُكْرِهٍ لأحدٍ في الدين ولا طالبٍ إلّا رضى الله رَبِّ العالمين ، وحَذَّرَهم الخلاف عليه والشِّقاق وذَكَّرَهم إنعامه

---

[١] حسين الهمداني : الصليحيون ٧٩– ٨٠.

عليهم وصَفْحه عنهم وأنه لم يؤاخذ أحدًا بقبيح فعله، وحَذَّرَهم ونَهاهم وكَرَّرَ عليهم الوَعْظَ في ذلك المَحْضَر، ووَعَدَهُم إذا استقاموا على الطَّاعَة بالإحسان والفَضْل، وعَرَّفَهم أنه لا يسير فيهم إلَّا بسيرة الحَقّ والعَدْل، وأنه مجبولٌ على ذلك، مقتدي بسيرة الأئمة وأفعالهم - صلوات الله عليهم - وتَقَدَّم إلى العُمّال في ذلك المَحْضَر وأوعدهم بالتنكيل إن رُفِعَ إليه شيءٌ مما نهاهم عنه ووعدهم بخُشن السياسة؛ وأنه لا يخالف الكتاب والسُّنَّة، وأمر جميع الرعية أن يرفعوا إليه ما يكون من العمال، من فِعْل القبيح أو الحَسَن حتى يُنْزِلَ بهم من إنعامه وعقوبته بحسب أفعالهم، ثم قال لهم إن مولانا الإمام - صلواتُ الله عليه - قال للرُسُل الذين كانوا عنده: أبلغوا السُّلْطان الداعي عَنِّي السَّلام، وقولوا له إني لا أرضى أن يقتصر على مُلْك حَراز والحصن الذي يملكه فيها، وهو يملك حصون اليمن قاصيها ودانيها، عن قريب إن شاء الله تعالى[1].

وذَهَبَ عِمْران بن الفَضْل اليامي وعَبّاس بن الكَرَم الشَنْحاني ومن معهما من أهل الحجاز، فجاؤا إلى الدّاعي الصُّلَيْحي بأهلهم وأولادهم، فرَحَّبَ بهم وأسكنهم في مَسار ونواحي الجهات الحَرازية، وكان مما حَرَّضَهم وحَضَّهم على ذلك وقوعُ الخُلْف في بلادهم، وكان وصولُهم مما زاد في قُوَّة الدَّاعي الصُّلَيْحي، وكانوا له على ما يريد.

ووَجَّهَ السُّلْطان عامِر بن سُلَيْمان الزَّواحي لأهله وأولاده، فسكن بهم مع الدّاعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي في مَسار، واجتمع المؤمنون هنالك خلقٌ كثيرٌ وجمٌ غفيرٌ، وأجرى عليهم الدّاعي النَّفقات الواسعة والكفايات المتتابعة، وأجرى الدّاعي الصُّلَيْحي العَدْل وبثَّه وأظهره وضَمّ إلى كل مأذون

---

[1] حسين الهمداني: الصليحيون ٨٠- ٨١.

من دُعاته من يليه من المستجيبين والمؤمنين المخلصين ، وأمرهم بالمصابرة وقِلَّة الغَفْلَة عن أمر دينهم ، وأن لا يجري منهم تفريطٌ في شيء من أمور دينهم في الشريعة ، وأجرى مصالحهم في دينهم ودنياهم إلى دُعاتهم ، وقصر كُلًّا منهم على الأخذ من داعيه .

وكان جماعةٌ من المؤمنين يحضرون حضرته ويقرأ عليهم من عُلُوم أولياء الله ويحُضُّهم على الخير ويُرَغِّبهم فيه ويَعِظُهم ويجلو قلوبهم ، فيستمعون منه فيشفعون بذلك ويُصْلِح أمورهم وأمر المؤمنين والدُّعاة بإقامة الفرائض والنزاهة والعمل الصَّالح . قيل ولقد بلغه عن قومٍ من أهل دَعْوتِه تفريطٌ في عمل الشريعة ، فأمر بإحضارهم وكافة أهل البلد والذين وصلوا من البلدان البعيدة من المؤمنين إلى حصن مَسار ، وظهر بهم الميدان فأخبرهم بما تناهى إليه منهم من أنهم فَرَّطوا فيما أمرهم به من الأعمال الواردة في الشَّرْع ، وخالفوا بعض ما فيها من الوَضْع فأعظم عليهم النكير والشِّدَّة .

ثم إنه أقبل على دُعاتهم فقال : إن الذي بلغني عن قَوْمٍ ممن يتصل بكم هو يُغْضِب الله ووليّه وأنا أغضب مما يُغْضِب الله ، فمن كان مني لم يتعد شيئًا من الدين ولم يتعرض لسخط رَبِّ العالمين ولم يخالف منهاج مولانا أمير المؤمنين ، ومن لم يكن مني أَخْرَجْته من جماعتي ونَفَيْته من بلدي ، وأجريت عليه من الحُكْم ما يجري على أمثاله من المعتدين ، فعاذوا بالله وبوَلِيّه من كل ما يُسْخِطه ويُغْضِبه ، ولاذوا به واستغفروا الله من جميع ما يعلمون ومالا يعلمون ، فقال لا أُصَدِّقكم حتى يلتزم كُلُّ داعي بصلاح من تحت يده ، ويضْمَن ما يجري ممن كان في جهته ، فمن كابَرَ أو عانَدَ ورُفِعَ أمره إليَّ أنزلت به ما يستحقه ؛ ففعلوا ذلك وحَسُنَت أحوالُهم وطابت قُلوبُهُم وصَحَّت دياناتُهم ، وحَرَّمَ عليهم أن يتناولوا من مصالح دينهم ودُنياهم شيئًا ولو صَغُرَ إلَّا بإذنه .

وكان يأمر كل دُعاتهم بالحضور إلى داره، فيعظُهم ويُذكّرهم ويُبَصّرهم ويُقَرّبهم ويُدْنيهم ويُصَلّي بالجماعة من المؤمنين في كل جماعة، ويتلو عليهم بعد الصّلاة ما تيَسّر من العلم والحكمة، ويدعو في عقب كل صلاة بما يُسْتَحَبُّ من الدُّعاء فيزداد بذلك كل مؤمن بصيرة ويتجلّى عن قلوبهم كل صَدَأ وغمرة.

وحين ملك الدّاعي الصُّلَيْحي جبال حَراز وما والاها، ودان له أقصاها وأدناها، وخافت ملوك تِهامَة والجبل من بأسه، واضطربت أمورُهم من شِدَّة مراسه، ومَلَك حصون حَضُور وما ولاها، وكانت بينه وبين صاحب صَنْعَاء يحيى بن إبراهيم الصَّحاري[1] مواصلة ومراسلة إلى أن مات يحيى، فأرسل الدّاعي الصُّلَيْحي بعض أصحابه وبني عمه إلى صَنْعَاء يُعَزّي أبا حاشِد بن يحيى في أبيه ويلاطفه، وأحسن الدّاعي إليه كما أحسن إلى مَنْ قبله[2].

فاجتمع سلاطينُ اليمن وراجعوا صاحب زَبيد نَجاح القائد، فوقعت مراسلةٌ بين القائد وبين صاحب صَعْدَة أبي الفتح بن الحسين في أن يصل إلى صَنْعَاء ويملكها، فجاء أبو الفَتْح وادَّعى الإمامة، فأجابه بَشَرٌ كثيرٌ من الناس، ومذهبه مذهب الزَّيْدِيّة، وتَسَمّىٰ بالناصر لدين الله أمير المؤمنين، وكان له قَزَعٌ في القول وسَبٌّ للصُّلَيْحي وتلك شيمة لكثير من الزَّيْدِيّة، يَثْلِبون الكرام ويطعنون في أهل الرياسة ويرمون المؤمنين بغير ما اكتسبوا، تدليسًا على العَوام، وصَدًّا عن اتباع أولي الأحلام، ويستعملون الإفْك والأشانيع،

---

[1] نسبة إلى صحار قبائل من قُضاعة وهم أولاد نَهْد وسعد هذيم ابني لَيْث بن سوْد بن أسلم بن الحاف من قُضاعة، منهم جميل معمر العذري (من هامش الأصل).

[2] حسين الهمداني: الصليحيون ٨١.

ويشهدون بما لم تره أعينهم من الأمر الفظيع ، قد جعلوا ذلك لهم دينًا ودَيْدَنًا . وأروا أتباعهم قبيحه حَسَنًا [١].

واقِعَـةُ الزَّرائِب

ولم يستتب لأبي الفُتوح ما حاول ، ولا بَلَغَ الأملَ الذي أمل ، وما زادت مكاتبته لصاحب زَبيد على أن أَفْسَدَت ما بينه وبين الدّاعي الصُّلَيْحي ، فصارت بين الدّاعي الصُّلَيْحي وبين نَجاح وَحْشَةٌ بعد الأُنْس والمراسلة والمهاداة ولين المخاطبة ، وأصدر نَجاحٌ عسكرًا كثيفًا وما زالت بينهم الحروب ، فوافاهم الدّاعي بجيوشه خلف صَعْفان في الخبت المتصل بِتِهامةَ فجرت بينهم وَقَعات ومُصادمات عِدَّة بين الفريقين ، ثم إنها كانت الكَرّة للصُّلَيْحي عليِّ بن محمد وأصحابه من العرب على العبيد وجموع الحَبَشَة ومن والاها من أهل تِهامَة وأصحاب القائد نَجاح فقَتَلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمةً ، قال صاحب « المفيد في أخبار زَبيد » ، وذلك في سنة خمسين وأربعمائة وقد اجتمع العَبيد إلى ابن طَرَف ومن معهم من ملوك الحَبَشَة عشرين ألفًا فسار إليهم الصُّلَيْحي في ألفي فارس وسبعمائة فالتقوا بالزَّرائب من أعمال ابن طَرَف [وهو الوطن الذي ولدت فيه وبه أهلي إلى اليوم[a]] فاستحر القتل أول يوم في العرب ، ثم كانت الدائرةُ على السُّودان ، فلم يبق منهم إلّا ألف التجؤا إلى جبل يعرف بالعُكْوتين ، والعُكْوَتان جبلان منيعان لا يَطْمَعُ أحدٌ في حصارهما [٢].

---

[a] زيادة من تاريخ عمارة .

---

[١] هذه الفقرة تدل على الخلاف الشديد بين المذهب الإسماعيلي والمذهب الزيدي ، المذهبين الشيعيين السائدين في اليمن ، وقد كرّر عماد الدين إدريس نفس هذا الموقف من أئمة الزيدية المعاصرين له فيما يلي صفحة ١٢٠، ١٤٤، ٣٠٤- ٣٠٥، وفي كتابه « روضة الأخبار ».

[٢] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٢٠-٢١ (٥٤-٥٥).

قال الرّاوي : وجَبَلا عُكاد فوق مدينة الزَّرائب . وقال : أدركت العِظام والأظْفار في موضع الوقعة تَسْفيها الرياح إذا اشتدت ، ووافق ذلك موتُ نَجاح .

مَـوْتُ نَجـاح

وكان مَوْتُ نَجاح بالكَدْرَاء في عام اثنين وخمسين وأربعمائة [١] ، فاضطربت البلاد لهَيْبَة الدّاعي الصُّلَيْحي وعَلَت كلمته وسَمَت لتِهَامَة هِمَّته ، فملك الصُّلَيْحي المَهْجَم وخرج سعيد وجَيَّاش ابنا نَجاح ومن معهما من الأَحبوش فارين على وجوههما ومن اتصل بهما ، وكان سعيدُ بن نَجاح قد استقام في مُلْك والده ، فدخل السُّلْطان الدّاعي الصُّلَيْحي زَبِيد وافتتحها ، وسار في الناس بالعَفْو والصَّفْح ، ورَفَع السيف وبَسَط العدل ، ولاذت به العربُ الذين كان العبيد استطالوا عليهم أيام نَجاح ، وأراد الله ظهوره ، وجَعَلَ جنوده المنصورة ، ومكَّن الله له ولإمامه ، ودَخَلَ سلاطينُ اليمن تحت أعلامه ، وعاد إلى مَسَار وتَوجَّه إلى صَنْعَاء ، فتسلَّمها وملكها ودان له أبو حاشِد بن يحيى ملكُها ، ورأى الناسُ من عَدْله وفَضْله وحُسْن سيرته ودُنُوِّه إلى الناس وقُرْبه وإدنائه لهم ، وإجرائه إيَّاهم على سُنَّةِ الحق ، ما أَلَّفَ له القُلوب النافرة وأَرْغَم له أهل النَّخْوة والمكابرة .

---

[a] ساقطة من هـ .

---

[١] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ١٨ (٥١) .

الصُّلَيْحي يستولي على اليمن الأَسْفَل

وعاد إلى زَبيد وقَصَدَ اليمن الأَسْفَل ، فاستولى على جبل صَبِر قَهْرًا ومَلَكَ الجَنَد – وهى يومئذ مدينة اليمن الأولى – ولم يكن في اليمن أشهر منها ومن مدينة صَنْعَاء في الجاهلية وابتداء الإسلام إلى أوان الصُّلَيْحي . وخَطَبَ الدّاعي الصُّلَيْحي في جامع الجَنَد ، وقال في خطبته : « وفي مثل هذا اليوم نَخْطُب على منبر عَدَن إن شاء الله تعالى » . فقال بعض من استهزأ به : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ . فأمر الصُّلَيْحي بالحَوْطَة عليه ، وكان الأمرُ كما قال . وخَطَبَ في مثل ذلك اليوم في جامع عَدَن فقام ذلك الرجل فقال : « سُبُّوحان قُدُّوسان » . وأَخَذَ البَيْعَة ودَخَلَ في المذهب[1].

وطَوَى الصُّلَيْحي البلاد طَيًّا وافتتح جميعها ، فلم تخرج سنة خمس وخمسين إلَّا وقد مَلَكَ اليمن قِلاعَها وحُصونَها ومُدُنَها وسَهْلَها وجَبَلَها ، واستقر مُلْكُ اليمن وجَعَلَ قرارَه في مدينة صَنْعَاء ، وأسكن معه جميعَ ملوك اليمن في صَنْعاء ، وولَّى الحصون والبلاد مَن ارتضاه ، وكانت له بَسْطَةٌ قوية ومملكةٌ ملأت الجهات اليمنية ، وكان له من الفَضْل والتواضُع مع عُلُوِّ مقامه وسعة ملكه وظهور أمره ما ظَهَرَ عنه وشُهِرَ منه[2]، ومن ذلك ما رواه صاحب «المُفيد في أَخبَار زَبيد» ، قال : « حَدَّثني أحمد بن الحسين الأُمَوي المعروف بأبي الشجة عن أبيه عن جَدِّه قال : كنت أسكن بمدينة حَيْس – وبينها وبين زَبيدٍ ليلة – فلما ملك الصُّلَيْحي زَبيد رأيته وركب إلى مجلس القاضي وأدَّى عنده شهادةً كان قد تحمَّلها في صباه ثم تحَدَّث مع القاضي وافترقا ، قال :

---

[1] عمارة : تاريخ اليمن ١٨ (٥١) .

[2] نفسه : ١٨ (٥١) ؛ أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب ١١٩ .

فأخبرنا القاضي بعد قيام الصُّلَيْحيّ أنه قال: إنّي نزلت مدينة حَيْس أستطلع أخبار نَفِيس ونَجَاح عَبْدَي مُرْجان، فمرَّ عَلَيَّ بعضُ من يعرفني فتجرَّدت عن ثيابي، ولبست ثياب عَصّار يبيع السَّليط في مَعْصَرَة من معاصر حَيْس. وتَحَمَّلت هذه الشهادة يومئذ في منزل رجل، ولما مَلَكْتُ الأمر وَقَفَت لي عجوزٌ بخطي فعرفتُه، فلم يَتَّسع لي إلّا أداء الشهادة وكان مثال ما كتبته في وقت التحمل «شَهِدَ على ذلك عليُّ بن محمد قاضي حَرَاز وكَتَبَ بخطه ليذكره يومًا ما إن شاء الله تعالى»[1]. وهذا دليلُ ما قدَّمناه من قوله في ابتداء ملكه وهو بمَسَار، إن الأمر الذي قام به ليس هو من الدنيا ولا مراده فيه كمراد سلاطين الدنيا[2].

ولم يُنْكِر الدّاعي عليُّ بن محمد الصُّلَيْحي على أحدٍ مذهبًا من مذاهب فِرَق الإسلام على تَشَعُّبها، بل أَقَرَّ كلَّ أمرء على ما كان عليه، وكان يرفع أهلَ العلم وذوي الصِّيانَةِ والفَضْل من أهل مذهبه وغيرهم. وكانت له سيرةٌ عادلةٌ وأخلاقٌ فاضلةٌ رواها الخاص والعام وأَجْمَعَ عليها كثيرٌ من الأنام، تَدُلُّ على حُسْن مذهبه وفَضْلِ أدبه وشَرَفِ نَسَبِه، ولم يجحد ذلك إلّا كلُّ مكابر مُشَبِّه ليضلَّ الأوْباش من أمثاله ويسلك بهم سبيل محاله، فزَيَّن لهم المحال وأتى بالافتراء والضَّلال.

وكَنّي أميرُ المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – عليه السَّلام – داعيتَه عليَّ بن محمد الصُّلَيْحي وشَرَّفَه بهذه الألْقاب وهي «السُّلْطانُ الأجَلُّ الملكُ الأَوْحَد أميرُ الأمراءِ عُمْدةُ الخِلافَة تاجُ الدَّوْلَة ذو المجدين سَيْفُ الإمام المُظَفَّر في الدينِ نِظامُ المؤمنين عليُّ بن محمد الصُّلَيْحي». وكان – عليه

[1] عمارة: تاريخ اليمن ١٦–١٧ (٥٠).

[2] فيما سبق ص ١٥–١٦.

السّلام – بهذه الألقاب يكاتبه ويخاطبه في رسالاته وتشريفاته ومكاتبته وسِجِلّاته . ولم يبق من اليمن صَقْعٌ لم يملكه الدّاعي الصُّلَيْحيّ إلّا مَكَّة المُشَرَّفَة ، فإنه كان بها الأشرافُ بنو الحَسَن وهم على طاعةِ الإمام المُستَنْصِر بالله – عليه السّلام – والخُطْبَة له .

مَوْقِفُ الصُّلَيْحي من أشراف مكة

وكان دَخَلَ بين السلطان الدّاعي الصُّلَيْحي وبين الشريف شُكْرٍ الحَسَني[1]– صاحب مكة – الدُّخَلاء ليُشْعِلوا بينهما نارَ الفِتْنَة ، ويُبْرِزوا ما كَمُنَ في الإحْنَة ، ويهتكوا حمى الأمْنَة ، وكان الشريف متحاملًا على الدّاعي الصُّلَيْحي ، والدّاعي صابرٌ على تحامله وما يلقيه من حبائله ، وكَتَبَ الشريف إلى الداعي بأشعارٍ كثيرة فيها الإبراق والإرْعاد والتهديد والإيعاد ، ومن ذلك قصيدةٌ سينية أوّلها :

[الوافر]

لتعليق الجماجم والرءوس وإقحامي خميسًا في خميس

فأجابه عنها الشاعر عَمْرو بن يحيى الهَيْثَمي[2] على القافية والرَّوِيّ ، على لسان الدّاعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي فقال :

[الوافر]

دَمُ الأبطال في اليوم العبوس مُدامي ، لاشرابُ الخَنْدَريس
ولهوي بالنشيج إذا تلاقى الـ ـوَشيج بمعرك حامي الوطيس
أحب إليّ من نغمات عُودٍ وصادِحةٍ تُغَرِّد عَيْطَموس

---

[1] هو الشريف شكر بن أبي الفتوح الحسني أمير مكة (انظر ، العماد الكاتب : خريدة القصر (شعراء الشام والحجاز واليمن) ٣: ١٧-١٩؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٦: ١٧٥؛ الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٥: ١٤-١٦).

[2] عمرو بن يحيى بن أبي الغارات الهيثمي شاعر الداعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي (راجع ، عمارة : المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد ٢٠٣؛ العماد الكاتب : خريدة القصر ٣: ٢٢٦-٢٢٨).

أسكر دار في يافوخ شكر   فأوعدني بحرب كالبَسوس
وفاخر بالجَدّ وداوي حظ   بمجدهم لذي فعلٍ دَنيس
ألا إن العلي كخضاب كَفٍّ   إذا لم يحي سارع بالدروس
ابن عما حَمَيْت البيت حتى   فخرت بصونه عن كل بَؤس
أآخذَ أبيك حليته اغتصابًا   وأخذك ما عليه من لَبوس
دفاعٌ عنه، ويحك أيْ يوم   عَـذَرْتُم زائريه بالمكوس
عَجَزْتُم عن سواه وكان عُذْرًا   وأقوى عُذْركم فَقْر النُّفوس
ولولا فَضْلُ من لَبِّي وجَدوى   معدّ ذي الندى الغمر المسوس
لكنت حَليفَ إقْتار حبيسًا   بدار صريع أفيون شريس
أَفِق عن عَيْبِ أجدادي   ومَجْدي، فما بأسي بمغلولِ الضروس
ولا بيتى بهمدان بن زيد   بمجهول الفروع ولا القُنوس
أنا ابن حُماتِها وذرا قناها   أنا ابن عَنابِس الحرب الضَّروس
بنَوا واتم مفخرهم بنائي   وقومي حبل مجدهم فريسي
ولم أَكِل الفَخار إلى عُلاهم   كفِعل سواي بالجَدّ الرئيس
ومن أرضى النبيَّ ووارثيه   أئمتُنا مصابيح الغَميس
نَضَّانى خَيْرُ خَلْق الله سَيْفًا   وأخلاني الرؤس من الرؤس
وكم مَلِكٍ أَسَرْت وكم خَميس   أبا شُراته قتلًا خميس
وكم نَقْع أثارته دعا لى   فخيل الجو منه في شُدُوسِ
وكم قَوْم نَعَيْتُهم وقَوْم   طَحَنْتُهم وحِصْن من مَريس
أحطت به فأبت بمن حماه   بأروع لا ألف ولا خبيس
ظَفَرْت فما بَطَرْت وعَمَّ عَفْوى   فما زيرت بذى حَرَم مُجُوسي
كفِعْلك بالصِّحاب وكل ضَيْف   يجيئك وهو مبلوغ النَّسيس
وما خاب المُنيخ بباب داري   ولكن حَلّ بالمُغْنِى الأنيس

بني حَسَن ألا تَنْهَوْن شُكْرا ... عن استمطاره شُحُب النحوس
أتانى السب عنه وقال إني ... إذا أقسمت أَحْلِف بالمجُوس
إلى قَسَمٍ بغير أبي تميم ... وأسرته البُدُور من الشُّموس
أإيّاهم تعمد أم سواهم ... أبينوا قول ذى السُّنة النعوس
فإن لم تُنْكِروا ما قال شُكْر ... أخوكم فأْذَنوا بالدَّرْدَبيس
أَبَا الغلمانِ يَلْقَى أُشَدَ حَرْب ... تمشى في قَنَا سمر بخيس
متى أذن الإمام بحرب شُكْر ... أتته بالردى خَيْلى وعيسي
تغادى بالصُّلَيْحيين قومي ... بكلِّ هِزَبْر غابات فروس
كفيل للمشيح الشاك منكم ... وفيّ بالمشلشلة الغَموس
ومن جَنَب وسَنْحَان ويَام ... بأبطالٍ لدى الهَيْجاء شُوس
بني حسن حذار إذا أتتكم ... جنودُ الله بالخَطْب الشكوس
تضيقُ بها السُّهول فما تمشي ... بها إلّا زِفافًا كالعَروس
أما ولوا بسَيْف أبى تميم ... عليّ تاج دولته الحَبوس
متى ما تتبعوا بالغي شكرا ... تكونوا مثل طُسَم أو جديس
وإن ملتم إليّ فقد ظفرتم ... بوافي الحظ عندي لا الخسيس
أأنكر حق من يدني بقربي ... إلى ابن الظاهر الذاكي الغروس
به – صلّى عليه الله – شُقْت ... العِدَى بعصاي كالشاء اللسوس

ولما طال بين الداعي وبين الشريف صاحب مكة، القال والقيل ودَخَلَ بينهما الدَّخيل، وكَثُرَ ما يتفوّه به الشريف على الدّاعي، عِيلَ صبرُه وضاق صدرُه فكتب إلى أمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – عليه السّلام – يسأله الإذن في إزالة الشريف عن مكة، ليكون أمرُها إليه، فأجابه الإمام – عليه السّلام – يأمره بالصَّبْر وينهاه عن سَفْك الدماء بالحَرَم، وقال له: «إيَّاك أن تَلْقَى الله

بدماء بني فاطمة » ، فاعتمد الدّاعي الصُّلَيْحي أمر إمامه وصبر على ما يُظْهره الشريف من بذيء كلامه .

الصُّلَيْحي يؤدى فريضة الحجّ

وحين تَمَهّدت للداعي الصُّلَيْحي في اليمن الممالك ، وصار لأقصاه وأدناه وهو مالك ، ولم يعارضه فيه معارضٌ ولا عَرَضَ له شَغَبُ شاغبٍ عارض . ترك امرأته الحُرَّة الصُّلَيْحية أسماءَ بنت شِهاب وابنه الأَعَزّ محمد بن عليّ بن محمد الصُّلَيْحي بمدينة صَنْعَاء ، وتَرَكَ الأمير أسْعَد بن شِهاب صِنْو امرأته أسْماء بنت شِهاب في مدينة زَبيد واليًا عليها ، وتَرَكَ الوُلاة في المُدُن والحُصُون والمعاقِل ، وتَوَجّه للحَجّ إلى بيت الله الحرام في سنة أربع وخمسين وأربعمائة . فانتهى إلى مكة وقضى فَرْضَ حَجّه ومعه ملوكُ اليمن وزعماؤها ، قد سار بهم في صحبته وأخرج من الأموال والصَّدَقات للبيت وإقامة حرمه ومناسكه ، ما جَلَّ موقعه وعَظُمَ ذكره ، ووَجَدَ بين الشريف — صاحب مكة — وبني عَمّه حروبًا قد كَثُرَ فيها القَتْل وسَفْك الدماء ، وخطوبًا أثارت في الحَرَم البلية الدهماء حتى صار الحَرَمُ الذي جعله الله للناس مثابةً وأمْنًا موضع المخافة ، وصار كُلُّ من فيه على اضطراب كافة ، فرام الدّاعي الصُّلَيْحي أن يُصْلِحَ بين الشريف وبين بني عَمّه ويسوقهم إلى ما أَمَرَ الله من حُكْمِه ، وأن يحتمل دِيَّات القَتْلى من ماله ويستقل بثقل المغارِم طالبًا رِضَى الله تعالى وطاعة إمامه في جميع أحواله ، فأبى الشريف قبول ذلك ، وضَيَّقَ في وقوع الصُّلْح .

ولاذ الناسُ بالملك الأجَلّ الصُّلَيْحي ، ليكف عنهم عادية شَرّه وما ألَمّ بهم من بأسه وضُرّه ، فراجعه الدّاعي القول ، فلم يجد منه قَوْلًا ولا فِعْلًا إلّا إثارة

القتال والحرب الذي يُكْرَه في الحَرَم الشريف، ويسوء عُقْباه في المآل، فثنى عنانه مُتَّبِعًا لأمر إمامه، راجعًا إلى جهته ولم يَسْفِك دمًا في الحرم، ولا أثار فِتْنَةً يتوجَّه بها إلى الجري في ميدان ملامه، ولقي ما خاطبه به الشَّريف بسلامه وكَتَبَ إلى أمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله - عليه السَّلام - حين رجوعه من مَكَّة المُشَرَّفة يصف تلك الأحوال. وذَكَرَ له أنه اختار لطاعةِ شريف أمره الرُّجُوع عن القتال وأَعْرَض عَمَّا فيه أمرُ الناس من الاضطراب والاختلال.

الإمام المُسْتَنْصِر بالله يشكر الصُّلَيْحي

فأجاب أميرُ المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله - عليه السَّلام - عن قَوْل داعيه بكتاب قال فيه:

« وإنك بعد فراغك من قضاء فَرْض الحجّ أَهَبْتَ به إلى أن تُصْلِح بين الشريف وبين بني عَمِّه، وتسوق الجماعة إلى الإذْعان له والنزول تحت حُكْمه، وعلى أن تلتزم في خالص مالك الديّات عن الدماء التي سَفَكَها، والمغارِم الثقيلة عن الحُرُمات التي هَتَكَها، لتنام عَيْنُ الطوائل بينه وبين أربابها، وأنّك أشرت عليه بالمصالحة داخلًا له فيها[a] من جميع أبوابها مكاتبةً أولًا[b]، ومراسلةً على أَلْسُن الثِّقات آخرًا[c]. فلم تزد نارُ لجاجه إلَّا اضطرامًا، من حيث أردتها بردًا وسلامًا، وكان قُصارى جوابه لك التخيير بين النُّكُوص على العَقِب أو الوُقُوف لمكافحة القَنا والقُضُب، وأنك بقيت مترجِّحًا بين أن تَبْطِش بَحَول الله وقوته باليد الطولى أو تعتمد بتقليده البَغْي والفيئة إلى بلادك ما هو أجدر وأولى اتباعًا لأمثلة أمير المؤمنين السابقة كانت إليك ألا تُخِلّ[d]

---

[a] في السجلات: فيها له. [b] في السجلات: أولى. [c] في السجلات: أخرى.
[d] في الأصل: لا تجمل والمثبت من السجلات.

شعائر الحرم ، ولا تلقى الله سبحانه بأن تريق فوق أرضه مَحْجَم دم ، لاسيما لمن جمعه وإمامك جامع الرَّحِم ، فاستقرّ في نفسك ما أحسنها عند الله وعند أمير المؤمنين مَوْقِعًا وأجملها من مَطْلَع العقل والبصيرة مطلعًا ، وهو الرجوع الذي به حَقْن الدماء وسَكَن الدهماء من جهتك في العاجل وإن كان يقع بَأْسُهم بينهم في الآجل ، وإنك لما شَدَدت الرحال للارتحال وقد مَلَكْت الأفئدة بالإحسان والإفضال وقَعَتْ في الناس صيحةُ المخاوف والأَوْجال ، فألحفوا بأن تقيم بين ظهرانيهم في السؤال ، فأبيت الإجابة لضيق المجال ، فاتَّبَعَكَ من استطاع السبيل إلى اتِّباعك ليبلغ مأمَنًا ، والذين قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولَّوا وأعْيُنُهم تفيض من الدمع حُزْنًا ، فقد عَرَفَ أميرُ المؤمنين جميع ذلك مُسَدَّدًا لأقوالك وأفعالك مستدلًّا بغُرَر أوضاحها على ما يقضي الله سبحانه به من دَوام إقبالك ، فخَفِّض على نفسك إن ثَنَّيت عنهم عنانك ، بعد خطابهم لك بلسان الإبراق والإرعاد ، ولا تُشْفِق من أن يَظُنَّ ظان أن رجوعك عن عَجْز أو نَخْب في الفؤاد ، فلا يخفى على ذي لُبٍّ أن أميرَ المؤمنين هو الذي ثَنَى عنانك ولا وَصْمَة عليك إن قبضت دونهم بنانك .

وأما قولك أن الفئتين المختلفتين بعد خروجك تلتقيان ، فيحمى بينهما وَطيسُ الحرب ، ويكثر اختلاف الطَّعْن بينهما والضَّرْب وأنه يُخْشَى باختلافهما أن تدخل الحَرَم يدٌ غريبة ، فتبعد مسافة المراد في تدارك حاله ، وهي اليوم قريبة ، وذلك أنك إذا أُمِرت بالكَرَّة عليهم فيما يُصْلِح الفساد ويقيم المنآد ، ركبت فيهم خَيْل العجل ، وأقدمت إقدام الشُّجاع البطل مستعينًا بالله سبحانه ومتوكّلًا عليه ، ومُفَوِّضًا لأمرك إليه ، فإن كان هذا من وَجْه الرأي فتعجيله أحرى ، أو فلا محيص عن تدبير الحرم كان في جهتك ، أو في جهة أخرى ، فالذي أنت عليه حَقٌّ ، والذي نَطَقتَ به صِدْق ، ولكن لو كان للقوم آذانٌ تعي لوَعَت ، أو قلوبٌ سليمة لاستسلمت للناصح لها

واتبعت . غير أن مركب البَغْي جَمَعَ بهم لدماء تُراق وشِدَّةٍ يلتفُّ فيها السّاق بالسّاق ، وعزيزٌ على أمير المؤمنين أن تُهتَك بحَرَم الله سُتورُه أو تنعكس أموره ، والله تعالى مأمولٌ بحُسْن الكفاية برحمته ، ولولا تَخَوُّف أمير المؤمنين أن يكون له في فِتْنَة الحرب نَشْب ، أو يَصْلَى بها مثلك ممن هو إلى خدمة أمير المؤمنين منتسب ، لأَوْجَدَك في الكَرّة عليهم الرخصة ، وأباحك أن تغتنم الفرصة ، وهو يقدِّرُ أنه الآن قد التقت الفئتان و ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الذي فيه تَسْتَفْتِيان ﴾ [الآية ٤١ سورة يوسف] ، وإذا وَصَلَ الخبرُ كيف كانت الطامة وعمّا إذا انقشعت تلك الغمامة ، ألقى إليك الأمر فيما تفعله ، ومَثَّل إليك من ذلك بما تمتثله ، وهو يقول لا تدري لعلَّ الله يُحْدِثُ بعد ذلك أمرًا ﴿ سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الآية ٧ سورة الطلاق] .

ومما يرى تعجيله في الوقت مكاتبة بني الحَسَن – عليه السّلام – مُعَنِّفًا لهم على اعتياضهم حربك على الصُّلح ، وانقباضهم عن قبول ما مَحَّضته لهم من النُّصْح ، ومقابلتهم جميلك بالقُبْح ، والأمر لهم بالإجماع على أحق المتنازعين في أمر الولاية بالأمر يتنفذ إليه من التقليد ما يُؤْذِن بشَدِّ الإذْن ، ثم إليك يُساق الحديث في ما يتقرّر ، ومن تُطْوَى به صُحُفُ الولاية ، وتُنْشَر بإذن الله سبحانه .

وأما ما شكوته من قيام الشريف الأمير حَسَن بن أحمد مُؤَلِّبًا ، ولجمرات حمية الحرب في حرمك مُلْهِبًا ، من غير معرفتك لفعله سببًا ، فقد قَضَى أميرُ المؤمنين بما سَوَّلَت له نفسه من ذلك عَجَبًا ، وسيكاتبه بما يكون له مؤدِّبًا .

وأما مصادفتك عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الحُسَيني بشَعْث الحال ، وحَلُّك عنه عُقْلَة ديونه الثِّقال وأَخذِك في الصُّحْبَة عند الارتحال ، فأنت بحمد الله من الموَفَّقِين في المقال والفعال ؛ وأما سؤالك في الإنعام عليه في

المرجو له من بيت المال ، فقد وقعت الإجابة في السؤال .

فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين ورسمه ، وتوقَّع كتابه بما تمتثله وتعمل بحُكْمه إن شاء الله ، والسّلام عليك ورحمة الله .

وكُتِبَ في العَشْر الأولى من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وأربعمائة . والحمد لله وَحْدَه وصَلَّى الله على جدنا محمد خاتم النبيين وسَيِّد المرسلين وعلى الأئمة من ذُرِّيتهم الطاهرين وسَلَّم تسليمًا ، وحسبُنا الله ونعم الوكيل [ونِعْم المولى ونعم النصير] [a] [1].

ولما قَفَلَ الملك السُّلْطان الأَجَلُّ الصُّلَيْحي – رضوان الله عليه – عن الحَرَم الشريف إلى أرض مملكته ومَقَرِّ دعوته من أرض اليمن ، وَجَدَ قومًا من عَنْس وزَبِيد قد أظهروا الخلاف والعصيان والعُتُود عن الطاعة والعُدْوان ، وقام فيهم رجلٌ منهم اتبعوه وحموه عمن يرومه ومنعوه والتجأوا إلى جبل مَثْوَة وما ولاه من الجبال ، وعَظُمَ شَغَبُهم وفسادُهم فيما والاهم ظانين أنها مانِعَتُهم حصونُهم ظَنّ المحال . فَقَصدَهُم الصُّلَيْحي إلى معاقلهم وافتتحها عَنْوَةً ودَوَّخهم حتى دانوا له ، ولانوا بعد القَسْوَة وفاؤا إلى الطّاعة بعد العُنود ، ولم يجدوا عاصمًا يمنعهم من سيوفه الموردة لهم أقبح الورود ، وعَفَا عن من بقي منهم بعد أن قَتَلَ منهم كثيرًا وهم في عُتُوِّهم ، واستفتح معاقلهم أوان عِصْيانهم واستكبارهم وغُلُوِّهم ، وصار الذين اجتمعوا عليه طُعْمَةً للبواتر ، وساقهم الشّقاء إلى أن وطئتهم بسَنابِكها الخيل الضَّوامِر .

---

[a] زيادة من السجلات .

---

[1] السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٧) وهو سجل ناقص تمزق أوله ولم يجد عماد الدين إدريس نسخة أخرى يستكمل منها فاتحة السجل .

الصُّلَيْحي يكتب إلى المستنصر في شأن ولاية مكة

ثم إن الشريف صاحب مكة استشرف في انتهاب ما للداعى الصُّلَيْحي في حَلْي من النَّفَقات والمتاع ، وجَسَرَتْه نفسه بالتعدِّي فيه قصدًا لإثارة الفِتْنَة وتهييج العامة الرّعاع ؛ ووَجَدَ الصُّلَيْحي وَلَدَ عَرّاف القليدي قد رَجَعَ إلى الشِّقْوَة ، وخالفَ ما عليه أهل الدَّعْوَة ، وجَحَدَ للصُّلَيْحي نعمته ثم فَرَّ شريدًا خائفًا لذنبه مُصِرًّا عليه غير متنصِّل إلى الله تعالى ، ولا طائع لداعيه في الرجوع إليه . فكتب الداعي إلى إمامه – عليه السّلام – يشرح له تلك الأنباء ويسأله في إقامة وَلَدِ وَلَدِ قاضي مكة في النيابة عن جده في القضاء لما رآه من صيانته وفضله وأمانته فأجابه أمير المؤمنين – عليه السّلام – بما نَقُصُّه وقد أوردناه ، وهذا نَصُّه :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رَبِّ العالمين من عبد الله ووليّه مَعَدٌّ أبي تميم الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين ، **إلى الأمير الأَجَلِّ الأَوْحَدِ أمير الأمراء تاج الدَّوْلَة سيف الإمام المظَفَّر في الدين نظام المؤمنين عليّ بن محمد الصُّلَيْحي** ، نَصَرَهُ الله وأَظْفَرَهُ .

سلامٌ عليك فإن أميرَ المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يُصَلِّي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صَلَّى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين وسَلَّم تسليمًا .

أما بعد ، فالحمدُ لله فَتّاح المغالِق ، وناصر أهل الحقائق ، ذي الطَّوْل السابق والوَعْد الصّادق والحُوْلِ بأسه وسَطْوَته بكل مُنابذ لأوليائه مفارق وباغ عليهم منافق ، الذي يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهِق ، مُديل الطائعين[a] مزيل

---

[a] في السجلات : الطاغين .

العاصين ، ووَلِيِّ المؤمنين ، وجاعل العاقبة للمتقين ، القاضي للأئمة من ذُرِّيَّة رسوله – عليهم السَّلام – بخير ما قضى لأحدٍ من أهل بيت النبيين وعترة المرسلين ، مختصهم من نِعَمِه بما يعجز عن وَصْفِه الواصفون ، القائلُ وقولُه الحق ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُون ﴾ [الآية ١٠٥ سورة الأنبياء] .

يحمده أميرُ المؤمنين حَمْدَ من أجْزَلَ لديه صنيعته وحَفِظَ في آبائه الطاهرين وديعته ، وأعلى حزبه وشيعته ، ويسأله أن يَصلِّي على جَدِّه محمد خير رسول نَزَعَ بأمته من السِّمات البهيمية ورَكَّبَهم في الصُّوَر الروحانية ، ونَفَعَهم بالأسماع والأبصار وأنْقَذَهم وهم على شفا جُرُف هارٍ وهُوَّةِ حُفْرَةٍ من النار [a] – صَلَّى الله عليه وعلى أخيه أبينا أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب تُرْجُمان تنزيله وباب حكمته وتأويله ، الكاشِف لحقائق الإيمان والقاطِع لدابرِ أهلِ البَغْي والعُدْوان ، وعلى الأئمة من آلهما أعلام الدين والشُّهداء على العالمين وسَلَّم تسليمًا . وأنه عُرِضَ بحضرة أمير المؤمنين كتابان وردا منك : أحدهما صَدَرَ عنك من صَنْعَاء بتاريخ شَعْبان من سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، والآخر من مدينة الهَجَر بتاريخ شَوّال من هذه السنة . يتضمَّن الأوَّل منهما ذكر ما انتهى إليك عند قُفُولك من مكة – حرسها الله تعالى – من حال الخارجي الذي استغواه شيطانُه ، ودعاه إلى مصرعه جبنُه وخُذْلانه وقيامُه في قبائل مَذْحِج والنَّخْع وعَنْس ، فأَنْطَق لسان الغَيِّ ودعا دعوة الإفْك والبَغْي واستعصم بحصون تلك القبائل وأُنسي أن الله فوق المعاقل ، وما كان من دُلوفِك إليه في حزب الله الصالحين[b] وأنصاره[c] المخلصين ، فاستبحت حِماه وأَبَذْت غضراه وجعلته عِظَةً للظالمين وعِبْرَة للمعتبرين ، مستصحبًا من عزماتك ما تذل[d] به

---

[a] في السجلات : وأنقذهم وكانوا على شفا حفرة من النار . [b] في السجلات : المفلحين
[c] في السجلات : أنصـــار دينه . [d] في السجلات : من عزم إمامك ما يذلل لك .

الحزُون ، ويقود إليك العَصِيّ الحَرون ، ثم انكفأت إلى الجبال التي اقتصَصْت أنباءها ، فدوَّخت قُلَلها وملكت معاقِلها وحَسَمْت غوائلها ، واجتمع الكافةُ قِبَلَك على كلمة سواء في النصيحة والإعلان بشعار الدَّعْوَة الهادية ؛ وأنك في أثناء ذلك حتى وَرَدَت رُسُلُك بما حُبيت به من حضرة الإمامة وخُصِصْت بشأنه من الشَّرَف والكرامة وتَلَقيك ذلك بالإعظام وقيامك في شُكْر النِّعم أحمد قيام . وتصفُ استشراف متولِّي مكة – حرسها الله – إلى حَلْي لِما لك بها من الأمتعة والأقوات ، فإنك تستخير الله وتتوخَّى له متقدِّمًا في الإعذار والإنْذار واللين في المقال إن نجع أو أثر ، وإلَّا حاكمته إلى الله – جَلَّ وعَلا – وهو خير الحاكمين . ثم تسأل فيما يتعلَّق بعبد الله بن إبراهيم الحُسَيْني قاضي مكة بنَقْل خدمته إلى ولد ولده ، لما ذكرته من صيانته ووَصَفْتُه من أمانته .

والثاني يشتمل على خبر إصدارك الكتاب الأوَّل وما كان من اقتصاصك حال المعروف بابن عَرّاف وكُفْره النعمة وقَطْعه العِصْمَة واستبداله السَّيِّئة بالحَسَنَة ، وما انتهت إليه حالُه شيئًا شيئًا حتى مَرَّ شريدًا طريدًا ، قد سَدَّ الله في وجهه كل مَسْلَك وطريق ، فكأنَّما خَرَّ من السماء فتَخْطَفُه الطَّيْرُ أو تهوي به الرِّيح في مكان سحيق ، فإنك تقفو أثره صامدًا إلى استئصاله ، حاسمًا لأسباب غَيِّه وضَلاله ؛ وما أنبأت به من وفاة أسْعَد بن عبد الله – رحمه الله – على خير ما دَرَجَ عليه شَمْل بحقائق الدين معتصم بمناصَحَة أمير المؤمنين ، وسألته من الاسترجام عليه ولجماعةٍ من أمثاله من السابقين الأوَّلين ووَقَفَ على جميع ما نَصَحْته ، وأحاط به عِلْمًا بما اقتصصته . وأكثر أميرُ المؤمنين من حمد الله جَلَّت آلاؤه على ما يزال يُعْليه من حدود الدين أولياؤه ، ويُخْفِضُه من مَناكِد أعدائِه ، ويقضي به لأوليائه من الإعزاز والنَّصْر ، وللناكبين عن طاعته من الذُّلّ والقَهْر ، وألفاك أميرُ المؤمنين فيما تصرَّفت فيه من المقال ، وأخبرت به من تصاريف الأحوال ، مُوَفَّقًا في آرائك ، مُسَدَّدًا في

مقاصدك وأنحائك ، سالكًا مسالك أوليائه الذين شَرَحَ الله بالهُدَى صدورَهم ، ويَسَّر للحسنى أمورهم ، عاملًا بطاعة مولاك في مقاماتك مستمدًّا من زكاة الإخلاص في ولائه ما يَحْفَظ عليك أسباب سعاداتك . فلا زِلْت برعايته محوطًا في الدين والنَّفْس والحال ، آيلًا من جميل صُنْعِ الله في أُولاك وأُخْراك إلى خير مآل .

فأما الخارجي الذي حَصَدَه سيفُ الحَقِّ بجهله ، وأبسله الله بكسبه ولُؤْم فعله ، فتلك عادةُ الله سبحانه عند أولياء دينه ، وما يَمُدُّهُم به من نَصْره وتمكينه ، وكفى به عِظَةً لو كانت تَنْفَعُ العِظات أو تَصْدَعُ بالاستبصار أغشيةُ قلوب ذوي الجَهالات ، وما يَرِحَ من آثار مساعيك أَرَجٌ تتعطَّر به المحافِلُ ويتلوه في الأندية الأفاضل ، والله يَمُدُّك من خدمة مولاك وإمامك بعَوْنِه ، ويَكْلأ في منقلبك ومثواك بعينه .

وأما ابن عَرَّاف الذي طُبِعَ على قلبه وأخذ عن رشده وخَتَمَ له بشَرِّ خواتم الأعمال ، واستبدل بضياء الهدى ظُلَم الضَّلال ، وصار من الأَخْسَرين أعمالًا الذين ضَلَّ سَعْيُهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحْسِنون صُنْعًا . فقد كان اتصل بحضرة الإمامة نبأه وقد وَرَدَ وَلَدُه مكة – حرسها الله – واجتماعه بالشريف الأمير فخر المعالي ذي المجدين – سَلَّمه الله – وما أظهره من الإعراض عنه والحَذَرَ منه . وكوتب عن أمير المؤمنين بإخماد ما انتحاه ، واستئناف ما قَصَدَه وتَوَخَّاه ، والآن قد أَمَرَهُ أميرُ المؤمنين بأن يقود ولد عَرَّاف إليك قَوْد الجنيب ، أو يحمله إلى الحضرة فيكون له فيه الرأى المصيب .

وأما عبد الله بن إبراهيم فقد وَقَعَ ما وَصَفْتَه به أجمل مواقعه وأجيب إلى ما التمسه في وَلَدِ وَلَدِه ، وقد أجابك أميرُ المؤمنين إلى ما طلبته من التَّرَحُّم

على أَسْعَد ، وَقَدَّم ذلك عند ذكره فطوبى له وحُسْن مآب . إذ جعله الله ممن توفي على نَهْج أوليائه المخلصين الذين تتوفّاهم الملائكةُ طيبين ؛ فالله تعالى يُصْلِحُ أحوالَ المؤمنين قِبَلَك ويختصهم بخير ما أَعَدَّهُ الله لذوي البصائر في الدين ، والمجتهدين في ولاية أئمتهم المجاهدين . وينبغي أن تتحقّق أن مكانَك من حضرة أمير المؤمنين مكين ، ومَوْقِعَك من إثرته موقع القوي الأمين الذي أَخْلَص لله ولوليّه باطنه وظاهره وأَحْصَدَ على التمسّك بعصم آدابه مرائره . فقد كَشَفَ له بالإرشاد غِطاء قلبه ، وتبيّن له نَهْج الهُدَى فهو على بيّنة من رَبّه وتواصل إنهاء ما يتولّف من أنبائك لتشملك بركاتُ دعاء إمامك وتكنفك الميامن من خَلْفِك وأمامك . وقد خُوطِبَ رُسُلُك بما يذكرونه لك مما يُقَوّي نفسك ويشرح صدرك ويشدُّ أَزْرك ، وزاد أميرُ المؤمنين في نعُوتِك « عُمْدَة الخِلافَة » لاعتماده عليك ، وسكونه إليك ، وشَرّف كريمتك بالخطاب بـ « الفاضِلَة » لما ظهر من فضلها وتميّزها بالدين والخصائص على أبناء جنسها . ولكما مزيدٌ من إحسان أمير المؤمنين وإدنائه النافع في الدارين ، فاعلم ما خاطَبَك به أميرُ المؤمنين متشرّفًا بخطابه ومتجملًا بكريم جوابه ، واجر على وتيرتك المرضية في خدمته ، وسُنّتك المحمودة في مناصحته [إن شاء الله][a]. والسلام عليك ورحمة الله . وكُتِبَ لتِسْعٍ خَلَوْن من جمادى الأولى من سنة ست وخمسين وأربعمائة .

والحمد لله وصَلّى الله على جَدّنا محمد رسوله خاتم النبيين وسَيّد المرسلين وعلى آله الطاهرين الأئمة الهادين وَرَثَة النبوة وسَلّم تسليمًا ، وحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيل »[1].

---

[a] زيادة من السجلات .

---

[1] السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٤) .

ثم إن أميرَ المؤمنين – عليه السَّلام – رَسَمَ على الشريف فخر المعالي ذي المجدين شُكْر الحسني – صاحب مَكّة المُشرَّفَة – بالدخول تحت طاعة الداعي الصُّلَيْحي ولزوم أوامره وزواجره عن الطموح في سَعْي مُخالِفِه ومُكابِرِه، فاستمع الشريفُ قولَ إمامه، وجرى الأمر بينه وبين الصُّلَيْحي على أحسن نظامه، فأقام الداعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي بصَنْعَاء في مُلْكٍ عاليةٍ أعلامُه باسمةٍ أيامُه، يَنْظُرُ إليه بعين الرَّحْمَة والشَّفَقَة إمامُه، ويُجْري بالعَدْل والإنصاف أحكامه، حتى كان ما نحن نذكره إذا انتهينا إليه ونأتي بُجَمَلٍ منه في موضعه، ومن الله نستمد المعونة ونتوكّل عليه.

بَقِيّةُ أخبار الحَضْرَة المستنصرية

ونرجع الآن إلى ذِكْر ما كان في الحَضْرة المستنصرية[1] وقيام الأمور واتِّساقِها بعُلُوِّ الدَّوْلَة الإمامية العَلَوية، وما كان في أثناء ذلك من الامتحان بغُلُوِّ من تسامى للترفُّع في تلك الأبواب وبَسْط أيديهم في المملكة بغير استحقاق ولا استيجاب، فكانوا في غُلُوِّهم كالنَّيازِك لما ارتفعت وقَعَت، ونَالَ الأولياءُ لذلك ما كثرت شعوبه واتَّسَعت؛ ومن ذلك ما رواه الداعي المؤَيَّد في الدين عِصْمَةُ المؤمنين حين ذَكَر هجرته إلى الباب الطَّاهر وهِجْرَة الإخْوان والعشائر.

---

[1] يعتمد إدريس في سياق أحداث تاريخه على ذكر الأئمة وما جرى في عهدهم، ولكنه في هذا الجزء المرتبط بتاريخ اليمن–مسقط رأسه–يبدأه بذكر حال الدَّعْوة اليمنية ثم يعود الآن لتوضيح الأحداث التي جرت بحضرة الإمام المستنصر بالله.

سيرة داعي الدُّعاة المُؤَيَّد في الدين

قال: «لما كَشَفْتُ عن مقاصدنا [a] ستورَ القِفار وأَنَخنا فألْقَيْنا عَصَى التَّسْيار، أدخلوني من باب القاهرة المعزية إلى باب قصر الخلافة، فاستلمت على جاري العادة في مثله الأبواب ولحت الثَّرَيَّا تحت قدمي إذ تَرَشَّفْت ذلك التراب، فأُجلسوني هُنَيْهَة لأفيق من غَشْيَةَ الهَيْبَة التي ملأت جوانحي لما غشيت المَسَرَّة بمشاهدة ذلك المقام قلبي وجوارحي، وأدخلوني إلى الوزير كان المعروف بالفَلاحي[1]– رحمة الله عليه– فرأيت شيخًا عليه من الوَقار مِسْحَة، ومن الإنسانية سمة، فأدناني وقَرَّب وأَكْرَمَ ورَحَّبَ. وخرجت فأخذوني إلى دُوَيْرَة كانت فُرِشَت لي هي من الكرامة في الدرجة الوسطى من الحال لا بالإكثار وبالإقلال.

---

[a] في السيرة: حتى إذا كشفت عن مقصدنا.

---

[1] أبو منصور (وفي بعض المصادر أبو نَصْر) صَدَقَة بن يوسف بن عليّ الفَلاحي الملقب بالوزير الأجلّ تاج الرئاسة فخر الملك مصطفى أمير المؤمنين. كان يهوديًا وأسلم وتولّى الوزارة للمستنصر بالله في سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م بعد وفاة الوزير عليّ بن أحمد الجَرْجرائي إلى أن قُبِضَ عليه وقُتِلَ في سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م (ابن الصيرفي: القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة ٧١– ٧٢؛ ابن ظافر: أخبار (الدولة الفاطمية) ٧٨؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٣، ٨؛ ابن الأثير: الكامل ٩: ٥٥٢؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢١٥– ٢١٦؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٦: ٣٥٦– ٣٥٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٦: ٣٠٣؛ المقريزي: الخطط ١: ٤٢٤– ٤٢٥، اتعاظ الحنفا ٢: ١٥٩. ١٩٠– ١٩١، ٢٠٣؛ المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمى ٢٥٤–٢٥٥).

المـؤَيَّدُ والتُّسْتَري

وقيل لي إن هاهنا رجلاً[a] يكنى بأبي سعيد[b] التُّسْتَري[١] يحلّ منه الوزير الذي دَخَلْت عليه محل اللَّفْظ من المعنى، وهو لأمور هذه المملكة الأساس والمبنى، وكان ذلك الرجل خبيث الفؤاد مخالفًا لأولياء الله والتابعين لهم في النِحْلَة والاعتقاد، فتوجَّهْت إليه في غَدٍ على ما مُثل لي، فرأيت منه اهتزازًا لرؤيتي واهتشاشًا، واحتاشني وفورُ قبوله وحفاوته احتياشًا، وخَرَجْتُ من عنده بثيابٍ ودنانير خرجت لي من خزانة السلطان - خَلَّد الله ملكه - على يده. وتَوجَّهْتُ بعد ذلك إلى المرسوم بالقضاء والدَّعْوَة الذي كان باب حِطَّتِنا[٢] ونحن بالبُعْد، والواسِطَة بيننا وبين مجلس الإمامة وهو يومئذ القاسـم

---

[a] في السيرة: يهوديا. [b] في السيرة: أبي سعد.

---

[١] أبو سعيد (وفي بعض المصادر أبو سعد) إبراهيم بن سَهْل التُّسْتَري كان وأخوه أبو نصر يشتغِلان بالتجارة، فاستخدم الخليفة الظاهر أبا سعيد في ابتياع ما يحتاج إليه من صنوف الأمتعة، وتقَدَّم عنده فباع له جاريةً سوداء تحظّى بها الظاهر وأولدها ابنه المستنصر فرعت ذلك لأبي سعيد. فلما أفضت الإمامة إلى ولدها فوّضَت إليه أمر ديوانها وعظم شأنه حتى صار ينظر في جميع أمور الدولة وأصبح الوزير لا يعمل إلّا بما يحدّده له (ابن الصيرفي: الإشارة ٧١؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٣- ٥؛ ناصر خسرو: سفرنامة ١٠٨- ١٠٩؛ النويري: نهاية ٢٨: ٢١٦- ٢١٧؛ المقريزي: الخطط ١: ٣٥٥، اتعاظ ٢: ١٩١؛ أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية ١٩٨؛ J. Mann, *The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs* I,pp. 76-83 ; W. J. Fischel , *Jews in the Economic and Political Life of Mediaeval Islam*, New York 1969, pp. 68-98

[٢] باب حِطَّة أي باب الدعوة أو باب الأبواب أو داعي الدعاة، مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿وإذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هذه القَرْيَةَ وكُلُوا منها حيثُ شئتُم وقولوا حِطَّةٌ وادْخُلُوا الباب سُجَّدًا نَغْفِرْ لكم خَطِيئَاتِكُم سَنَزِيدُ المحسنين﴾ [الآية ١٦١ سورة الأعراف].

ابن عبد العزيز بن محمد بن النُّعمان[١] – رحمه الله [a]– فرأيته رجلًا يصول بلسان نسبه في الصّناعَة التي وُسِمَ بها دون لسان سببه ، فارِغًا كفؤاد[b] أم موسى – عليه السّلام – وفيه جُنُونٌ يلوحُ من حركاته وسكناته وهو مع ذلك موتورٌ مني بما أَوْحَى إليه بعضُ شياطين الإنْس من أنني ربما زاحمته في مكانته بمالي من تَنَبُّهٍ في الأمر الذي هو في غَمْرةٍ منه مع تَوَسُّمه وانتحاله له . ولما كان في يوم تأدّيه ، وقد حضر القصر الشريف ، ورأيته استوى على كرسيه لقراءة ما يقرأه على المؤمنين ذكرت قول الله تعالى حكايةً عن الهُدْهُد ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهم وأُوتِيَت مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَـرْشٌ عَظِيمٌ ﴾[٢] [الآية ٢٣ سورة النمل] . قال « وكان المكنى[c] بأبي سعيد المتظاهر بعزّ الإسلام يَلْقاني بكل بِشْرِ وَجْهِه[d] ويخاطبني بكل خَيْرِ لسانُه ، ويعدني أنه يَصْطَنِعني لسلطانه – خَلَّد الله ملكه – ويجعلني بِرسْم خدمته ويمنعني أن أمضي إلى باب أحَدٍ من المصطنعة والأكابر ، فيكون وَكْسًا عليّ فيما يريدني له ويسوقني إليه من المنزلة الجليلة ، فلما استفاض هذا الذِّكْر من جهته وملأ الأسماع سماعه من لفظه ، قامت الحَسَدَة من الشياطين المَرَدَة فدخلوا في عقله وقالوا كيف يطوع في نفسك أن تأخذ بهذا الأعجمي في الدخول إلى المقام الذي أنت مخصوصٌ به ومُرَتَّبٌ له ، وما يُؤمنك إذا أدخلته أن يخرجك ، وإذا أقدمته أن يُؤَخِّرَك . وهو أبْسَطُ

---

[a] في السيرة : رحمه الله وإيانا . [b] في السيرة : مثل فؤاد . [c] في السيرة : وكان اليهودي المكنى . [d] في السيرة : بكل يوم يبشر وجهه .

---

[١] القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النُّعمان ، قاضي القضاة صرف عن القضاء في ثاني المحرم سنة ٤٤١هـ ، وهي ولايته الثانية ، وكانت ثلاث عشرة سنة وشهرًا وأربعة أيام (ابن ميسر : أخبار مصر ٩؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٢٠٨؛ ابن حجر : رفع الإصر عن قضاة مصر–خ ١٩٥–١٩٦).

[٢] المؤيد في الدين : سيرة ٨١– ٨٢.

منك لسانًا وأقوى جنانًا وهو مُدِلٌّ بعِزّ الإيمان والتخصُّص بالدَّعْوَة وسابق الخدمةَ . ولم يزل هذا الحديثُ يتوارد على سمعه حتى تَشَرَّبَه قلبه ، واستولى على حواسِه سُكْره ، فرأيتُ الرجل منقلبًا عينه ، مغموضة عن حُسْن الملاحظة عينه ، متلفِّتًا دوني وجهُه ، مغلولةً إلى عنقه يدُه ، فلم أزل أحمل على قلبي من الهَمّ ما حَدَث من نتيجته أني أحسستُ ليلةً من ليالي شهر رمضان كنت أفطر عند الفَلاحي – رحمة الله عليه – كأن قلبي ثارت فيه[a] نارٌ وانتهت فيه إلى أم رأسي ، وأصابتني غشية ، فقطعت على الجماعة الأكل وشغلت منهم القلوب »[1].

ولم يزل بين المُؤَيَّد في الدين وأبي سعيد التُّسْتَرى قوارضُ وقوارعُ حتى قال المُؤَيَّد في الدين له « إن المقصود هو صاحب هذا القصر الذي هو إمامُ الزَّمان ، دون الوزراء والوسائط والأعْوان ، فإن كان لوجهه إليَّ التفات غير أن عنده وَجْهًا عني يلفته وللسانه معي مخاطبه ، سوى أن له مخاطبًا عن مخاطبته يسكته ، فلا خَيْر في مقامٍ على باب من يكون محجورًا عليه ، ويكون مقاليد أمره بيدي غيره لا بيديه » ، فلما سمع التُّسْتَري ذلك وأنه قد كشف له بِما كان مستورًا ، هاج كالجمل بُعْدًا ونُفُورًا ، ولم يزل بينهما المماحكة والمعاركة والمُؤَيَّد في الدين يُخْفِضُ في الأندية والمحافل من مناكبه ويعترضه بما يحرق قلبه في مجالسه ومواكبه زمانًا طويلًا ، حتى أراح الله من التُّسْتَري وقَتَلَه الأتراك ، قيل إن ذلك عن رأي دَبَّرَه الوزير الفَلاحِي ليَسْلَم من شَرّه ولا يعلم أن ذلك داعيةَ هلاكه وفناء عمره ، فلما زالت الظُّلْمة بقَتْل

---

[a] في السيرة : قامت منه .

---

[1] المؤيد في الدين : سيرة ٨٢– ٨٣.

التُّسْتَرِي[1] الغَوِيّ وتجلّت ، وألقته الأرض عن ظهرها ومن ظُلْمِه تَخَلَّت ، مَدَّ الداعي المُؤَيَّد في الدين باعَ الطُّلْبَة لمشاهدة غُرّة إمامه وأن يُبِلَّ بمشافهة حضرته ما يجد من إدامه ، وكان للفَلاحي صَدَقة بن يوسف - رحمة الله عليه - في ذلك العناية المحمودة والورود إلى مقام أمير المؤمنين - عليه السَّلام - الذي لم يزل يشتاقُ وروده[2].

لِقاءُ المُؤَيّد في الدين بالإمام المستنصر بالله

قال المُؤَيَّد في الدين : « فدخلت إلى مجلس الخلافة في آخر يوم من شعبان سنة تسع وثلاثين وأربعمائة . قال : وكنت في مسافة ما بين السَّقِيفَة الشريفة والمكان الذي أَلْمَحُ فيه أنوارَ الطَّلْعَة الشريفة[a] النبوية ، كما قال المُتَنَبِّي أبو الطَّيِّبِ أحمد بن حسين مخبرًا عن رسول الرُّوم حين دخوله على ابن حَمْدان ، وإن كان بين الجهتين فَرْقُ ما بين السَّحاب والتراب ، حيث قال :

[الطويل]

وأَقْبَلَ يَمْشي في البساطِ فما دَرَى ... إِلى البَحْرِ يَسْعَى[a] أَم إلى البَدْرِ يَرْتَقي[3]

فلم تقع عيني عليه - صلوات الله عليه - إلّا وقد أخذتني الزَّمْعَة[b] وغَلَبَتْني العَبْرَةُ ، وتَمَثَّل في نفس أني بين يَدَي رسول الله وأمير المؤمنين - صَلَّى الله عليهما - ماثِلٌ وبوجهي إلى وجهيهما مقابلٌ ، واجتهدت حين تقبيلي الأرض

[a] زيادة من السيرة . [b] في الأصلين : يَمْشي والتصويب من الديوان . [c] في السيرة : الروعة .

[1] قتل أبو سعيد (سعد) التستري يوم الأحد لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة ٤٣٩هـ (انظر تفصيل ذلك عند ابن ميسر : أخبار مصر ٤؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ٢١٦؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ١٩٥).

[2] قارن المؤيد في الدين : سيرة ٨٤.

[3] ديوان المتنبي ، مطبعة هندية ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م ، ٢٦٤.

لوَليِّ ذلك ومستحقه[a]، أن يشفعه لساني شفاعةً بنطقه، فوجدته بعُجْمَة المهابة معقولًا، وعن مَزِيَّة الخطابة معزولًا، ولما رَفَعْتُ رأسي وجمعتُ عليّ للقعود أثوابي، رأيتُ بَنانًا تشير إليّ بالقيام لبعض الحاضرين في ذلك المقام، فقَطَبَ أميرُ المؤمنين – خَلَّد الله ملكه – وجهَه زَجْرًا على أنني ما رفعت له رأسًا ولا جعلت له قَدْرًا، ومكثتُ بحضرته ساعةً لا ينبعث لساني لينطق ولا يهتدي لقولٍ، فكلما استطرد الحاضرون مني كلامًا ازددت إعجامًا ولعَقَبَة العَيِّ اقتحامًا وهو – صلَّى الله عليه، وخَلَّدَ ملكه – يقول: «دعوه حتى يهدأ ويستأنس»، ثم قُمتُ وأخذتُ يده الكريمة فتَرَشَّفْتُها وتركتُها على عيني وصدري ووَدَّعت وخرجت». قال: «فهذه قِصَّتي في أوَّل يوم، وعند خروجي من ذلك الموضع توجَّهت إلى الفَلاحي – رحمة الله عليه – فأفرشته القضية وأوضحت له القصة[b]، في لسانٍ خانني عند الحاجة إليه، وشُقَّةٍ بَعُدَت عليّ من حيث نزلت عن دابتي إلى حيث وردت عليه؛ فقال: أما بُعْد الشُّقَّة فسيكفيكه ما أُرَتِّبه لك في هذه النَّوْبَة من القُعود بباب المجلس الذي يكون منه المدخل إلى حضرة أمير المؤمنين، حتى تأخذ بحظك من الاستراحة قبل الدخولِ، وأما الحِشْمَة فيحل عقدها المقاربة والمباسطة، قال: ففعل – رحمه الله ورضى عنه – ما وَعَدَ به وأَمَّنَني على موضع لا يأمن بعده الوالد ولده والأخ أخاه. والله يحسن عن حُسن الثقة بي جزاءه»[1].

وما زال المُؤَيَّد في الدين مُقَرَّبًا إلى حضرة إمامه وفي الدخول إليه متى شاء، غير ممنوع من مرامه، حتى قَضَت على الفَلاحي – يرحمه الله – قاضية

---

[a] في السيرة: عند وقوعي إلى الأرض ساجدًا لولي السجود ومستحقه. [b] في السيرة: فأفرشت له القصة وأوضحت له الصورة.

---

[1] المؤيد في الدين: سيرة ٨٥–٨٦.

حِمامِه ، وذلك أنه تطاول من زَيَّن لبعض الجهات[١] – التي كان التُّسْتَري يتولَّى خدمتها – أن قتله بسببها ، فأثار منها نار غضبها فصَدَرَت منها رُخْصَة ساقته إلى الحِمام ووَلِيَ قتله والفَتْك به بعض الحاشية والخُدَّام من التركمانية الذين دأبهم القَهْر والسَّطْوَة وغِلَظ الطِّباع ومعاودة القَسْوَة .

فأقيم أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري[٢] في الوزارة ، وكان أوّل ما ابتدأ به أن صَدَّ المُؤَيَّد في الدين عن الحصول في الحضرة المقدسة ، وقال إنه يختص بالفَلَاحي ولا يُؤْمَن جانبه أن يرفع ما أسَّسه ، فصار المُؤَيَّد في الدين جاريًا في ميدان الامتحان إلى أبعد مِضْمار مدفوعًا عما هو أحَقُّ به وأولى من منزلة الاختصاص والإيثار . وهو مع ذلك صابرٌ على ما ابْتُلِيَ به من الامتحان ، مُطاول لمن أراد تقصيره بإقامة الحُجَّة وإيضاح البرهان ، غير مستتر فضله إذ ستروه ، وهو يبدو كلما دفعوه وأنكروه .

وَجَرت هنات قد ذكرها المُؤَيَّد في الدين في «سيرته» وقَصَّ فيها ما كان من قصته وما زال يَلْقَى الأَذِيَّة والبَلِيَّة ، وهو على ذلك يزداد في حُسْن العمل وخُلُوص النِّيَّة ويتوسَّل في الدُّعاء إلى من جَلَّ وعلا ليكشف من ذلك الامتحان ما نابه ويزيل ما عراه ويقرب من مقام إمامه جنابه . وجَرَت بينه وبين الوزير اليازوري وَحْشَةٌ ومُباعَدَةٌ .

---

[١] أي السيدة والدة المستنصر بالله .

[٢] أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري ولي قضاء القضاة يوم الاثنين الثاني من المحرم سنة ٤٤١هـ ولُقِّب بـ « قاضي القضاة وداعي الدعاة الأجل المكين عمدة الدين أمين أمير المؤمنين » ثم أضيفت إليه الوزارة في سابع المحرم سنة ٤٤٢هـ ونُعت بـ « الناصر للدين غِيَاث المسلمين الوزير الأجلّ المكرم سيد الرؤساء تاج الأصفياء قاضي القضاة وداعي الدُّعاة » ، وهو أول من جمعت له الوزارة والحكم والدعوة في الدولة الفاطمية ، وقبض عليه المستنصر سنة ٤٥٠هـ وسَيَّره إلى مدينة تنيس حيث قتل في شهر صفر من هذه السنة (ابن ميسر : أخبار مصر ١١؛ ابن الصيرفي : الإشارة ٧٣؛ المقريزي : المقفى ٣: ٣٦٦– ٤٠٨؛ ابن حجر : رفع الإصر ١: ١٩٠–١٩٧) .

وكانت هِمَّة الداعي المؤيد أبِيَّة ونفسه عليَّة يأبى أن يَقْبَل الضَّيْم ويعلو عن الدُّنُوّ لمن يستحق العُلُوّ عليه والتعظيم، ومازال ذلك مقدار سبعة أشهر أو يزيد، حتى ثارت بنو قُرَّة[1] وأظهروا الشِّقاق وحَشَدوا الحُشُود وجاءوا بالعُدَّة والعديد، حتى بلغوا الجيزة، فعند ذلك أمر أميرُ المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – عليه السَّلام – بخروج عَسْكَر عليهم وأن يُقَدَّم الأمير عزيزُ الدَّوْلَة [رَيْحان] وأبو الفَرَج المَغْربي عليهم، فالتقوا في موضع يسمى أرض الخمسين، وذلك في سنة سبع وأربعين وأربعمائة، فجرى بينهم قتالٌ شديدٌ، جَعَلَ الله فيه النَّصْرَ للجيوش المستنصرية، وانهزمت بنو قُرَّة، مولين الأدبار بعد الإقدام والحمية، وقُتِلَ منهم خلقٌ كثيرٌ، وكان فَتْحٌ لم يُسْمَع بمثله أرغم الله به كل مُعانِد للدولة، وعاد معانِدُها بخيبة وذِلَّة، فأُفيضت على الوزير اليازوري الخِلع السَّنِيَّة، وفاضت على يديه للعساكر العطايا المستنصرية، وصار للتهاني مَقْصِدًا وورد كل أهل الدولة منه موردًا، فاجتمع أصحابُ الداعي المُؤَيَّد في الدين إليه وسألوه أن يكون من قُصَّاد الوزير، وأن يُلِمَّ به مهنئًا، كما ألَمَّ به أهلُ الدولة الصغير منهم والكبير، وما زالوا به حتى أَمَّه إلى دار وزارته وأدى إليه الهَناء بما أتاح إليه من نَصْرِ وَلِيِّه وعُلُوِّ دولته؛ ثم كانت بينهما معاتبةٌ أَفْضَت إلى أن أدخل الوزيرُ المُؤَيَّدَ في الدين في كُتَّاب الإنشاء وزاده في الرِّزْق زيادةً ليست مما ينشأ. والمُؤَيَّد في الدين لا يرضى تلك المنزلة له محلًّا، وهو عن الوقوف فيها أحرى أن يُرْفَع وأولى، وكانت بينه وبين الوزير في ذلك معاتباتٌ ومخاطباتٌ وقال له المُؤَيَّد في الدين: لا تَمُنَّ عليَّ بما أعطيتني، فالذي مَنَعْتَ أكثر، ولم يَطِب له عيشٌ في ذلك ولا استقرَّ، لأن الدنيا هَيِّنة

---

[1] بنو قُرَّة عرب البحيرة. بطن من بطون هلال يرجعون في نسبهم إلى قُرَّة بن عمرو بن ربيعة من العرب العدنانية. كانت منازلهم فيما بين مصر وإفريقية (النويري: نهاية الأرب ٢: ٣٣٨؛ المقريزي: البيان والإعراب ٢٢؛ كحالة: معجم قبائل العرب ٣: ٩٤٤).

عنده بما فيها. وقَصْدُه ونِيَّتُه القُرْب من إمامه وهي التي يَصُدُّونه عنها ويضعونه وكان عند الله وجيهًا.

ظُهُـورُ السَّـلاجِقَة

وما زالت الأحوالُ كذلك، وجَرَت بُرْهَةٌ من الأيام ومضت عليه شهورٌ وأعوامٌ حتى اشتعلت نارُ الفِتْنَة التركمانية، وطالت أيديهم بالبَغْي والظُّلْم في الجهات الإسلامية [١]، وانتهوا إلى الرَّيِّ، فنال الناسُ من خوفهم أَشَدَّ الشديد، واضطرب لقوة بأسِهم القريبُ والبعيدُ، وجَرَت بينهم المكاتبة هم ونَصَارى الرُّوم على الاجتماع للاستيلاء على الدولة العَلَوِيَّة، وأطمعتهم أنفسهم في ذلك ليصطلموا الإسلام بالكلية وعَقَدوا على أن يكون الشام طعْمَةً للروم، وطُعْمَةً ينتهزون بها الفرصة ورَجَوا أن ينال كل منهم ما يروم، وكان ابن المُسْلِمَة [٢] وزير الخليفة العَبَّاسي مغناطيس الشَّرِّ وعلى يديه وتدبيره مجرى ذلك الأمر، وزاد أمر التركمانية لما وَثَبَت على العراق بالفَساد في الأرض وبَسْط الأيدي في الأموال والحريم والاستنان بسُنَّة من لا يؤمن بالله العظيم [٣].

واستأذن المُؤَيَّد في الدين أن يكاتب أبا الحارث والعَسْكَر البغدادي بشد أَزْرِهم والإشعارِ لهم بقيام الدَّوْلَة العَلَوِيَّة في صلاح أمرهم، فكتب إليهم كُتُبًا

---

[١] يقصد المؤيد في الدين الشيرازي بلفظ التركمانية: الأتراك السَّلاجِقَة.

[٢] الوزير أبو القاسم عليّ بن الحسين بن أحمد بن المُسْلِمَة المعروف برئيس الرؤساء شرف الوزراء جمال الورى، وزير الخليفة العباسي القائم بأمر الله (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١: ٣٩١؛ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ٢٩٥؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة (الدولة العباسية) ٢٦٤؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٥: ٢٤٧–٢٥٣، ابن ميسر: أخبار مصر ١٩؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٥٣؛ Cl. Cahen, *EI*^{2} art. *Ibn al-Muslima* III, pp. 915-16

[٣] المؤيد في الدين: سيرة ٩٤–٩٥.

بذلك وأصدر بها رسولًا ، فوافى رسولُه قبل وصوله ريب الحِمام وضاعت تلك الكُتُب فلم يوصل بها إلى المُرام ، وخَرَجَ المُؤَيَّد في تلك السنة حاجًّا إلى بيت الله الحرام ، واستأنف المكاتبة إلى بغداد ، فلم يصل كتابُه إلَّا وقد وَصَلَ طُغْرُلْبِك إلى بَغْداد بجنوده التركمانية ، ومَلَكَ أمر الخليفة العبّاسي ، فصار له تدبيرُ ملكه ، وهو من وراء ستره ليس له في الدَّوْلَة البغدادية بَسْطَةٌ ولا يملك شيئًا من الأمر يستطيع ضَبْطَه ، وكان دخولُ التركمانية برأي وحيلة دَبَّرَها ابن المُسْلِمَةَ فَرَّق بها من العساكر البغدادية الشَّمْل ، وقَطَع من بني بُوَيْه الفَرْع والأَصْل [١].

وزالت مملكةُ بني بُوَيْه وصار الأمرُ لطُغْرُلْبك التركماني خالصًا ، ولما انتهت كُتُبُ المُؤَيَّد في الدين إلى أبي الحارث وصحبه ، سُرُّوا بها وبإقبال الدَّوْلَة العَلَوِيَّة عليهم وعاد روح الحياة إليهم ورَجَعَ جوابُهم يشكرون ويدعون ويقولون : ما أتينا من قِلَّة ، ولا غَلَب علينا من ذِلَّة ، لكنّا عن قوس المكرب رُمينا ، وبماء السحر سَقَيْنا ، ونحن لكم الكُفَلاء نأخذ البلاد بأيدينا وسألوا الإنجاد بالنَّصْر والإمداد بالخيل والمال والسلاح ، ليمضي عزمُهم وأن كل ما صُرِفَ في تلك الجهة ونفذ في تلك الوجهة فهو يعود أضعافَه إذا كان للدَوْلَة العَلَوِيَّة لتُمَكُّن في الأرض ، وصار كلُّ مرتفع لدولتهم إلى الخَفْض ، فوقع من أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – إسعافُ مرادهم والقيام في ردئهم وإمدادهم واهتم بإخراج المال والعُددِ والسِّلاح لينفذ كل ذلك إليهم ويقدم به عليهم ، ويُحَدِّث الوزير أن المُؤَيَّد في الدين يكون صاحب حملها والقيام بعقد تلك الأمور وحَلِّها . وجاء إلى المُؤَيَّد في الدين يخاطبه أن يكون صاحب تلك النَّوْبَة الذي يقام به وحدها ويردم به سَدَّها ، وقال له : إن

---

[١] المؤيد في الدين : سيرة ٩٦.

مولانا – عليه السلام – قال : لم لا يكون المؤيَّد المنتدب لهذا الأمر والمنتصِب له والمتوجِّه إليه فيه [a]، وله الوَجاهَةُ والمخبرة ؟ فقال المؤيَّد في الدين : أمولانا – خَلَّد الله ملكَه – عنده خبر مني أو مختبر لإصلاحي في أحوالي [b]، لقد فَرَّختَني أيها الوزير بهذا القول ، فما ظننتني قبل هذا اليوم أن أخطر منه ببال ، ولا أنَّ ذكري مما يجري على لسانه بحال ، وما باله إلى اليوم لم يذكرني في الذاكرين ، ولم ينظر إليَّ في الناظرين ، فحين دَهَمَ هذا الأمر تَنَغَّصَ لي بحُصْرم عُنقوده [c] الحامض ووقع الاهتمام بتأديتي إلى معاناة يومه الرافع الخافض ، ومقاساة قومه الذين طالما رأيت الكُفاة من الوزراء الذين يكل حد المشرفيات دون شبا أقلامهم يستقيلون من مُقاساتهم ومُقاساة أيامهم . فلم يزل به الوزير مخاطبًا له باللِّين والشِّدَّة وقائلًا له : إن هذا البلاء المبرم لا يحل غيرك عَقْدَه . وقال له فيما قال : افتقرنا إليك وافتقرت الدولة والإسلام والمسلمون ، ودينك [d] يقتضي أن تُصْرِخ صريخهم ، وتجير مستجيرهم ، وما زال القول بينهما يرتفع ، والمؤيَّد يأبَى ذلك ويمتنع حتى أجاب بلسان الإكراه ، وقد تؤدى الضرورة إلى أن يلفظ بغير ما يوافق القلوب الأفواه ، وكَتَبَ إلى أمير المؤمنين – عليه السلام – رُقْعَةً ذكر فيها أني إلى ما أُكْره من هذه الجهة مجلوب مجبور [e] على ضعف مِنَّتي وقصور حركتي وكون الأمر عسيرًا خطيرًا ، وأن عليَّ أن أجتهد فما أصبت فيه فبما رحمة من الله ويُمْن دولة مولانا وإقبالها – أدامها الله – وما أخطأت فيه فلا يتوجَّهن عليَّ عَتَبٌ ولا لائمة ، ولا يعترضن لي فيما أحلُّ وأعْقِد يد عارضة . فظهر الجواب على ظهر رُقْعَته بالإمضاء ، ودُعِيَ المؤيَّد في الدين إلى تغيير لبسه وأن يتقمَّص قميص الوزارة ، ويأخذ ما يشاكلها من الزينة [f]، فقال معاذَ الله أن أُغَيِّر شيئًا من

---

[a] السيرة : والمتوجه فيه . [b] السيرة : لأحوال صلاحي وفسادي . [c] السيرة : بعنقود حصرمه .
[d] السيرة : ديانتك . [e] الأصول : مجنوب والمثبت من السيرة . [f] السيرة : الرتبة .

زينتي[a] وأتّخِذ غير لبوس العِلْم والعلماء الذي جرت به عادتي ، ولم أكن في عُنْفوان شبابي ممن صغى إلى ذلك قلبه ولا ثابت إليه نفسه ، فكيف والشيب قد علاني ونذيره إلى فراق متاع الدنيا قد دعاني[1].

المؤيّد في الدين يؤازر حركة البساسيرى

ثم وَقَعَ الأمرُ على بروزه من القاهرة غد يومه ودُعِيَ إلى مجلس الخلافة للتوديع ، وأفيضت عليه الحُلَل والكساء التي لم يُعْذَر من لبسها منسوجة ذهبًا إبريزًا مباهاةً لأعداء الله الذين خَرَجَ إلى لقائهم وتشريفًا له وتعزيزًا ، وأُدْخِلَ بعد ذلك إلى حضرة أمير المؤمنين ، وقد حضر حضرته الوزير وابناه ، قال المُؤَيَّدُ في الدين : فقَبَّلْتُ الأرض ودَعَوْت وجلست فقلت للوزير : بَلَغَني أن خيامَنا ضربت بحيث يبعد المدى بينهما وبين البلد ، فبَعُدَت الشُقَّة على غلماننا في قضاء الحاجات ، فقال أميرُ المؤمنين – عليه السّلام[b]– أنا الذي اخترت لك ذلك المخيم وأبيت أن تنزل المنزل الذي نزله أمير الأمراء حين تَوَجَّه إلى حَلَب ؛ قال : فقبَّلْتُ الأرض ودَعَوْت وقلت ما وراء هذا الاختيار اختيار ، فأدام الله أيام مولانا ما أَظْلَمَ ليلٌ وأضاء نهارٌ ، ثم قلت : يا مولانا – خَلَّد الله ملكك – لم تجر عادةُ آبائك وأجدادك – قَدَّسَ الله أرواحهم وصَلَّى عليهم – أن يقطعوا لعبيدهم رَسْمًا ولا أن يُغَيِّروا لهم حكمًا ، فلم قُطِعَ رَسْم عبدك في المثول بهذا المقام الكريم والوقوف بهذا الموقف العظيم فهذا باب أول ؛ والباب الثاني أن مثلي مثل أعرابي بلغني أنه كان يدعو رَبَّه سبحانه ويقول اللّهُم اغفر لي فإني لا أجد من يغفر لي غيرك ، وأنت تجد من تعذبه غيري ، وهذه

[a] السيرة : أن أغير من زيي شيئًا.

[b] في السيرة : السلطان خلد الله ملكه.

[1] المؤيد في الدين : سيرة ٩٧– ٩٨.

الوجهة التي أنا متولِّيها طاعةً لك على مثل[a] كلفتها عليَّ ، كنت تجد من ينفذ فيها ويُطِبُّ طِبَّ دائها مثلي أو فوقي أو دوني ، ولن تصادف من يجاور قصرك الشريف فيكون له عنده خَتْمَةٌ أو خَتْمَتان للقرآن العظيم ودعاءٌ لك وتمجيدٌ لبيتك مثلي وأنا شيخُ هذه الدَّعْوَة ويدُها ولسانُها ومن لا يماثلني أحدٌ فيها ؛ والباب الثالث أن الأمر الذي أتوجَّه فيه كتابٌ أنا عنوانه ، فانظروا كيف تكونون في أمر مَنْ هذا سبيله ؟ فكان الجوابُ عن الفصلين الأولين بشاشةً ظهرت في أسِرَّة الوجه الكريم وتَبسُّمًا كَشَفَ عن دُرِّ الثَّغْر النظيم من دون إعمال اللسان ، وكان جوابُ الفصل الثالث إننا مُعَوَّدون من الله سبحانه على أمثال هؤلاء بالنَّصْر وهو تعالى يُجْرينا فيهم على جميل عادته ، وإنَّا لا نألوا جَهْدًا في إرهاف حَدّك والشَّدِّ منك إلى أن يأتي الله بالنَّصْر من عنده ، قال : فنظرت إلى القائمين على رَسْم الخدمة يتلألأ وجوههم لما سمعوا استبشارًا ، وآخرين منهم في ذلك القول حيارى ، ثم وَدَّع الداعي المُؤَيَّد في الدين وخرج إلى المخيم وجَمَع إليه من المال والعُدَّة والخيل المُسَوَّمَة ما كان معدًا لتلك الوِجْهَة[1] .

وسار وقد التف إليه من الركابية وسَفاسِف الناس ما كانوا عليه عذابًا ولم يَرْضَهم في ذلك السير أصحابًا ، قال : وكان الناسُ يتعجَّبون من أمري ، وهو موضع العَجَب كيف أُوَجَّه لمثل هذا الوَجْه الخطر العظيم بخيط رقبتي دون أن أبتغي عسكرًا ويُعَوَّلُ بي على عَسْكر معلوم الشأن يستعيذ بالله من شَرِّهم جميع الأنام ، عادتهم في الاستخفاف بملوكهم معروفة ، فأما الوزراء فهم عندهم أغنام للذبح معلوفة ، ويَحْكُمون أن المال الذي في صُحْبَتي كَتَبَ الله

---

[a] السيرة : على شديد .

---

[1] المؤيد في الدين : سيرة ٩٩– ١٠٠.

عليه الضياع ، فهو من دون وصوله إلى حَلَب يُتَخَطَّف ، وأن حاملها على شفا جُرُف هارٍ ، فهو في أحد تقاسيم وجهته يَتْلَف ، وكان الوزيرُ اليازوري قد مَثَّلَه له أن يستتبع ثلاثة ألف فارس من العرب الكَلْبيين يطأ بهم بلاد ابن صالح صاحب حَلَب[1] ويجوز أرضه جوز من قَهَرَ وغَلَب ، فلم ير المُؤَيَّد في الدين ذلك من الرأي المصيب وخشي أن يكون ذلك تبعيدًا لابن صالح وهو غير بعيد ولا قريب ؛ وأشار عليه بعضُ من يثق به أن مجاهرة ابن صالح ، ووطء بلده بأعدائه الكلْبيين يزيد في كَلَبه وأنه لا يبلغ القاصد له بالعداوة شيئًا من أربه[2].

ولما انتهى المُؤَيَّد في الدين إلى دِمَشْق ، كَتَبَ إلى ابن صالح بالقصة التي هو بها مأمور ، وذكر أنه مُتَوَقِّفٌ صونًا أن يَقْدِمَ عليه بخصومه بلاده ، ويمتطي أمْرًا يشغل به فؤاده وقال له فيما كتب إليه : « هل لَكَ في خدمة سلطانك بما يكشف عن إخلاصك غاشية التهمة والظَّنّ ، ويغشى عَينك وسَنُ الأمان والأمن ، وذاك أن أُسَلِّم نفسي وهذه الخزائن والأمور كلها إليك ، ولا أستظهر إلَّا بمروءتك وأمانتك في حِفْظي وحِفْظها عليك ، فإن حفظت واستمسكت من جميل رأيها بالعُرْوَة الوُثْقَى ، فقمت من مَصْرَع المتهمين وانتعشت » ، فورد جوابُ ابن صالح إليه بما وافقه ارتياده ، وكاد أن يطمئن به فؤاده ، وما زالت كُتُبُ الوزير اليازوري تُكَرِّر عليه بالتحذير من ابن صالح ، وأن لا يرد أرضه إلَّا في عُدَّة وقُوَّة ، ولا يظن أن لديه شيئًا من المروءة ، فترك قول الوزير ظهريًّا ، وسار إلى ابن صالح متوكِّلًا على الله أن يكون له وَلِيًّا ومعه لفيفٌ من

---

[1] أي ثِمال بن صالح بن مرداس المعروف بابن الزَّوْقلية (راجع ، الصفدي : الوافي بالوفيات ١١: ١٦-١٨؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢: ٦٤٢- ٦٤٦؛ محمد أحمد جاد المولى : بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام؛ الإسكندرية ١٩٨٥، ١٠٦- ١١٤؛ Bianquis , Th., *Damas et la Syrie sous la domination fatimide*, pp. 556-76 .

[2] المؤيد في الدين : سيرة ١٠٠.

عَسْكَر الشام ومع ابن صالح جَمَرات العرب وأهل الكَرّ والإقدام [١]، فالتقى في حَدّ ابن صالح العسكران ووقفا بعد أن ترايا الفئتان والناس يظنون الظنون ويحسبون من الأمر مالا يكون، فأمر المُؤَيَّد في الدين بحمل الخزائن والسّلاح أمامه وسار ومعه جماعةٌ قليلةٌ حتى أوصل المال إلى ابن صالح مُعَوِّلًا عليه في حياطته، وأن يستكفي شَرَّه، ويجعل عنده إيداع بضاعته، فلما التقيا ووقع السّلامُ بينهما، وَجَدَ المؤيدُ في الدين ابن صالح كالوَحْش النافر فاقتنصه بشَرَك الإيناس الوافر، فلم يزل يُوَضِّح له معالم الهدى الذي هو فيها حائر، ويُبَيِّنُ له فَضْل أهل البيت – عليهم السّلام – وما لهم من حُسْن الشّعائر، حتى خَلُصَت بينهما الضّمائر، واتفقت منهما السرائر.

قال المُؤَيَّد في الدين: ولما وَصَلْنا باب حَلَب، أَفَضْتُ ما صَحِبَني من خِلَع ابن صالح عليه، فلم يشتمل قبلها على خِلْعَةٍ حلَّت من السّعادة مَحَلَّها، بأن خُلِعَت عليه[a] ملابس الأَمَنَة والقرار، ونَزَعت عنه أَطْمار الظِّنَّةَ وسوء الاستشعار[b]، ونَقَلْته من حَيِّز المؤَلَّفَة قلوبهم، إلى حَيِّز منزلة من طَهُرت بماء المحبة الخالصة جيوبهم، وتَمَهَّدَت على مضاجعها بعد أن تجافت عنها[c] جنوبهم، وجَدَّدْتُ عليه الأيمان المؤكّدة من أيمان البَيْعَة في خدمة الدَّوْلَة، ما كادت تميد منه الجبال لثِقَله وتتشقق السّموات والأرض من حَمْله، ووَصَلَ كتاب ابن مَرْوان [٢] صاحب آمِد [٣] إلى المُؤَيَّد في الدين إلى حَلَب يذكر فيه أنه

[a] السيرة: بأن جعلت له. [b] في السيرة: الاستغفار. [c] زيادة من السيرة.

[١] المؤيد في الدين: سيرة ١٠١.

[٢] القادر نصير الدولة أحمد بن مَرْوان بن دوستك أبو نصر الكردي صاحب ميافارقين وديار بكر توفي سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م (سبط ابن الجَوْزي: مرآة الزمان (نشرة علي سويم) ١٠٣–١٠٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٨: ١٧٦–١٧٧).

[٣] جاء على هامش النسخة بخط مخالف: قال الجَوْهري: آمد بلد في الثغور؛ وقال ابن حَوْقَل: آمد =

أجاب الطاغية التركمانية مُداراةً عن نفسه وظَنًّا أنهم من جِنْس البشر الذين يرعون الحُرْمَة ، ويَرْقُبون في المسلمين إلًّا وَذِمَّة ؛ فكشف له الزمان عن شَرِّهم وغَدْرهم وظُلْمهم وجَوْرهم ، وإطلاقهم الأيدي في الأموال والحريم ، وكونهم حيث توجّهوا كالريح العقيم ما تَذَرُ من شيء أتت عليه إلَّا جَعَلَته كالرميم ، ما اقتضى التخلّي عنهم والبراءة إلى الله سبحانه منهم ، ويذكر أن المال الذي حَمَله المُؤَيَّد في الدين سمع أنه يَقِلُّ أن يَبْلُغ به غَرَضٌ أو يقضي له مما صَمَد له مُفْتَرَض [1].

فأجابه الداعي المُؤَيَّد في الدين بجواب منه ، وأما ما حكي من سكونه إلى راية الحضرة[a] المقدسة النبوية – خلَّد الله مُلْكَها – ومجلس الوزارة السامي – حَرَسَ الله عِزَّه – من صَرْف العَزْم الكريم إلى هذه الجهة بما يهوي معه في الثَّرى نواجمها ، وتُقَطِّع ييأس الله براجمها ، عَصَبِيَّةً للدين وغَيْرَةً على المسلمين الذين أصبحت أموالُهم طُعْمَةً لأهل البَغْي ، وحريمُهم عُرْضَةً للانتهاك والسَّبْي ، ووقوع التسيير لي[b] إلى مستقر الأَجَلِّ المُظَفَّر الذي هو لهذا الدّاء الطِّب الرفيق ، وله فيه الرأي المُصيب والفكر الدقيق ، وقوله إن ذلك من الأمور التي تقتضي أن يُبْذَلَ فيها النفيس من كل ذُخر ، ويستلان في أثناء بلوغ الإيثار فيها كل خَشِن ووَعِر ، وانتهى إلى كريم سمعه أن الواصل بصحبتي قاصرٌ دون حَدِّ الكفاية ، مقصر بالممتد من أيدي الرَّغَبات عن بلوغ الغاية ، وأنه أدام الله تمكينه حَزَبَه من الأمر ما يحلُّ من جلال هذا الأمر محل

[a] في السيرة : ما رأته . [b] زيادة من السيرة .

= مدينة على جبل من غربي دجلة مطل عليها نحو مائة قامة ذات شجر وزرع ومياه وطواحين على عيون ينبع منها داخل سورها جبل يسمى ميمونًا لشدة سواده تنحر منه مطاحن يبلغ قيمة الحجر نحو خمسين دينارًا . (قارن الصحاح ١:٤٣٩ صورة الأرض ٢٢٢-٢٢٣) .

[1] المؤيد في الدين : سيرة ١٠٨- ١٠٩.

الدقاق ومالا مطار له في هذه الآفاق ، فأنفق عليه خمسمائة ألف دينار ، وهو لها مستقل حتى انقاد له زمامُ حزنه وهو سَهْل ، فقد عرفته ، وهو يعلم خاصةً والعقلاء عامةً أن الذي تتحمله الحضرة المقدسة - خَلَّد الله ملكها - في كل سنة من مَؤُنة الحرمين المحروسين وحدهما فضلًا عن رواتب[a] الصّدقات المنصرفة في الأقطار إلى غيرها مما يقوم بإزاء مَؤُنَة الملك المُدِلّ بنفسه المُذِلّ لأبناء جنسه ، فكيف يتعاظمها في هذا الباب الإنفاق . ولعل في فضاء ساحة جودها تضيق الآفاق ، وما هذا شيء يحرك النحيزة العلوية التي في موضوع علمها أن الدنيا أضْغَاثُ أحلام ، وأن المُكْتَسَب من زَبْرَجِها متقشِّعٌ تقشُّع الضَّباب والغَمام ، وإن كان فيما صحبني قلٌّ ، ففيما ورائي كُثْر ، وإن سال على ما يظن معي نهر فالذي يليني بفضل الله ومنته بحر ، وما هنالك إلّا سماءٌ فَتَحَت أبوابها في يد تجودُ بالإطلاق ، وأُفُق لا تضيق أرجاؤه من صدر منشرح بالبَذْل والإنفاق ، وسيفٌ لا ينبو حدُّه عن عزيمته[b] على ما يرضى الله تعالى في مقارعة[c] هؤلاء الكُفّار الذين استحلُّوا ما حَرّم الله ، فما أصبرهم على النار ، وحقيقٌ على الله تعالى أن يَنْصُرَ عُمّار مساجده على الهُدّام ، والمتوجِّهين نحوه بالطاعة على المتوجِّهين إلى الأَنْصاب والأَزْلام [١] ، وأن ينجز لمحمد - صَلّى الله عليه وعلى آله - ما وَعَدَه في أهل بيته ويجعل اليد الطُّولى والكلمة العُلْيا لبني بنته إنه أهلُ ذلك وَوليّه [٢] .

[a] في السيرة : روابط . [b] في الأصل : عزمه . [c] في السيرة : مساطعة .

[١] يقول محمد كامل حسين تعليقًا على ذلك : « الأنصاب والأزلام في اصطلاح الفاطميين الذين اغتصبوا حَقّ عليّ بن أبي طالب وأبنائه في الخلافة . وأن بني أمية وبني العبّاس هم المقصودون دائمًا بهذا الاصطلاح .

[٢] المؤيد في الدين : سيرة ١١٠-١١١ .

المُؤيَّد في الرَّحْبَة

وكاتب الداعي المُؤَيَّد في الدين أبا الحارث البَساسيري والأتراك البغدادية وتواعدهم بالالتقاء بالرَّحْبَة ، فسار الداعي المُؤَيَّد في الدين والذين معه وفي جملتهم ثِمال بن صالح وبنو كِلاب جميعًا ، وابن صالح يخدم الخدمة التي لا مُسْتَزاد عليها [ولا مُستضاف إليها][a] في حِفْظ الخزائن والأموال ويسيرها محفوفة مكنوفة[b] بأبطال الرجال ، حتى التقوا بأبي الحارث والعسكر البغدادي على مرحلتين من الرَّحْبَة . قال الداعي المُؤَيَّد في الدين – نَضَّر الله وجهه – : فإذا هم قد ضَرَبوا مصافَّهم وضَرَبَت خيلُنا مصافَها ، فرأيت العسكر تلاحق ميمنته نحو الجبل ، وميسرته طَرَف الفُرات ، وسمعت الأبْواق تخرق الحُجُب بالأصْوات ، ورأيتُ أقطار الهواء كأنَّما صُبِغَت بالحُمْرَة والصُّفْرَة من الرايات[c] ، ودَخَلْنا الرَّحْبَة دخولًا عليه من آثار السعادة وَسْم ، ولله تعالى في ضمنه مشيئة يمضيها في صلاح عباده وحُكْم ، وتجاوزنا إلى شاطيء الفُرات فنَصَبنا[d] فيه الخيام ، وحَلَلْنا عنده من خيلنا كل حزام وتوسَّطت جمعًا جَمْع كل قاطع زقاق[e] وكل جلال من الناس ودقاق تراموا إلى تلك البُقْعَة من الآفاق[f] كُرْدي وتُرْكي وعَجَميّ على اختلاف الناس وعربي . قال : وأخذت أخْلَع على الأُمراء الأعْراب والأكْراد الخِلْعَةَ التي تُبْهِر عيون نُظّارها ، من حيث إنه لم يكن لهم عَهْدٌ بمشاهدة نظائرها وأمثالها ، إذ كانت الخِلَعُ العراقيّة لا تجري إلى مضمارها . وكلما تجلّى منها للأبصار شيءٌ تجلّي العروس من خِدْرها ارتفعت ضَجَّة [الوَحْش من الركابية والسابية

---

[a] زيادة من سيرة المؤيد في الدين. [b] في السيرة : وتيسيرها مسورا عليها مخندقا. [c] في السيرة : كأنها صبغت حمرا وصفرا من أصباغ خوافق الرايات. [d] في الأصل : فتصافت الخيام.
[e] في الأصل : زناق. [f] في السيرة : من كل آفاق.

والحواشِي][a] العراقية بالدُّعاء للدَوْلَة العَلَوِيَّة ، والفَحْشاء من الشتيمة للدولة[b] العباسية . قال ونَصَبْتُ في خلال ذلك ديوان التفرقة على الأتراك وجعلت المال بالصُّرَر مُصَرَّرًا ، وما في الصناديق بين يدي مُودعًا ، وفتحت صحيفة الاستحلاف بأيمان البَيْعَة على أن كل طائفة إذا استوفيت عليها يمينها وَفَّيت حَقَّها من المال ، وكان منهم من يَحْلِف ويأخُذ الذي يأخذه بالشكر ويضعه على العين والرأس على ما جرت العادة عليه من الناس[c]، ومنهم من يَسْتَقِلُّ القَدْر الذي يُعْطاه ويَرُدُّه ظانًّا أن الذي يصير إليه من بعد استحلافه جزاءً عن يمينه التي أَقْسَم بها ويرى أنه محقوقٌ بأضعاف ما عُرِضَ عليه ، وكَثُر القيل والقال من صغير وكبير ، فحينئذ نصبت في القول الخطابة وتوخيت فيها للغرض الإصابة ، وقُلْت وفيما قلته : « عَفى الله عنكم إنه ما قَبَضَت الأَكُفُّ على مال هو أجلُّ من هذا المال الذي تأخذونه لأنكم ما استفدتم دينارًا ولا دِرْهَمًا في دياركم إلَّا ما طرقته مطارقُ كَسْر الكعاب وضَرْب الفُكُوك وقَلْع الأَنْياب ، وهذا المال مالُ رسول الله ووصيِّه عليهما الصلاة والسَّلام ، وجبايته من أَجَلِّ الوجوه والأراضي . فالدينار منه عَوْذَة يستشفي بها المرضى . فهذا بابٌ ينبغي أن يُعْلَم أولًا ، والثاني أن فريقًا منكم قد خُيِّلَ إليهم أن هذه المَبَرَّة التي أَنْعَم بها السُّلْطان – خَلَّد الله مُلْكَه – أنها جزاء البَيْعَة والدخول في زُمْرَة أوليائه وشيعته ، وقد وفوا بحكم مجازاته عنها وخَلَعوا عن رقابهم رَبْقَة المِنَّة له فيها ، والسُّلْطان – خَلَّد الله مُلْكَه – يريد أن يُؤَثِّر في حالكم بحُسْن النَّظَر

---

[a] زيادة من السيرة . [b] في السيرة : للجنابة . [c] في السيرة : على ما جرت به عادة أخيار الناس .

تأثيرًا لا يريد منكم عليه جزاءً ولا شكورًا ، وقد رأيت من الرأي مسامحتكم باليمين ليكون طَوْق مِنّة السُّلْطان – خَلَّد الله مُلْكَه – في رقابكم ولتمسكوا عليكم فِعْلكم الذي يقوم لفعله مكافيًا »[1].

عَهْدُ البساسيري

ثم إني رأيت أن أُغْرِب عن تحليفكم جملةً . قال : فسَقَطَ ما في أيديهم وسألوني البَيْعَة فلم أجبهم إلى ذلك ، فلما فَرَغْتُ من ذلك خَلَعْت على أبي الحارث أرْسَلان في يوم مَشْهود مشهور ، وقرأتُ عَهْدَ أمير المؤمنين – عليه السَّلام – على كافة الحضور وهذه نُسْخَتُه :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رَبّ العالمين ، من عبد الله ووَلِيِّه أبي تميم مَعَدٍّ المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين ، إلى صاحب الجيش سلامٌ عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو ، ويسأله أن يُصَلّي على جَدّه محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين ؛ أما بعد ، فالحمد لله الذي حَبّبَنا ذوي قُرْبى رسول الله – ﷺ وعلى آله – إلى قومٍ يبتغون بمحبتنا إليه القُرْبى ويوفون بها أجر رسالته ليوفيهم الله أجورهم ، ويزيدهم من فضله في العقبى منتهين إلى أمر الله سبحانه ، إذ قال ﴿ قُل لَّا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الآية ٢٣ سورة الشورى] فهم الواصلون بسَبَبٍ ونَسَبٍ لا ينقطعان أسبابًا وأنسابًا ، المتخذون جناب عباد الله المتقين في جَنّات عَدْن جنابًا ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ [الآية ٣١ سورة النبأ] . يحمده أميرُ المؤمنين أن جَعَلَ أفئدةً من الناس تَهْوي إليهم وتَفِد من أقاصي البلاد

[1] المؤيد في الدين : سيرة ١٢١– ١٢٢.

مجرَّدَةً بولائها عليهم ، ويسأله أن يُصَلّي على محمدٍ جَدِّه خير عَلَمٍ للنجاة أقامه الله لهداية المهتدين ، وقَطَعَ بسيفه دَابِرَ الضَّالين المعتدين ، وعلى وَصِيِّه عليّ بن أبي طالب وزيره في مغيبه ومحضره ، ونَكّاس الفوارس في بدره وخيبره ، والناطق بالحكم على منبره ، وعلى الأئمة من ذُرِّيته العاملين العابدين ذُرِّيَة المناجي بقوله تعالى ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيم ، الَّذي يَراكَ حِينَ تَقُومُ ، وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [الآيات ٢١٧- ٢١٩ من سورة الشعراء] .

ولمَّا وَجَدَكَ أميرُ المؤمنين من السابقين إلى النداء بشعاره في ديار العراق ، والمبرزين بفضيلة السَّبْق على أوليائه في فضاء الآفاق ، المُشَمِّرين [عن ساق الجد][a] فيما يجعل عرصاتها بفَيْض عدله مشرقةً بأنجم السُّعُود ، ويعيد أعْواد منابرها بذكر آل محمد الرَّسول – صَلّى الله عليه وعليهم – ناضرة العود مغسولة درجها من وطيء الأنجاس بماء الإيمان ، مقصورةً فروقها على البِرِّ والإحسان . رأى أميرُ المؤمنين وبالله توفيقه أن يُطَوِّقَكَ طَوق ولاية رجالها ويقيم على رأسك في التقدمة راية جمالها ، وينوط بك أمورها ويكل إليك عَقْدَها وحَلَّها . وهو يوصيك بتَقْوَى الله التي بها يفوز المرء في مآبه ، وبجنتها يحتمي من أليم عِقابِه وعَذابِه ، والنَّظَر إلى الدنيا بالعين التي ينظر بها أولياءُ الله الذين هم في جَنّاته يتنافسون ، تشبيهًا لها بالجيفة المؤذية روائحها والكِلاب عليها يتكابسون . فاجمع نَفْسك حِفْظًا من ضَرَرِها ، وشَمِّر ثَوْبَك صَوْنًا من وَضَرِها ، واتخذ من شريعة جَدِّنا النَّبِيّ محمد – صَلّى الله عليه وعلى آله – عوذةً تعيذك ، وفُلْكًا تمتنع بركوبها من الغَرَق في بحرها ، والصَّلاةَ الصَّلاةَ ، فكن في إقامة فُروضِها وسُنَّتها جاهدًا ، وللشيطان في الوَفاء بحُقُوقِها مجاهدًا ، قال النبيُّ – صَلّى الله عليه وآله – (أقْرَبُ ما يكون العَبْد من الله إذا كان ساجدًا) . واعلم أن شريعةَ الإسلام هي سُلَّمٌ إلى دار

[a] زيادة من السيرة .

السّلام مراقيه أركانُها ، فالزم المراقي تنجح من هَوْل المَطْلَع إذا بَلَغَت النُّفُوس التَّراقي ، واجتنب ضُلَّة المحارم وعُقْلَة المظالم ، وانظر إلى أبناء الجنس الذين تروسهم وتسوسهم المضمومة إليك جسومهم ونُفُوسهم ، أن تَثْلَم بغير ما اكتسبوا مالًا منهم أو عَرَضًا ، أو تُحْدث في ما ضَمَنَك الله تعالى من عقد[a] عهدتهم نقضًا ؛ إن المؤمن دُنْياه لفي نَوْمَة محصولها اليَقَظَة ، فليخش من سوء صنيع يحفظه عليه الحَفَظة الحافِظون على عباده خير ما يعملون ، المتوجِّه إليهم فحوى قوله سبحانه ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ، كِرَامًا كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُون ﴾ [الآيات ١٠-١٢ سورة الانفطار] .

هذا عَهْدُ أمير المؤمنين إليك بولاية الرجال ، بشيرًا بين يدى ما يتلوه عندما يأذن الله سبحانه به من فَتْح الأعمال ، ودليلًا على نَصْرٍ من الله جَلّ جلالُه تجرد حسامه[b]، وعنوانًا لكتاب من يد اصطناع وليه تَفُضُّ ختامه بإذن به إليك عاجلًا ، ويرسله طَلًّا من سماء إنعامه يُتْبعه وابلًا ، إلى أن يأتيك من تقليده ما تلقى به إليك المَساعد مقاليدُها ، وتَصْدُق لك معه الأماني مواعيدها ، فالمدرج به إلى ذِرْوَة المجد أمكن مكانًا وأثبت أركانًا وأقْوَى أساسًا وأنمى غِراسًا . فاعلم جميل وصايا أمير المؤمنين إليك وإقامته حُجَّة الله عليك واعمل بها عمل المُوفَّقين في المقال والفِعال والمُشْفقين من خَشْيَة رَبِّهم مالك[c] عالم الغيب والشَّهادَة الكبير المتعال ، والسَّلامُ عليك ورحمةُ الله وبركاته ، وكُتِبَ في صَفَر من سنة ثماني وأربعين وأربعمائة ، وصَلَّى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وسَلّم[c]» [1].

---

[a] ساقطة من الأصل والسيرة . [b] في السيرة : تجردًا لحسامه . [c] في الأصل وهـ : ذلك . [d] ساقطة من السيرة .

---

[1] المؤيد في الدين : سيرة ١٢٢- ١٢٤.

المُؤَيَّد ودُبَيْس بن مَزْيَد

وكان ابن مَزْيَد[٢] وقُرَيْش بن بَدْران[٣] – صاحب المَوْصِل – قد قَصَدا إلى بَغْداد لإصلاح شأنهما مع طُغْرُلْبك التركماني. فلم يقعا على طائل ولا حَصَّلا شيئًا من الحاصل ووجداه جَبّارًا عنيدًا، يريد أن يجعل الناس خَوَلًا وعبيدًا، وكَتَبَ الداعي المُؤَيَّد إلى ابن مَزْيَد يَهْجِن عليه قَصْدَه حيث قَصَد، واعتماده على ما عليه اعتمد. فلما جاءه الكتاب فَرِح بقدومه وفَرَّج عنه من الوَجْد ما أَخَذَ بحُلْقومه. ووافق قُرَيْشُ بن بَدْران على أن يبقى قَرَيْش منضافًا إلى التركمانية والدولة العَبّاسية، وابن مَزْيَد ينضاف إلى الدولة الشريفة المستنصرية، ويدخل في جُمْلَة الجيوش الشامية والمصرية، وكُلٌّ منهما لصاحبه مُظاهِرٌ، وله حيث كان معاضِدٌ ومناصِرٌ، فمن غَلَبَ كانا جميعًا في شيعته، ووَجَدَ هذا بهذا ما يرومه من جاهه ووجهته. وجاء ابن مَزْيَد في الذين معه من الحُشود فانضم إلى المُؤَيَّد في الدين وأبي الحارث أرْسَلان، فلما وافق المُؤَيَّد في الدين وابن صالح فيمن معه ومعهما من الجموع وقد جاء الناسُ لينظرون ويسمعون من كُلِّ فَجٍّ عميق، واحتفلوا احتفالًا عنه سِعَة البرية تضيق، وكان أولُ ما لَفَظَ به ابن مَزْيَد قوله على رؤس الأشهاد: إن هذا الأمرَ

---

[١] نور الدَّوْلَة دُبَيْس بن علي بن مَزْيَد أبو الأغر الأسَدي صاحب الحِلَّة (حِلَّة بني مَزْيَد)–مدينة كبيرة بين بغداد والكوفة كانت تسمى الجامعين. مولده سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م ووفاته سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م، تولَّى الإمارة سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م وعمره أربع عشرة سنة، كان من حماة الشيعة وأكبر أمراء العرب في عصره (الصفدي: الوافي بالوفيات ١٣: ٥١٠).

[٢] الأمير أبو المعالي قُرَيْش بن بَدْران بن المُقَلَّد بن المُسَيّب صاحب المَوْصِل، اجتمع مع أبي الحارث أرسلان البَساسيري على نَهْب دار الخلافة في بغداد، ولم يؤاخذه الخليفة القائم بأمر الله على ما بدا منه، وصَفَحَ عنه، وولي إمارة الموصل عشر سنين، ومات بالطاعون في نصيبين سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م (ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥: ٢٦٧–٢٦٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٤: ٢٣٨؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان (نشرة علي سويم) ٢٨–٢٩).

الذي نحن بصدده أمرٌ عظيمٌ يقصر قوانا وقوى أضعافِنا عن النُّهوض له. فأجابه المُؤَيَّد في الدين بالشِّدَّة واللِّين، وقَوَّى بقوله قلوبَ السامعين. ثم استحلفه لأمير المؤمنين المُستَنْصِر بالله – عليه السَّلام – وأفيض عليه من التشريفات والكرامات ما أُعِدَّ له وخاطبه المُؤَيَّد في الدين من العلات من الحضرة النبوية بما أطاب قلبه وأجذَله وكَتَبَ له العَهَد على عرب العراق بالزعامة[1]، من حَدِّ شرقي الفُرات إلى حيث يُفتَح لأمير المؤمنين من البلاد، وأن يتعلَّق به في ذلك الإصدار والإيراد، ثم إنه وَصَلَ العسكرُ من ناحية الشام من الكَلْبيين المعدين رداءً لابن أرْسَلان ومن معه من البغداديين. فلما وصلوا أكثروا على المُؤَيَّد في الدين الشُّروطِ والأقاويل، وما زال بهم يُداريهم ويَعِدُهم بالجميل حتى أتاح لهم ما يُقَوِّتُهم لمدة شهر ووَعَدَهم بالإحسان من حضرة الإمامة والبِرّ»[2].

الانتصار في سِنجار

وسارِ المُؤَيَّدُ في الدين وأبو الحارث وابن مَزْيَد وثِمَال بن صالح – صاحب حَلَب – ومعهم عساكرُ مصر والشام ومن انضمَّ إليهم من العراق في جموع تملأ الآفاق وعَدَد وعُدَّة، وقُوَّة وشِدَّة. وكانت هِمَّةُ أبي الحارث أرْسلان قَصْد قُرَيْش بن بَدْران وقُرَيْش باقي في جملة التركمانية، وقد عَقَدَ معهم العُقود، وعَهَدوا له العُهُود. فقَدَّم إليه المُؤَيَّد في الدين الإنذار، ووعده عن الدَّوْلَة الشريفة النبوية حُسْن المثوى والقَرار. فأجاب يتعَلَّل بالعِلَل، ويُطيل فيما يُرَجَّى منه الأَمَل. وسارت نحوه العساكر إلى المَوْصِل، وجاءت التركمانية لإمداد قُرَيْش بن بَدْران في عساكر تملأ الفضاء ويعم الآفاق

---

[1] انظر نص العهد في سيرة المؤيد في الدين ١٢٧– ١٢٨.

[2] المؤيد في الدين: سيرة ١٢٤– ١٢٦.

ضياؤها، لما عليها من الزَّرْد والبيض التي تلمع بالإضاءة، فلم يزل القَدَرُ يُحَرِّك الفئتين للالتقاء، ويسوقهم إليه مع كون كل منهم حائدًا عنه فرقًا [٢].

حتى إذا التقى الجَمْعان وتصادم الفريقان بسِنْجار وكان ابن مَزْيَد يوم الحرب فَرَّقَ هَوادِجَ نسائه في قبائل العرب من الكَلْبي والعُقَيْلي والنُّمَيْري وهن مُكَشَّفات الوجوه ينادين: يا للعرب!! يا للعرب! ليلهبن نار العصبية ويحركن النفوس الأبيّة. وكان هذا الرأى من الوجوه التي أدارت رَحَى الحرب وأنارت زنادَ الطَّعْن والضَّرْب، فكان بين الفريقين يومٌ عبوس تَذْهَلُ له العقول وتَزْهَقُ النفوسُ [١]. ومَنَحَ الله العساكر المستنصرية النَّصْرَ حين نادت بشعار إمامها، وأنْحت على التركمانية جَذًّا لرؤسها وقَطْعًا لأقدامها، وأخذتها الذِّلّة من ورائها وأمامها. فآبت التركمانية بالهزيمة والخَسار وساقتهم الرِّماح والسيوف إلى موارد الحُتُوف والدَّمار. وكان الالتقاءُ يوم عيد الفِطْر أوان الصَّلاة والخُطْبَة، فما انكشف ذلك اليومُ إلّا وقد نُكِبَت التُّرْكُمانية أشد النَّكْبَة. وكَتَبَ الداعي المُؤَيَّد في الدين إلى حضرة المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين وضَمَّن كتابه جواب سِجِلٍّ شريف وَرَدَ من الحضرة الشريفة الإمامية بذكر العيد وهذا نَصُّ كتابه:

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

كَتَبَ عبدُ مولانا – صلوات الله عليه – وعناية الله سبحانه بوليه لاتزال تظهر لاعتلاقه بحبل التأييد برهانًا. وتَشُقُّ له من أعطاف عظيم سلطانه سلطانًا. وتركب في قنا غرماته من حُسْن التوفيق سنانًا، وتبسط لعبيده في مقامات القائلين الفاعلين يدًا ولسانًا. ووَصَلَ ما شَرُفَ به العَبْدُ مقصورًا على

---

[١] المؤيد في الدين: سيرة ١٣٤.

[٢] نفسه ١٣٠.

ذكر يوم العيد الذي جَعَل الله مولانا تحقيق مجازه ، وأحَلَّه من فاخر لبسه محل طرازه ، وتَجَلَّى شمس الخلافة من برجها إلى المُصَلَّى يُجَلِّلها جلال البهاء ، وتجدد العَهْد بجلال جدها خاتم الأنبياء وأبيها سيد الأوصياء - صَلَّى الله عليهما وعلى الأئمة من ذريتهما البررة الأتقياء - تُزَفُّ في حُلَل الإمامة وحلاها زفًّا ، وتذكر بنزول الكرام الحَفَظَة لحِفْظها قوله سبحانه ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الآية ٢٢ سورة الفجر] ، تحتوشها من عسكر الإسلام وأهل دار السَّلام الخَلْق الذي يضيق لكثرتهم لجسم الأرض على سعتها المخانق . وتَقشعِر الأرض خوفًا إذا مشوا عليها وتَرْتَجُّ الجبالُ الشَّواهِق ، ويَخْفِق على رأسها من الأعلام التي عليها أعلامُ نَصْر الله الخوافق . حتى إذا قضى مولانا - والله يُخَلِّد ملكه - وَطَرًا من إقامة مناسك عيده ، والقيام عن رَبِّه سبحانه بإبلاغ وَعْده ووَعِيده . ونَثَر دُرًّا من ذكر توحيده جَلَّ جلالُه وتمجيده ، رَجَعَ إلى قصره المشمول بالإقبال المأهول بالإنعام والأفضال ، والنفوس بسُبُوغ السَّلامة جَذِلَة ووجوه السَّعادَة بحمد الله ومَنِّه متهلِّلَة ، ووَقَفَ العبدُ عليه وقوف الحامد لله تعالى على سَنِيِّ نعمه في تأييد نَصْر مولانا وإعلاء كلمته ، الراغب إليه جَلَّ جَلالُه في تبليغه أقْصَى مرامي هِمَمِه ، ومما قام فيه الإعجاز في وقوع إجابة دَعْوَة مولانا -خَلَّدَ الله ملكه - إذ هو يدعو بالنَّصْر لأوليائه وعسكره افتتاحهم قتال الغُزِّ في اليوم بعينه ، وهو - خَلَّدَ الله ملكه - بالحَدْس قائم على منبره . فما كان إلَّا صَوْتًا من دُعائه أجابه صوتٌ من حسن الإجابة ، فنهبت أرواحهم بأطراف السيوف النَّهَّابَة ، فما نزع النهار عنهم رداءه المصقول إلَّا وقد أجرى الله تعالى من دَم أوداجهم السيول ، فاشتملت عِدَّة القتلى على ألفين وسبعمائة قتيل ممن لو كانوا غَنَمًا لكان الإتيان عليها في بياض يوم واحد مستعظمًا ، وما أصيب من العسكر المنصور إلَّا دون العشرين ، على بسالة الغُزِّ الملاعين ، وكونهم ممطرين مطر المنايا من سحاب

القِسِيّ ، سوى أن الله تعالى أوْهَن كَيْدَ الكافرين بيأسه الشديد القوي ، كإيهانه سَحَرَة فرعون مؤلِّفي كَيْد الحبال والعصي . فالحمد لله الذي جَعَل أعداء الدَّوْلَة حصائد حُسامها ومصائد انتقامها ، وهو جَلّ جَلالُه المسئول أن يصفي لها مشارب النِّعَم ويجمع على طاعتها كلمة العرب والعَجَم ، وأن يُصَلِّي على محمد – صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم »[1].

فَتْحُ الكـوفَة

وسارت جميعُ العساكر المستنصرية عن المَوْصِل منحدرين إلى محل القيادة ، بعد أن وافق قُرَيْش بن بَدْران المُؤَيد داخلًا فيما دخل فيه الجماعة ، مستشعرًا للدولة المستنصرية بشعار الطاعة . نادمًا لما فَرَّطَ فيه من ذلك وأضاعه ، فقابله المُؤَيَّد في الدين بقبول البِشْر ونَشَرَ عليه أثواب الكسى والبر . قال المُؤَيَّد في الدين – نَضَّرَ الله وجهه – : وكان التركماني – خَذَلَه الله تعالى – سار عن بغداد ، مصعدًا إليهم في ظاهر أمره أن استلان منهم جانبًا وعنهم في بلاده أن استَخْشَن مسهم مجانبًا . فكان سيره سير الشَّواني مقيدًا بقَيْد العَجْز والتَّواني ، لارتياعه من الوَقْعَة المتقدم ذكرها إذ خَوَّفها قابضٌ على أنفاسه مُفَرِّق بين جَفْنه ونُعاسه . وبَيْنا هم في ذلك إذ وَرَدَ كتابُ محمود بن الأحزم بافتتاح الكوفة[2]، وإقامة الخُطْبَة فيها لأمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – سلامُ الله عليه وعلى آبائه – قال : فكتبت إلى مجلس الوَزارَة ماهذه نسخته :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

كتب عبدُ سيّدنا.وما تطلع شمس بيوم مجدد ، إلّا ويقضي الله تعالى فيه للدولة النبوية – أدامها الله – وله الحَمْد بفَتْح مُجَدَّد ، وما يُسْفِر عن وَجه

---

[1] المؤيد في الدين : سيرة ١٣٣– ١٣٤.

[2] الذي في مرآة الزمان أن الذي أرسل بذلك هو بدر بن علي الأسدي أخو دبيس.

سَعْد إلّا ويكون بشيرًا بين يدي مايتلوه من أسْعَد بعد أسْعَد ؛ فكل ذلك بإقبال سيدنا ويُمْن تدبيره ، وكتابُ عبد سيدنا وقد وَصَلَه في ساعته هذه كتابُ الأمير شهاب الدولة مبشّرًا بفَتْح الكُوفة على ساكن مَشْهَدها السَّلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – صلوات الله وتحياته وبركاته – ومصير فوق منبرها بالدُّعاء لمولانا أمير المؤمنين – خَلَّدَ الله ملكه وسَلّم عليه – متوّجًا ، وصُبْح سعادة أيامه في عَرَصاتها متبلّجًا ، واستبشار الخاصة والعامة بما مَنَّ الله عليهم من محو آية ليل الظُّلْم بآية نفاد العَدْل . والإفْضاء بهم من محلّ المحل إلى ربيع الإنعام والفَضْل . والحمد لله تعالى على مامَنَّ به أن جَعَلَ شمس سعادة مولانا أمير المؤمنين من سمائها بازغة ، وحُجّة الله على بريته في إيراثه الأرض كما وَعَدَه بالغة ، ويسأله أن يُديم الصَّلوات على محمد وعلى آل محمد ، وأن يجعل مامَدَّه عليه من ظِلّ تأييده ساكنًا وحَرَمًا من عَيْن الكمال آمنا ، وأن يبقى سيدنا لأغلاق الممالك مِفْتاحا ، وفي ظُلَم الأمور وكَشْفها مصباحًا ، وهو وَلِيّ الإجابة وأهل الاستجابة برحمته . وقد طويت هذه الخدمة على ماوَرَدَ من الأمير شهاب الدّولة ليرى في الوقوف عليه عالي الرأي ، وفي الأمر عن إجابتي لهذه الخدمة وتصريفي فيما أجيبه على أمثلته المطاعة ، وقد تتابعت خِدَمي بالاستعانة والاستمداد ، وما يقوم به عناية سيدنا في الالتماس ما ينهض من المَوْصل لبلوغ تمام الأمل ووقوع غاية المراد ، مادام العَدُوّ في نار ذُلّ أحاط به سُرادِقها ، ومدرجة صعوبة ضغطة من جميع الجوانب مضائقها ، فالله الله فإن الأيام في هذا الوقت فُرَصٌ تُنْتَهَز وعُدَّة تُسْتَنْجَز ، والله تعالى يعقب خيرًا ويجعل بعد عُسر يُسْرًا برحمته »[١].

---

[١] المؤيد في الدين : سيرة ١٣٥ – ١٣٦ .

إقامة الدَّعْوَة في وَاسِط

قال رضوان الله عليه : وبعد مُدَّة يسيرة وَرَدَ كتابُ ابن قَسانْدَس[a] [١] – رحمة الله عليه – بإقامة الدَّعْوَة بواسِط وضَرْبِ السِّكَّة المستنصرية بها ، فكتبت في ذلك إلى مجلس الوزارة بما هذه نسخته :

« بسم الله الرحمـٰن الرحيم

كَتَبَ عَبْدُ سيدنا ونِعَم الله تعالى للدولة أدامها الله منهلة السحاب ، وجَنّة سعادتها بحسن نظر سيدنا مفتحة الأبواب ، والحمد لله تعالى حمد الشاكرين ، وقد كان في خِبّيات المقادير المكنون علمها عند اللطيف الخبير ، سبحانه وتعالى عن الشبيه والنظير ، من الفتوح التي يَلْحَق تاليها السابق ، ويَنْظُم في سلكها مغارب الأرض والمشارق ، ما رَكَضَ موالينا الأئمة الطاهرين – صلوات الله عليهم أجمعين – نحوه بخيل الاجتهاد رَكْضًا ، وهجر وزرائهم بما ذكر في صحيفة مجدهم غمضًا[b]. فوَقَفَ بهم دون الزمان وقَصَرَ عن العُروج في معارج فضله منهم الإمكان ، وألقى الله [تعالى وله الحمد][c] إلى مولانا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين – سهلًا مقاليده ، وذَخَرَ لسيِّدنا بثقوب الرأي في حَلِّ عقوده أحاديثه وأسانيده ، فلا زال مجلسُ سعودهما ما اختلف الجديدان جديدًا ، وظل إقبالُها ما امتد الظِّلُّ مديدًا بإذن الله . ومما يجب المطالعة به ذكر متجدّد نِعَم الله سبحانه بقيام الدَّعْوَة الميمونة على منابر وَاسِط وأعمالها . وعموم

---

[a] في السيرة : ابن قائد بن رحمة . [b] كذا في الأصول وصوبها ناشر السيرة إلى : وهجروا وراءهم بآيات ذكر في صحيفة مجدهم غمضًا . [c] زيادة من السيرة .

---

[١] عند ابن الأثير (حوادث سنة ٤٤٨) وسبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٣٠-٣١ أن اسمه أبو الغنائم بن فسانجس .

المَسَرَّة به لمن تحويه تلك الأصقاع من نسائها ورجالها أن بَدَّلَهم الله تعالى عن دَوْلة الجُور دولة العَدْل ، وأدى بهم إلى حُرَم الفَضْل ، وجعلهم في مملكة ابن رسول الله – صَلّى الله عليه وعلى آله – فألبسهم بهذه الأكْرومة أفخر اللِّباس ، وألحَقَهم بمن تَوَجَّه إليهم فحوى قوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [الآية ١١٠ سورة آل عمران] إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين »[1].

المُؤَيَّد في حَلَب

وتكاثَفَت الجموعُ بمحل القَيّادَة مع [أبي] الحارث بن أرْسَلان وأبي الفَتْح محمد بن وَرام وأبي المعالي قُرَيْش بن بَدْران والأَعَزّ بن مَزْيَد – وهو دُبَيْس بن علي بن مَزْيَد – وكان طُغْرُلْبك التركماني منهم في أشد الخيفة والذُّعْر وهو من إنفاق أمواله وأموال خليفته العَبّاسي في أعظم الأمر . ثم إنها افترقت الجيوشُ الذين بالقَيّارَة ، وعادوا على الأعْقاب حسبما سَوَّلَت لهم أنفسهم الأَمّارة ، فعند ذلك اشتدَّ قلبُ طُغْرُلْبك التركماني ومَنَّتْه نفسه فيهم الأماني ، بعد أن كان يضم جناحه من الرهب ويؤمل الغدار وسوء المنقلب ، وانتهى ذلك إلى الداعي المُؤَيَّد في الدين وهو بالرَّحْبَة ، فناله لذلك أعظم الشِّدَّة ؛ وبقي لإيثار مكانه ولا قُوَّة له إلّا التوكُّل على الله الذي هو خير عُدَّة . وكاتب أمراءَ الجيوش يلومهم في انحلال أمرهم بعد الاجتماع واختلالهم بعد أن كانوا في شِدَّة القوة والامتناع ؛ وبقوا متطلّعين لوصول مالٍ صَدَرَ من الحضرة النبوية إلى حَلَب ، ويرومون بوصوله الاجتماع بعد الافتراق والكَرَّة بعد الهَرَب . فحين وَصَلَ المالُ إلى ثِمال بن صالح – صاحب حَلَب – أعطاه أخاه

---

[1] المؤيد في الدين : سيرة ١٣٦– ١٣٧.

عَطِيَّة بن صالح[1]، واستودعه فيه الأمانة ليؤدّيه إلى المُؤيَّد في الدين إلى الرَّحْبَة، وحَذَّره الغلول والخيانة، فطمع عَطِيَّة فيه وخان أمانته وزواه مائلًا إلى حصونه، فحين بلغ المُؤيَّد في الدين ذلك، وَقَعَ منه أشد المَوْقع، وعاد إلى التوكُّل على الله الذي هو خيرُ مارجع إليه برجع. وأخذ في الملاطفة للأمراء والمكاتبة والأخذ لهم بالوَعْد ولين المخاطبة. وجعل الكَنْدَري[2]– وزير طُغْرُلْبك – يَدُسُّ إليهم دسائس المكر ويعدهم بالولايات والأعمال إن جَعَلُوا لصاحبه عَقْد الأَمْر، فعمل فيهم بذلك الأعمال وسَدَّد بهم في أودية الضلال. فوقع مع أبي الحارث بن الأَرْسَلان القَلَق وداخَلَه من العسكر الذين يسطوا بهم على من نابذه الفرق. وعاد الداعي المُؤيَّد في الدين إلى حَلَب فوافاه عَطِيَّة بن صالح وهو في طريقه متنصلًا عن ذنبه فيما اقتطع من المال، فلقيه بإسبال ثوب العفو وبَذَلَ له حُسْن الحال، ولم ير منه غير الجميل وتقليل الذَّنْب الجليل. ووافاه أخوه ثِمال بن صالح وهو في جَمْع وحَشْدٍ ليقصد عَطِيَّة بن صالح إلى حِلَّته، ويوقع به جزاءً بما اكتسبت يداه واجترأ عليه بمكره وخديعته، وأراد أن يستنهض عشيرته من الكَلْبيين للفَتْك بحِلَّة أخيه ويضع السيف فيه وفي ذويه، فنهاه المُؤيَّدُ في الدين عن ذلك نهَيًا حَقَنَ به دماء الفريقين. وكَفَّهم أن يعاجلوا بعضهم بعضًا بأسباب الحين.

وجاء أبو الحارث بن أرْسَلان بعد المُؤيَّد في الدين فنزل ببالِس[3]– على مرحلتين من حَلَب – ومعه قُرَيْش بن بَدْران ووجوه بني عُقيل، وجاء رسولُ

[1] عطية بن صالح أخو ثمال أمير حلب (انظر Bianquis, *op. cit.*, pp. 576-79).

[2] عميد الملك أبو نصر المنصور بن محمد الكندري وزير السلطان ركن الدين طغرلبك (سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٢٥، ٣١).

[3] بالس. مدينة صغيرة على شط الفرات من غربيه، وهي أول مدن الشام من العراق (ابن حوقل: صورة الأرض ١٨٠).

أبي الحارث إلى المؤَيَّد في الدين يتطلَّع أنباءه ويروم منه لقاءه . قال المؤَيَّد في الدين – رضي الله عنه – : فتوجَّهت إلى موضع يقال له دير حافر[a][١] فاجتمعنا فيه على خلوة ، وطالت بيننا النَّجوى فيما أضحك طورًا وأبكى[b]، فبسطت معه في التأنيس ذرعًا ، وزرعت المحبة في قلبه زَرْعًا ، وأعلقته علاقة من صفي عقده ووفى عهده وثيقة ، ورددت مجاز التطوع منه طاعة حقيقة[٢].

وكان ثِمالُ بن صالح نافرًا عن الدولة العلوية قلبه ، متَّخِذًا لهم كما يتخذ الملك من ذوي الدنيا لا يأمنه حزبه ، حتى رأى من المؤَيَّد في الدين خِلال الفَضْل ، وعَرَفَ منه ما لأئمة الحق من العدل ، فالتزم بهم التزام من صفى من الشوائب ، وعرف فضلهم المفروض من الله الواجب . فأطمأنت نفسه وأنَس جنانه ، وظهر له حَقُّهم الذي لا يخفى على من هداه الله بيانه ، فأراد أن يُسَلِّمَ حَلَب ، الذي هو مالك يمينه وكل دنياه ، ليزيد في دينه للإمام المُسْتَنْصِر بالله – صَلّى الله عليه – وطالعه على خفْيَة وخِيفةِ من قومه وظهر الأمر في ذلك عيانًا ، واشتهر وضوحًا وبيانًا وخاف ثِمال بن صالح على نفسه ، فالتجأ إلى قلعته . وبقي المؤَيَّد في الدين متواعدًا بالفَتْك به وتلاف مهجته فلزم الصبر ، ووقف مكانه أثبت من الصخر . ومازال بأهل حلب يدعوهم ليلاً ونهارًا ، ويعظهم سرًّا وجهارًا ، ويدلهم على فضل أهل بيت رسول الله ، حتى اهتدوا وكانوا حَيارَى فاطمأنت نفوسُهم اطمئنانًا ، وبَدَّلوا عن خوفهم أمانًا . فوافت العساكرُ المستنصرية إلى حَلَب والأبواب لهم مفتحة ، والصدور

---

[a] في الأصل: دير جابر. [b] في السيرة: مما أضحك طورا وطورا أبكى.

---

[١] قرية بين حلب وبالس ذكرها أبو عبد الله محمد بن نصر في شعره:

ألاكم ترامت بالس بمسافر وكم حافر أدميت يادير حافر

المؤيد في الدين: سيرة ١٧١هـ[١]. [٢] نفسه ١٧٠- ١٧١.

بورودهم مُنْشَرِحَة ، ووجوه البِشْر والبِرّ لهم ملاقية ، وألْسِنَة التحية والسلام لهم مناجية . ومَلَكَ أميرُ المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – عليه السَّلام – مدينة حَلَب بغير إجلاب ولا حَثّ خيل ولا رِكاب .

وحَلَبُ مدينةٌ مشهورةٌ بالشام ، قال ابن حَوْقَل البغدادي : حَلَبُ مدينةٌ عامرةٌ غاصَّةٌ بأهلها كثيرةُ الخيرات ، ذات سور من حجارة وقَلْعَة صالحة ووادي يعرف بقُوَيْق[a] [1].

اتِّصالُ إبراهيم بن ينال بالبَساسيري

ثم إنه جاء رسولُ من أخي طُغْرُلبك التركماني لأمه [2]، إلى أبي الحارث ابن أرْسَلان البَساسيرى وقُرَيْش بن بَدْران – رحمة الله عليهما – وهما ببالِس على مرحلتين من حَلَب ، يبذُلُ لهما الجميل عن أخيه طُغْرُلْبك في الظَّاهر ، ويتوثَّق في باطن الحال بسَوْق الأموال الجليلة إليه من الإمام المُسْتَنْصِر بالله بن الظَّاهِر ، على أنه يَبْطش بأخيه طُغْرُلْبك ، وتكون الخُطْبَة في بَغْداد للمُسْتَنْصِر بالله – عليه السَّلام – ويأْخُذُ الخليفة العَبّاسى عن كرسي ملكه ويبادره بتعجيل هُلْكِه . فلما جاء رسولُ أخي طُغْرُلْبك إليهما واستوعبا باطن أمره وعرفا جميع ما وَجَب ، فوجد من المُؤَيَّد في الدين بِشْرًا وإحسانًا وبِرًّا ، ودَخَلَ معه في أسلوب الصوفية الذين هو على مذهبهم ، وأخرج إليه فصولاً من قَوْل المحققين منهم ، ففرح بذلك الرسول وطابت نفسه ، ووافق ذلك ما يعتقده ويُضْمره ، وعاقده عن الحضرة الطاهرة بالإجابة إلى السؤال وبَذْل الخِلَع لمن

[a] في الأصل : بقولق .

[1] ابن حوقل : صورة الأرض ١٧٧– ١٧٨.

[2] هو المعروف بإبراهيم بن ينال التركماني .

أرسله والمال وتبليغه مما يرومه إلى الآمال [١]. وأَمَرَ المُؤَيَّد في الدين أبا الحارث البَساسيري بالرُّجُوع إلى الرَّحْبَة ، ووَعَدَه عن أمير المؤمنين ورَغَّبَه ، وأمر قُرَيْش ابن بَدْران أن يرجع إلى بلده إلى المَوْصِل ، وأن يدَبِّرا أمر بغداد حتى ينقضي فيه الأمل وأرسل رسلهما إلى حضرة أمير المؤمنين – عليه السَّلام – وسار ابن أَرْسَلان البَساسيري مع قُرَيْش بن بَدْران إلى المَوْصِل ، فأزالوا عنها أصحابَ طُغْرُلبك الذين كانوا قد تَغَلَّبوا عليها وحازوها عَنْوَة وملكوها قُوَّة . فلما تَمَهَّد أمرُ قُرَيْش بالمَوْصِل رَجَعَ أبو الحارث البَساسيري إلى الرَّحْبَة ، وطُغْرُلْبك التركماني ببغداد تغلو مراجلُه ولا تهدأ بلابلُه لما كان من الوقعة بسِنْجار المقدم ذكرها وما تَعقَّب ذلك من استيلاء قُرَيْش بن بَدْران على المَوْصِل ، فنفذت كتبُ العباسي مع كتبه إلى خُراسان وبلاد التُّرك يستنفران الناسَ خفافًا وثِقالًا ، حتى حَشَدا الجَمّ الغفير والعَدَد الكثير . وألقى طُغْرُلْبك بين عينيه عزمه ، وجعل قَصْدَ مصر والشام له همَّه . وسار ياؤم المَوْصِل وقد ظَنَّ أنه لا يلقاه لاقي ولا يرقى لثَلِّ عرشه راقي . فأجْفَلَ قُرَيْش بن بَدْران منهزمًا ، وسار أبو الحارث البَساسيري من خوفه بأسه للامتناع بدمشق معتزمًا ، وعند ذلك ظهر الأمرُ الذي كان إبراهيمُ بن يَنال – أخو طُغْرُلْبك – أضمره وأسَرَّه حين كاتب أبا الحارث وقُرَيْش بن بَدْران ، ووَصَلَ رسولُه إلى المُؤَيد في الدين إلى حَلَب . فلم يشعر طُغْرُلْبك حتى استولى ابن يَنَال على خزائنه وأمواله وأخذ بها إلى الجبال ليتحصَّن بها من طُغْرُلْبك وخوف أهواله . فاختبط طُغْرُلْبك وعسكره وتَفَرَّقوا تَفَرُّق أيدي سبا ، ودَفَعَ الله شَرَّهم ببركة وَلِيِّه ، وأَذَلَّهم بعد الإباء ، فعند ذلك انتهز أبو الحارث بن أَرْسَلان الفرصة وبادر وطُغْرُلْبك مشجي بتلك الغُصَّة ، فقَصَر بَغْداد بالرايات المستنصرية وهو قوي العَزْم صادق النِّيَّة ، ووافاه قُرَيْش بن بدران فوجدا أهل بغداد إلى الله تعالى من ظُلْم

[١] المؤيد في الدين : سيرة ١٧٥– ١٧٦.

التركمانية يَعجُّون ، وبصوت الدُّعاء لكَشْف ما غشيهم يَضجُّون . وقد مُلِئَت قلوبُهم من العبّاسي وابن المُسْلِمَة حرقًا وعيونهم أرقًا ، لكونهما اللذين جَلَبا إليهم التركمانية ، فاستولوا على أموالهم وانتهكوا حريمهم [١].

البَساسِيري يَدْخُل بغداد

وكان قُدُومُ أبي الحارث إلى بغداد بالرّايات المستنصرية على أهلها ، كنزول الرحمة من السماء وانفجار الصُّبْح بعد الظُّلْماء فتلقُّوه وحَيُّوه بالترحيب ، وعَطَفُوا معه إلى دار الخليفة العبّاسي بالتحريض لقتاله والتأليب ، فحاصروا الخليفة العَبّاسي حتى أخذوه برمته أسيرًا . وعمدوا إلى ابن المُسْلِمَة – الذي كان له وزيرًا – فنُكِّلَ بأنواع العَذاب ثم جُعِلَ في جِلْد بَقَرة ورُكِّبَ على جبينه قَرْنان وصُلِبَ على جِذْع نَخْلَة وصُلِبَ إلى جنبه ابن مأمون الذي كان رسولَه إلى التركماني . وانْتُهِبَت دارُ العبّاسي فلم يبق فيها من ذخائره سبد ولا لبد ، وسُلِّمَ العبّاسي الخليفة إلى يد بعض الأعراب فأخذه معه إلى موضع يقال له الحِدِّيثة ، ولم يُسَلِّمه البَساسيرى إلى الحضرة المستنصرية ، وذلك لما كان الوزراء قد امتنعوا عن تسليم أموالٍ كان ابن ينال اشترطها فجعل ذلك جزاءً لفعلهم [٢].

الدَّعْوَة للمُستنصر بالله في بغداد

وقامت الدَّعْوَةُ للإمام المُسْتَنْصِر بالله – عليه السّلام – في بَغْداد على رؤس المنابر وسارت بذلك إلى الآفاق البشائر ، وعَرَفَه كل بادي وحاضر وذلك في

---

[١] المؤيد في الدين : سيرة ١٧٩– ١٨٠.

[٢] المؤيد في الدين : سيرة ١٨٠– ١٨٢؛ ابن الجوزي : المنتظم ٨: ١٩٧؛ ابن الأثير : الكامل ٩: ٦٤٤؛ ابن طباطبا : الفخري ٢٩٥؛ ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة (الدولة العباسية) ٢٧١؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٥: ٢٥٠.

سنة خمسين وأربعمائة ؛ فكان له – عليه السَّلام – مُلْك مصر وبَرْقَة والعَرَب واليمن والشام ، وخَفَقت له في بَغْداد والكُوفَة ووَاسِط والمَوْصِل الأعلام ، وقامت الخُطْبَةُ بالدَّعْوَة له في هذه الآفاق ، وأرغم به أهل الشِّقاق والنِّفاق . قال الجَوْهَري في صِحاحِه : بَغْداذ وبَغْداد وبَغْدان بالنون مُعَرَّب ، وأنشد الكِسائي :

[الطويل]

فياليله حَرْس الدجاج طويله　　　بِبغدان ما كادت عن الصُّبْح يَنْجَلي

قال يعني خرسًا دجاجُها ، والصحيح بَغْداد بدالين مهمـلين وبدال ونون ، فأما بدالين معجمتين فخطأ مسترذل [١]. قال ابن حَوْقَل البغدادي : بَغْدادُ[a] مدينة مُحْدَثة [في الإسلام][b] ابتناها المنصور أبو جعفر الدوانيقي[c] في سنة خمس وأربعين ومائة في الغربي من الدِّجْلَة الذي يشق إليه من الفُرات نهر عيسى من فوق الأنْبار تحت قنطرة ، ويجرى فيه السُّفُن من الفُرات إلى دِجْلَة على بَغْداد[d]، ثم نَزلَ منه ابنه المهدي الجانب الشرقي وانتقل اسم دار الخلافة إليه وفيه أشجارٌ وأنهارٌ تَشْربُ من ماء النَّهْرَوان ، وبناؤها مفترش في الشرقي نحو ميلين مرتفع على دِجْلَة نحو خمسة أميال وهي ذات جوامعَ أربعة : جامعُ مدينة أبي جَعْفَر ، وجامعُ الرُّصافَة وجامع دار الخِلافَة وجامع ترابي[e]، وهو لعليّ بن أبي طالب – كَرَّمَ الله وَجْهَه وصَلَّى الله عليه – يحضر كل

---

[a] عند ابن حوقل : مدينة السلام . [b] زيادة من ابن حوقل . [c] عند ابن حوقل : المنصور عوضًا عن الدوانيقى . [d] هذه العبارة لا توجد في نشرة ابن حوقل . [e] عند ابن حوقل : مسجد براثا في الجانب الغربي ، ونصه « وبها مساجد للجُمعة وصلاتها خاصّةً في أربعة مواضع منها ، فمنها في الجانب الغربي الذي بمدينة أبي جعفر ، وبالرُّصافَة جامع آخر لأهل باب الطاق ، وفي دار السلطان أيضا جامع يحضره الخاصة والعامة ، ومسجد براثا في الجانب الغربي واستحدثه أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه .

---

[١] الجوهري : الصحاح ٢:٥٦١ وزاد بعد وبغدان بالنون : ومَغْدان يُذَكَّر ويؤنَّث .

واحد من هذه الجوامع خلقٌ من الخواص والعوام. والجمعة في جامع مدينة أبي جعفر، هذا قوله [١].

وفي أمر العَبّاسي وأسْره وإقامة الدَّعْوَة لأمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – عليه السَّلام – يقول الداعي المُؤَيَّد في الدين مفتخرًا إذ ذلك الضَّلال كان قَطَعه بِسَيْفِ لسانه، وظُهورِ بيانه، وإقامة برهانه وحُسْن غايته وواضح هدايته حيث قال:

[الكامل]

لَوْكنْتُ عاصرت النبيَّ محمدًا ماكنت أُقْصِر عن مَدَى سَلْمانِه
ولقال أنت من أهل بيتي مُعْلِنًا قولًا يُكَشِّف عن وُضوح بَيانِه
مشهورُ آياتي[a] بصحن عِراقه هذا، وفارسه إلى كِرْمانه
وعبوسُ يوم لابن عبّاس به لاقَى الرَّدَى مُتَشَخِّصًا لعَيانه
إذ بات يَعْثُرُ في ذيول مَذَلَّة يعتاض ضِيقَ الحبس عن إيوانه
ورأى على الصاري ابن مُسْلِمة الذي قد ضج ثغر الدين[b] عن عُدْوانه
فسقى الإلٰه سَجالَ رحمته ثرَى قبرٍ ثوى فيه أبو عمرانه
إنَّ ابنه كم من مقامٍ قامه صعب يُثَبِّت جنانِه ولسانِه
في رَفْع رايات النبي وآله وضِرابِه لعُداتِهم وطعانِه
فلكم يَشُدّ بنا[c] بني هٰرونه ولكم يَهُدّ بنا بني هامانه
هل في البسيطة في مساعيه له مثلٌ فينبغي الجَرْي في ميدانِه
فَرْدُ الزمان بدينه وولائه للفرد مولاه إمام زمانه

[a] الديوان: آثاري. [b] الديوان: ضَجَّت فَمُ الإسلام. [c] الديوان: ولكم يشد قوى.

[١] قارن ابن حوقل: صورة الأرض ٢٤١.

هُوَ في بلاد الله[a] عَيْنٌ عباده   طرًّا وإني العبد[b] من عبدانه[١]

طُغْرُلْبك يعيد الخليفة العباسي

وأقام العبّاسيُّ أسيرًا سنةً كاملةً، والخُطْبَة في بَغْداد وما والاها للإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين – سلامُ الله عليه – ثم قَوِيَ أَمْرُ طُغْرُلْبك التركماني وعادت إليه عساكره. فبادر الأعرابي الذي كان عنده الخليفة العَبّاسي بإطلاقه وجَعَل إطلاقَه قُرْبَةً إلى طُغْرُلْبك بإطلاق خليفته. وعاد إلى بَغْداد كعادته بعد أن استشهد أبو الحارث البَساسيري – رحمة الله عليه – وقَتَل أخاه إبراهيم بن يَنال، رضًى للعبّاسي وتقرُّبًا إليه[٢]. وكان سببُ ذلك اختلاف الوزراء في الأبواب الطاهرة المستنصرية، وتوانيهم عن القيام في ذلك بالكلية، وإغراض أمير المؤمنين – عليه السَّلام – حين عَلِمَ أن دَوْلَة بني العَبّاس ما انتهت ولا انقطعت وأنها إلى حين مُتِّعت مما علمه من آبائه مما ورثوه من علم النبوة وأخذوه عن جَدِّهم أمير المؤمنين الآخذ له عن خاتَم المرسلين بقُوّة وحَقِّ قول الله تعالى ذي العِزّة والاقْتِدار ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [الآية ٤٢ سورة إبراهيم]. ولم تزل الدنيا مشوبةً بالأَقْذاء والأَقْذار متعاقب فيها سوادُ الليل وضياءُ النهار.

---

[a] الديوان: عباد الله.   [b] الديوان: جمعا وإني العين.

---

[١] ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ٢٨١.

[٢] راجع تفصيل حركة البساسيري ومساندة المؤيد في الدين له عند محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية ١٧٩–٢٠٦؛ فاضل الخالدي: الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، بغداد ١٩٦٩، ١٠٢–١٣٩؛ عبد الجبار ناجي: «ثورة البساسيري في بغداد»، مجلة كلية الآداب–جامعة البصرة ٥ (١٩٧١)، ٤٢–٧٨؛ M. Canard, *EI*² art. *al-Basâsîrî I*, pp. 1105-1107؛ أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر ١٩٤–١٩٦ وما ذكر من مراجع.

المُؤَيَّدُ يعود إلى مصر

فأما المُوَيَّدُ في الدين فإنه كان قد عاد إلى حضرة الإمامة بعد أن أصْفَى مدينة حَلَب ونواحيها، وقام من سياسة أهلها بما وَجب فيها وتَرَكَ الأرض على العَبّاسي نارًا تلتهب، وقامت في العراقين جميعًا بحُسْن عنايته لإمامه - عليه السّلام - الخُطَب، فلما عاد إلى حضرة الإمامة في القاهرة المعزيّة لم يزل يُمْتَحن فيها ويُضْطهَد ويُبْرَح عن حضرة إمامه - عليه السّلام - ويُصَدّ خوفًا ممن مَلَكَ أمور المملكة أن يعارضه فيما هو فيه، من أمور دنياه [a]، وهو مُعْرِضٌ عن الدنيا مُقْبِلٌ على أمر دينه لايريد سواه، وطال صَبْرُه عن وقوفه بحضرة إمامه وإبعاده أن يَشْفي بمناجاة مولاه حر أوامه، فحين بَلَغَ به الصَّبْرُ إلى الغاية التي لا غايةَ بعدها، وبَلَغَت به المِحْنَة حَدَّها، طالَعَ إمامَ زمانه - عليه السّلام - بالشَّكْوَى، وكَتَبَ إليه يسأله مناجاة حضرته في النَّجْوَى، وأكثر من عتابه في خطابه، وجَعَلَ هذه الأبيات ضمن كتابه شعرًا [1]:

[السريع]

أُقْسِمُ لو أنَّكَ تَوَّجْتَني ... بتاجِ كِسْرَى مَلِكِ المَشْرِقِ
ونُلْتَني كلَّ أمور الورى ... مَنْ قَد مَضَى منهم ومَنْ قد بَقِي
وقُلْت أنْ لا نلتقي ساعةً ... أجبت يا مولاي أن نَلْتَقي
لأن إبعادَكَ لي ساعةً ... شَيَّبَ فَوْدَيَّ مع المَفْرِقِ

فسَدَّدَ سَهْمَه للغرض في الكتابة، ووافَت دَعْوَتُه وقد فَتَحَ الله لسماء إجابته أبوابَه، ولَبّاه إمامُ عصره - سلام الله عليه - وأجابه حيث يقول [2]:

---

[a] في هـ: فيما صبح ينجلي من أمور دنياه.

---

[1] المؤيد في الدين: ديوان ٣١٣.

[2] نفسه ٣١٣.

[السريع]

يا حُجّةً مشهورةً في الوَرَى ... وَطْود عِلْمٍ أعجز المُرْتَقي
ما غُلِّقَت دونك أبوابُنا ... إلّا لأَمْرٍ مؤلم مُقْلِق
ولا حَجَبْناك مَلالًا فثق ... بُودِّنا وارجع إلى الأَلْيَق
خِفْنا على قلبِك من سمعه ... قَصْدنا صدَّ أبٍ مُشْفِق
شيعتُنا قد عُدِموا رُشْدَهم ... في الغرب ياصاحِ وفي المشرق
فانْشُرْ لهم ما شِئْتَ من عِلْمِنا ... وكُنْ لهم كالوالد المُشْفِق
إن كنت في دعوتنا آخرًا ... فقد تجاوزت مدى السَّبْق
مِثْلُك لا يوجد فيمن مضى ... من سائر الناس ولا من بقي

المُؤَيَّدُ في الدين داعٍ للدعاة

ثم إنه – رضوان الله عليه – دَخَلَ إلى حضرة إمامه – عليه وعلى آبائه الطاهرين أسنى صَلاة الله وسلامه – فخاطب مولاه بما أراده من كلامه، ونالَ منه فوق أمله ومرامه، وكَرَع في تيّار علمه ناقِعًا لإدامه، ورَفَعَ أميرُ المؤمنين قَدْرَه وأسْنَى فَخْرَه، وأعْلَى مَجْدَه وأَسْمَى ذِكْرَه، وجعله بابَ دَعْوته الذي يَتَقَرَّب به إليه وغيبة علمه الذي تُلْقى أسرارُه لديه، ولم يكن دون باب الإمامة الأعظم المستحق لها بعد أبيه أعلى منه ذِكْرًا، ولا أسما عند وَلِيّ الله – عليه السَّلام – قَدْرًا، فهو حُجّتُه بعد الحُجَّة العُظْمَى وبابُه دون الباب الأعظم الأسما. وجَعَل أمْرَ الدُّعَاة جميعًا في الجزائر تحت يده ومنه وعنه يَنالُ كلٌّ منهم ما رامَ في مقصده، وجعله لجميع أهل دعوته قُدْوَةً، وكَتَبَ إليه بتقليده في الدَّعْوَة هذا السِّجِلَّ[1] وهذا نَصُّه[a]:

[a] في الأصل: قصّه.

[1] وذلك في سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م (ابن ميسر: أخبار مصر ١١٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٥١).

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ناصر المُحِقِّين من عباده المُحَقِّقين ، وجاعِلِ العاقبة للمتقين المُتَعَلِّقين بحبل أوليائه المُوَفَّقين ، يحمده أميرُ المؤمنين حَمْدَ الوَجِلين من خيفته المُشْفِقين ، ويسأله أن يُصَلِّي على جَدِّه أشْرَف المُفَوَّهين بتنزيله المنطقين محمد المناجيه رَبَّه بقوله ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الآية ٩٩ سورة الحِجْر] وعلى أخيه ووَصيه وابن عمه سُلَّم النجاة للمرتقين عليّ بن أبي طالب روح الحياة للمستنشقين ، وعلى الأئمة من ذريتهما المسوَّرين بَشَرف الإمامة المُطَوَّقين ، وبعد ، فإنك نازلٌ من حضرة أمير المؤمنين مَنْزِلَة مثلك من خَدَم أوّليتك لأوّليته ، وليل التَّقِيَّة مرخي ذيل سدوله ، فاتَّبَعُوا سبيلَ الرُّشْد حين ضَلَّ مَنْ ضَلَّ عن سبيله . وكانوا خُلَصاء المؤمنين الذين يَخِفُّون نحو تلبية دعائهم ، إذا المتثاقلون تَثاقلوا ، وكانوا ممن عَنَتْهم الآية ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ﴾ [الآية ١٠ سورة الحديد] . وجِئْت على آثارهم فكنت أنت أَقْدَمَهُم في دَعْوَة أمير المؤمنين قَدَمًا وأرْفَعَهم في رَفْع أعْلام دَعْوَته عَلَمًا . فلما ظَهَرَ من آثارك قبل هِجْرَتك إلى باب الإمامة وبعدها ما كُتِب بأقْلام الفَخْر على جبين الدَّهْر ، فَتَبلَّج من حُسْن المساعي تَبَلُّج الفَجْر ، وتولَّيت الدَّعْوَة الهادية فشفيت النُّفوس بشافي بيانك ، وأضاء نَجْم الاستبصار من مطلع لسانك ، ودَلَلْتَ على ما عندنا أَهْلَ بيت النُّبُوَّة من شَرَف العُلوم ، وتَرْجَمْت عن كوننا تراجمة سِّر الله المكتوم ، وأَذَّنْتَ في الناس بالحج إلى دَعْوَتنا يأتون رجالًا ورُكْبانًا وعلى كل ضامِر ، واقتنصت بَشَرِكِ الإيمان لنا كُلَّ قلبٍ نافر ، فحين أسعدت طوائر سهمك بالإصابة ، وألقى إليك الناس السلم بالاستجابة ، جَرَت المقاديرُ من صرفك بما لم يكن له أميرُ المؤمنين مريدًا ، واتَّبَعَ ذلك من إبعادك بما كان من موافقة غرضه بعيدًا . فجرى الأمرُ على ماقال الله تعالى

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الآية ١١ سورة الأحزاب]. وكنت على خِلْف المكان من أمير المؤمنين في أَشْرَف مكان، تأوى إلى رُكْن من رعايته وحميد سعايته من أشَدِّ الأركان. فحين بلغ كتاب امتحان المؤمنين فيك أَجَلَه؛ واستوفى مُهْلة أمْرِ أمير المؤمنين بإعادتك إلى بابه وإعادة سَيْف البصيرة منك إلى غِمادِه وقرابه، وإرْقائك إلى منبرِ الله في إرقائك إليه سريره، ولم تنزل بك صغيرة من الذَّنْب ولا كبيرة، وتولِّيك الدَّعْوَة الهادية إليه بحضرته وعلى البسيطة شَرْقًا وغَرْبًا، بُعْدًا وقُرْبًا، وتشريفك من خاص ملابسه التي حَظَيت بمباشرة بَشْرته ومُلامَسَة نمرقه ما تَعَرَّج من المجد به في أعلى أفقه، وحملك من خواص مراكبه على ما تَتَّخِذ معه قِمَم الأفْلاك مركبًا، وتنال منه في ميدان السعادة مَسْرَحًا ومَشْرَبًا. فعُدْ إلى ماعَوَّدَك أميرُ المؤمنين من العوائد، وافتح على المؤمنين أبوابَ الفَوائد، واقْدَح بالعلوم الهادية أنوارًا قد خَبَت، وارْوِ بماء الإرْشاد مزارع نفوسٍ إلى سَقْيها قد صَبَت، لتكون كما قال الله تعالى﴿ وتَرَى الأَرْض خَاشِعَةً[a] فإذا أَنزلْنا عَلَيْها المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الآية ٣٩ سورة فُصِّلَت] وتَمَثَّل ما يمثله لك الوزير الأَجَلُّ السَّيِّد الأَفْضَل الواحد الكامل أبو عبد الله[1]، أمتع الله به أمير المؤمنين وعَضَّدَه، ووَفَّقَهُ به وأَيَّدَهُ؛ فإنه على لسان أمير المؤمنين يُتَرجِم، وبيده يَنْقُض ويُبْرِم، وما قالَهُ فهو المَقُول، وما يَفْعَلَه فهو المَفْعُول. والله تعالى يُحقِّق لأمير المؤمنين فيك أَمَلًا، ويجعل أبياتَ أغراضِه على يديك ذُلَلًا، ولا يُضِيع أَجْرَ

---

[a] في الأصول: وترى الأرض هامدة!

---

[1] لا يوجد بين وزراء المستنصر من يحمل هذه الألقاب، وربما كان المقصود هو الوزير الأجل الكامل (الأكمل) الأوحد أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي الذي تولى الوزارة في شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٠هـ وأقام سنتين وشهورًا وصرف في شهر رمضان سنة ٤٥٢هـ حين تولّى ديوان الإنشاء (ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة ٨٥؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٨، ٢٢)، وانظر فيما يلي ص ٨٢.

عَمَلِك إنه لا يُضيعُ أَجْرَ من أَحْسَنَ عَمَلًا . وصلَّى الله على رسوله سيدنا محمد وآله وسلَّم تسليمًا » .

وقَفَّى أميرُ المؤمنين ذلك لصَفِيِّه المُؤَيَّد في الدين بتقليدٍ ثانى رُفِعَت به من أعلام مجده مباني وهذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ووَلِيِّه مَعَدٍّ أبي تميم المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين ، إلى الشيخ الجليل داعي الدُّعَاة المُؤَيَّد في الدين عصمة المؤمنين هِبَة الله بن موسى – سَلَّمه الله تعالى وحَفِظَه وأعانه .

سلامٌ عليك فإن أميرَ المؤمنين يَحْمَدُ إليك الله الذي لا إله إلَّا هو ويسأله أن يُصَلِّي على جَدِّه محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صَلَّى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين وسَلَّم تسليمًا .

أما بعد ، فالحمد لله الذي أيَّد أميرَ المؤمنين بنَصْره وبالمؤمنين الذين وَضَعوا في مَهْد الوَلاء ورَضَعوا أَلْبان الوَفاء ، وصَدَّقوا ماعاهَدُوا الله عليه في طاعةِ أئمتهم البَرَرَة الأتْقِياء ، وانتظموا في سِلْك الصابرين معهم في البأساء والضَّرَّاء . يحمده أميرُ المؤمنين حَمْدَ الشاكرين أن سَدَّ خَلَلَ دَعْوته بقَوْمٍ يحبهم الله ويُحِبُّونه أَذِلَّة على المؤمنين أَعِزَّة على الكافرين ، وهم في طاعَةِ أئمتهم ماضو العَزائم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لَوْمَةَ لائم . ويسأله أن يُصَلِّي على جَدِّه محمد خاتم النبيين وسَيِّد المرسلين – صَلَّى الله عليه وعلى آله الطاهرين – الذي أرسله شاهدًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسِراجًا منيرًا ، وشَرَّفَ أَهْلَ بيته بقوله ﴿ إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا ﴾ [الآية ٣٣ سورة الأحزاب] ، وعلى أبيه عليِّ بن أبي طالب المكين مكانًا المبين برهانًا القائمِ منه مقام هارون من موسى –

عليهما السّلام – حيث يقول ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ [الآية ٣٥ سورة القصص] ، وعلى الأئمة من ذُرِّيّته الذين وَضَعهم الله للقِسْط ميزانًا ، وعلَّمَهم بيانَ مانَزَل على رسوله قرآنا . وإنك لتنتمي[a] إلى صالح دُعاةٍ أَنْفَقوا من قبل الفَتْح وقاتلوا أمامَ وضوح تباشير الصُّبْح ودَعَوا إلى الأئمة المستورين آباء أمير المؤمنين – عليهم السّلام – ولما نُشِرَ لهم عَلَم ، وأقاموا معالم دينهم والدنيا ظُلَم ، يَسْتَنّون من التُّقَى والرّشاد بأرْضي سُنّة ، ويستجنون من التقوى والسّداد بأوْفى جُنّة . وجئت على آثارهم فكنت أحسنهم آثارًا وأرفعهم في مقامات الطاعة والمجد منارًا ، وكان منك بفَارِس وكِرْمان وخُوزسْتان في رَفْعِ أعلام أمير المؤمنين ما أقام العالمين على قَدَمٍ ، وتناول ذِكْر هَوْلِ مقامك كلُّ لسان وفَم ، حتى دَهَمكَ من الأمر ما نَفَضكَ عن الأوْطان ، فَشَقَقْتَ جَيْبَ الأرض مهاجرًا إلى باب إمام الزمان ؛ ولبثت سنين في جُنْح ليل من الامتحان ، ثم نُدِبْتَ إلى الجهة التركمانية والاصطلاء بَحَرِّ نارها ، وقَذَفْتَ من الأخطار في لُجَج بحارها تُقلِّبُك أكُفُّ الأمواج في تَيّارها ، فسُسْتَ الأمرَ في منصرفك سياسةً حَمَت ما صَحِبك من العُدَد والأموال من أن يَمَسّها طَيْفٌ من شيطان الاضطراب والاختلال ، حتى بَلَغَ هديُها محلّه تحت أرْوِقَة الأَسِنّة والنِّصال . ثم اقتضت ثمالا بِشرك الإيناس بعد النفور ، واستخلصته لله فأويت به إلى الظِّلِّ من الحرور ، ثم حَصَنْت في وَجْه التركمانية رَدْمًا ، ورَجَمْت شياطينهم برأيك وحُسْن تدبيرك رَجْمًا ، ومازلت تُرْسِلُ عليهم من كِنانَة الله سَهْمًا فسَهْمًا ، حتى أتى الله بُنْيانهم من القَواعد فهدمه هدْمًا بالكَسْرَة التي كسرت حِدَّتَهم ، والفَتْكَة التي نَقَضَت عُدَّتَهم وأفْنَت عدتهم ، فأصبحوا في أثوابها حاسرين . ثم عَرَجْت على حَلَب فكَشَفْتَ بها الغماء وسَكَّنْت الفِتْنة الصَّمّاء ، إلى أن سَلَسَ منها

---

[a] في المخطوطتين : لتنمي .

القياد ، ونيلَ منها فدخلها عسكرُ أمير المؤمنين بسلامٍ آمنين تَلْقاهم وجوهُ البِشْر وتُصافِحهم أَكُفُّ البِرِّ . وظَهَرَ من خلوص طاعتها بتلَطُّفِك في ليلة الحريق ماحداهم على اتباع أمثلتك فيه حسن التوفيق . ورجعت إلى باب أمير المؤمنين ولمقامك غُرَرٍ وحُجُول من حُسْن الذِّكر ، ولله بحضرة إمامك كَنَفٌ مأهولٌ من الرضى والشكر . ولما مَثَلْتَ ببابه وعَرْفُ محاسنِ أثارك يفوح ، ولسانُ أفعالك بخالصِ نُصْحِك يبوح ، رأى – والله يُوَفِّقُهُ – أن يَسُدَّ بك خَلَلَ دَعْوَةٍ طال عهدها بأمينٍ عليها مؤتمن . ولما تَعلَّق يدها بلسانٍ في علومها لُقِّن ؛ فألقى مقاليدها منك إلى دائِنٍ دَيْن الحق ، ناطق فيها بلسان الصِّدْق ، وجعلك وجهتها التي يولِّيها جميع الخَلْق ، وبابَها للمؤمنين بحضرته والغائبين في الغرب والشرق ، فتولَّ ما ولَّاكه أمير المؤمنين بِعَزْمَةٍ مثلك ممن قويت عزائمه ؛ وثبتت على سطح أرض البصيرة دعائمه ، فاجعل لإصلاح مافَسَدَ من أمرها أكبر علاقة من قلبك ، ولما اعتلَّ من جسمها أوْفَى نصيب من طبك ، واعلم أن موضوع الحِكَم الدينية على الأوامر والنَّواهي الشَّرْعِية ككون موضوع القوى الروحانية على الأشكال الجسمانية ، فمن أحسست منه فتورًا في الشريعة فاعلم أنه سُبَّةٌ شنيعةٌ على الشيعة ، فامح من ديوان الاستجابة اسمه ، واقطع من مجالس الدَّعْوَة أَثَره ورَسْمَه ، واحتم على المؤمنين أن يحافظوا على الجُمَع والجماعات ، ويشمروا للقيام بكُلَف الطاعات ، ويَحُجُّوا إلى بَيْت الله الحرام ، ويزوروا قبر جَدِّنا محمد – عليه أَفْضَل الصَّلاة والسَّلام – فإن أمير المؤمنين يتكلَّف ما لاخفاء به من الإنفاق لقواصد بَيْت الله الحرام من جميع الآفاق ، حتى يبلغ نحوه تحت ظِلال الأَمْنَة أهل الخِلاف والوِفاق ، فأي عُذْر لأهل ولائه إذا قام غيرهم بفَضْل الحَجّ وتقاعدوا ، ويَخِفُّ نحوه سواهم وتثاقلوا ، أليس ذلك مما يوجه في دينهم الظِّنَّة ويطرق عليهم لفَساد اعتقادهم الهُجْنَة ، ويُصَوِّر لنواقص العُقول أن قضية دينهم تقتضي ذلك والله يَشْهَد أنهم لكاذبون ، وفي مذهب الافْتِراء

على أئمة الحَقّ الذين نَزَّهَهم الله عن الباطل ذاهبون . ورَتِّب الدُّعاة في الجزائر ترتيبًا تعمر به مراتب العبادة ، وتحضر معه رياض الإفادة والاستفادة ، وليكن من تقيمه القَوِيّ الأمين وقليل ماهم ، واحذر الضعيف الخَوَن وسواء مماتهم ومحياهم ، فإن أَعْوَزَكَ ذلك – وهو مُعْوِزٌ لاشك – فليكن المندوب أمينًا ولا يكن خؤنًا . وأقبل على أرض منقوصة من أطرافها ، مشمولة الخراب من أكنافها ، لتهتز وتربو بَصَوب ماءِ إرشادك ، وحميد مقامٍ من سَعْيك واجتهادك . وتغنم تثقيل ميزانك بأجر من تدعوهم إلى الله من المتغنمين ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا ممن دَعَا إِلَى الله وعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنَّنى مِنَ المُسْلِمِينَ ﴾ [الآية ٣٣ سورة فُصّلت] . وارفع إلى بَيْت المال ما يجتمع عندك من الفِطْرَة والزكوات والأعمال رَفْع المُؤَدّي الأمانة المُطَهَّر من دَنَس الخيانة ، وارجع إلى رأي الوزير الأَجَلّ الكامل الأَوْحَد صَفِيّ أمير المؤمنين وخالصته أبي الفَرَج محمد بن جَعْفَر أَمْتَع الله به وأيَّده وعَصَمَه فيما يشير به من صالح خدمتك ، فهو وَلِيُّ التَصَرُّف والتَّصْرِيف ، وبيده زِمام الجَلِيل من الأعمال واللَّطيف . هذا عَهْدُ أمير المؤمنين إليك فأوله منك عَهْد القبول ، وأمثلته لَكَ فكن في تَمَثُّلها عند المرجو فيك والمأمول . واسْلُكْ في شِعْب الذين يؤنسون رُشْدَهم من كتاب الله تعالى وإلى امتثال أمره يأْنسون ، إذ يقول تعالى ذكره ﴿ كُونُوا رَبَّنِيّين بِمَا كُنتُم تُعَلِّمُونَ الكِتب وَبِمَا كُنتُم تَدْرُسُونَ ﴾ [الآية ٧٩ سورة آل عمران] . والله تعالى يجعلك لطاعَتِه وطاعَةِ وَلِيّه في أرضه محرَّرا ، ويجعل غِراسِ آمالك في دِينك وتَقْواك مُثْمِرًا ، ويُرْسِل رِياحَ توفيقه ومعونته وحُسْن تَسْديده نَشْرًا يقضى لك بسعادة العُقْبَى في ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَت مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ﴾ [الآية ٣٠ سورة آل عمران] . إن شاء الله والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته . وَكُتِبَ غُرَّة ذي الحجة من سنة خمس وخمسين وأربعمائة . والحمد لله كما هو أهله وصَلَّى الله على سيدنا محمد النبيّ وعلى آله الطاهرين وسَلَّم تسليمًا وحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيل » .

فقام الداعي الأَجَلُّ المُؤَيَّد في الدين صَفِيُّ أمير المؤمنين هِبَةُ الله بن موسى - نَضَّر الله وجهه - بالدَّعْوَة خير قيام، ونَظَمها على أحسن نظام؛ وأبان معالمَ الدين وأَوْضَح نَهْجَ الهُدى للمهتدين، وأقام الشَّواهد والبراهين، وهو لسانُ الدَّعْوَة المنطلق وطِبُّ الشريعة ونجمها المُؤْتَلِق المُبَيِّنُ لمعالمها والمُوَضِّح لمراسمها، والقائمُ بإثبات دعائمها، صاحب الحِكَم الجَلِيَّة والبراهين العلمية مُوَضِّحُ الحقائق الغامضة الخَفِيَّة وله المجالسُ الشريفة والمواعظُ البيِّنة اللطيفة، أتى بها من الفَصاحَة بما جَلَّا على السابقين، وأجرى فيها عَيْنَ الحق اليقين، وزَهِدَ في الدنيا ورَغِب في الأخرى، ودَلَّ على ما فيها من الثَّواب الذي سَبَقَت به من الله لعباده الصالحين البُشْرَى، وأَنْذَرَهُم من العذاب وورود جَهَنم الكبرى، وحضَّ على الأعمال الموجبة في أوامر الشريعة، ودَلَّ ما للعاملين بها من المنزلة السامية الرفيعة، وحَذَّر من التَّواني والتقصير في العمل وأَمَرَ بانتهاز فُرْصَة العمر قبل حضور الأَجَل، وأَوْضَح الحُجج في بيان إثبات الإلهية وتوحيد الله سبحانه ولا إله إلّا هو المُتَفَرِّد بالأَحَدِيَّة، وأبان طريقَ التوحيد لأهل المباحث العقلية ورَدَّ على الفلاسفة المُعَطِّلَة والدَّهْرِيَّة، ودَلَّ على مراتب الملائكة الروحانية وكَوْنهم لَطائِف سامية قدسية، واحْتَجَّ على جميع المُعَطِّلين النافين للإلهية وأَدْحض حُجَجَهم النائلة الردية، وأقام الشواهد العقلية والحِسِّيَّة، واحتج على المنكرين للنبوة وأوضح الحُجج التي أظهر دلائلها بقُوَّة، وأنْكَرَ قولَ المنكرين للمَعاد وأبان ما في قولهم من الفَساد، وأبان فَضائل أَهْل الذِّكْر الذين كَنَّى الله عنهم بأُولي الأَمْر، واحْتَجَّ على إثْبات التأويل وأتى بالبُرْهان الواضح فيه الدليل، وجاء بكثيرٍ مما اضْطُرَّ إليه المنكرون للتأويل من إثباته، وأظهر دلائله وبَيِّناته. وله من القول فيما ذكرناه ومالم أذكره من فنون العلم أقوالٌ صادقةٌ تشهد لها الأَنْفُس والآفاق بالموافقة، وذلك موجودٌ مباحٌ لمن استفتح باب الهداية مورود.

وكانت كُتُبُ الدُّعاةِ في الجزائر تُعْرَض إلى الحضرة الطاهرة النبوية على يديه ويرجع جوابُهم منه وتأتي مسائلهم إليه، فاستقامت الدَّعْوَة في جميع الآفاق، وقام الحَقُّ بواضح بيانه على ساق، وانتظمت الدَّعْوَة أَحسن انتظام، واتَّسَقَت أَفْضَلَ اتِّساق. وكان الوزيرُ أبو محمد الحسن [بن عَليّ] بن عبد الرحمٰن اليازوري قد قُتِلَ – رحمة الله عليه – في تِنِّيس[a] في المحرم أول سنة خمسين وأربعمائة[1]، وأقيم في الوزارة بعده أبو الفرج محمد بن جَعْفَر المَغْرَبى[2]، وهو الذي ذكره أميرُ المؤمنين المستنصر بالله – صلوات الله عليه – في تقليد الداعي المُؤَيَّد في الدين صَفِيّ أمير المؤمنين، وقد ذكرناه.

الحَرْبُ الأهلية في مصر

ومازالت أمورُ الدَّوْلَة المستنصرية حَسَنَة الأَحْوال، جارية في استقامة الأمور على مِنْوال مَحوطَة الأطراف محمية الأَكْناف، ممنوعًا فيها أهلُ الشِّقاق والخلاف، حتى جَرَت المخاصمة بين العبيد والأَتراك الذين هم أعيانُ جنود الحضرة النبوية وعبيد الإمام – عليه السَّلام – المشترون بالدراهم والدنانير، وذلك في سنة أربع وخمسين وأربعمائة. وكان أصلُ ذلك لَدَدٌ جرى بينهم ولَصاب بعضُ الأَتراك رجلًا من العبيد، فتشاكوا إلى الوزير – وكان يومئذ أبو الفضل عبد الله يحيى بن المُدَبِّر[a][3] – فهوَّن الأمر ولم يَفْصِل

[a] في الأصول: بلبيس، والتصويب من المصادر المصرية.

[1] راجع تفصيل ذلك عند، ابن ميسر: أخبار مصر ١٦– ١٧؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٣: ١٧٧– ١٧٨؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٢١– ٢٢٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٣٦– ٢٤١، المقفى الكبير ٣: ٤٠٧– ٤٠٨؛ M. Brett, «The execution of al-Yâzûrî» in *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras*, II, pp. 15-27.

[2] في المصادر المصرية أن الذي أقيم بعده صاحبه أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي وصرف في ربيع الأول سنة ٤٥٠هـ وقُرِّر مكانه أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي (ابن ميسر: أخبار مصر ١٨).

[3] أبو الفضل عبد الله بن يحيى بن المُدَبِّر، ينتسب إلى بيت مشهور في الدولة العباسية، ولي الوزارة =

بينهم بحُكْمٍ[١]. فعَظُم الأمرُ وتزايد الشَّرُّ، فوَقَعَت بينهم الفِتْنَة في أَزِقَّة القاهرة المعزية مما يلي الجامع الأَنْوَر[٢]، فخرج العبيدُ فحَشَدُوا الحُشُودَ ووصَلوا أبواب القاهرة، وقد اجتمع الأتراكُ وسائر الطَّوائف على حربهم، فخرج الأتراكُ ومن معهم من الأبواب فوَقَعَ القتالُ، فكانت الدائرةُ على العبيد وقُتِلَ جماعةٌ منهم، فانهزموا إلى ناحية الرِّيف، وغَرَقَ منهم جماعةٌ في البحر وقامت الفِتْنَة ما بين الجيزة وبين الجزيرة[٣]، وقد جَعَلَ الأتراكُ ومن انضم إليهم أمرهم إلى ناصر الدولة بن حَمْدانْ[٤]– وكان ربيبَ الدولة العلوية وغَذِيّ أنعمها ونَشَر

---

[a] في الأصول: أبو يحيى بن عبد الله المُدَبِّر، والصواب ما أثبته من المصادر المصرية.

= للإمام المستنصر بالله دفعتين: الأولى في صفر سنة ٤٥٣هـ وصرف بعد شهور، والثانية في شهر ربيع الأول من سنة ٤٥٥هـ وتوفي في وزارته في جمادى الأولى من نفس السنة، وهو أحد من وَلِيَ الوزارة ومات فيها (ابن الصيرفي: الإشارة ٨٥– ٨٦؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٢٧).

[١] عن هذه الفتنة التي أجمع المؤرخون المصريون أنها أوجبت خراب الديار المصرية راجع، ابن ميسر: أخبار مصر ٢٤– ٢٦؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٢٤– ٢٢٩؛ المقريزي: الخطط ١: ٣٣٥– ٣٣٧، إغاثة الأمة بكشف الغمة ٢٤– ٢٧، اتعاظ الحنفا ٢: ٢٦٥– ٢٦٩؛ أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر ١٩٩– ٢٠٤.

[٢] الجامع الأَنْوَر. بدأ بناءه الإمام العزيز بالله خارج باب الفتوح القديم (أحد البابين الشماليين لمدينة القاهرة الفاطمية) سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م وسمّاه «جامع الخُطْبَة» ثم توقّف العمل فيه إلى أن أكمله ولده الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٣م، ولكنه لم يُفْتتح رسميًا للصلاة إلّا في سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، وأطلق عليه في وقت لاحق اسم «الجامع الأَنْوَر» وإن كان اشتهر في المصادر وبين الناس باسم «جامع الحاكم» (راجع، المقريزي: الخطط ٢: ٢٧٧– ٢٨٢؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ١: ٨٣– ٨٥؛ K.A.C. Creswell, *MAE* I, pp. 65-66; J.M. Bloom, «The Mosque of al-Hakim in Cairo» , *Muqarnas* I (1983) pp. 15-36; A. Fu'âd Sayyid, *La capitale de l'Égypte jusqu'à l'époque fatimide*, pp. 334-51.

[٣] أي جزيرة الروضة الواقعة في النيل بين الفسطاط شرقًا والجيزة غربًا.

[٤] ناصر الدولة سلطان الجيوش الحسين بن الحسن بن حَمْدان (راجع، المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٥٠٠– ٥٠٥؛ أيمن فؤاد سيد: المرجع السابق ٢٠٠–٢٠٤).

فَضْلَها وكَرَمَها – فحين انضم إليه من انضمَّ سعى في الفَساد، وجعل يحملهم على مطالبة الدَّوْلَة بالعَطاء والإلحاح في السؤال، فكلما خرجَ شيءٌ إليهم أمرهم أن يطلبوا غيره؛ حتى وردت هديةٌ من السلطان الداعي الأَجَلّ عليّ بن محمد الصُّلَيْحي من جزيرة اليمن إلى الأبواب الطاهرة عظيمة القَدْر لم يُسْمَع بمثلها كما ذكر أهل السِّيَر، فيها فنونٌ كثيرة من الذَّهَب والفِضَّة والسِّلاح والوَشْي والمِسْك والعَنْبَر والكافور والعُود الهندي الرطب، والأستاذين والجواري وكثيرٌ من الأمتعة يَبْعُد حصرها ويَعْظُم أمرها[1].

فلما انتهت إلى أُسْوان تنازع عليها العبيدُ والأتراكُ، أيهم يكون المتولّي لحملها إلى الأبواب الإمامية والقائم بإيصالها إلى الحضرة المستنصرية. وقد وَجَّه ابن حَمْدان ناصر الدولة أخاه المُكَنّي بسُلْطان العرب ليحملها إلى الأبواب الطّاهِرة، ويُوَصِّلها كاملةً وافرةً؛ فحين انتهى ذلك إلى العبيد وأميرُهم فَتُّوح الشامي المكنى ناهِض الدَّوْلَة، نَهَض لحرب سُلْطان العرب ابن حَمْدان وصار ابن حَمْدان بأُسْوان وأَخَذَ في شَحْن الهدية في المراكب، وقد أقام شحنها ثلاثين يومًا يظل راكبًا فيها من الصَّباح إلى المساء؛ فحين كَمُلَت في المراكب زَحَفَ إليه فَتُّوحٌ الشامي في العبيد ومن انضمَّ إليهم، فحين سَمِعَ سُلْطان العرب بهم تَرَكَ الهدية ورَجَعَ قبل مواجهتهم، وحَقَّقَ في الحضرة النبوية كُنْه قِصَّتهم واستولى فَتُّوح ومن معه من العبيد على الهدية، وساروا بها ومعهم رُسُلُ السلطان الداعي الأَجَلّ فانحدروا إلى أسيوط، واجتمع الأتراكُ وابنُ حَمْدان إلى باب أمير المؤمنين – عليه السَّلام – فأخذوا السِّلاح وخرجوا إلى ناحية الجيزة، فَضَربُوا فيها مضارِبَهم، وانضمت إليهم العرب

[1] لم يرد وصفُ تفصيل هذه الهدية في المصادر المصرية وإنما أشارت إشارة سريعة إلى « ما كان أنفذه الصُّلَيْحي من نفيس الدُّرّ الرفيع الرائع » (الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٨٦ وقارن ابن أبي القبائل: كشف أسرار الباطنية ٢٢٠).

والطَّوائف ، فبلغوا ثلاثين ألفًا بين فارس وراجل وأكثروا العُنْف في مطالبة الحضرة النبوية بالأموال حتى صار إليهم من النَّقْد – على ما ذكر أهل التواريخ – أربعمائة ألف مثقال من الذَّهَب ومن السِّلاح أربعة ألف دِرْع سوى المَغَافِر والبيض ، وفَتُّوح الشامي والعبيد بسيوط مقيمون بها إلى أن وَرَدَ كتابُ أمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – سلامُ الله عليه – إلى فَتُّوح ومن معه وأمرَهُم بالهبوط بالهدية إلى البَهْنَسا [a] وأن يُسَلِّموها إلى الأمير شَمْس المُلْك . فحين وَصَلَ كتابُ أمير المؤمنين هَبَطُوا بالهدية ومعهم رُسُلُ السلطان حتى وَصَلُوا بها إلى أبي صير – وهي مدينة من أعمال الفَيُّوم – واجتمع بها العبيد ومن كان معهم من العرب فَبَلَغَت خيلُهم سبعة ألف فارس وخمسة ألف راجل ، فوَصَلَ إليهم شَمْسُ المُلْك وصحبته قاضي القضاة المليجي الملقب بالصَّادِق المأمون [1]، ومعهما ثلاثة نَفَر من كبراء الأمراء الأتراك ، فاجتمعوا بفَتُّوح الشامي وتداعوا إلى الصُّلْح واجتماع الكلمة والرجوع عن الفِتْنَة ، بعد أن كاتبوا ناصر الدَّوْلَة فأجابهم إليه . فلما تَمَّ ذلك واشتد الأمرُ بينهم عَزَم فَتُّوح أن يسير صحبةَ الهدية معهم ، وأَخَذَ من أصحابه مائتي فارس وسبعمائة راجل ليكون تمام العقد في الصُّلْح بحضرة أمير المؤمنين – عليه السَّلام . فسار بهذه العُدَّة وترك بقية من معه في الفَيُّوم ؛ فلما صار بموضع يسمَّى الحَيّ الأَسْفَل [2]

[a] في الأصل : بهنس .

[1] يوجد هنا خلطٌ في النَّصّ فقاضي القضاة المليجي هو : أبو القاسم عبد الحاكم بن وُهَيْب بن عبد الرحمٰن المليجي الرَّبَعي ، قاضي القضاة ثقة الإمام علم الإسلام ؛ وَلّاه الإمام المستنصر بالله القضاء في سابع ذي القعدة سنة ٤٥٠ وصُرِف في ١١ رجب سنة ٤٥٢هـ ، ثم أعيد ثانية في سنة ٤٥٣هـ وصرف في نفس العام ثم أعيد ثالثًا في عام ٤٥٤ (ابن حجر : رفع الإصر ١ : ٣١٠- ٣١١؛ ابن ميسر : أخبار مصر ١٨ والفهرس صفحة ٢٠٠) . أما الصادق المأمون فهو لقب الوزير مكين الدولة وأمينها أبو العلاء عبد الغني بن نصر بن سعيد الضَّيْف (ابن الصيرفي : الإشارة ٩٤) .

[2] المقصود « عمل أَسْفَل » وهو الجانب الغربي من الفُسْطاط المطل على النيل .

لقيهم ناصرُ الدَّوْلَة بن حَمْدان في الأتراك بجماعتهم، فسَلَّم بعضُهم على بعض، وساروا جميعًا حتى انتهوا إلى القاهرة المعزية، ودخلوا على الإمام المُسْتَنْصِر بالله – سلامُ الله عليه – فخاطبهم في هَدْم مثار الفِتْنَة والرجوع إلى الصَّلاح والهُدْنَة؛ فعقدوا بينهم عَقْدًا بحضرته وحَلَفُوا على تمامه.

ووَصَلَت الهدية بعد ذلك بيومين مع رُسُل الأمير الأَجَلّ الداعي عليّ بن محمد إلى موضع يعرف بالصِّناعَة من ساحل مصر[١]، فلما صاروا إليها أُخْرِجَت الجمالُ والبغال، ونُقِلَت الهدية إلى قصر أمير المؤمنين – عليه السَّلام – ثلاثة أيام، وأنزل الرُّسُل منازل الإكرام، وأنعم عليهم بجزيل الإنعام، وأخرجت إليهم الكُسيّ والتشريفات وأتيحت لهم الكرامات.

ووَقَفَ فَتُوح الشامي في حارة الخَنْدَق[٢] بالذين معه أيّامًا، ثم إن ابن حَمْدان حين رأى قِلَّة الذين مع فَتوح، دَبَّرَ الحيلة في إثارة الشَّرّ بين العبيد والأتراك. فجرت نافرةٌ بين العبيد والأتراك وارتفع الصوتُ بينهم، واغتنم ذلك ناصرُ الدولة بن حَمْدان فزَحَفَ بالأتراك وجميع الطَّوائف الذين معه من الكُتاميين وغيرهم وقصدوا فَتوح الشامي والذين معه إلى حارة الخَنْدَق، ووَقَعَ القتالُ بينهم حتى قُتِلَ كثيرٌ من أصحاب فَتُّوح فافترقوا عنه بعد جهد شديد وأُخِذَ فقُتِل[٣].

---

[١] الصِّناعة. هي دار صناعة السُّفُن بالفُسطاط التي أقامها محمد بنُ طغْج الإخشيد سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م واستمرت تعمل طوال العصر الفاطمي حتى بعد إنشاء صناعة الجزيرة (أيمن فؤاد: المرجع السابق ٧٣٢-٧٣٣).

[٢] لم يرد ذكرٌ لحارة الخَنْدَق عند ابن عبد الظاهر أو المقريزي، وإنما المعروف في المصادر هو موضعٌ معروف بالخَنْدَق يقع في ظاهر مدينة القاهرة تجاه باب القنطرة (ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٧؛ المقريزي: الخطط ١: ٤٢٨، ٤٨٧).

[٣] الأسماء الواردة في هذا النّص لم يرد لها ذِكر في المصادر المصرية المعروفة ولم يحدد عماد الدين إدريس المصدر الذي نَقَل عنه والذي أرجح أنه أحد مؤلَّفات القُضاعي التي لم تصل إلينا!.

وطغى ناصرُ الدولة بن حَمْدان وزاد في البَغْي والعُدْوان ، ومازال يُطالب في الأموال من الحضرة المستنصرية ويُصيب جنود الدولة قصدًا لتضعيف أمر الحضرة النبوية . والتَفَّت العبيدُ إلى ابن النون[١] وجرت وقائع بينهم وبين الأتراك وابن حَمْدان ، وكان الظَّفَرُ لابن النون ، وقال ابن حَمْدان لمن اتَّبعه من الأتراك والكُتاميين وسائر الجند : إن الذي قَوَّى العبيد هو صاحب القاهرة - خلَّد الله ملكه - وهو الذي يَمُدُّهُم بالأموال ، فأَكْثِروا المطالبة والسؤال حتى تُنْفِدوا ما في خزائنه ولا تُبْقوا له قليلًا ولا كثيرًا ، وجعل يحرِّضهم في ذلك ويقوِّي عزائمهم . فأكثروا المطالبة والسؤال حتى انقطع النَّقْد وصار يُنْفِقُ عليهم ما في الخزائن من السُّروج المحَلّاة وثياب الدِّيباج الرومي والخُسْرواني والسُّتور والمراتب والدَّبيقي وآلة الذَّهَب والفِضَّة وغير ذلك وهم كلَّ يوم يزدادون في المطالبة ، ويركب ابن حَمْدان ويركبون إلى باب أمير المؤمنين يقفون من أوَّل النهار إلى نصف الليل لاهَمَّ لهم ، ولاهِمَّة إلَّا إلْحاح السؤال والمطالبة في الأموال ، وكل ما ازداد إليهم إحسانًا ، ازدادوا عُتُوًّا ولجُّوا في غَيِّهم طُغْيانًا وعُلُوًّا[٢]. وسعى الوزيرُ ابن المُوَفَّق في الدين[٣] حتى فَرَّقَ جماعةَ الأتراك وشَعَّب أمرهم ، فاعتزل منهم أميرٌ يسمى أَسَدُ الدَّوْلة[٤] وهو من كبرائهم وذوي بأسهم . فلما تحقَّق ابن حَمْدان ذلك تقدَّم إلى رجلين من الأتراك ، اسم أحدهما تاجُ الملوك[٥]، وأمرهما أن يَفْتِكا بأسد الدولة في قاهرة مصر ، وإن عجزا عن ذلك فتكا بالوزير ابن المُوَفَّق في الدين[٦]، فحين صارا إلى شُرْطَة القاهرة وافقا الوزير ابن

---

[١] لم يُذْكر هذا الشخص في المصادر المصرية !

[٢] راجع تفصيل ما أخرج من القصر الفاطمي خلال هذه الفِتْنة عند، المقريزي : مسودة المواعظ والاعتبار ١٤٨، الخطط ١: ٣٩٧، ٤٠٨-٤٠٩، اتعاظ الحنفا ٢: ٢٩٤- ٢٩٥.

[٣] ربما كان الوزير خطير الملك محمد بن الحسن اليازوري (ابن ميسر: أخبار مصر ١٧، ٣٤).

[٤] هو أسد الدولة يَلْدَكوش (أيمن فؤاد: المرجع السابق ٢٠٣-٢٠٤).

[٥] هو تاج الملوك شادي (المقريزي: المقفي الكبير ٣: ٥٠٣).

[٦] لا يوجد وزيرٌ يعرف بـ «ابن المُوَفَّق في الدين» وإنما الوزير المعني هنا هو خطير الملك محمد بن الحسن =

المُوَفَّق في الدين راكبًا إلى قصر أمير المؤمنين، فضرباه بسيوفهما حتى قتلاه وخرجا هاربين إلى مصر، ووَقَعَت الصَّيْحَة في القاهرة .

واجتمع ابن حَمْدان وكل من معه من الطَّوائف والعربُ والأتراك إلى القاهرة حتى وصلوا إلى الباب الجديد[a] [1]. فركب أميرُ المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – صلى الله عليه – إلى باب قصره واجتمع أَسَدُ الدولة ومن انضمَّ إليه من أصحابه وسواهم ممن بقي في القاهرة ومن حَضَر من عبيد الإمام – عليه السَّلام . فتناول أميرُ المؤمنين اللِّواء فهزَّه وعَقَدَهُ بيده ثم أعطاه عَزيز الدَّوْلَة[2] وأمره بالخروج لحرب ابن حَمْدان ناصر الدولة . فخرج الأمير عزيزُ الدَّوْلَة ومن كان معه من أصحابه حتى وافى الباب الجديد[a]. فلما عاين ابن حَمْدان ومن معه من الجنود والطَّوائف اللِّواء وَلَّوا مدبرين وعلى أعقابهم ناكصين مشمِّرين لايلوون على شيء، وكانوا أربعة عشر ألفًا بين فارس وراجل على ماذكره أهلُ السِّيَر، ومازالوا منهزمين حتى انتهوا إلى الرِّيف الأَسْفَل[3] مسيرة ثلاثة أيام من القاهرة . وقبض ما كان لابن حَمْدان ومن اتَّبَعه من الأموال والنِّعَم، وحمل ذلك إلى باب قصر أمير المؤمنين – عليه السَّلام .

ولما صار ابنُ حَمْدان بناحية الرِّيف الأَسْفَل واجتمع عليه من افترق عنه من الذين كانوا معه، جعل يَبْسِط يده بالظُّلْم ويَضُمُّ إليه ما في تلك الأعمال من الغَلَّات والخَرَاج والجبايات، فأخرج إليه أميرُ المؤمنين – عليه السَّلام – عزيزَ

---

[a] في الأصول: باب الحديد.

= ابن علي بن عبد الرحمن اليازوري (المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٥٠٢).

[1] الباب الجديد. يقع خارج باب زويلة في الشارع الأعظم المتجه جنوبًا إلى صليبة ابن طولون.

[2] هو عزيز الدولة رَيْحان الخادم (ابن ميسر : أخبار مصر ٤) وانظر فيما سبق ص ٤٤ .

[3] الريف الأسفل أي الوجه البحري.

الدَّوْلَة وأمره بإصلاح حال الرِّيف وأمان أهله ومحاربة ابن حَمْدان ومن مال إليه ممن اتبعه على فعله. فلما وَصَلَ الأمير عزيزُ الدَّوْلَة فيمن معه إلى ناحية الرِّيف تأخَّر ابن حَمْدان ومن اتبعه إلى جانب الريف الغربي[1] مما يلى الإسكندرية واستمال إليه قبائل لَوَاتَة وأقام الحرب بينه وبين عزيز الدولة شهورًا، حتى افترق كثيرٌ ممن كان مع ابن حَمْدان ومال عنه من أمراء التُّرْك تاجُ الملوك وابن كَيْغَلْغ وغيرهما، ورَجَعَ عزيزُ الدَّوْلَة إلى الحضرة المستنصرية.

ثم أَظْهَرَ ابن حَمْدان التَّوْبَة والإنابة وعَزَمَ على الرجوع إلى الحضرة وقد اجتمع معه جماعةٌ من العرب، فلما وَصَلَ بقرب القاهرة تلقَّاه الأمير عزيز الدَّوْلَة ومعه جماعةٌ من [a]أمراء الأتراك نحو اثني عشر أميرًا مُسَلِّمين عليه، فحين اجتمع بهم أمر[a] العربَ بقَتْلهم فقُتِلوا ونَفَرَت لفِعْله الأتراك وفَسَد ما كان بينه وبينهم، ورَجَعَ إلى الإسكندرية وأعمالِها، واستولى على الرِّيف الأسْفَل وتِنِّيس ودِمْياط والبُحَيْرَة، فَقَبَض واجباتها وأخذ غَلَّاتها.

واشتدَّ القَحْطُ على أهل مصر والقاهرة وبَلَغَ حِمْلُ القمح مائة مثقال، وهَلَك الناسُ وذَهَبت الخيل والدَّواب ومات كثيرٌ من الناس من الجوع والهُزال، ولم يبق بالقاهرة إلَّا النَّفَرُ القليل من عسكريتها، ولم يبق فيها إلَّا بَلْدَكُوش الملقب بأسد الدولة في ثلاثمائة فارس على ماذَكَرَ أهلُ السِّيَر. وابن حَمْدان على ماذكُر وافى زُهاء عشرين ألفًا، فَطَمع ابن حَمْدان أن يغلب على القاهرة وجَمَعَ من انضم إليه من قبائل العرب والبَرْبَر ولَوَاتَة وغيرهم وزَحَفَ بهم إلى أرض تعرف بالطَّبَّالَة على باب القَنْطَرَة[2] من القاهرة – وقد ذَهَب

(a - a) ساقطة من الأصل.

---

[1] الريف الغربي أي إقليم البحيرة.

[2] أرضُ الطَّبَّالَة. كانت على جانب الخليج الغربي بجوار خُطّ المَقْس عرفت في العصر المملوكي ببركة الرَّطْلي وهي تعادل اليوم المنطقة المعروفة بالفَجَّالَة (ابن ميسر: أخبار مصر ١٩هـ ٧١). =

أكثُر من فيها كما ذكرنا - فغُلِّقَت أبوابُ القاهرة إلى بعد الزَّوال من النهار، وعَقَدَ أمير المؤمنين - عليه السَّلام - اللِّواء وسَلَّمه إلى بَلْدَكوش الملقب بأَسَد الدولة، وأمره بالخروج للقاء ابن حَمْدان فيمن معه، وفُتِحَت الأبوابُ وخرج أَسَدُ الدَّوْلَة فانهزم ابن حَمْدان ومن معه وقُتِلوا قَتْلًا ذَرِيعًا وصاروا شُعاعًا بَدَدًا في كل ناحية وغَرِقَ منهم كثيرٌ في البحر.

ووَصَلَ ابن حَمْدان إلى الإسكندرية فَزِعًا مرعوبًا خائفًا يائسًا، فحين استقرت به فيها الحال، وجَمَعَ المال والرجال، حَدَّثته نفسه بالرجوع إلى مصر وإعمال الخديعة والمكر بأهل القاهرة وبالحضرة النبوية. فَضَرعَ إلى أمير المؤمنين بالعَفْو عنه والتجاوز عن سوء فعله، فأجابه إلى ماسأل وأَسْبَلَ عليه عَفْوَه كما طَلَب إملاءً وإمهالًا، ليزداد إثمًا وضلالًا. فوَصَلَ إلى باب أمير المؤمنين مظهرًا للتنصُّل من إثمه والتَّوْبَة من جرمه. فقابله أميرُ المؤمنين بالقَبُول والإحسان وتَلَقَّاه بالعَفْو والامتنان، فدَخَلَ إلى مصر ونَزَلَ فيها منازل العِزّ[1]، والعساكر الذين وَصَلَ بهم مقيمون بالجيزة، فحين استقر بابن حَمْدان قراره، واطمأنت به داره وتمكَّن مما يريده، وأُلقيت إليه من أمر المُلْك مقاليده جَعَل يَنْتَهب ما كان للحضرة النبوية من الأموال غَصْبًا ويجعل الناس على الدولة العلوية إِلْبًا، ويقصد المقاتل ويروم أن يصير كل الأمر إليه برأيه القائل، ويطلب في الأموال ويكثر الإيعاد ويحشد إليه الأراذل والأَوْغاد. وكان للدولة من قبله عذيا وفي ظلها متفيئًا، ولاسيما فإنه كان كما ذكر القاضي القُضَاعي[2] ممن نشأ في قصرها ورُبِّيَ في حجرها،

= وباب القنطرة أحد أبواب سور القاهرة الغربي المطل على الخليج في مواجهة المقس (ميدان رمسيس الآن).

[1] منازل العِزّ. منظرة أنشأتها السيدة تغريد أم الإمام العزيز بالله كانت تشرف على نيل الفسطاط جنوب القاهرة. وجعلها الملك المظفر تقي الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه الأيوبي مدرسة للشافعية (ابن ميسر: أخبار مصر ٣٩).

[2] أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي الفقيه الشافعي وصاحب المؤلفات التاريخية =

فضَعُفَت الدولة بسوء رأيه واستنفد ذخائرها بمطالباته ، وقَدَّمَ للإمارة والوجاهة قومًا كانوا أولى بالتأخير وكَبَّرهم وهم أحرى بالتصغير ، وأَطْلَق أيديهم بالظُّلْم في الرعية والضَّيْم لأولياء الحضرة المستنصرية . وفي ذلك يقول الإمام المستنصر بالله – عليه السَّلام – :

« قد طَمِعَ العالَمُ في المُلْك وأسر عوافيه إلى الفَتْك ، وأصبح المالِك في حَيْرة ما بين أهل العَرَب والتُرْك ، ونحن والرَّحْمَـٰن في خِطَّة ، إذ نحن والمُلْك على الهُلْك ، والخَوْفُ والخُلْف كما قد ترى ، والهَجْم في الأدوُر بالهَتْك ، وآلةُ السلطان مشهورة للبيع والفضة للسَّبْك ، إن دام ذا الأمْر على ما أرى ، استنصر الإيمان بالترك ، وحق للعاقل في دَهْرِنا لهذه الأحوال أن يبكي » .

فحين ازداد ابن حَمْدان في الطُّغْيان وأَصَرَّ على ماهو فيه من العُدْوان ، ورام أن يكون له كُلّ السُّلْطان ، وجَحَد ما توالى إليه من إنْعام الدولة والإحسان ، تَقَدَّم أميرُ المؤمنين – عليه السَّلام – إلى الأمير بَلْدَكوش أَسَد الدَّوْلَة ومن بقي معه من أمراء الأتراك في الفَتْك به ، وأن يوردوه موارد هُلْكه وعَطبه ،فلم يشعر ابن حَمْدان وأصحابه حتى كَبَسَه أَسَدُ الدَّوْلة وجماعةٌ من الأتراك ليلًا فقتلوه وقتلوا أخويه وأصحابه جزاءً بما كَسَبُوا ومعاقبةً على ما اجترموا واحتقبوا ، ولعَذَاب الآخرة أشَدّ بأسًا وأشَدّ تنكيلًا .

فلما سمع العسكر الذين في الجيزة تَفَرَّقوا شَذَرَ مَذَر ، وانطلقوا وقُبِضَ ما كان لابن حَمْدان وأخويه ومَنْ أطاعهم في الخلاف وسعى سعيهم في تفريق أتباع الدولة بعد الائتلاف ، ممن كان بناحية تِنِّيس والإسكندرية وغيرهما من البلدان . وقُدِّمَ أَسَدُ الدَّوْلَة في الحضرة على الأتراك وسائر الطُّوائف ، وانقمع

= والطبوغرافية المعروفة توفي سنة ٤٥٤هـ/ م (ابن ميسر : أخبار مصر ٢٦ وما ذكر من مراجع) . ولم يحدد إدريس اسم الكتاب الذي نقل عنه هنا أو في الجزء السادس .

كل مُنافق مخالف ، وزالت المظالم ووَضُحَت من الفَضْل المعالم ، وظَهَر العَدْلُ وعَمَّ من وَليِّ الله الإحسان والفَضْل[١].

المُعِزُّ بن باديس يَقْطَع دَعْوَة الفاطميين

وقد كان المُعِزُّ بن باديس بن بُلُكِّين الصِّنْهاجي[٢] الوالي على المَهْدِيَّة وجهات الغرب وإفريقية بعد آبائه ، والناشيء على أخلاف إنعام الدولة النبوية من ابتداء أمره إلى انتهائه ، قد[a] كَفَرَ النِّعْمَة وجَحَدَ آلاء الأئمة ، ونَزَعَ يَده من الطاعة ، وفارق ما عليه المتوالون للأئمة من الجماعة . فسَيَّرَ إليه أميرُ المؤمنين – عليه السَّلام – أمين الدَّوْلَة حسن بن علي بن مُلْهِم[٣] إلى أعمال إفريقية ليُؤَلِّف من هنالك من العرب ويجمعهم على الطَّاعة ، ويَمْنَع ابن باديس عن الخلاف الذي أظهره وأذاعه ، فكان ذلك ماقَصَّه أميرُ المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – سلامُ الله عليه – في سِجِلِّه الذي كَتَبَه إلى داعيه السلطان الأَجَلّ المُظَفَّر عليّ بن محمد الصُّلَيْحي – صاحب جزيرة اليمن ومالكها بأمر إمامه من مكَّة إلى عَدَن – والسِّجِلُّ الشريف هذا نَصُّه :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رَبِّ العالمين ، من عبدالله وولِيِّه مَعَدٍّ أبي تميم الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين ، إلى الأمير سَيْف الإمام المُظَفَّر في الدين نظام المؤمنين عليّ

---

[a] في الأصول : فقد .

---

[١] انظر تفصيل ذلك عند ابن ميسر : أخبار مصر ٢٤– ٢٦، ٣٥– ٣٩؛ المقريزي : المقفى الكبير ٣: ٥٠٠– ٥٠٥.

[٢] انظر H.R. Idris , *La Berbérie Orientale sous les Zirides X°-XII° siècles* , Paris 1962, pp. 172-203

[٣] أبو علي الحسن بن علي بن ملهم بن دينار العُقَيْلي ، الأمير مكين الدولة وأمينها أحد الأمراء في أيام المستنصر بالله توفي سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م (المقريزي : المقفى الكبير ٣: ٤٢٤–٤٢٦).

ابن محمد الصُّلَيْحي : سلامٌ عليك ، فإن أميرَ المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو ، ويسأله أن يُصَلّي على جَدّه محمد خاتم النبيين وسَيّد المرسلين وعلى آله الطاهرين ويُسَلّم تسليمًا .

أما بعد ، فالحمد لله الذي أرسل سماءَ جودِه على ساحات أمير المؤمنين مدرارًا ، وجَعَلَ فلكها وعِزَّها بتضاعف إقباله دوّارا [a]، وملائكتها أعوانًا لنصره وأنصارًا ، المنتقم من كلِّ عدوٍ وُلِد فاجرًا كفّارًا ، الهاتِك سَتْره وقد هَتَك لحرمة الصنيعة عنده أستارًا ، المُدَبِّر دائرةَ السُّوء عليه أن اتخذ دار البَغْي على مصطنعيه دارًا . وسالبه النِّعْمَة بأن لم يحسن للمنعم بها جوارًا ، ذلكم الله لا إلَه إلّا هو الذي جَعَلَ لكم من الشَّجَر الأخضر نارًا ، يحمده أميرُ المؤمنين إلهًا واحدًا قَهّارًا ويشكر له لجزيل نِعَمِه إعلانًا وإسرارًا . ويسأله أن يُصَلّي على جَدِّه الذي بَعَثَه بين الأنام مختارًا ، محمدًا الداعى إلى الحق إعذارًا وإنذارًا ، الواضع بهدايته عن الخَلْق أغلالًا وآصارًا ، وعلى وَصِيِّه في أمته السامي منارًا ، وسيف نُبُوَّته الماضي غرارا ، عليّ بن أبي طالب العالي شَرَفًا ومقدارًا ، وعلى الأئمة من ذريته الحاملين جارا ، الزاكين نجارا ، الذين جعلهم اللهُ لمساجده عُمّارًا وبلطائف هممهم في ملكوت السماء شُفّارًا . وقد كان انتهى إليك من حضرة أمير المؤمنين خَبَر ابن باديس اللَّعين في التياث أموره عليه لما أصبح جسم طاعته للدولة مُلْتاثًا ، وانتكاث مرائر سعادته لما ثبت عهدُها . وكان كالتي نَقَضت غَزْلَها من بعد قوة أنكاثًا ، وأن أمير المؤمنين رماه من كنانة رأيه بنبالٍ أصابت مَقَاتِله وضَرَبه بنصالٍ بَتّت مفاصله ، وأطلق نحوه من أَعِنَّة قبائل الرياحية والزُّغْبية[1] من منعه أن يبل ريقًا ، وسَدّ لأنفاسه طريقًا ، ورمى به في أَشَرِّ حصارٍ ، لا يكاد يكون فيه طليقًا ، ومَلَك

[a] في السجلات وجعل ملكها بتضاعف عزه وإقبال دوار .

[1] انظر Idris, *op. cit.*, pp. 203-47

عليه جميع دياره التي كان بها يُدِلُّ ، ونال منه النَّيْل الذي هو بوَشْك بواره بإذن الله تعالى يَذُلّ ، وسَيَّر الأمير أمين الدوْلَة ومكينها حسن بن عليّ بن مُلْهِم إلى أعمال إفريقية ، ليؤلِّف بين قلوب العَرَب المُقَدَّم ذكرهم على الطاعة تأليفًا ، يُذْعِن له جموحُهُمْ ويمنعهم من أن يتنازعوا فيَفْشلوا وتَذْهَب ريحهم [a]، ولتكون كلمتهم على استئصال كافر النعمة[b] مُتَّفِقَة ، وآراؤهم في ما يؤدي إلى كَشْف الغُمَّة بمكانه مُوَفَّقة . ولما كان في هذا الوقت وَرَدَ كتابُه إلى حضرة أمير المؤمنين يذكر تَصبُّحه في وجهته بوجه الإقبال وفوزه في نهضته ببلوغ الآمال ، وأنه لم يَذَر غِلًّا في الصدور إلّا نَزَعَه ، ولا شَمْلًا من صلاح الجمهور إلّا جَمَعَه ، وأن أصناف العَرَب دانت له دَيْن الأمم لربِّها ، ودارت على قضايا أمره ونَهْيه دَوْر الرَّحَى على قُطْبِها ، وأنه سار منهم بجيش يَغُصُّ منه البر وجَحَافِل كأنهم في صفحات الأرض البحر . وبنود أمير المؤمنين ظَلَّلَت على رأسه من النَّصْر غمامًا ، وطَلْعَة أعلامه أَرَتْه من طوالع السَّعْد أعلامًا ، حتى أَحْدَقوا بحِصْن الخائن الذي لا يكاد من بأس الله يحصنه ، ولا من أخذه الأليم يؤمنه ، فأطَلّ عليهم إطلال من يجد في قلبه من وقْع سيف المنايا رجيفًا ، ومن وقوع سهامه حفيفًا ، وخَرَج بُلُكّين صِهْره على أخته وابن يلمو – الذي هو مُقَدَّم قومه – وابن حَمَّاد – الذي هو أخو صاحب قلعة كبانه – مستأمنين ، وبعَفْو أمير المؤمنين لائذين وعلى بابه تَرَسُّلًا في مثله عن صِنْهاجَة وافدين ، ثم فَتَح مدينة حِصْنهم فاس[c]، وأقام على منابرها الدَّعْوَة النبوية ، وضَرَب العَيْنَ والوَرِق على السِّكَّة المستنصرية . وولى ابن يلمو المذكور وسار بالباقين إلى الباب وأنه لم يبق في حصون البحر ونواحي البر إلّا ما ألقى إلى أمير المؤمنين مقاليده ، ومكَّنَ منه أنصارَه وعبيده ، وأَطْلَع فيه من سعادة الندا بشعاره

---

[a] في الأصل وهـ : ويفشلوا فتذهب ريحهم. [b] في السجلات : الكفر للنعمة. [c] كذا في الأصل وفي السجلات ، وصوبها ناشر السجلات إلى قابس.

نجومًا جعلها للشياطين رُجُومًا . واستصحب من مشائخ الأعْمال قومًا رَغِبوا في التَشرّف بالهِجْرَة إلى الحضرة ، والمُشافَهَة بالشُكْر والدُعاء لما نَجّاهم الله تعالى من منيّة الغَمرة ، وكَشَفَ عن وُجُوهم بإضلال ذلك الخائن من الحيرة والتماس تدبير أمورهم في مايُؤْذن بتمام صَلاحِها بعد أن كَساهُم الله تعالى رَوْنَقًا ونَفَى عن مشاربهم رَنْقًا ، فديارهم بحمد الله بالمسار مشمولة ، وعِراصُهم بالتهاني مَأْهُولَة ، وهو واردٌ قريبَ المسافة وصحبته خَلْقٌ من الحجيج يذكر أنهم لا يَطَوْن للبدو والحضر إلّا مواطئ الطّاعَة مَوْطِئًا ، ولا يصادفون إلّا مُذْعِنًا لها ولصفقته مُعْطِيًا ؛ وأنه خَلّف ابن باديس اللعين محصورًا في منفاه من الأرض محصولًا على خوف[a] الأخذ والقَبْض ، وقد فَغَر الرَّدَى له فَمَه ، ولن يبعد بعون الله تعالى أن يلتقمه . وأميرُ المؤمنين يسأل الله جَلَّت عَظَمتُه ، معونته على شُكْر نِعَمِه التي هو عن القيام بواجب أَقَلِّها محصور ، ولسانُه عن الوفاء بأَيْسَره مَقْصور ، ويقول ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الآية ٣٤ سورة فاطر] .

أعلمك أميرُ المؤمنين نبأ هذه العارِفَة الطارفة لتنشره على المنابر ، وتذيعه في البوادي والحواضِر ، إن شاء الله تعالى ، والسّلامُ عليك ورحمة الله وبركاته .

وكُتِب في شهر رَمَضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة . والحمد لله وحده وصلّى الله على المصطفى خاتَم النبيين وسَيِّد المرسلين وعلى الأئمة الطاهرين المهديين وسَلَّم تسليمًا وحَسْبُنا الله ونِعم الوكيل [ونِعْمَ المَوْلى ونِعْمَ النصير][b][1] .

---

[a] في السجلات : على شفا جرف . [b] ما بين المعقوفتين زيادة من السجلات .

---

[1] السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٥) .

ولم ينقطع أمْرُ ابن باديس عن جهات إفريقية والمَهْدِيَّة ، بل بقيت بُرْهَةً في يده ويد ولده . وقيل إنه رَجَعَ إلى طاعة الأئمة – عليهم السَّلام – وتاب فأُبْقِي في يده ما كان أضيف إليه بعد أبيه وجَدِّه والله أعلم أيُّ ذلك كان .

تَمامُ أخبار الداعي عليّ الصُّلَيْحي

ولنرجع لتمام أخبار الملك الداعي الصُّلَيْحي على الاختصار ، ونستعين بالله في الإيراد والإصدار . وقد ذكرنا ماهَيَّأَ اللهُ للداعي الصُّلَيْحي من بُلُوغِ المَرام وما جرى له في الأحْوال من الانتظام ومُلْكِه اليمن من أقْصاه إلى أدْناه ، وما أَظْهَر من العَدْل الذي اجتمعت على النُّطْق به الأَفْواه . وكان قد جَمَعَ إليه سلاطينَ اليمن وأسكنهم معه في صَنْعاء في سنة خمس وخمسين وأربعمائة [1]. فوَقَعَ الانتظام والائتلاف ، وانقطعت أسبابُ الخِلاف .

الأمير الأعَزّ محمد بن عليّ الصُّلَيْحي

ولما بَلَغَ الأميرُ محمد بن عليٍّ الصُّلَيْحي مبلغ الرجال ، ورأى فيه والدُه دلائل الفَضْل والكمال ، أقامه لينوب عنه في جميع دَعْوتِه وجَعَلَه الخَلَفَ له وأسْنَد إليه في وصيته ، وكَتَبَ بذلك إلى الإمام المُسْتَنْصِر بالله – عليه السَّلام – واستورد أمره فيه وبركة رأيه والإذن له في ما يرتجيه ، فَوَرَدَ إليه سِجِلٌّ من أمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – عليه السَّلام – يقول فيه :

« ومما نَظَرَ إليك أميرُ المؤمنين نَظَر مثله ممن يَنْظُر بنور الله لمثلك ممن بإخلاص ولائه يستظهر ، أن يَتَّخذ وَلَدَكَ مُنْتَجب الدَّوْلَة وصَفْوَتَها ذا المجدين خليفةً لك يَخْلُفك في حياتِك ويكون خَلَفًا صالحًا عند حضور وَفاتِك ، وأن يصطنعه لنفسه ويُلْبِسه من لباس الأكرومة ما يرتقي إلى ذِرْوَة الشَّرَف بلبسه ، ويفيض

[1] عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١ : ٢٠و–٢٠ظ .

عليه من خاص الملابس ماتفيض عليه الأقْدار بإذن الله سُعودَها ويُنْجِز له أقاصي الأماني وُعودَها . ويسميه بـ « الأمير الأعَزّ شَمْس المعالي » مضافًا إلى قديم ألقابه ، ويأذن أن يَدْعو في تراجم كتبه ويُدْعى به ، ويُفسح أن يُذْكَر على فروق منابر بلادِك في إعجازِ ذِكْرِك وأعْقابه . وأن يُلَقَّب أَخَوَيْه بلقبين زائدين في ألقابهما المتقدِّمة لينالا بها مزيدًا من الاصطناع والكرامة : فالأوسط منهما « الأمير المُكَرَّم » ، والأصغر « الأمير المُوَفَّق » والله يُسَدِّد كُلًّا منهم ويُوَفِّق »[١].

وكان وُصُولُ هذا السِّجِلّ إلى الدّاعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي ، وهو في مدينة صَنْعاء في رَجَب سنة ست وخمسين وأربعمائة .

وكان أَسْعَدُ بن شِهاب الصُّلَيْحي عاملًا على زَبيد وأعمالِها فتوفي – رحمة الله عليه – في شعبان من هذه السنة . فرأى الداعي الصُّلَيْحي أن يستعمل وَلَده الأمير الأَعَزّ محمد بن عليّ بن محمد الصُّلَيْحِي على ما كان إلى خالِه أسْعَد بن شِهاب من أعمال زَبيد وتِهامَة ، وأراد أن يُفْرِدَه فيها ليختبره ويعرف سياسته . فنَزَلَ الأعَزُّ إلى زَبِيد في شهر شعبان من سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، والأمير المُكَرَّم أحمد بن عليّ ، على الجَنَد ، استعمله أبوه الملك الدَّاعي الصُّلَيْحي عليها وعلى مايليها[٢]. وكان الدَّاعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي قد استعمل أخاه عبد الله بن محمد على حِصْن التَّعْكَر وماولاه .

فلما كان في سنة سبع وخمسين وأربعمائة اختط السلطان عبد الله بن محمد الصُّلَيْحي مدينة ذي جِبْلَة بأمر أخيه الدَّاعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي . وجِبْلَة على ما قيل اسم يهودي كان يسكن فيها ويعمل الفَخَّار ، وهي تسمى مدينة النَّهْرَيْن ، لأن حولها نهرين كبيرين جاريين[٣]. وقيل إن عبد

---

[١] السجلات المستنصرية ، سجل رقم (٢) ؛ وحسين الهمداني : الصليحيون ٣٠٢.

[٢] عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١ : ٢٠ظ .

[٣] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٢٩ (٦٢) ؛ ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ١٦٨– ٦٩، ١٧١؛ ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٣٧؛ عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ٣٠و ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني =

الله بن محمد الصُّلَيْحي هو الذي بنى قَلْعَة تَعِز وابتدأ في مدينتها أيام أخيه الدَّاعى عليّ بن محمد الصُّلَيْحي هو وابن أخيه المُكَرَّم أحمد بن عليّ . وكان المُكَرَّم بالجَنَد ، وعمه عبد الله بن محمد في التَّعْكَر ، وسار الأَجَلُّ الأَوْحَد الدَّاعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي إلى زَبيد وصحبته امرأته الحُرَّة أسماء بنت شِهاب وولده الأمير المُوَفَّق ؛ فأقاموا في زَبيد عند الأمير الأَعَزّ إلى أيام دَخَلَت من المحرم أول شهور سنة ثماني وخمسين وأربعمائة ، ونهضوا يريدون صَنْعاء ، وشَيَّعهم الأَعَزُّ وهو يريد أن يبلغ معهم العَمَد ، فلما صاروا بالمصْقَع أصابت الأَعَزَّ الحُمّى ، فأمره والده بالرجوع إلى زَبيد ، فرجع إلى زَبيد ودَخَلَها ليلة الثلاثاء لعشرين خلت من المحرم وقد قويت عليه العِلَّة وأصبح بها وقد تزايد به الأَلَم ، فأقام يوم الأربعاء والخميس إلى العصر وتوفي – رضوان الله عليه – يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر المحرم أول سنة ثمانٍ وخمسين وأربعمائة وعمره سبع وعشرين سنة وشهر ويومان ، لأن مولده بحِصْن مَسار في يوم الأربعاء العاشر من ذي الحجة آخر سنة تسع وعشرين وأربعمائة [1]. وصَدَر الكتابُ إلى الداعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي بوفاته . وكان قد صار بحَراز وهو يريد الطلوع إلى مَسار وامرأته أسماء بنت شهاب صحبته ، فوافاهما الخبر بوفاة ولدهما الأَعَزّ وهما ببيت ثعال من أعمال حِصْن مَسار ، فاشتد عليهم الأمر .

ورَجَعَ الداعي الصُّلَيْحي إلى مدينة زَبيد بجميع من معه ، فوصلها ليلة يوم الاثنين ووَجَدَ ابنه الأَعَزَّ لم يُدْفَن . وأصبح يوم الاثنين فشَيَّع جنازته ودَفَنَه غربي قبر خاله أسْعَد بن شِهاب . وفي ذلك يقول عليّ بن مالك الصُّلَيْحي :

= ٢٦١ وفيما يلي ص ١٥٠.

[1] عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١: ٢١و.

[الطويل]

أيا عَمُّ هل أحسَسْتَ بالنازِل الذي   بقُربْك لما حال منه نزولُ
فلتحفيه التّشأَل عمن وراءه   وكُلٌّ إلى ما التما سيئولُ

وجَزَعَ عليه والدُه جَزَعا شديدًا، وكان قد جعله لأمره عميدًا، ورَثَتْه الشعراء فمن ذلك قول القاضي عِمْران بن الفَضْل اليامي من قصيدة أوّلها:

[الرَّمَل]

عَالَ صبري فُراقُ ذي المجدَيْن   وحماني الكَرَى وأسْهَدَ عَيْني
صاحِ إن النَّدى ونجل عليٍّ   سكَنا من ضريحه لحَدَيْن
ماراَيْنا ولا سَمِعْنا بقَبْرٍ   قبل هذا مُضَمَّنًا شخصَيْنْ
وعليّ لولا عليّ وأسماء   ومنصورها وذو السيفين
والتأسِّيَ بأحمد وبَنيه   وعليٍّ وشَبَّر وحسين
لسكنت الضريح أو رحت أرضًا   غير أرضي أَهِيم في الخافقين

وكان عمرو بن يحيى الهَيْثَمي بحِصْن كَحْلان الحداد مقيمًا مع السُّلْطان إسماعيل بن يُعْفِر الصُّلَيْحي، فوافى الخبر الهَيْثمي وهو في الطريق يريد زَبيد فقال:

[الكامل]

جَرَت على العرب الذيولُ الصيلمُ   إذ ضَمّ ذا المجدين لحدٌ منهم
وتزلزت الشُّمّ الجبالُ الداهية[a]   وأَضَلَّ سالكهُ الطريق اللَهْجَمُ
والشَّمْس كاسفةٌ عليه حسرةً   والجو في وقت الظهيرة مُظْلمُ
ويقل ذلك وإنها لجليلةٌ   من حَقِّها لِبْس التُّراب الأَنْجُمُ
إن يهدم الأيام عمر محمد   فسناؤه فوق السُّهَى لا يُهْدَمُ

وأقام الداعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي بزَبيد، لقراءة القرآن عند قبر ولده الأَعَزّ سبعة أيام. ثم أنشأ سِجِلّات إلى الحضرة النبوية وأرسل الرُّسُل، وكان

---

[a] في الأصل: تسم الجبال لفقده.

مسيرهم منه في شهر صفر من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة . وكانت أُخْتُ الأمير الأَعَزّ مَيْمُونَة ابنة عليّ بن محمد الصُّلَيْحي قد نالها عليه غَمٌّ عظيمٌ ، فَوقَعَ معها من الغَمّ ما حال بينها وبين الحديث فماتت في صَفَر – رحمة الله عليها .

قال صاحب « سيرة الداعي المكُرَّم الصُّلَيْحي » : وكان بالحضرة الشريفة النبوية رسولان لاستخراج مال لحمل الهدية ، فلما قضى الله سبحانه على الأمير الأعَزّ – رضوان الله عليه – وكانت وفاتُه يوم الخميس الثاني والعشرين من المحرم . قال : فأخبرني أحد الرسولين – وهو أحمد بن عبد الله اللَّهَابي – أنه لما كان يوم الاثنين لأربع بقين من المحرم لقيه الأمير المختار عزيز الدَّوْلَة في قصر الإمامة . فسأله هل عَلِمَ بوفاة وَلَد الملك الصُّلَيْحي فأَنْكَر ذلك ، فقال له الأميرُ عزيزُ الدَّوْلَة : إني دخلت على الملكة السَّيِّدَة والدة مولانا فرأيتها منكسرة ، فسألتها عن موجب انكسارها فقالت أخبرني مولانا – صَلَوات الله عليه – بأن وَلَد الأَجَلّ الأَوْحَد الأكبر توفي . وكان هذا من عجيب معجزات الإمام عليه السَّلام .

المكَرَّم أحمد بن عليّ الصُّلَيْحي

واهتم الإمامُ – صلوات الله عليه – بتشريف الملك المكَرَّم وإقامته فيما كان أقيم فيه أخوه الملك الأعَزّ وشَرَّفَه بملابس من ثيابه وكَتَبَ له سِجِلًّا وأمر الرسولين اللذين كانا في حضرته – عليه السَّلام – بإعداد السَّيْر إلى اليمن ، وذلك قبل وُصُول الرُّسُل الذين أصْدَرَهم الدَّاعي الأَجَلّ إلى الحضرة المقدسة ، فوَصَلَ الرُّسُلُ إلى الملك الأَوْحَد وهو بأَبْيَنَ في شهر ربيع الآخر من سنة تسع وخمسين وأربعمائة[1].

[1] عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١: ٢١و.

وكان في السِّجِل الذي إلى الدَّاعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي قوله – عليه السَّلام :

« وإن أميرَ المؤمنين يُعَزِّيك عـن وَلَدِك الأكبر الأمير الأَعَزّ شمس المعالي مُنتَجَب الدَّوْلَة وصَفوتها ذي المجدين – رحمه الله – الذي اخترت له خَيْر الأولى واختار الله له خَيْر الأخرى وألحقه بالملأ الأعْلى . سوى أن أمير المؤمنين يأْلَم مما أَلَمّ بك وما اعترى قلبك من الحُرْقَة بسببه . وحُكْم الله سُبْحانه الغالب الذي لا يُغالَب ، والحَتْم الذي لايَنْجو منه هارب . وأنت – رَبَطَ الله على قلبك بالصبر وأَجْزَل لك حَظَّك من الثَّواب والأَجْر – أَرْجح في ميزان العقل وَزْنًا ، إن يدخل عليك الْهَمّ فيما لاينفع الهَمّ به وهنًا . فالتق سلاح البلوى بجنّة المالكين للصَّبْر القادرين ، وانتظم في سلك من عناهم الله سبحانه بقوله ﴿ فما وَهَنُوا لما أصابهم في سَبِيلِ الله وما ضَعُفُوا وما اسْتَكانُوا والله يُحبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [الآية ١٤٦ سورة آل عمران] . وقد أمرَ أميرُ المؤمنين بالرُّجوع إلى وَلِدك الأَوْسَط كان وهو اليوم الأكبر حَفظَه الله لكَسْرٍ في أخيه – رحمة الله عليه – يُجْبَر في ولاية عَهْدِك حَيًا وسَدّ مَسَدَّك مَيّتًا . وأنشأ من التقليد ما يكون لفؤادك مُثَبّتًا ، فلتنشر في المَحافِل والمَحاضِر ولتقرأ على فُروق المنابر ليكون لداء الناكبة دواءً ولِلَهب نار الحُزْن إطفاءً . وعَزّز بإنْفاذ تشريف من ملابسه يُظْهِرُ عليه بين الأوْلياء رَوْنَق جماله ويكون له جُنّةً يوم حَشْرِه ومآله . فاعلم ذلك من رأْي أمير المؤمنين ورَسْمه واعمل عليه بحكمه وطَالِع حضرته بذكر ثُبوت مراسي صَبْرك بما تُعْرِب به عن مكانتك من الجَلَد ومقرك ويُسَرّى عن نَفْسِ أمير المؤمنِين فكْرها بتقسيم أمير المؤمنين فِكْرك إن شاء الله تعالى .

وكُتِبَ في شهر ربيع الأول سنة ثماني وخمسين وأربعمائة ، والحمد لله وحده وصلواته على جدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وآله الطاهرين الأئمه المهديين ، وحَسْبُنا الله ونِعْم الوكيل» .

وسِجِلٌّ إلى الأمير المُكَرَّم أحمد بن على الصُّلَيْحي وهو :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين من عبد الله ووَلِيّه الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين إلى الأمير المُكَرَّم شَرَف الأُمراء مُنْتَجَب الدَّوْلَة وغَرْسِها ذي السيفين أحمد بن الأمير الأَجَلّ الأَوْحَد أمير الأمراء عُمْدَة الخلافَة تاج الدَّوْلَة سَيْف الإمام المُظَفَّر في الدين نظام المؤمنين عليّ بن محمد الصُّلَيْحي .

أما بعد ، فالحَمْدُ لله البعيد من حيث تناوله بيد الأوهام وهو ببدائع قُدْرته دانٍ ، الباقي وَجْهُه الكريم سبحانه وكل من عليها فان ، لا إله إلّا هو ، كل يوم هو في شأن ، وصَلّى الله على من رَفَعَ في النُّبُوّة مكانه على كل مكان ، محمد المبعوث إلى الإنس والجان ، وعلى وَصِيّه أشرف ترجمان عليّ بن أبي طالب خير صاحب تأويل وبيان ، وعلى الأئمة القائم منهم إمامٌ في كل زمان ، هداه من يُبَشِّرهم برحمة منه ورِضْوان . وقد كان رأْيُ أمير المؤمنين — وبالله توفيقه — أن يُنَصِّب أخاكَ — رحمة الله عليه — وَلِيّ عَهْدٍ لوالدِه ، نَصَرَهُ الله وأظْفَرهِ في حياته ، ووارثًا له بعد مماته ، جَمْعًا منه لشَمْلِكُم ووَصْلًا لحَبْلكم وحِفْظًا لبيتكم المبارك المتبرج بزينة الإيمان ، المنتهج منْهاج بيت أُسِّسَ على التَّقْوى من الله ورِضْوان . وكان من قَضاءِ الله السابق في الاستئثار به ما ليس عليه معترض ، ونَزَل به من نازلة المنايا ما كُلُّ جسمٍ له عرض . فألَمَّ أميرَ المؤمنين ما أَلَمَّ به ، وضاق ذَرْعًا بسببه ونَزَعَ في التسليم لمن بيده مَلَكَة البَسْط والقَبْض ، ذلكم الله سبحانه فاطر السّموات والأرض . ولما كانت الصورة هذه أجمع بهذه الرُّتْبَة إليك ، وطَرَح شعاع شمس الاصطناع فيها عليك ، فاتّق الله فيما قَلّدَك من هذه الأمانة حَقّ تُقاته ، وشَمِّر لابتغاء مَرْضاته ، وقُمْ بالمحافظة على سائر أركان الشريعة وَتَحصَّن بحُصُونها المنيعة ، وأنبِسط بساط

العدل والإنصاف واقْصُص جناح الجَوْر والاعْتِساف، واسْهَر لترْقُد رعيتك رُقاد الأمن، وأنزل عليهم من سماء عَدْلك شبه السَّلْوى والمَنّ، وكن من أبَرّ الناس بالوالدين واحمل الكُلَف عن قلوبهما بكلتى اليدين. وراقب من يَعْلَم خائنة الأعين وما تُخْفى الصدور. واتْل قول الله تعالى ﴿ يا أيُّها النَّاسُ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَـٰوةُ الدُّنيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم باللهِ الغَرُورُ ﴾ [الآية ٥ سورة فاطر]، والبس ماشرَّفك به من ملابسه التي تَحُوز بها في الدارين المُنَى والسُّرور. وهذا عَهْدُ أمير المؤمنين إليك فتقبَّلْه بقَبولٍ حَسَنٍ وأقبل عليه إقْبال أمين على شرائطه مُؤْتَمن، والله يُوَفِّقُك ويُسْعِدُك وإلى مصالح الدارين يُرْشِدُك برحمته إن شاء الله تعالى. والسَّلام عليك ورحمة الله. كُتِب في شهر ربيع الأول سنة ثمانٍ وخمسين وأربعمائة. والحمد لله وصلواته على جَدِّنا محمد خاتم النبيين وسَيِّد المرسلين وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين وحَسْبُنا الله ونِعْم الوكيل».

فسُرَّ الدّاعي الملك الأَجَلُّ الأَوْحَدُ حين وَرَدَ سِجِلّاً[a] إمامه، وحَمَد الله تعالى على ما أتاح لوليه من النَّظَر إلى ولده بقيامه في مقامه، وأزال عنه من الحُزْن على ولده الأعزّ كثيرًا مما كان يجده. وعلم أنه بالمكَرَّم قد استقام ما أناء أوَدُه، وعاد إلى صَنْعَاء فدخلها وأمر بتقليد ولده المكَرَّم، فقرِيء على مِنْبَر صَنْعاء في اليوم الثامن من جمادى الأولى من السنة المقدم ذكرها. وانتشرت في أقطار اليمن فضائلُ المكَرَّم انتشارًا بطيب نشرها. وزَوَّجَهُ أبوه الحُرَّة التقية الزكية السَّيِّدة ابنة أحمد بن محمد الصُّلَيْحى، وهى أم أولاد المكَرَّم؛ وزَوَّج ابنه المُوَفَّق فاطمة بنت أحمد بن المُظَفَّر الصُّلَيْحي وقد كان أزْمَعَ أن يُزَوِّجها الأعَز[1].

---

[a] في النسختين: سجلى.

---

[1] عمارة اليمني: تاريخ اليمن ٢٨-٢٩ (٦١-٦٢).

وكان الداعى الأَجلُّ الأَوْحَدُ قد أَصْدَرَ للقاضي عِمْران بن الفَضْل وجماعةٍ معه إلى الحضرة المقدسة المستنصرية ، بعد الذين ذهبوا بوفاة الأَعَزّ ، يستأذنه في الحَجّ وزيارة الحضرة المطهرة ، ويسأله في إقامة الأمير المُكَرَّم عِوَضًا عن أخيه ويستورد في ذلك أمر وَليّ زمانه ليعمل بما أَمْرُه يقتضيه . فأجيب الداعي الأَجَلّ بجوابٍ هذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رَبّ العالمين ، من عبد الله ووَلِيّه مَعَد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الأمير الأَجَلّ الأَوْحَد أمير الأمراء عُمْدَة الخِلافَة شَرَف المعالي تاج الدَّوْلَة سَيْف الإمام المُظَفَّر في الدين نظام المؤمنين أبي الحسن عليّ ابن محمد الصُّلَيْحي ، نصره الله وأَظْفَرَه وأَحْسَن توفيقه ومعونته . سلامٌ عليك ، فإن أميرَ المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو ، ويسأله أن يُصَلّي على جَدّه محمد خاتم النبيين وسَيّد المرسلين وعلى آله الطّاهرين الأئمة المهديين وسَلَّم تسليمًا .

أما بعد، فالحَمْدُ لله المقصوص جناح الفكر دونه في هبوطه وإصعاده ، جاعل عالم كونه وفساده سُلَّمًا إلى محل رضوانه ودار معاده . يحمده أميرُ المؤمنين أن مَهَّدَ الإمامة في خير مهاده ، ويسأله أن يُصَلّي على غَوْث عباده وغَيْث بلاده ، محمد جَدّه المُقَلَّد من شرف النُّبُوَّة أشرف نجاده المصطفى الهادي صَفْوَة أغواره وأنجاده ،وعلى أخيه وأبي أولاده المُخَضَّر به رَوْض الحِكْمَة اخضرار الرَّوْض بصوب عهاده عليّ بن أبي طالب ، مُفْتَرِس الفُرسان يوم الضِّراب والطِّعان تحت سَنابِك جواده ، وعلى الأئمة من ذُرّيته أكارم الدهر وأجْواده ، الذين من اقْتَدى بهم فقد هُدِيَ لرَشادِه . وكان عُرِضَ بحضرة أمير المؤمنين كتابُك الوارد على أيدي رُسُلِك ، وهم عبد الأَعْلى بن

عبد المجيد ومحمد بن عليّ وعبد الواحد بن بشارة ، وكتاب جماعةِ المؤمنين قبلك كثَّرهم الله، بذكر استئثار الله تعالى بَوَلَديك الأمير الأعَزّ شمس المعالي وأخته رحمهما الله ، وأن الفجيعة بهما وَهَنَت منكَ العَظْم وأَنْحَلت الجسم ، فآلم أمير المؤمنين ما آلمك ، وثلم في جسم نشاطه ما ثلمك ، وتَرَحَّم على الماضيين تَرَحُّمًا يُفضي بهما الله معه إلى الروح والريحان ويرفعهما إلى غُرَف الجنان ، ودعا بإلْهامكَ حُسْن الصَّبْر والاحتِساب ، رَبًّا يُوَفِّي الصابرين أجرهم بغير حساب ، ولَبّى أمير المؤمنين فيك لنداء دَعْوَتك ودَعْوة المؤمنين قبلك في ولاية عَهْدك والخلافة لك في حياتك ومن بعدك إلى أخيه الملك المكَرَّم شَرَف الأُمَرَاءِ عزّ المُلْك مُنتَجَب الدَّوْلَة وغَرْسها ذي السيفين أحمد ، ولاشك في وصول ما أصدره أميرُ المؤمنين من سِجِلّه وقوع الإحْماد لمسابقة السؤال بفعله ، ويلي ذلك وصول كتابك على يد القاضي عِمران بن الفَضْل ونجيب بن عُفَيْر ويوسف بن محمد وعنتر بن غَشْم ، المعرب عن ديانتك التي تسفر أسفار الصُّبْح ، وتقضي بمواجهتك في مساعيك لنَصْر الله والفتح ، وانتدابك لما يرفع الله به راياتنا أهل بيت النُّبُوّة إلى منطقة الجَوْزاء ويسمع منطقه سكان السماء ، ووَقَفَ عليه أمير المؤمنين وقوف مُلْتَفِتٍ إليك بقلبه ، مُلْتَفٍّ عليك بحبه ، ودَعَا بحُسْن التوفيق لك رَبًّا يسمع دعاءه ويجيب نداءه ، ودعا لولدك ومن في جملتك بالإسعاد والإرْشاد والتوفيق لك بصلاح المبدأ والمعاد ، وهو وَلِيّ الإجابة بمَنّه .

وأما ما أنهيته من ظُهُور الفَساد في الحَرَم المُعَظَّم والمقام المُكَرَّم بالخِلْف والتحارب بين الفريقين والتنازع ، حتى صارت الدماء فيه تُسْفَك وأستار قول الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [الآية ٦٧ سورة العنكبوت] تهتك إذ صارت الأرواح فيه تتخطف ، وعاصفات النَّهْب والظُّلْم تَعْصِف . وما سألت فيه من إذن أمير المؤمنين أن تُصْلِح فساده وتُقَوّم مناده وتقيم للعدل عِماده ، وتَعْمُر طُرُقَه للسُّفّار وتُطَهّرها من دَنَس

المُفْسدين والذُّعّار ، فقد عَرَف وعزيزٌ على أمير المؤمنين مايجرى في ذلك البلد الأمين وهو مَنْسكٌ من مناسك الدين ، لا جَرَم أن الأرضَ راجفةٌ كلها برُجْفانه وهو قلبها ، ومتألّمة بألمه وهو صفوتها ولُبّها ، وحقيقٌ أن يُقَيِّض الله صلاحَه وهو خير البقاع على يدك ، وأنت خير من لَحَظَتْه عينُ الإمامة بالاصطناع ، سوى أن أميرَ المؤمنين يُشفِقُ من وُقُوع جُرْح على جُرْح ، وقُرْح على قُرْح ، يتصدَّى قومٌ لفتنتك إذا رأوك عليه مُطِلًّا ، فيحدث حادث فساد قتالًا وقَتْلًا ، وما يؤثر أميرُ المؤمنين أن يوجد من ذلك مِثْقال ذَرّة ، ولا أن ينال طالبيًا خاصة وَخز إبرة ، وإن أمكنك ذلك المكان بتأليف القُلُوب وتَجَنُّب سورة الحروب ، فوابَرْدَ ذلك على الأكباد ، إنه نهاية المراد ، وغاية قَصْد القُصّاد ، فتأمَّل – أحسن الله توفيقك – هذه الحالة تأمُّلًا شافيًا ، واعمل فيها بما يكون للثقة في دينك ويقينك موافيًا .

وأما ما أَنْهَيْتَه من حال رُسُل غَرْس الدين يوسف بن حسين الصَّيْمَري ، وحُصُولُهم عندك منذ سنة متوسِّلًا بك إلى حضرة أمير المؤمنين باستخدامه في الدَّعْوَة الهادية – أدامها الله في بلاده – واعتماده في الاصطناع مكاتبةً وتلقيبًا وتشريفًا بما يكون مقيمًا لعماده . فقد أجاب أميرُ المؤمنين سؤالَك وحَمَدَ فيه إقوالَك وأفعالَك ، وبركاتُك في أقاصي البلاد وأدانيها منتشرة ، ووُجُوهُ سعادتك ضاحكة مستبشرة ، وعناية أمير المؤمنين فيك بتواليها وتتابعها مُبَشِّرة بمشيئة الله تعالى وعونه . وأما إزماعك قرن الله الخير بعزماتك ولقاك النُّجح في تصرفاتك التوجه إلى حضرمَوْت لفَتْح إغلاقها ونَشْر دَعْوَتنا في آفاقها ، والله يَمُدُّك بالمعونة واردًا وصادِرًا ، ويجد ذلك في سَيْف نُصْرَته ما يكون لأعدائك قاهرًا بمَنّه .

وأما تجديدك السؤال في الإلمام بنا إذا قضيت من أمر الحَرَم الشَّريف وَطَرًا ، والفَسْح لك فيه بما يكون لغَرْسِ قديم عنايتك ثَمَرًا ، فلا شيء أَحَبُّ إلى أمير المؤمنين من أن يسبغ إلى أوليائه مثلك نظرًا ، لكن الشُّقَّة بعيدة

ومتاعب النافذ فيها شاقَّةٌ شديدة ، وأميرُ المؤمنين يُرَجِّح مايراه من الصَّلاح في مقامك على ما يهواه من قدومك وإلمامك إحمامًا لنفسك أن تَكْدَح وتتعب ، وإشفاقًا على ما تُخَلِّفُه وراءك أن يَضطرب فيذهب ، وسوى هذا فأنت بين أن ترد في كُثْر لا تحملهم الطريق أو قُلّ يمنعك عن التعرُّض للغَرَر فيه إمامُك البر الشفيق ، والذي تأمل بلوغه برأي العين فإنك بالغُه بحمد الله برؤية القَلْب ونائله من إمام زمانك على ظهر الغيب [١]، فاحمد لله على ماقدَّره في ذلك لك من الخير وقَضاه ، وقُلْ ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ [الآية ١٥ سورة الأحقاف] .

وأما تكرير سؤالك في معنى ولدك – حفظه الله – وأن تَشُدّ به مَسَدّ أخيه – رحمه الله – فقد تقَدَّم القول بأنه سابقٌ فِعْل ذلك من أمير المؤمنين سؤالك ، وأنه كَتَبَ في الكتاب بما يُنْعِم بالَك ، وأَصْدَرَ ذلك على أيدي رُسُلِك مقرونًا بالتشريف والتقليد له بالسِّجِلّ الذي يُرَقِّيه إلى المَحَلّ الشامخ المُنيف ، لتعلم أن اهتمام أمير المؤمنين بشأنك مثل اهتمامك ، واعتزامه على ما تنال به سعادة الدنيا والدين موف على طلبتك ومرامك . وإن أميرَ المؤمنين لمكانتك في نفسه ووقوع مايرفعك ويُعَلِّيك في أهم موقع منه وأَمَسّه ، رأى تشريفك بالتكنية في المكاتبة ، تاليًا لنعوتك وألقابك الراتبة وأن يزيد في نعوت وَلَدِك الأكبر « شَرَف الأُمَراء عزّ المُلك » مقرونًا بملابس تُجَدِّد ملابس الفَخْر وتشيد مناقب عِزّه باقي الدَّهْر . وفي نُعُوت أخيه الأصغر « شَرَف

[١] لعل السبب في عدم موافقة الإمام المستنصر على قدوم الملك الصُّلَيْحي إلى مصر يرجع إلى الحالة السيئة التي كانت تمر بها مصر في ذلك الوقت بسبب «الشِّدَّة العُظمَى» والأزمة التي أثارها الأتراك بقيادة ناصر الدولة بن حمدان. وربما أراد الصُّلَيْحي أن يظهر في مصر في دور منقذ البلاد–وهو الدور الذي سيقوم به بعد ذلك بدر الجمالي–ومن المفترض أن يكون الإمام وداعي دُعاته قد فطنوا إلى نوايا الصُّلَيْحي الأمر الذي يُفَسِّر سبب تهرُّبهم الدائم من مناقشة مهمة القاضي لمَك بن مالك الذي حمل رسالة الصُّلَيْحي (حسين الهمداني: الصليحيون ٩٧– ٩٨؛ أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب ١٣٢– ١٣٤).

المُلْك » ، وفي نعوت عقيلتك الصالحة « أم الأمراء المنتجبين » . والذي يعتقد أميرُ المؤمنين فيك فهو على ما ظَهَر زائد وسائقٌ إليك خير الدارين وقائدٌ بمشيئة الله . فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين ورَسْمه وأعمل عليه بحكمه ، وطالع حضرته بأنبائك وما يتشوّقه من تلقائك . والسّلامُ عليك ورحمة الله وبركاته .

كُتِبَ في شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، والحمد لله وحده وصلواته على جَدِّنا محمد خاتم النبيين وسَيِّد المرسلين وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين وسلامه وحَسْبُنا الله ونِعْم الوكيل » .

فوَصَلَ إليه الرُّسُل بهذا السِّجِلّ وهو في قرية من قرى حَرَاز تعرف ببيت جميع ، وذلك في جمادى الأخرى سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، ومازالوا معه حتى وَصَلَ صَنْعاء لستٍ بقين من رجب من هذه السنة .

الصُّلَيْحي يحجّ إلى مكة

وجَدَّ عَزْمُ السلطان الملك الأَجَلّ الأَوْحَد الدّاعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي على الحجّ إلى بيت الله الحرام والقَصْدِ بعد ذلك لزيارة إمامه – عليه السّلام . فأَخَذَ في أهبة السفر واستعد عُدَّة من أَخْلَصَ النِّيَّة لله تعالى فيما أظهر وأضْمَر ، وجَعَل يضم إليه الأموال ويُقَدِّم في ذلك الأحمال من خالص الورق والنُّضار والطُّرَف الحَسَنة التي تزهى في أعين النُّظّار ويرتفع خطرها على الأخطار ، وقَصَدَ الإنفاق في ذلك لما يحتاج إليه في سفره وإقامة الحرم الشريف والإنفاق عليه لزيادة أجره وعلو مفخره ، وإعداد مايهديه إلى مقام إمامه إن نال في ذلك ما يريد من وَطَرِه ، وذلك بعد أن عَهِد إلى ابنه الملك المُكَرَّم عَهْدَه وخَلَّفَه خليفةً له فيما ترك بعده ، وخَلَّفَ معه خاله أحمد بن المُظَفَّر الصُّلَيْحي [1] . وفي العَهْد إلى الملك المُكَرَّم يقول القاضى الحسن بن أبي

[1] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٢٢ (٥٥) ؛ عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١ : ٢١و–٢١ظ .

عُقَامَة[١]، وكتب إليه من مدينة زَبيد :

[الطويل]

هنا الدين والعَلْياء تقليدك الأمرا … فقد طَوَّق التقليد هذا وذي فَخْرا
لعمري لقد طال انتظارهما لذا … وعدًا له الأيام والحَوْل والشَّهْرا
إلى أن أتى تحقيقُ ما كان ظَنّه … وللكون فِعْلٌ ليس تفعله البُشْرَى
فلو ملكًا قولًا إذًا أتينا به … ولو ملكا بطشًا إذًا سجدا شكرًا
ومالي والأخبار عن ذا وهذه … سروري بما سُرّا وفوق الذي سُرّا
ولي جبهةٌ للشكر تسجدُ دائمًا … ونَثْرٌ ونَظْمٌ يملأ البر والبَحْرا
فخذ خبري كم سَجْدَةٌ قد سجدتها … وحَمْدٌ وشُكْرٌ ذاك في أَثَر ذا تَتْرَى
تمنيتُ من شوقي لو أن مَطِيّتي … سحابٌ أو أن الريح تركبني ظُهْرًا
ولم تكر عيني دون أن تنظر الذي … سمعت به عين المحاول لا تكرا
وكانت لطرفي حالتان تخالفا … أقرتهما البُشْرى وللشوق ماقرا
فيا بدر آفاق العلى وابن شمسها … شهدت لقد أخجلتما الشَّمْسَ والبَدْرا
وهل فيهما إلا ضياء وأنتما … ضياءٌ وغناءٌ ورَشْدٌ لنا طُرًّا
فلا تَكْسِفا إن يَكْسِفا وتألّقا … ولا تغربا إن يَغْرُبا واطلعا الدَّهْرا
لعمري ما ناط الإمام بأحمد … ولايته حتى رآه بها أحْرىٰ
إذا هَزَّه ألفاه غَضْبًا وإن رمى … به ثَغْر أمر سَدَّ تدبيره الثَّغْرا
وأرسله في حَلْبَةٍ قد جرى بها … كُهولٌ فجلّى ثم غادرهم حَسْرا
وفَتَّش عن آرائه فتصورت … سيوفا وعن إملائه فانبرت غرا
وعن حاله في الطول والحول فانتـ … ـهى إلى كونه في ذا وذا البحر والبرا

[١] انظر عمارة اليمني : المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ٢٣٣– ٢٣٦؛ العماد الكاتب : خريدة القصر ٣: ٢٥١– ٢٥٣.

صفاتٌ رأيناها لديه كواملا صَبيًّا ولما انتهى عمره العَشْرا
وما الناسُ إلّا كالنجوم تفاوتًا فليست تساوي والسهى يعدل النّسْرا
مكرم أن تُعْطَى الكرامة دونهم فإنك أزكاهم إذا انتسبوا نجرا
وأشجعهُم قلبًا وأسمحهم يدًا وأبعدهم همًّا وأوسعهم صَدْرا
وأرجحهم عقلًا وأكثرهم تُقًى وأنقاهم جَيْبًا وأعلاهم ذِكْرَا
مددت إلى العُلْيا يدًا كل من غدا يمد بباع باعه عندها شِبْرا
فأطْلَعَت في أفقِ المعالي مناقبًا رأينا النجوم الزاهرات بها كَدْرا
فمن ذا يجري يجاريك في العُلا علوًا فيدنو منك أو يقتفى الأثَرا
رويدًا فما في حَلْبَة السَّبْق غيركم وقد خجلت أولاه إذ كنتم الأخرى
وإني لفي أوصافهم مثل سابح تورَّط في بحر ولم يقطع البَحْرا
أقول لشعري إذ تلاطم مَوْجُه رويدًا يحصي القَطْر من يحسب القطرا
إذا ما كنى شعر دوين مداكم فعلا فصارت دون مبلغه الشعرا

ولما جَدَّ عَزْم السلطان الملك الأوْحَد على المسير للحج إلى بيت الله الحرام وقَصْد إمامه عليه السّلام . وكان قد أرسل القاضي الأَجَلّ قاضي قضاة اليمن لَمَك بن مالك الحمَّادي إلى الحضرة المقدسة يَطْلبُ الإذْن له في الحَجّ إلى مكة والمسير بعد ذلك للهجرة إلى شريف الحضرة ، وكان الإمامُ عليه السّلام يثبطه ، وسنذكر ذلك إذا انتهينا إليه [١]. فلما تأخّر الجواب عن الملك الأَجَلّ الأَوْحَد ، أزْمَع على وصول مكة وسؤال إمامه – عليه السّلام – ومراجعته في ذلك من هناك . فأوصى الدّاعي الأَجَلّ الملك المُظَفَّر عليّ بن محمد ابنه الملك السلطان المُكَرَّم بالعَدْل وحُسْن السيرة والسياسة وتَقْوَى الله في الجَهْر والسريرة ، والعمل بأعمال الشريعة وإقامة دعائمها والائتمار بأوامرها ، والانتهاء عن محارمها . وأوْعَب إليه في ذلك وَحْظَه ، وأطال في ذلك

---

[١] الحامدي : تحفة القلوب ٢٣٤ وفيما يلي صفحة ١٢٨ – ١٣٠.

وَعْظَه، وقَدَّم أمامه سلاطين اليمن والذين يريدون الحج معه كيَام وجَنْب وسَنْحان وأهل حَرَاز وغيرهم لكثرتهم لئلَّا يزدحموا في الطُّرُق وعلى المَناهِلِ، وبقي معه ستمائة رجل من الحرابة وأكثرهم عبيده وملك يمينه، وسَيَّرَ معه أيضًا وجوه قومه [١].

وسار الملكُ الأَجَلُّ الأَوْحَد من صَنْعاء يريد الحج يوم الاثنين سادس ذي القعدة من سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وقد كان بَلَغَه أن الأَحْوَلَ سعيد بن نَجاح يجتمع إليه الحَرَابَة بزَبيد وغيرهم من الحَبَشَة وأنه يريد القيام، فأَمْعَنَ في طَلَبِ سعيد الأَحْوَل فاستتر عنه ولم يَعْلَم مكانه، ووَضُحَ للداعي الأَجَلّ الأَوْحَد أن فَرَح البيشي أكثر من يُمْعِن في الفَساد ويُحَرِّض العبيد والحَبَشَة حيث كانوا من اليمن على الاجتماع إلى سعيد بنِ نَجاح والخلاف معه، وفَرَح البيشي هذا من عبيد نَجاح، وقد كان الداعي الأَجَلّ الصُّلَيْحي رَكَنَ إليه لما أَظْهَرَ له من الطاعة والنصيحة، وأَضْمَر من الغَدْر، وكان قد وَلَّاه حِصْن مَسار. فحين بَلَغَ الداعي الصُّلَيْحي فسادُه وعنادُه أمر به فأحضره وعاتبه وذكر له إحسانه إليه وتقديمه ورَفْع مكانه، فجَحَدَ الذي نَسَبَ إليه وحَلَف بأَكيد الأَيمان وقال: إني أذهب وآتيك بابن نَجاح، فركن الداعي إلى تصديقه وأمره أن يأتيه بسعيد بن نَجاح بعد القَبْض عليه. فقَصَد فَرَحُ البيشي إلى زَبيد وحَرَّضَ على الخلاف العبيد، وقال لهم: إنه قد اشتهر أمركم فتلافوا نفوسكم وإلَّا فإنه قد حان هلاكُكم. فحين بَلَغَ الداعي أمره إليه، أَمَرَ بالقَبْض عليه، فوافاه به أبو السُّعود بن أسْعَد بن شِهاب بن جَعْفَر الصُّلَيْحي مستوثَقًا مكبَّلًا. فلما انتهى الصُّلَيْحي إلى العَمَد أمر بقتل فَرَح البيشي حين صَحَّ له فسادُه وعُتُوّه وعِناده؛ فلما بَلَغَ الحَبَشة أمره ازداد نفارُهم وخوفُهم وأظهروا سعيد بن نجاح الأَحْوَل، وكَشَفُوا قناعه ووَثَبوا على مولاهم أبي السُّعود وأحمد ابنى أسْعَد بن شِهاب وهما بزَبيد فقتلوهما، وقتلوا مَنْ كان معهما من أهل حَراز - وهم المستعملون بزَبيد - رحمة الله عليهم - وخرجوا

[١] عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٢١و-٢١ظ.

بالأَحْوَل وقد تَقَوّوا بما حازوه بزَبيد مما كان لبني أَسْعَد بن شِهاب من مال وكِراع . وأرادوا الفَتْك بالداعي الصُّلَيْحي وأن يستعينوا بمن في تِهامَة والشام من الذين على رأيهم من العبيد والحرابة . وقد علموا أن الداعي الصُّلَيْحي ليس معه أحدٌ من أهل البأس والشِّدَّة والمراس ، لأن رِجالَه قد تقدَّموه ، فمنهم من صار إلى هَجَر ومنهم من صار بذَهْبان ، وجميع أمواله وأثقاله وخيوله وجماله مبثوثة من الهَجَر إلى المَهْجَم ، لأن البلاد قد تَمَهَّد مِهادُها واستقام عمادُها ، وأمنت السُّبُل وخَضَع كل عزيز وذَلّ ؛ ومع الملك الأَجَلّ ابنه الأمير المُوَفَّق ، والحُرَّة ابنة شِهاب والدة أولاده ، وأَخَواه عبد الله وإبراهيم ابنا محمد بن عليّ الصُّلَيْحي ، وجماعة من بني عمه قد أجمعوا لقَصْد الحَجّ إلى بيت الله الحرام ، ونَوَوا الهجرة إلى حضرة الإمام عليه السَّلام .

مَقْتَل عليّ بن محمد الصُّلَيْحي

فلما انتهى إلى الملك الداعي الصُّلَيْحي ما فَعَل الحرابة من العبيد في مدينة زَبيد وقتلهم ابني أَسْعَد بن شِهاب وأنهم خَرَجوا للقصد إليه ولم يكن عنده غير الحرابة فأظهروا له النكير على أصحابهم ، وأنهم محبُّون أن يكون أَخْذهم بأيديهم وقَطْع رقابهم ، وقد أَسَرُّوا الغَدْر وأَضْمَروا المَكْر ، فصَدَّقَهم الداعي الصُّلَيْحي لما له عليهم من الإحسان وما توالى إليهم من الامتنان ، ولما في أعناقهم من أَكيد الأَيمان ، فأنهضهم الدَّاعي فساروا سراعًا يؤمون قَصْدَهم ، فوجدوهم في طريقهم فمالوا عنهم ، فأرسلوا إليهم أين يؤمون وأين يقصدون فعرّفوهم أنهم يريدون الشام وتِهامَة ، فأرسلوا إليهم يُحَرِّضُونهم على قَصْد الداعي الأَجَلّ وعَرّفوهم أنه قد تَقَدَّم عسكره ، وقالوا لهم : إن فاتكم غدا يوم السبت لحق بأصحابه وعسكره وامتنع عمن يرومه بمنكره . فسمعوا قولهم وقويت بذلك نفوسهم ، وساروا إليه مُجِدِّين وله قاصدين . فلما علم الداعي الأَجَلّ الصُّلَيْحي بدُنُوّ العبيد ، قال لأصحابه : إنما أُقْتَل عند بئر أم مَعْبَد –

وهي بضَيْعَة يقال لها أم الدُّهَيْنْ – وهو يظنها ما بين الحرمين الشريفين ، فقالوا له هذه والله بئر أم مَعْبد . فلما سمع قولهم عرف أن الشَّهادةَ قد دَنَت ووَطَّنَ نفسه عليها قاصدًا رضى الله فيما أخفت نفسه وأعلنت ، فوافاه العبيدُ يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة ومعه بنو عمه ، فكان لهم بلاءٌ شديدٌ وصَبْرٌ عظيمٌ وجهادٌ لم يَشْتَهِر مثله ، وكان للسلطان عبد الله بن محمد يومئذ صَبْرٌ محمودٌ وجهادٌ معدودٌ وهو أشدهم ذلك اليوم إقدامًا وأعظمهم صِدامًا .

فاسْتُشْهد الداعي الملك الأَجَل الأَوْحَد الصُّلَيْحي عليّ بن محمد – رضوان الله عليه – وبنو عمه وأخواه ، فكان الذين استشهدوا معه : أخواه عبد الله وإبراهيم ابنا محمد الصُّلَيْحيان ، وعمرو بن حاشِد بن جَعْفَر الصُّلَيْحي ، ومُسْلِم بن كريس بن عبد الله الصُّلَيْحي ، وحاشِد بن حاشِد بن جَعْفَر الصُّلَيْحي ، ومالك بن إبراهيم الصُّلَيْحي ،وأحمد بن قاسم بن عبد الله ابن قاسم بن يُعْفِر الصُّلَيْحي ، ومحمد بن حِمْيَر بن يَعْلي الصُّلَيْحي ، وعليّ ابن محمد بن عليّ بن المُظَفَّر الصُّلَيْحي ، وحَميد بن حَسّان الصُّلَيْحي ، وعبد الله ابن أبي الجَماهِر ، وعُمَيْر بن موسى بن حُذَيْفَة الجنبي ، ورَوْح بن سليمان اليماني ، وعليّ بن شُمَيْل اليامي ، وحيوان بن ربيح اليامي ، وعبدالله بن أبي الجماهر القُلَيْدي – رحمة الله عليهم –؛ وأما الأمير المُوَفَّق بن السلطان عليّ ابن محمد الصُّلَيْحي ومَهَنّا بن علي بن المُظَفَّر الصُّلَيْحي فإنهما مالا إلى الدار ليجاهدا عن الحريم . فلما قُتِلَ الداعي الصُّلَيْحي – رضوان الله عليه – شهيدًا مالت العبيدُ إلى من في الدار ، وكان لمَهَنّا الصُّلَيْحي من القتال ما عُرِفَ وشُهِرَ ، ومازالوا في الحصار والقتال إلى يوم الأربعاء نصف ذي القعدة ، ثم استأمن مَهَنّا بن عليّ وَخَرَج إلى الأَحْوَل فأخذ منه ميثاقًا شديدًا على الحَرَم وعلى من بَقي من بني الصُّلَيْحي وسواهم وحَلَفَ له أربعين يمينًا أنه لا مكروه عليهم وأنه يُطْلِقهم ليسيروا إلى مدينة صَنْعاء؛ فوثق بقوله وعاد إليهم

فأخرجهم ، فحين خَرَجوا أُدْخِلَت الحريم إلى دار أخرى ، وغَدَرَ الأَحْوَال بالرجال فقتلهم جميعًا ، وفيمن قُتِلَ منهم صبرًا المُوَفَّق بن الداعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي ، ومَهَنَّا بن علي الصُّلَيْحي ، وجميع من كان معهما من الرجال والأطفال – رحمة الله عليهم ورضوانه – وانتهب جميع ما كان في الأموال الجليلة القدر من العين والوَرِق وسائر مايَدَّخِر الملوك مما كان الداعي الصُّلَيْحي أعدَّه لينفقه على عسكره وجنوده الذين ساروا معه في طريقه ، وينفقه في مصالح البيت الحرام ويهديه إلى حضرة إمامه عليه السّلام ، فاخترمته المنون دون أمله واسْتُشْهِدَ – رضوان الله عليه – في طاعةِ مولاه فائزًا بصالح عمله ، حائزًا فَضْل الشُّهَداء الذين يَعْلون في درجات الحسنات ويرتقون ، القائل فيهم رَبُّ العالمين ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [الآية ١٦٩ سورة آل عمران] .

وسألت الحُرَّة أسماء بنت شِهاب الأَحْوَال ليدعها أن تمضي إلى صَنْعاء ومَنْ معها من نِسْوَة الصُّلَيْحيين ، فامتنع عن ذلك وسار إلى زَبيد والنِّساء معه ورأس الدَّاعي الصُّلَيْحي ورأس أخيه عبد الله أمامه يُحْمَلان على رمحين والنساء ينظرن إليهما . فلما انتهى إلى زَبيد ترك النِّساء والصُّلَيْحيات في دار وحدهن ونَصَب الرأسين قُبالَة الطاق الذي تنظر منه الحُرَّة أسماء بنتِ شِهاب ، فياله من بَلاءٍ عظيم وخَطْبٌ كخَطْب مواليهم يوم كَرْبَلاء الذين باء فاعل ذلك فيهم باللعنة والعذاب الأليم .

وفيما كان من قَتْلِ الصُّلَيْحي وغَدْرِ عبيده به ، يقول عمرو بن يحيى الهَيْثَمي من قصيدة :

---

[1] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٢٢-٢٣ (٥٥-٥٦) ، ٦١-٦٤ (٩٣-٩٤)؛ ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ٧٣، ٧٥، ١٦٧- ١٦٨؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣: ٤١٣- ٤١٤؛ الفاسي : العقد الثمين ٦: ٢٤٣- ٢٤٥.

[السريع]

لما اصْطَفَى حامِ وأدناهُم — وعَمَّهم منه العطاءُ الجزيل
وأنشأَ الحجَّ إلى مكّةٍ — يبغي رِضا الله وآل البَتُول
وارتَجَّت الأرضُ له خِيفةً — بمَنْ بها بين فُراتٍ ونِيل
وقَدَم الجَيش وأحزابه — شُمّ العرانين كرام الأصول
فصار في المَهْجَم في عُصْبَة — من قومِه غالتْه دهياءُ غُول
كاللَّيث في الغابة دَبَّت له — رَقْطاءُ ليلًا ذاتُ شَخص ضئيل
فإن يكن نِيلَ على غِرّة — فالبَدْرُ لابدَّ له من أُفُول
وجُرِّعت أسرتُه بعده — كأسَ المنايا وهم غير مِيل
مُرْدٌ وشيبٌ سادةٌ قادةٌ — لَهْفي على مُرْدِهم والكُهُول

المكَرَّم أحمد بن عَليّ الصُّلَيْحي

ولما قضى الله للملك الأَجَلّ الأَوْحَد عليّ بن محمد الصُّلَيْحي بالشَّهادة؛ ونَقَلَه إلى الرِّضْوان الأَبَدي والسعادة؛ قام الملك الأَجَلُّ ذو السيفين المُكَرَّم أحمد بن عليّ بن محمد الصُّلَيْحي بأمر المُلْك قيامًا[a] غير واني ولا ناكل، ولَزِمَ الصَّبْرَ حين أتاه عِلْم والده الملك الأَجَلّ الأَوْحَد، أَخْذًا بقول الله تعالى جَلّ من قائل فيما أنزله على خير أنبيائه المرسلين ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية ١٤٦ سورة آل عمران]. وانتشر البَغْي واستشرى الفَساد ووَقَعَ الخلاف في جميع البلاد وأَرْجَف كُلّ الناس.

وكان وُصولُ خَبَر مَقْتَل الدّاعي علي بن محمد الصُّلَيْحي - قَدَّسَ الله روحه - إلى ابنه الدّاعي المُكَرَّم يوم الاثنين الثالث عشر من ذي القعدة وهو بدار ملكه في مدينة صَنْعاء ليس معه غير ستمائة رجل من الحجازيين. فَفَرَّقَ

---

[a] في الأصول: قيام.

فيهم السلاح وأَمَرَهم بالاستعداد ، وأن يلاقوا البأساء بالقلوب الشِّداد ، ويثقفوا الأسل ويعدوا المناصل الحِداد . وكان عامر بن سليمان الزَّواحي ومُدَافِع الجَنْبي ومَنْ معهما يوم استشهد الدّاعي الصُّلَيْحي في ذَهْبان ، ومالك ابن شهاب بن جَعْفَر الصُّلَيْحي في الهَجَر ، وعِمْران بن الفَضْل اليامي والحسن ابن عمر السَّنْحاني في يام ، وسَنْحان كذلك في هَجَر ، وكل سائر في وجهته قاصِدٌ لحَجِّه وعُمْرَته وهم متَشَتِّتون في الطرقات منتظرون الاجتماع بداعيهم ليوافوا جميعًا الميقات .

فحين بَلَغَهم الخَبَر بما قَضى الله به من الشَّهادَة للداعي الأَجل ، أُسْقِط ما في أيديهم ، وكان اتصالُ العِلْم بهم ثاني عشر ذي القعدة ، فساروا يؤمون طريق نَجْد للرجوع إلى الملك المكَرَّم ، وانثنوا عما كانوا تَوجَّهوا إليه من قَصْد بيت الله المعظم ، وقد تَواصوا بالصَّبْر والجهاد ومكافحة المعاندين والأَضْداد ، فما زال المخالفون يعترضونهم في الطُّرُقات . ويقصدونهم في جميع الجهات ، وهم يقاتلونهم قتال الأحرار ، ويُجْلُون عن وجوههم بالإقدام حُكْم الذِّلَّة والصَّغار ، ولا يولون الأدْبار ، ولا يركنون إلى الفرار ، ولم يُخَلِّصهم من أعاديهم إلَّا الصَّبْر والنَّجْدَة ، فقتلوا ممن رام بهم الغَدْر عدَّة ، وقُتِلَت منهم جماعةٌ كثيرةٌ – رحمهم الله سبحانه – وانتُهب كثيرٌ مما كان معهم حتى وافوا مدينة صَنْعاء في يوم الاثنين الرابع من شهر ذي الحجة . فخرج إليهم الملك الأَجَلّ المُكَرَّم مستبشرًا بهم وبورودهم ، حامدًا الله تعالى على ما قَدَّره من وصولهم . وكانت تلك معجزة أظهرها الله لوليه المُسْتَنْصِر بالله – صَلَّى الله عليه – إذ حمى أشياعَه وأتباعَه من بأسِ أناسٍ كانوا لهم شديدي العداوة ، ملاقين لهم بوجوه الغِلْظَة والقَساوة . يلزمون لهم كل مضيق ويلقونهم في كل غَوْر ونَجْد بما ليس له من مُطيق . فنَجّاهم الله من تلك الأمواج ؛ وألقى الله في قلوبهم الصبر فحاموا محاماة ليوث الهياج . فلما اجتمعوا بالملك المُكَرم تواصوا بينهم بالصَّبْر على قتال الباغين والمفسدين

والمحاماة والجهاد عن الدين، وتَوَاصَوْا أن لا يطالبوا الداعي المُكَرَّم بدينار ولادِرْهَم، حتى يَظْفَرُوا بالعبيد وينال منهم ثأره بمدينة زَبِيد، وتعاقَدُوا على ذلك وتعاهَدُوا الله سبحانه.

ولما وَصَلَ عامرُ بن سليمان الزَّواحي والذين معه، نهض إسماعيل بن أبي يُعْفِر بن عبد الله الصُّلَيْحي وسَبَأ بن أحمد بن المُظَّفر الصُّلَيْحي ليَحْصُب وعَنْس ورُعَيْن، وكانوا قد أظهروا الخلاف وباينوا بالفساد، فجرى بينهم القتال، وَوَهَب الله سبحانه النصر للصُّلَيْحيين وأمكنهم من المفسدين، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً، واغتنموا أموالًا كثيرةً؛ ووافى خبرهم إلى الملك المُكَرَّم يوم الخميس السابع من شهر ذي الحجة. وكان عامرُ بن سليمان الزَّواحي قد تَقَدَّم إلى بلاد حِمْيَر وإلى المغرب لإصلاح الفساد وتقويم المناد، فأجابه وجُوهُ الحِمْيَريين وجاؤا إليه طائعين، وتثاقل المفسدون وامتنع المتمرِّدون فقاتلهم وقتلهم أَشْنَع قَتْل، وتتَبَّعهم في الوَعْر والسَّهْل، ووصلت بذلك كُتُبُه إلى الملك المُكَرَّم يوم السبت العاشر من ذي الحجة. ثم ورد بعد ذلك كتابُ إسماعيل بن أبي يُعْفِر الصُّلَيْحي، يخبر أنه قَتَلَ مَقْتَلةً ثانيةً من يَحْصُب ورُعَيْنْ وأنه أورد كثيرًا منهم موارد العَطْب والحَيْنْ، فعظمت الهيبة وانحطّ كثيرٌ من أهل الفَساد بالرغبة والرَّهْبَة.

وكان الشريفُ حمزة بن أبي هاشم بن عبد الرحمٰن بن يحيى الحَسَني[1]–

---

[1] كان هذا الشريف مُحْتَسِبًا وليس بإمام للزيدية. والفرق بين الإمام والمحتسب في المذهب الزيدي أن الإمام يتولَّى إقامة الجُمَع، وأخذ الأموال كرها، وتجييش الجيوش لفض الظالمين، وإقامة الحدود على من وجبت عليه؛ أما المُحْتَسِب فيقوم بالنهي عن المنكر بلسانه وسيفه على مراتبه، والأمر بالمعروف بلسانه دون سيفه، وسد الثغور وحفظ الأوقاف وتفقد المناهل والمساجد... (أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب ٢٦١). وقام بأمر الزيدية بعد وفاة والده أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن سنة ٤٣١هـ/١٠٤٠م وقتل سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م في أحد حروبه مع الصُّلَيْحي (نفسه ٢٦٢).

وإليه يُنْسَب الأشرافُ الحَمْزيون - قد دَلَّاه كثيرٌ من المخالفين بغُرور ووعَدوه أن ينصروه وأظهروا له قول الزُّور، وقالوا إن أمْرَ الصُّلَيْحيين قد ضَعُف وحالَهم قد وَهَى ورَهَف، وقد تَفَرَّق عسكرُهم ووَهَى أمرُهم، وهذه مدينة صَنْعاء والملك المُكَرَّم لا حائِل ولا مانِع ولا مُناصِر ولا مُدافِع فانهض لها قبل أن يسبق إليها بغيرك؛ ويُحَلِّق فيها سوى طيرك، فنَهَضَ مُشَمِّرًا وقام طاغيًا مستكبرًا، وقد سَمَّى نفسه بأمير المؤمنين، وكان زَيْدي المذهب فجمع إليه كثيرًا من القبائل، فصاروا حزبًا له، وحربًا للصُّلَيْحيين مباينين بالخلاف. وزَحَفَ يريد نحو صَنْعاء إلى أن صاروا قريبًا منها في موضع منها يدعى المَنْوى؛ وهو واثقٌ بدخول صَنْعاء عَنْوة وأنه لا يُدافِع عنها بنجدة ولا قُوّة.

وجاء عامر بن سُلَيْمانُ الزَّواحي من المغرب بعد أن كاتبه الملك المكَرَّم بخبر ابن هاشم وما عَقَدَ عليه وأبرم؛ فوصل صَنْعاء بُكْرَة يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذي الحجة، في خمسمائة من حِمْيَر، وَخَرَجَ من صَنْعاء هو وأحمد ابن المُظَفَّر الصُّلَيْحي في جماعةٍ من العَسْكَر بُكْرَة يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجة. فما كان أسرع من أن وافق الشريف بالمَنْوى يوم الجمعة ضحْوَة، فوَقَعَ بينهم القتال وصبر الفريقان أن يركنوا إلى الفرار، وكان الشريفُ في ثمانية ألف راجل وعدة كثيرة من الخيل، وأصحاب الصُّلَيْحي يزيدون على ألف رجل، وكانت على أصحاب الصُّلَيْحي جَوْلَةٌ عُقِرَ فيها ثلاثة أفراس وقُتِلَ اثنان من جَنْب وسِنْحان، ثم عطفوا على أصحاب الشريف فمنحهم الله الظَّفَر، ووَلَّى جَمْعُ الشريف وأدْبَر، وحيز الشريف حمزة بن أبي هاشم وابنه فقُتِلا، وقُتِلَ زعماءُ القبائل من أهل عسكرهما وعُقِرت خيلٌ كثيرةٌ من خيلهم، وهم في قريب من عشرة آلاف. قال أهلُ السِّيَر: فما انجلت المعركة إلَّا عن ثمانمائة قتيل من أصحاب الشريف، وكان للداعي المُكَرَّم نَصْرٌ عظيمٌ ببركة أمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله - عليه السَّلام - وفي

ذلك وفيما كان من يَحْصُب ورُعَيْن يقول عمرو بن يحيى الهَيْثَمي :

[الطويل]

لك الله ذا السيفين كال ... وناصر، فمجدك بعد الأَوْحَد الملْك قاهِرُ
تمنَّى الأعادي إذ مَضَى لسبيله ... مُنَى رَغَمت منهم لهن المناخِرُ
أتطمع في الجَوْزاء كَفٌّ تنالها ... ولكن رَدَى قومٍ قضته المقادِرُ
حمى لك أمرَ المُلْك من كلِّ جانبٍ ... ثلاثة أملاكٍ كرامٌ أكابِرُ
حليف المعالي أحمد بن مُظَفَّر ... وذو الجَوْد إسماعيل والقِرْم عامِرُ
نُجُومٌ زواهر، ليوثٌ هواصر ... سيوفٌ بواتر، بُحُور زَواخِرُ
يرونك أعلى من أبيك مَحِلَّةً ... ومن دونه تلك النجوم الزَّواهِرُ
فهذا على حَيٍّ رعين ويحصب ... وعَنْس سحاب بالمنية ماطِرُ
وهذان فيمن زار بالحين حمزةً ... هِزَبْرا عَرين والليوث خوادِرُ
أبادوا جموعًا كالجراد عديدها ... وفيها قَنىً سُمْر وجُرْد ضوامِرُ

وكان كبراءُ أهل حَرَاز مقيمين على طاعة الداعي الصُّلَيْحي، وأوْباشُهم ورعاعُهم قد تَوثَّبوا للخِلاف، وأرادوا أن يحاصروا حِصْن مَسار وفيه مالك ابن شِهاب الصُّلَيْحي. فأنهض الملك المُكَرَّم إلى حَراز أحمد بن المُظَفَّر الصُّلَيحي وإسماعيل بن أبي يُعْفِر الصُّلَيْحي وعامر بن سُلَيْمان الزَّواحي، فلما انفصلوا من صَنْعاء ونواحيها وصاروا بأُضْرير، وافاهم أهل مُجَيّح وأهل كَرار متطارحين عليهم وملقين بأيديهم إليهم ونَهَضوا إلى مسار، فما حال بينهم وبينه حائلٌ وما قابلهم بغير الطاعة والإقبال مقابلٌ.

وأقامت عساكرُ الملك المُكَرَّم بَحَراز ثمانية أيام، ونهضوا يوم الأحد لسبع بقين من المحرم، يرومون بَكيلًا ويتطرقون الهان والشَّرَجة، ثم وافوا بَكيلا يوم الأحد سلخ شهر المحرم أول شهور سنة ستين وأربعمائة. وأمروا

بالكَفّ عن قتالهم ذلك اليوم ، وجعلوا يلاطفونهم ويراسلونهم فأبوا إلا عُتُوًّا ونفارًا ، وما ازدادوا إلا استكبارًا فلما حان الظهر هبطت بَكيل لقتالهم ، فانتشب القتالُ بعد أن امتنع أصحابُ الملك المُكَرَّم من معهم عن القتال ، فأبى شُبّانهم وذوو البأْس منهم إلّا تسرعًا إليه واشتد القتال ، وكانت الدائرة على بَكيل وحَلَّ بهم التنكيل . وكان الذين قُتِلوا منهم ثلاثمائة وعشرين رجلًا منهم كثيرٌ من رؤسائهم وأولي النَّجْدَة منهم .

وعاد عامر بن سُلَيمان الزَّواحي وأحمد بن المظَفَّر وإسماعيل بن أبي يُعْفِر الصُّلَيْحيان بمن معهم إلى صَنْعاء ، فوافوها في شهر صفر من السنة المذكورة ، وقد وَرَدَ كتابُ أسْعَد بن عبد الله الصُّلَيْحي من التَعْكَر إلى الملك المُكَرَّم وأخبره بقَصْد بِلال وأبي الفُتوح ابني نَجاح إليه في عساكر جَمَّة من العبيد أهل تِهامَة ، وأنه أمر عسكره الذين معه بالحياد في ناحية الجَنَد ، فلما صاروا بذي أَشْرَق نهض إليهم جماعةُ عَسْكَر الصُّلَيْحي ، فالتقوا هنالك ووَقَعَ بينهم قتالٌ شديدٌ وكانت الدائرة فيه على العبيد فوَلَّوا منهزمين ؛ ومازال القتلُ فيهم من ذي أَشْرَق إلى الجَنَد ، وغنموا أموالًا كثيرة لهم ، ونجا بِلال وأبو الفتوح ابنا نَجاح بعد أن نَظَرا الموت عيانًا ، وظَنّا أن لايجدا منه أمانًا .

المُكَرَّمُ وتخليص والدته من الأَسْر

ووافى الداعي الملك المُكَرَّم كتابُ أُمّه أسْماء بنت شِهاب وهي بزَبيد ، وقد احتالت بإيصاله إلى سائل وجعلته في رغيف ، فلما كَسَرَ السائل الرغيف وَجَدَ الكتاب فيه ، فأوصله إلى ابنها الملك المُكَرَّم وفيه له تنكيفٌ أثار منه الحفيظة وصَيَّرَ الحياة الدنيا عنده ذميمة وإليه بغيضة . فعند ذلك جَمَعَ الداعي المُكَرَّم قَحْطان وأثار حَفائِظهم وذَكَّرَهم ووَعَظَهم ، وحَضَّهم على التشمير لتَقْم الثأر ، وقَصَدَ العبيد إلى زَبيد ليمحى منها الآثار ، وتخليص الصُّلَيْحيات من الأسار . فَتَجهَّز للمسير واستعد وافتقد آلة الحرب والعُدَد ، ووَصَلَ إليه

القاضي عِمْران بن الفَضْل اليامي ومنصور بن حميد والحسين بن عمرو السِّنْحاني يوم الأربعاء سابع عشر من صَفَر ومعهم نَهْد ويام وشاكر، فخرج إليهم الملك المُكَرَّم فتلقّاهم بنفسه ورأى من عَدَدهم وعُدَدِهم ما سَرَّهُ.

وخَرَجَ الملك المُكَرَّم قاصدًا للعبيد إلى زَبيد يوم الجمعة التاسع عشر من شهر صفر سنة ستين وأربعمائة ومعه أحمد بن المُظَفَّر الصُّلَيْحي، وعامِر بن سليمان الزَّواحي، وأبو الحسين بن مُهَلْهَل بن الدَّعام، والحسين بن عمرو السِّنْحاني، وعِمران بن الفَضْل اليامي، ومُدافِع بن الحسن الجَنَبي، ومحمد ابن علي اليامي، بعد أن خَطَبَهم ووَعَظَهم وحَضَّهم على الجهاد والصَّبْر، وأمَرَهُم أن لا يسير في عسكره إلّا من كان يجد في نفسه البأس والصَّبْرَ عند المراس، وأمر أن يتخلَّف الجبَان والضَّعيف، وأن لا يكون معه إلّا من أَحَبَّ المَوْتَ على الحياة ورضى الشَّهادَة ووَطَّنَ نفسه لها. وخَلَّفَ الداعي المُكَرَّم بصَنْعاء إسماعيل بن أبي يُعْفِر الصُّلَيْحي في عِدَّة من أهل الحجاز وأهل حَراز – وكانا قد وصلا إليه أخوا قاسم بن جعفر الرَّسّي الشريف الحَسَني، فأحسن إليهما وإلى أخيهما – وأمر من استخلفه أن لايخونه في غَفْلَته وأن لا يغدره بعد غَيْبته، وأمر له بكُسْوَة فاخرة ودنانير كثيرة، فأجاب إلى ما سأل وَشَكَره على ما له بَذَل.

وجاءت طريقه على حَراز، وأمر أهل حَراز أن يجتمعوا إلى العَمْد ففعلوا واجتمعوا واحتشدوا، وخَرَج من العَمْد يوم الأربعاء لستٍ بقين من صفر، وعَرَضَ العسكر – وكانوا سبعة ألف راجل وأربعمائة فارس – وخَطَبَهم ووَعَظَهم. فبعد أن حَمِدَ الله وأثْنَى عليه وصَلَّى على نبيه – صلَّى الله عليه – وعلى إمام عصره وذَكَرَ فَضْلَه، قال: إننا لم ننزل لعَرَض من دنيا نُصيبه ولا مال نُخَزِّنه ولا شيء نَذْهَب به من مَتاعِ الدنيا سوى إدْراكنا ثأْرَنا من هؤلاء العبيد واستنقاذ حريمنا، لا لقَصْد إضرارٍ بأحد من الناس بفساد، ولا تغيير

شيء مما يملكونه أو عتاد ، وطريقكم على زَرْعِهم ومواشيهم وفيكم المُشرع يمد يده بغير الواجب ، والذاهبِ إلى سَيّء المذاهب . وقد رَجَوْت أن يكون سيرتكم جميلة ووتيرتكم حميدة ، تجلبون لي ولكم حُسْن الأُحْدوثَة وحميد العاقبة ، فادفعوا إلي ذِمَّةً على أنكم لاتمدون أيديكم في طريقكم هذه إلى قَطْع خضراء أو إساءة إلى أحدٍ تلقونه سوى من وَتَرَكم ونال منكم ، فأجابوه إلى ذلك ، فدعا لهم بخير وحَضَّهَم على الصبر ، وذَكَّرَهم بما أَعَدَّ الله للمجاهدين من عظيم الأَجْر .

وحين دنا من زَبيد عَبَّأ عساكره ، وكان هو وأحمد بن المُظَفَّر الصُّلَيْحي وعامر بن سُلَيْمان الزَّواحي وأبو الحسين بن المُهَلْهَل والحسين بن عمرو السَّنْحاني في القلب في نَهْد وسَنْحان وحِمْيَر ، وكان عِمران بن الفَضْل اليامي ومُدافِع بن الحسن الجَنَبي ومحمد بن علي بن جبر اليامي في قبائل هَمْدان من يام وجَنَب وسواهم في الميمنة ، وكان مالكُ بن شِهاب بن جعفر الصُّلَيْحي في المَيْسَرَة ومعه الحَرازيون ، فأقبلوا على العبيد وهم صافون أمام باب شَبارِق والحائط خارج زَبيد ، وهم مثل العارض الأسود في ستة كراديس كَرْدوس ميمنة وعن يمينه كَرْدوس أردفوه به ، وكَرْدوس مَيْسَرَة وعن يساره كَرْدوس آخر أردفوه به ، وكَرْدوس قلب وكَرْدوس آخر جعلوه كمينًا في الحائط ، قالوا : وكانت عُدَّتُهم ثمانية عشر ألفًا . وكانت الجيوشُ في الميسرة والبازة والنَّوْبَة والمولَّدون في القلب ولفيفُهم في الميمنة من أجناس كثيرة . وقد أَدَلَّ العبيد يومئذ بكثرتهم ، وصارت ميسرةُ العرب في دائرة قد أحيط بهم ، فلم يحفل سائرُ العرب من جيش الملك المُكَرَّم بمن ورائهم واجتمع بعضهم إلى بعض وصدقوا من كان أمامهم بالجملة ، فانهزم العبيدُ بعد قتالٍ شديد وصَبْر من العرب عظيم وبلاء وإقدام وكَرّ في الهَيْجاء ، وكانت ميسرةُ العرب قد جالوا جولة منكرة ، ورأى ذلك أصحابُ القلب فانخزلت طائفةٌ من نَهْد

وسِنْحان عن القلب وصاروا ميسرةً، وكان مالك بن شِهاب بن جعفر الصُّلَيْحي قد أصيب بحربة وهو يُذَمِّر الناس فتوفي في زبيد بعد ذلك بيومين - رحمة الله عليه -. ولما انهزم العبيدُ وانفض جمعهم أخذت العرب في تتبعهم وأكثروا النكاية فيهم، وخرجوا في طلب الأَحْوَل بن نَجاح والبحث عنه فلم يظفروا به، وكان قد ركب غير فرسه وأخذ سوى عُدَّته ومر ممعنًا في الهرب على وجهه.

وانحازت طائفةٌ من العبيد إلى الدار فخافهم الملك المُكَرَّم أن يُحْدِثُوا إلى والدته ومن معها حَدثًا، فبادر إلى الدار التي فيها والدته، فكان أوَّل واصل إلى تحت الدار، ووالدتُه مشرفةٌ من الطاق، فقالت: من أنت؟ قال: أحمد بن عليّ، قالت: إن أحمد بن عليّ كثيرٌ في العرب، فكشف المِغْفَر عن وجهه وهو يسيل عرقًا، فلسرعة كشفه عن وجهه مع ما هو فيه من شِدَّة الحر أصابته الريح، فحصل في جلدة وجهه ارتعاشٌ كانت سبب عِلَّته. وحمى الله النِّساء الصُّلَيْحيات من شَرِّ العبيد وقَصَدَ الذين انحازوا من العبيد إلى جانب المدينة القِبْلي، وكانت الحُرَّة في جانبها اليماني، ونزل الملكُ المُكَرَّم عن ظهر فرسه وسَجَدَ لله تعالى شكرًا على ما منحه وأظفره وعَفَّر في التراب خَدَّه، وأُحْرِقَت الدار التي كان العبيد انحازوا إليها فما نجا منهم أحدٌ، بل تَقَوَّضَت بهم الدار وقُتِلُوا عن آخرهم. فكان الذين قتلوا من العبيد على ماذكره صاحب «سيرة الملك المُكَرَّم» يزيدون على خمسة آلاف، وأصيب من أصحاب الصُّلَيْحي قدر ستة عشر رجلًا - رحمة الله عليهم[1].

ولما دَخَلَ الملك المُكَرَّم زَبيد لم يجعل لأحدٍ سبيلًا إلى حريم بني نَجَاح، وأَطْلَق مَنْ وَقَعَ في أيدي العسكر من أولاد العبيد. وصار ابن نَجاح إلى المَهْجَم

[1] عمارة اليمني: تاريخ اليمن ٢٥-٢٦ (٥٨-٥٩).

ومن انضم إليه من العبيد واشتهر أمر الملك المُكَرَّم ونجدته وبأسه وشدته، وظَهَرَ منهم من الشجاعة وعُلُو الهمة ما شاع في الآفاق وأجمع عليه أهل الخِلاف والوِفاق. وقال الناسُ: إن الذي سَمَّاه ذا السيفين لحكيم.

وخَرَجَ الملكُ المُكَرَّم عن زَبِيد يوم الجمع الثامن عشر من شهر ربيع الآخر، ونَهَضَ إلى القَحْمَة يريد العبيد، فوافاه كتابٌ من عامله بصنعاء إسماعيل بن أبي يُعْفِر يذكر أن الشَّريف قاسم بن جعفر نَقَض العَهْدَ وحلَّ العَقْدَ، وترك ما حَلَف من الأيمان ظهريًا، وأتى في نقضها شيئًا فريًا، وأنه في الجَمْع والحَشْد يريد أن ينتهز الفرصة في صنعاء. وذكر إسماعيل بن أبي يُعْفِر أنه ذو عِلَّة وأن أهل الحجاز وأهل الحَراز جرت بينهم منافرةٌ فخاف الملك المُكَرَّم نزول المقدور على إسماعيل بن أبي يُعْفِر، وأن تكون صَنْعاء خاليةً وينال منها المخالفون ماسَوَّلَت لهم أوهامهم فخابت آمالُهم أن تكون أيديهم العالية.

فأقام الملك المُكَرَّم بالدَّوْمَة يوم السبت ويوم الأحد العشرين من شهر ربيع الآخر، ونَهَضَ راجعًا إلى مدينة صنعاء ومعه الحُرَّة والدته والحرائر الصُلَيْحيات قد خَلَّصهن من الأسر، واستخلصهن بالغَلَبَة والقَهْر. فوصل إلى صنعاء ليلة السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر، ووَقَفَ على الغيل في المسجد الذي ابتناه والده الأَجَلّ الأَوْحَد، حتى إذا جَنَّ الظلام دَخَلَت والدتُه الحُرَّة أسْماء بنت شِهاب إلى مقر المُلْك بصَنْعاء. وبات الداعي الملك المُكَرَّم إلى الصُّبْح ثم دَخَلَ صَنْعاء بما أغاظ المُفْسدين وساء المُعانِدين من جنودٍ بهاؤُهم باهرٌ وعِزُّهم ظاهرٌ. وقد كان كَثُرَ الإرجاف وقَوْل المحال ممن يحاول الخلاف، فساءت ظُنونُهم وسخنت عيونُهم. وفي رُجوع الحُرَّة إلى قصرها وخلاصها من أسْرها يقول عمرو بن يحيى الهَيْثمي من قصيدة:

[السريع]

أَوْبَةُ أسماءَ إلى قصرها بعد فِراق المَلِك الأَوْحَدِ
وبعد عَوْصَاء الخُطوب التي رَمَت بني قَحطان بالمُؤَيَّدِ
كرَجْعَة الشمس وقد جَنَّها دَجْنٌ وسِربالُ دُجى أسودِ
فيالها من نعمةٍ أصلُها بأسُ ابنها باني العُلَى أحمدِ
الحَوْل القلب غمر الندى المصدع مرهوب الشرى الأَصْيدِ
والحمد لله على أنها سَجِيَّة المنجب طلق اليد
لامِنَّة فيها لغير الظُّبَى منتجبي الدَّعْوَة والخائضي
حامليها طَيِّبي المُحتِد بحر الدِّماء العِلْق المُزبَد

وفاةُ إسماعيل بن أبي يُعْفِر الصُّلَيْحي

وَوَجَد الملك المُكَرَّمُ إسماعيل بن أبي يُعْفِر الصُّلَيْحي شديد العِلَّة ، فلم يقم بعد عودته إلَّا عشرة أيام . وكانت وفاةُ إسماعيل بن أبي يُعْفِر الصُّلَيْحي – رحمة الله عليه – فعَمَّت وفاته الداعي المُكَرَّم لأنه كان رُكْنًا من أركان دعوته وعَمَدًا من أعمدة دولته ، وكان في حِصْن كَحْلان عاملًا ، كما قد ذكرنا ذلك . وكانت عَنْس ويَحْصُب ورُعَيْنٌ قد هابته وخافت بأسه ، وشَيَّع الملك المُكَرَّم جنازته وصَلَّى عليه وواراه ، واختلف ثلاثة أيام للوقوف على قبره ، ثم أقام ابنه عبدالله بن إسماعيل في مقامه وصَرَفَ إليه ما كان منوطًا به .

القاضي لَمَك بن مالِك الحَمَّادي

ووَصَلَ قاضي قَضاة اليمن وداعي دُعاتها وهادي هُداتِها لَمَك بن مَالِك[1]

[1] يذكر عماد الدين إدريس في (نزهة الأفكار ١: ٤٣و-٤٣ظ) أن الداعي لمك بن مالك من بني حماد من هَمْدان ، وحماد وحامد أخوان ، وكان محل الداعي لمك في لهاب من نواحي حراز ثم سكن =

الحمّادي – رضوان الله عليه – من الحضرة الشريفة الإمامية المستنصرية ، فشَدَّ أزْر الملك المُكَرَّم وهَدَى إلى الحَقّ وعَلَّم ، ودعا إلى الدين الأَقْوَم . وقام الداعي المُكَرَّم بالسَّيْف وهو بالقَلَم ، حسب ما أمر هما به الإمام – ﷺ –، فاستقامت الدَّعْوَة بجزيرة اليمن خير استقامة ، وأظهر الله الدين وأعلامه .

قال الداعي الأَجَلّ حاتم بن إبراهيم بن الحسين الحامِدي – نَضَّرَ الله وجهه –: «وكان الداعي الأَجَلُّ عليُّ بن محمد الصُّلَيْحي – قَدَّس الله روحَه – لما استولى على جزيرة اليمن بأسرها هَمَّ بالنهوض إلى العراق والهجرة إلى الأبواب الطاهِرَة ، فلم يرِ إلّا أنه سَفَّر سيدنا قاضي قُضاة اليمن وهادى دَعاتها لمَكَ بن مَالِك – أعلى الله قُدُسَه – يَطْلُب له الفَسْح من الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين – عليه السّلام والصلاة وعلى آبائه الطاهرين بما يقتضيه الأمر العالي مما هم به – أعلى الله قُدُسَه . فتقدَّم القاضي المذكور في جماعةٍ من وجوه الأَوْلياء[١] إلى أن وَرَدُوا الديار الطاهرة وسَلَّم ما استودعه

= في قرار ملك بني الصُّلَيْحي في صنعاء ثم في ذي جِبْلَة .

ويُرَجِّح والدي المرحوم فؤاد سيِّد أن القاضي لمك هذا هو أخو الفقيه محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمّادي مؤلِّف كتاب « كشف أسرار الباطنية » ويستدل على ذلك باشتراكهما في اسم الأب وفي النَّسَب وفي القبيلة ، كما أنهما متعاصران إلّا أنه كانت بينهما خلافات سياسية ومذهبية (ابن سَمُرَة : طبقات فقهاء اليمن ٢٣٤هـ) .

والمصدر الأساسي الذي يحدثنا عن القاضي لمك بن مالك–بالإضافة إلى «السجلات المستنصرية»–هو الحامدي صاحب «تحفة القلوب» المتوفى سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م ، ونَقَلَ نَصّ كلامه الداعي عماد الدين إدريس هنا في «عيون الأخبار» والحسن بن نوح البَهْروجي في كتاب «الأزهار» (أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية ١٣٠– ١٣١ ؛ A. Hamdani, «The Dâʿî Hâtim ibn Ibrâhim al-Hâmidî (d. 596 H./1199 A. D) and his Book Tuhfat al-Qulûb» , *Oriens* 23-24 (1970-71) , pp. 258-300

[١] وردت أسماء الوفد المصاحب له في « السجلات المستنصرية» ، السجلين رقم ٤٢ ورقم ٥٥ وهم : عبد الله بن علي ، و محمد بن الحسن ، وحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وأبو البركات بن أبي العشيرة .

الأَجَلّ الأَوْحَد بعد أداء فَرْض السَّلام ، وأُنْزِلَ في دار الداعي الأَجَلّ الأَعْظَم المُؤَيَّد في الدين عِصْمَة المؤمنين [١] – أعلى الله قُدْسَه – وجعل يناجي الحضرة النبوية – سلام الله عليها – بالفَسْح للداعي المذكور فلا يُجاب إلّا بالقَوْل كيف يستأذن وقد آن وَقْتُ الشتاء ؟ فأقام مُدَّةً وهو في خلال ذلك يتَعَلَّم من الداعي المُؤَيَّد ويَكْتُب ما أفاده وأَلْقاه إليه إلى أن ينقضي الشتاء ، ثم يُعاوِد المطالعة فلا يُجاب إلّا بالجواب الأوّل ، فاسْتَشْفَع بالداعي المُؤَيَّد في استنجاز حوائجه ، فلم يُجَبْ المُؤَيَّد إلّا بالجواب الأوّل إلى أن مَضَى له خَمْس سنين [٤٥٤ – ٤٥٩هـ] [٢] وهو مقيم على ذلك ، كلما طالَع في ذلك لم يُجَب إلّا بما أجيب أولًا . فقال ذات يوم للمُؤَيَّد في الدين : ما تقول في هذا الجواب وقد مضى شتاءٌ وشتاء والجواب في كل مطالعة هذا الجواب ، فقال له : إنَّ لكلام الأئمة ظاهرًا وباطنًا وحقيقة لا يعلم ذلك إلّا الله تعالى وهم عليهم السَّلام .

وفي مُدَّة إقامة القاضي الأَجَلّ لا يفارق الداعي المُؤَيَّد في الدين بل بين يديه يسأله ويأْخُذ عنه ويكتب ما استفاد منه إلى أن استوعب ما عنده ، ثم كَتَبَ إليه في آخر الأمر سبعةً وعشرين مسألةً وطَلَبَ جوابَها ، فقال له : ما جوابُ هذه إلّا من مولاك ، فليس بينك وبينه حائلٌ ولا مانعٌ ، فتقدَّم بالمسائل في آخر الأمر إلى مولانا المُسْتَنْصِر – صلوات الله عليه – فأجابه عنها سبعةً وعشرين جوابًا ، وكساهُ عند كل جواب قميصًا [٣].

---

[١] هي دار العِلْم بالقاهرة .

[٢] ما بين المعقوفين زيادة لتوضيح السياق .

[٣] عن الغرض من هذه السفارة والسبعة وعشرين سؤالاً التي وجَّهَها القاضي لمك إلى الإمام المستنصر بالله ومناقشة نتائجها (راجع ، حسين الهمداني : الصليحيون ٩٦– ٩٨، ١٧٥– ١٧٧؛ أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية ١٣٠– ١٣٦؛ A. Hamdani, *op. cit.*, pp. 261-63)

فلما كان في يومٍ من الأيام وَرَدَ الأَمْرُ على المُؤَيَّد في الدين والقاضي لَمَك ابن مالِك بالمُثُول بين يدي الإمام – سلامُ الله عليه – فلما مثلا بين يديه، قال – عليه السَّلام – للقاضي: «أحْسَنَ الله عزاكَ في داعيك، فإن السُّودان قتلته في هذه الساعة»، فحَفِظَ القاضي تاريخ ذلك الوقت، فكان الوقتُ الذي استشهد فيه الأَجَلُّ الأَوْحَدُ – قَدّسَ الله روحه – لم يتقدَّم ولا تأخَّر. وقد كان في جواب الإمام – عليه السَّلام – للمُؤَيَّد في الدين حين شَفَع: «قد آن وقت الشتاء يا مُؤَيَّد ولسوف يروح بسفارةٍ جديدةٍ وأمرٍ جديد».

فأقام القاضي لمَك في حضرة الإمام – عليه السَّلام – خمسة أشهر من أهل النواحي والأمصار. ثم إن أمير المؤمنين – عليه السَّلام – أقام الداعي المُكَرَّم وسَفَّرَ بذلك القاضي الأَجَلّ لمَك بن مالِك، وهى السِّفارة الجديدة والأمر الجديد الذي رمز به قبل أوانه، وقال الإمام – عليه السَّلام – للقاضي لمَك بن مالِك: «لما نَظَرْنا أن الأَمْرَ لذلك الداعي قد انقضى وأن شتاءَ الحصاد قد قَرُبَ ودَنَا، رأينا أن نُوقِفَك لئلا يُقْتَل الداعي المذكور في غير الجزيرة التي فيها ملكه فيُقْتَل جميعُ الأولياء معه». فلما عاد قاضي القضاة لمَك بن مالِك ورَجَعَ إلى اليمن بإقامة الداعي الملك المُكَرَّم خليفةً بعد أبيه – أعلى الله قدسهما جميعًا – لم يَسْمَح من حقائق علمه إلّا بالشيء القريب للداعي المُكَرَّم والحُرَّة الملكة وأحمد بن قاسم بن وَلِيّ لاغيرهم»، هذا قولُ الداعي حاتم ابن إبراهيم – نَضَّرَ الله وجهه[١].

وكان الداعي المُكَرَّم راجعًا إلى القاضي لمَكُ بن مالِك في قَوْلِه وفِعْله معترفًا بفضله وقيل إنه كان إذا لقيه في طريقه تَرَجَّلَ الملك المُكَرَّم عن جواده تواضعًا

---

[١] الحامدي: تحفة القلوب (مخ. همداني) ٢٣٥– ٢٣٦.

له وحِفظًا لأكيد وداده. فكان القاضي لمَكَ بن مالِك والداعي المُكَرَّم متعاضدين متوازرين متكاتفين متظاهرين على إقامة الدَّعوة والهداية لمن اتبعهما إلى فَضْل الأئمة، فهذا قائمٌ في العِلْم كالعَلَم، وذا قائم بالمُلْك والسَّيْف عن أمر إمامهما - عليه السلام -[1].

بقية أخبار المُكَرَّم الصُّلَيحي

ونرجع إلى ماكُنَّا فيه من ذكر الملك المُكَرَّم ونَقْمه بثأره وأخذه بأوتاره وقيامه على أهل الخِلاف، وإرجاعهم إلى أمره بالأرماح والأسياف. ونَهَضَ الملك المُكَرَّم من صَنْعاء قاصدًا لذُئيان وبني بُجَيْر وبني الدَّعام، وقد كانوا والوا الشريف القاسم بن جَعْفَر على الخِلاف على الأمير المُكَرَّم، وكان هذا الشَّريف قد استهواهم واستمالهم ودَعاهم إلى عمه الحسين بن قاسم وبَشَّرَهم بظهوره[2]، وكانت هَمْدانُ قد قتلته قبل ذلك الوقت بستين عامًا. قال القاسم ابن جعفر: «إنه سيظهر ويعود إلى الدنيا ويملأُ الأرض عَدْلًا»، فمال إليه عامةُ الناس وغوغاؤهم بهذه المخرقة، ومال إليه عقلاؤهم محبةً للخلاف على الملك المُكَرَّم.

فلما عَزَمَ الملك المُكَرَّم على الخروج، كَتَبَ إلى الشريف قاسم بن جعفر يذكر له أن ذُئيان قد أخذوا له طعامًا وفعلوا أفعالًا لايمكن الصَّبْر عليها. فأجابه الشريف بأنه قد وَهَبَ له ذُئيان وَنهَم وغيرهم من القبائل وأعفاه أن يعرض لهم، فأغضب ذلك المُكَرَّم، وكان خروجُه من صَنْعاء يوم السبت الثامن عشر من شهر جمادي الآخرة سنة ستين وأربعمائة قاصدًا لبلاد ذُئيان، فمازال بها حتى أقام مائدها وأَصْلَح فاسِدَها وأَخرَب عليهم ضِياعًا ورِباعًا

[1] الحامدي: تحفة القلوب ٢٣٦.
[2] هو الحسين بن القاسم العياني.

حتى فاؤا إلى الطاعة ، ووَصَلَ إليه كبراؤهم وأولوا الرياسة منهم فعاتبهم على ما كان منهم من الشِّقاق والنِّفاق ، وذلك بعد أن قَرَبَّهم وأحسن إليهم .

ولما كان يومُ الجمعة الرابع والعشرين من الشهر أحضرهم ، ووقعت الموافقة بينه وبينهم على أنهم يصانون ويُكْرَمون وعليهم السَّمْع والطاعة والانقياد في سَلْك الجماعة ، وأنهم يخرجون في كل مخرج يخرج فيه الملك المُكَرَّم إلَّا تهامَة ، فإنهم بالخيار إن شاؤا خَرَجوا وإن شاؤا تركوا وقَعَدُوا ، وأخذ أيمانهم على ذلك وأنهم لايؤون الشريف قاسم بن جعفر ولا يُوالُونه ، وأنهم يقومون من خدمة الملك المُكَرَّم بما يُبعِدون به عنهم سوء الظن ويُنْفُونَه .

ونَهَضَ الملك المُكَرَّم لصلاح المغرب يوم الأحد السادس عشر من ربيع الآخر . فانتهى يوم الأربعاء تاسع عشرين من الشهر إلى موضع يسمى اللُّومِيّ[١] ، فساعة وَصَلَها وافاه كتابُ الحُرَّة أسماء بنتِ شهاب تخبره بورود كتابين من أسْعَد بن عبد الله الصُّلَيْحي وعليّ بن سُوَيْد وعبد الله بنَ مَعْمَر ، وأنها أنفذتهما إليه ، فكان في كتاب أسْعَد بن عبد الله أن حسين بن مُغيرَةَ التُّبْعى وأبا العبَّاس الشُّحطي وأبا إسماعيل الكَلالي نزلوا إلى الحَمْراء بتجميع أهل يَحْصُب ورُعَيْنٌ وزَبِيد السَّهْل وغيرهم ممن انضاف إليهم ، وأن عِدَّتَهم كانت ثلاثين ألفًا سوى أن فيهم كثيرًا بغير سلاح وفيهم مائة فارس ، وأنهم أخربوا ما حازوه من البلاد ، وأمعنوا في الأرض بالفَساد ، ونهبوا الركبة ، وأنه لما رأى ذلك منهم نَدَبَ عليّ بن سُوَيْد وعبد الله بن مَعْمَر في ثمانين فارسًا وأربعة ألف راجل ، وأنهم التقوا فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، ومَنَحَ الله الأولياء الظَّفْر فانهزم ذلك الجَمْع العظيم وقُتِلوا قِتْلَةً شنيعة ، وأَخَذَ من خيلهم عشرين فارسًا . وكان في كتاب عليّ بن سُوَيْد وعبد الله بن مَعْمَر أن الأَحْوَل بن نَجاح طَلَعَ من تِهامَة بجَمْعٍ عظيمٍ بعد معاملته لوائِل بن عيسى وأبي العَبَّاس

---

[١] اللّوميّ . موضع في جبل .

الشَّحْطي وحسين بن مُغيرة التُّبَّعي واليَحْصُبيين والرُّعَينيين وجميع سلاطينهم وأنه صار في سوق الجبجب من أحاصة عازما على قَصْد صنعاء ، وأن أخوي الأحْوَل ويُعْفِر بن الكَرَنْدي بالجَنَد في جَمْع آخر مقابلون لعسكر أسْعد بن عبد الله الصُّلَيْحي بذي أَشْرَق ، ويستعجلان نهوض الأمير المُكَرَّم ، فلم يمكن الأمير المُكَرَّم الرجوع وقد قارب جبل مِسْوَر ، وخَشى أنه إن رَجَعَ اضطربت البلاد ، وزاد الخلافُ والفَساد .

ولما كان سَلْخُ ربيع الأول نَهَضَ الملك المُكَرَّم عن اللُّومي فنزل بمُدَع – قرية من قرى حِمْيَر – فلقيه محمد بن إبراهيم الصُّلَيْحي وحاشِد بن كديس الصُّلَيْحي عامل مِسْوَر ولقيه مشائخُ أهل لاعة تحت مِسْوَر ، وَوَصَلَ إليه عامِر ابن سُلَيْمان الزَّواحي وكان قد تأخَّر في صَنْعاء لِعِلَّةٍ أصابته ، فحين زالت عنه لَحِقَ به ، ولما صار الملك المُكَرَّم بالقَبْل – وهو جبل مقابل لجبل حَمْلان – وكافة بلاد المغارب ، أمر عسكره أن لا يبدءوا أحدًا بقتال ولا يهبطون إلى الوادي . فوقف بالجبل إلى الليل ولم ينزل الوادي خشية أن يجري القتال إن نزلوا الوادي بالنهار . فلما كان الصباحُ أمر الملكُ المُكَرَّمُ بطلوع جبل حَمْلان ، وكان عامرُ بن سُلَيْمان الزَّواحي وأبو الحسين بن مُهَلْهَل في غربي الوادي في حِمْير وحَضُور ، ومحمد بن إبراهيم الصُّلَيْحي وحاشِد بن كُدَيْس الصُّلَيْحي في أعلى الوادي في جماعة وافرة ، وكان الملك المُكَرَّم في وَسَط الوادي ومعه أحمد بن المُظَفَّر الصُّلَيْحي والحجازيون مقابلون لمعظم الجبل ، فطلع كلُّ قومٍ من جهتهم وذلك بُكْرَة يوم الأحد الثالث من شهر جمادى الأولى ، فأقبل أهل الجبل من كل حَدَب يَنْسلون ومن كل جِهَةٍ يكرُّون ويحملون ، وكان أكثرهم ومعظمهم في الناحية التي كان فيها الملك المُكَرَّم . فنزل الداعي المُكَرَّم عن جواده وجعل يُحَرِّض الناس ويُذَمِّرهم وبالصبر على البأس يأمرهم . وأقبل يَصْعَد الجبل لا يثنيه شيء فما تأخَّر أحدٌ وكان له من الجَلَد والقوة والبأس ما

وجاءوا به إلى الملك المُكَرَّم ، فأكرمه وأحسن إليه وخَلَع عليه . ولما علم التُّبَّعي بأخذه ضاق ذَرْعًا وسأل الأمان والإحسان فأعطيه ووصل إلى الملك المُكَرَّم ، وذلك في انسلاخ جمادى الآخرة . وأقبل الناسُ إلى الداعي الصُّلَيْحي قاصدين وللأمان طالبين ، فآمنَهم وأحسن إليهم . ونَهَضَ الملك المُكَرَّم يريد المِخْلاف يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب ، فانتهى إلى ذي جِبْلَةَ مدينة النهرين يوم السبت الثالث عشر ، وفي اليوم الرابع عشر استأذن التُّبَّعي على أن له حاجة في قرية تعرف بالمنعب ، فأذن له الملك المُكَرَّم ، وقد وثق بما أقسم به من الأيمان فقصد الأَحْول إلى زَبيد . وأقام الملك المُكَرَّم بذي جِبْلَة إلى يوم الأربعاء السابع عشر من الشهر ، ثم نَهَضَ صبحه يريد الجَنَد فأقام بها يومين ، فبلغه أن أبا إسماعيل الكَلالي قد قَوِيَ خلافه ولزم جبل العود بنبا وجبل دروان بقرب يَحْصُب ونقل الطعام إليهما وعمل الفتنة ، فنهض يومه يوم السبت العشرين من الشهر وسار مجدًا حتى انتهى إلى منكث يوم الاثنين ثاني عشرين من الشهر وأقام إلى يوم السابع عشرين من الشهر – شهر رجب– فبات برأس الجبل المعروف بجبل النصاب من نبا ، فضاقت الأرض بأبي إسماعيل الكلالي وطلب الأمان ، وأرسل يسأل الأمان فأعطيه . ولقي أحمد بن مظفر الصليحي بولده وولد منصور بن أبي العشيرة ، ليسيرا إلى صنعاء صحبة الأمير المُكَرَّم وحلف للأمير المُكَرَّم ولعبد الله بن إسماعيل بن أبي يُعْفِر الصُّلَيْحي العامل بكحلان . ورجع أحمد بن المُظَفَّر إلى الملك المُكَرَّم ، فنهض الملك المُكَرَّم آخر يوم الاثنين التاسع والعشرين من رجب عائدًا إلى صنعاء ظافرًا غانمًا ، فدخل مدينة صنعاء يوم الأحد السابع من شهر شعبان الكريم ، وقت صلاة العصر ، وجميع عساكره بالعدة والسلاح ، وهو يكثر من حمد الله وشكره والثناء على ولي الله إمام عصره ، إذ ما ناله من الفتوح ببركته ويمن دعائه وسعادة دولته . وجعل مدة مقامه بصنعاء يجمع أهل دعوته ويعظهم ويأمرهم بمكارم الأخلاق ويحثهم على الصلاح ونجاة الأرواح .

فلما كان يوم السبت لخمس بقين من شعبان جمعهم وأعلمهم أنه ناهض لنقم ثأره وأخذ أو تاره من العبيد، وحضهم على الجهاد ورَغّبَهم فيه، وأمر برسالة قرئت عليهم في الوعظ والتذكير وفضل الجهاد وما فيه من الثواب العظيم والفضل الشهير، فاستبشر الناس بذلك وأجابوه بما أراد. وقامت الشعراء بالإنشاد، وحَرّضُوا العسكر على ذلك، وعلى الأخذ بثأر الداعي عليّ بن محمد المُظَفَّر، فمن ذلك قول الحسين بن عليّ القُمّي:

[الطويل]

أَقَحطانُ هُزِّي البيضَ واعتقلي السُمْرا … ورُدِّي العَوالي من دماءِ العِدا حُمْرا
وامّي الوغى وافري الطلى واطلبي العلى … وخوضي الردى واستشعرى النصر والصبرا
ولا تُهْدِرى ثأرا المُظَفَّر إنّه … بَنى لكُم مَجْدًا وشاد لكم فَخْرا
أبان لكم هديا وزاد لكم علًى … وأعلى لكم عِزًّا وأسنى لكم ذكرا
وكان إمرأً لا يألف الضيم جاره … ولست تراه قائلا أبَدًا نُكْرا
ولا لابسًا عارًا ولا مهددًا ثارا … ولا تاركًا خيرًا ولا فاعلًا شرًا
ولا قابضًا كفًا ولا مانعًا عرفًا … ولا باذلًا عرضًا ولا صائنًا وَفْرا
سَرَى نحو بيتِ الله معه قاصدًا … يَرومُ من الله المثوبة والأجْرا
فصَدَّته عَمّا يبتغيه عبيدُه … وكان عليهم حانيًا وبهم بَرًا
عبيدٌ حباهم منه نعماء جَمّة … فجازُوه بالنعماء حين بَغَوا كُفْرا
وكان لِما أولاهم واثقًا بهم … وقد أَضْمَروا غَدْرًا وأخفَوا له مَكْرا
فلما أراد الله إمضاءَ أمره … بسردد لم يُحْضِركم ذلك الأَمْرا
حَذارًا عليكم أن تُعابوا بقَتْله … وأنتم حضورٌ فاسْتَجْدوا له شُكْرا
فثُرْتُم عليه ثَوْرةً تركتهم … كأنهم سَكْرى ولم يَشْربوا خَمْرَا
وكانت لهم من بعدها مُدٌّ بها … أقاموا وإن كان المَدَى أبدا نَزْرا
فما أَحَدٌ من آل قَحطان ماجدٌ … تأخَّر عن داعيه في غَزْوه غَدْرا
فأقسم ما ثابت إليهم عقولُهم … ولا أضْمَرُوا إلّا الهزيمة والفَرّا

نزلَ بهم إقدامهم إن راوكم   كأنكم أَوْقدتم تحتهم جَمْرا
هم اليوم أذنا منهم أمس قُوّة   وأنتم عليهم منكم قَبْلها أَجْرا
ألا فالْبِسُوا البيض المفاضات واجنبوا   المذاكى وهُزّوا للطعان القَنا السُمْرا
يكن سيركم زحفًا وزحفكم ثَنِيّ   وضربكم هَبْرا وطعنكم شَزْرا
وولّوهم عنكم ظهورَ تراسِكم   وعُضّوا على أنيابكم والحَظوا خَزْرا
عليكم بذكر الله فاعتصموا به   وذَكِّر معد الطُّهْر مولى الورى طُرّا

وقال عمرو بن يحيى الهيثمي :

[السريع]

يا صيد هَمْدان ابن زيدٍ ويا   سعد وسنحان حُلوس الخيول
ويـا حَـرازاه ويـا حِـمْـيـر   الغُرّ بني الغُرّ كرام الأصول
ويا بني قَحْطان حيث انتأت   حُزون دار بـهـم والسّـهـول
لا تـتناسـوا أغـظُـمًـا جَـرَت   الرِّيح عليها بالدُّهيم الذيول
ولا قـتـيـلًا مُشَبَّـهـا حَـمْـزَة   بـأبـي ذلـكـم مـن قـتـيـل
وصَـبِّـحـوا حـام بـرَجـراجـه   تهدي لأصحاب الآلال الأليل

ولما كان يوم الخميس غُرّة شهر رمضان المعظم ، نَهَضَ الملك المُكَرَّم من صَنْعاء يريد الأَحْوَل والعبيد بزَبيد ، فانتهى إلى العَمْد يوم الأحد الخامس من شهر رمضان ، ووَصَلَ إليها يوم الاثنين عامر بن سليمان الزَّواحي في حِمْيَر ، وأبو الحسين بن مُهَلْهَلَ في أهل حَضُور ، ومحمد بن إبراهيم الصُّلَيْحي في أهل مِسْوَر ، واجتمع إليه أهل حَراز وأهل المغرب .

فلما كان يوم الثلاثاء بَرَزَ الملك المُكَرَّم إلى خارج القرية وعَرَضَ العسكر ، فكانوا ستمائة فارس وعشرة ألف راجل ، وكَلّمهم ووَعَظَهم ، وأَوْعَزَ إليهم أن لا يُقْبِلوا على نَهْب ولا سَلْب ، وأن يُؤَمِّنوا الناس وأن يَقْصدوا عدوهم ، فأجابوه إلى ذلك .

ولما كان بُكْرَة الأربعاء السابع من الشهر، نَهَضَ الملك المُكَرَّم من قرية العَمْد وجاءته الأخبار أن الأَحْوَل نَهَضَ من زَبِيد يوم الخميس غُرَّة شهر رمضان يريد ناحية المِخْلاف أو عَدَن، وسار الملك المُكَرَّم إلى زَبِيد يوم الأحد الحادى عشر من الشهر ولم يعرض لها، وجاءه الخبر أن ابن نَجاح بالجَنَد، ثم أشار ابن مُغيرةَ صاحب القرانح على ابن نَجاح أن يقصد جبل الشَّعْر وينزل الحَقَل، وأنه يجد بالحَقَل أعوانًا على أمره، وكان ذلك الرأي للأَحْوَل لو لم يُعَجِّل وينقضي منه الأَجَل. ولم يزل الملك المُكَرَّم يَتَطَلَّع أخبارَه ويَقْفو آثاره، وأرسل الملك المُكَرَّم عامرًا الزَّواحي في جُلِّ من معه من جَنْب وسَنْحان وحِمْيَر، وسَيَّرَهم نَقيل صَيْد لئلا ينقلب الأَحْوَل من تلك الجهة، وبقى في جماعة من هَمْدان وأهل حَراز. وأغذ الملك المُكَرَّم السَّيْر، وجعل يذمر الذين معه على اللَّحاق للعبيد ويَعِدُهم بما أَعَدَّ الله لهم من النَّصْر والتأييد، حتى أشرف الملك المُكَرَّم على العبيد وقد تعلَّقوا بجبل الشَّعْر، وهم اثنا عشر ألفا وهو في سبع مائة رجل، لأن جُلَّ عسكره كما ذكرناه قد توجَّهوا إلى نَقِيل صَيْد مع الزَّواحي. فذَمَّر الملك المُكَرَّم أصحابه وأمرهم وشجعهم وأمرهم بالصبر وَوَعَدهم من فَضْل الله بحلول الفَتْح و النَّصْر. ولما سمع العبيدُ الحرابات أيقنوا أنه الملك المُكَرَّم فأسْقِطَ ما في أيديهم وملأ الرعب قلوبهم بعد أن تكاملوا بجبل يعرف بدور مقابل للشَّعْر. فحمل عليهم الملك المُكَرَّم ومن معه من الأولياء حَمْلَةَ من يختار الموت على الحياة الفانية، ولا يُوَلِّي الدُّبُرَ إلَّا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة راجين الفوز بالشَّهادَة أو الظَّفْر بالعَدُو وإدراك السَّعادَة. فولَّى العبيدُ منهزمين على أدْبارهم وأخذتهم السيوف ومنهم من رمى نفسه من تلك الجبال المرتفعة واردين موارد الحُتُوف. وأدرك رجلٌ من شاكر سعيد بن نَجاح أسْفَل من قرية تعرف بمأيه فقتله وسلبه، وأتى إلى الملك المُكَرَّم برأسه ومَزَّق الله جنده كل مُمَزَّق، وشَفَا قلوبَ الأولياء من الغيظ

والحَنَق [١]. وكان جُلُّ من قتل من عبيد نعمة الملك الأَجَلّ الأَوْحَد الصُّلَيْحي عليّ بن محمد، الذين جحدوا نعمته وكفروا أفضاله، فأَحَلَّ الله بهم نقمته ونَكاله وقتل بلال بن نَجاح وأخوه مالك بن نَجاح بنَقيل صَيْد، وقد لقيهم عامر ابن سليمانُ الزَّواحي، ولم يفلت ممن كان مع الأَحْوَل إلّا قَلّ، وأخذتهم حيث أمّوا السيوف والأَسَل. وطلع الملك المُكَرَّم إلى الحَقْل فانتهى إلى قتاب، ثم نهض يوم الثلاثاء العشرين من الشهر إلى ذي جِبْلَة ونهض منها إلى الجَنَد، وهنالك قَسَّم المغانم بين عساكره وهو من الخيل والبغال والإبل وغير ذلك، وانتهى إلى زَبيد فوصلها يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر رمضان [٢].

وخَرَجَ يوم السبت غُرّة شوال إلى المُصَلّى فصَلّى العيد وخَطَبَ الناسَ ودَعَا لوالده في خطبته – رضوان الله عليه – وحَمِدَ الله تعالى على ما قَيَّضَ له من الأَخذ بثأره. وكان فيما قال: « اللّهم وتَغَمَّد بغُفْرانك ورحمتك ورضوانك عبد أمير المؤمنين وداعيه الأَجَلّ الأَوْحَد، واجْزِه أَفْضَل ما جَزَيْت داعيًا عَمَّن دَعاه وراعيًا عمن رعاه. اللّهم وأَوْزعنا شُكْر ما أنعمت به علينا من تَوَحُّدك لنا بإدراك ثأره من الظالمين والإدالة له من أعدائه الفاسقين، حتى صاروا بحَدِّ أسيافنا حصيدًا خامدين، فما بَكَت عليهم السّماء والأرض وما كانوا مُنْظَرين، وغودروا كما قلت وأنت أصدق القائلين: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ » [الآية ٤٥ سورة الأنعام]. ثم دَخَلَ زَبيد نصف النهار وأخبر عن باقي العبيد أنهم لجئوا [a] إلى جَيّاش بن نَجَاح إلى

---

[a] زيادة من نزهة الأنظار. [a] في النزهة: وأخبر عن العبيد أن باقيهم اجتمعوا.

---

[١] عمارة اليمني: تاريخ اليمن (٦٠، ٦٣-٦٤) بتفاصيل مختلفة تنسب مقتل سعيد بن نجاح إلى تدبير السيدة الحُرّة بنت أحمد.

[٢] عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٢٧ظ-٢٨و.

المَهْجَم، فأقام إلى يوم الثلاثاء الرابع من شهر شَوّال. وخَلَّفَ سبأُ بن أحمد المُظَفَّرَ الصُّلَيْحي بزَبيد ونَهَضَ إلى المَهْجَم فوصلها يوم الجمعة الثامن عشر من شهر شَوّال، ونَهَضَ إلى الهَجَر يُريد العبيد، وانتهى إلى السّاعد فأقام بها إلى اليوم السادس والعشرين من الشهر وعاد إلى الهَجَر فأصبح فيه يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر شوال. فأنفذ رُسُلًا وجواسيس يستخبرون حال جَيّاش بن نَجاح وأين قَصَد، فتواترت إليه الأخبارُ أن جَيّاشًا ومن معه من الحَرابَة قد انفصلوا ينحون مَكّة – حَرَسَها اللّه تعالى – فأقام بالهَجَر إلى يوم الخميس الخامس من ذي القعدة، ثم خَلَّف عليًّا ومحمدًا ابني مالك بن شِهاب الصُّلَيْحي بالهَجَر في جماعة من أهل الحجاز وأهل المغرب، ونَهَضَ من الهَجَر يريد زَبيد فانتهى إلى السّاعد ووصله أبو القاسم بن أبي النُّور وسَناح ابن أبي العَسْكَر بسِجلّاتٍ شريفة من الحضرة الطاهِرة المستنصرية، وفيها له تشريفاتٌ وزيادةٌ في الألقاب، فقرأها على الناس يوم السبت السابع عشر من الشهر وأنشدته الشعراء، ومن ذلك قول أحمد بن عليّ التُّهامي:

[الطويل]

نَفَضْتُ غُبارَ العارِ عن ثوب يَعْرُب ... وقد سحبت أعطافَه كلُّ مَسْحَب

بشعواء في صَنْعاء قَرْعَ طبولها ... ورَيْعانها بالعِزق دون المُحَصَّب

بها كل فياض كان نجاده ... على أسد من أسد بيشه مغضب

على كل فرواه من الخيل شطبه ... وكل حصان كالنعامة سلهب

تعارضهم بزل طوال وفوقها ... لداؤد نسج في الرهان المجوب

وكل روينى يخال مع الدجى ... لثعلبه الأعلا وجارًا لكوكب

---

[١] في هامش النسختين: اللولب المستدير، قال الأزهري: لا أدري عربي أم معرب.

[٢] العصبصب: شديد الحر.

إذا أوردوا ماء قديما يمده شرائع طود للتهائم مخصب
فأوله صافى لمن جاء أولا وآخر تمد على ظهر طحلب
أدَرْت على دَرْب الخُصَيْب مع الضحى رحى ذات قطب حاشديٍّ ولَوْلَب [1].
فأضْحَوا على الأبواب صَرْعى كأنّهم قبائل عاد في الصباح العَصَبْصَب [2]
وجئت وأم المؤمنين وسِرْبُها كزينب يوم الطفّ حول المُخَضَّب [2]
حماها الذى أعطاك مُلْكًا كما حمى بناتِ عليّ من مسوخ وأَكْلَب
ورُحْتَ إلى صَنْعاء رَوْحَة أحمد من الفَتْح منصورًا إلى أرض يَثْرِب
كأنّك ذو الأذعار عَمّك إذ أتى من الغَزْو بالنَّسْناس من غرب غرّب
فإن ذَكَرت بالفخر يوم نسابها قُرَيْش كعمرو أو كعيسى ومصعب [3]
أو الخَرَق عتّاب أو المرء خالد أو الشَّهم مَرْوان الخطيب المُهَذّب
وإخوتنا الأزْد اليمانون إن أتوا بغُرّ بني الأيام آل المُهَلَّب
أتينا بذي السَّيْفين أحمد أنه يَفُوقُ على الحَيّين أدٌّ ويَعْرُب
لقد طالهم فخرًا ومجدًا ونجدةً كما طال كَيْوان على كل كوكب
أليس أميرُ المؤمنين دعا له على المهد لم يحول ولم يَتَقَلّب
وذاك أمينُ الله سماه مُنْجبًا فيالك داعي مُنْجبا وابن مُنْجِب
لقد خَيَّل الأعْلا مَعَدّ بن حَيْدَرَ فكأن ملثا برقه غيرخلّب
كما خَيَّل المجدين بَرْق سحابه من البَحْر فارت بالمِجَن المدرب
فما زال جنجاف الجنوب يمُدّها إلى أن أظَلّت كل شَرْق ومَغْرب
فلما دَجَى الديجور أرخت سِجالَها فضمّت مغاني كل حُزْن وسَبْسَب
أأحمد إن الفَخْرَ طَرْف محجل صَنَعْن المعالي فَوْقَه أيّ مركب
وأصبحت أنت اليوم للطرف راكبًا فهنيت ما خَوّلته اليوم فاركب

---

[1] يريد به الإمام الحسين بن علي المخضب بالدماء.

[2] عيسى هو عيسى بن موسى العباسي، ومصعب هو مصعب بن الزبير بن العوام.

أليس نِظامُ المؤمنين أميرَنا أباك وإن الفَخْر للمتسَبِّب
وأمك بنت القَيْل من آل جعفر فناهيك من أمٍّ وناهيك من أب
وما الدين إلّا كالطِّراز مُطَنَّب لأربعة أشبال وَرْد وأغْلَب
فلما دعا الرحمن منهم ثلاثةٌ حَمَلت مُزيحًا عنهم فَوْق مركب
ومَكَّنَك الباري على لَوْح عَرْشِه طِراز العُلَى في مَفْخَر النَّسج مَذْهَب
فدُمْ لبني قَحْطان يا رأس عِزِّهم ومهيعهم في الحادث المُتَعَصِّب[1]

ونَهَضَ الملك المُكَرّم من الساعد يوم السبت السابع من شهر ذي القعدة ، وانتهى إلى المَهْجم يوم الثلاثاء العاشر من الشهر ، وكان أبوه الملك الأَجلّ الأوْحَد عليّ بن محمد – قَدَّس الله روحه – لما استشهد أجَنّه رجلٌ يعرف بالنّصيبي من أولاد العَبّاس بن عليّ بن أبي طالب – عليه السّلام – وأَجَنّ أخاه عبد الله بن محمد ، فأما إبراهيم فخفي عليه موضعه . فحين عاد الملك المُكَرّم إلى المَهْجَم غدا يوم الأربعاء الحادي عشر من الشهر فكَشَف عن جثمان أبيه وعَمّه عبد الله بن محمد وحملهما – رضي الله عنهما – في تابوتين وسار بهما إلى زَبيد ، فأقام بهما إلى اليوم الرابع والعشرين ، وسار بهما إلى صَنْعاء فوَصَلَ إلى خارج المدينة ثاني ذي الحجة آخر شهور سنة ستين[2].

ولما كان ثالث ذي الحجة سار الملك المُكَرّم خَلْفَ تابوت أبيه الملك الأَجَلّ الأوْحَد عليّ بن محمد وعَمّه عبد الله بن محمد ماشيًا إلى الجبّانَة ، وسار معه أولياءُ دولته حتى أجَنَّهما بماني الجبّانَة ، وأمر بعمارة مَشْهَد جامع لهما – رضي الله عنهما وأرضاهما – وكَتَبَ بعض الشُّعراء على قبْر الملك الأَجَلّ الأوْحَد الصُّلَيْحي عليّ بن محمد هذه الأبيات :

---

[1] عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١ : ٢٨ظ-٢٩ظ ، ونشر خمسة عشر بيتا متفرقة منها حسين الهمداني في كتابه « الصليحيون » ١٣٣-١٣٤.

[2] عماد الدين إدريس : نزهة ١ : ٢٩ظ.

[البسيط]

فى القبر لَيثٌ وبَحْرٌ زاخرٌ وَجَدى   جودٍ وطَوْدٌ وضرغامٌ وصِمْصامُ
فأعجب بأن ضَمَّ هذا كلَّه جَدَث   بدا له في قُلوبِ الناس إعظامُ
فطُف به واقْض حَقّ المجد إن له   حَقًّا على كلِّ حُرٍّ جَدُّه سامُ
هذا الذى أمْس رُجَّت خَوْف سطوته   نَجْدٌ وبغدادُ والأحساءُ والشامُ
حتى إذا قيل هذا ماله مَثَلٌ   من الأنام تولَّتْ قَتْلَه حامُ

مَشْهَدُ الصُّلَيْحي

ومَشْهَدُ الصُّلَيْحي اليوم قد عَفَى المُتَغَلِّبون الظالمون آثارَه وهَدَمُوا منارَه – ولا سيما أئمة الزَّيْدِيَّة – فإن عنايتهم في ذلك كثيرة، ولهم في هَدْم القبور أفعالٌ نكيرة، وذلك شيء يتحاماه الكُفّار والمسلمون ويأْنفون عنه، وهؤلاء يُقْدِمون[1]. وقَعَدَ الملكُ المُكَرَّم على مسجد كان أبوه الملك الأَجَلّ الأَوْحَد ابتناه وأَنْشَدَه الشُّعَراء. فمن ذلك قولُ عمرو بن يحيى الهَيْثَمي من قصيدة، منها:

[السريع]

إنَّ التوابيتَ التي ضمنت   أَجْساد أمْلاك بني يَعْرُبِ
سَيْفُ مَعَدّ وأخيه مَرّت   أحلاف دَمْع عن أسى منصبِ
وكيف لا نبكي ملوكًا عَنَتْ   لَهُم ملوكُ الشرق والمغربِ
دارت رَحَى بأْسِهم من قرى الشّـ   ـحر إلى نَجْدٍ إلى يَثْرِبِ
بما حَوَى البحرُ وشادوا العُلى   وأدركوا ثارات آل النبي
لم تطلع الشمسُ على مثلهم   من غيرهم جودًا ولم تَغْرُب
كم فيهم من قائلٍ فاعلٍ   غَمْر الأيادي حَوْل قُلَّبِ

---

[1] عماد الدين إدريس: نزهة ١: ٢٩ظ-٣٠و.

لم تبكهم يوم قَضَوْا نَحْبَهم ... مـأتم الحَيّ ولم تَـنْـدب
لكن بَكَتْهم ضُمّر تنتمي ... إلى عِراب وإلى مَـذْهـب
ومُـرْهَـفـات وقَـنـا سُـنِّنَت ... محكماتٍ من يدي قُعْضُبِ
يـقـلـهـا كـل رفيع الـعُـلا ... حلابس لَيْث وغى أغْلَب
فـأدركـوا مـن حَـام أوتـارهـم ... حـول لـواء الملـك المنـجـب
وبعد ذا لم يبق إلّا البُكا ... فلتَشفَح الأعْيُنُ ولتسكُبِ
عـلـى مـلـوكٍ سـادةٍ قـادة ... كانوا ذرًا للأعلام من يَشْخَبِ
ولم يَمُـت مـجـدهـم إنمـا ... غُيِّبَت الأجْسادُ في التُّبْرَب[a]
وسَقْيُ ذي السيفين محييهم ... ما لاح في الليل سنا كَوْكَبِ[١]

وأنشد في سعيد الأحْوَل بالشِّعر أيضًا:

[السريع]

رَمَت المنايا قلبَ من لم يجدل ... وتقر عينًا بعد قتل الأَحْوَلِ
أشقى البرية ما قدار كمثله ... فيما جناه وبذ شوم الاخيلِ
لله يوم قفول ذي السيفين ... عز الملك من يوم أغر محجلِ
أهدى السرور لنا بروية غره ... كالشمس جلت كل ليل أليلِ
قاد السوابق من ازال بعدما ... فجعت ذوو يمن بأوحدها علي
فأباحا ما في زبيد بيضه ... وذري قناة وبالحريق المشعلِ
وثنى الأعنة من تهامة كلها ... لعراك مابين الحراف ومنحلِ
فسقى رعين ويحصبا وسواهما ... ممن بغى وعتا نقيع الحنظلِ
وأعـادهـا شـعـثـا لحامَ كَـرَّة ... أخرى ولا نهل لمن لم يعللِ

[a] في الأصول: في الترب وما أثبتناه يستقيم به وزن البيت.

[١] نشر بعضها حسين الهمداني: الصليحيون ١٣٥.

فتشعبت حامُ فمنهم مسهل   هربًا ومنهم محزن لم يسهلِ
وهم كتائبُ كالجبال ورجلهم   كالرجل فرقه تذأب شمالِ
والخيلُ تتبعهم بكل تنوفه   سلكوا بها أو حملة أو منقلِ
حتى إذا لجئوا إلى الشعر الذى   شعفاقه عند السماك الأعزلِ
رهقتهم الأبطالُ فيه يقودهم   ثبتُ الجنان لدى اصطكاك الأرجلِ
ملكٌ إذا عرض الجياد لغزوة   ماذال أوجم من بحيم وعندلِ
فشفى بقتلهم الغليل ولم يَرُم   من بعد ذلك راحةً في منزلِ
بل نَصَّ ما أبقاه تداب السرى   من خيله مثل الذياب العسلِ
فتبعن حام إلى جبالِ رفيدة   ورمين من في مكة بالأفكلِ
وذعرن صعون الملاعن بيضه   وطرقن في الأطواد أم الجوزلِ
وغَشَيْن نينان البحار فما نجا   منهن ذو حصن ولا ذو كوثلِ
وتركن حام قرى لما في الأرض   من ذيب ونسر ساغب أو حيئلِ
وقفلن تحت بني الحروب شوازبا   فحل الاياطل كالعصى القحلِ
هذي المناقب لا المدام يديرها   كف المهفهف ذى البرين الأكحلِ

ودَخَلَ الملكُ المُكَرَّم صَنْعاء غانمًا ظافرًا للأعداء قاهرًا، قد دان له أهلُ الخِلاف، وسكنت لخيفة بأسه الأطْراف، واستقامت له الأمورُ وأطاعه الجمهور، ولم يَبْق له في أقطار اليمن معارضٌ ولا يعرض له فيها عارضٌ، فاستقام به المُلْك على أحسن نظام، ودان الكافةُ بطاعته بعد طاعة الإمام، ورافده قاضي قُضاة اليمن وهادي دعاتها لَمَك بن مالِك الحَمّادي في إقامة الدَّعْوَة ونَشْر العلوم والهداية إلى توحيد الله الحَيّ القَيُّوم، وإيضاح فضائل أمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله والأئمة الطاهرين من آبائه وبيان دلائل فضائله وأبنائه.

وظَهَر الملك المُكَرَّم على كل عانِد، وخَضَعَ له كل مقود وقائد.

وكان عثمانيٌّ[١] – وهو من نَسْل عثمان بن عَفّان – لما دَخَلَ رأسُ الملك الأَجَلِّ الأَوْحَد عليِّ بن محمد الصُّلَيْحي – رضوان الله عليه – زَبِيد مع الأَحْوَل بن نَجاح منصوبًا على الراية ، قد مَدَح سعيد بن نَجاح وهَجَا الداعي عليَّ بن محمد الصُّلَيْحي ، ومن ذلك قوله :

[الكامل]

بَكَرَت عليه في الصَّباح فلم ترح ... إلَّا على رأس الأمير سعيدها
ما كان أقْبَح وَجْهُه في ظِلِّها ... ما كان أحسن رأسُه في عُودِها
سودُ الوقائع واقعت أسد الشَّرى ... يا رحمتا لأسودها من سودها

فلما ظَفَرَ الملك المُكَرَّم بابن نَجاح الأَحْوَل وقَتَلَ الحَبَشَةَ ونَفاهُم ، طَلَبَ العُثْماني وبَذَلَ فيه الأموال الجزيلة . فنجا العُثْماني من بَلَدٍ إلى بَلَدٍ حتى انتهى إلى نَجْران ، وعلم أنه لا يُنْجيه الهرب وأَيْقَن أنه مدركه بالطَّلَبِ . وكان العثمانيُّ قد سَمَّى له ولدًا عِمْران وجعله سميًّا لعمران بن الفَضْل اليامى ، وعِمْران بن الفَضْل يومئذ صاحب الأمر عند الأمير المُكَرَّم وأميرُ الجيوش وله الوزارة والتَّصَرُّف في جميع بلاد الملك المُكَرَّم . فصَنَعَ العُثْمانيُّ قصيدةً وأَنْفَذَ بها وَلَدَه المسمى بعِمْران إلى عِمْران بن الفَضْل اليامي – وهو يومئذ في المَنْظَرِ من ضياع صنعاء ، والملك المُكَرَّم في صَنْعاء – فتقدَّم عِمْران بن الفَضْل إلى الملك المُكَرَّم وابن العُثْماني صحبته . قال صاحب الرِّواية : وكانت عادةُ عِمْران بن الفَضْل إذا دَخَلَ إلى الملك المُكَرَّم ، أن يقوم الملك المُكَرَّم لإقباله وينزل الملك المُكَرَّم عن سريره ويأخذ بيده فيُصْعِدَه إلى السرير معه . فلما نَزَلَ الملك المُكَرَّم عن السرير كعادته معه وأَخَذَ بيده ليُصْعِدَه فقال عِمْران بن الفَضْل : لا أفْعَل حتى تَقْضي لي حاجتي ، فقال له الملك المُكَرَّم : هي مقضية ولو كانت في أمان العُثْماني . فقال عِمْران : ذلك أريد وهذا الغُلام وَلَده ومعه قصيدة . وصَعَد السرير وقام الغُلام فأَنْشَد ، فقال الملك المُكَرَّم بعد تمام النشيد :

---

[١] عن هذا العثماني واسمه أحمد بن محمد راجع ، عمارة اليمني : المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ٢٢٦– ٢٣٠.

إن صَدَقَني ظَنّي فإنك تجد أباك قد هَلَكَ إنني لأجد هذا الشّعر من آخر نَفَسِه . قال صاحبُ الرواية : فَوَصَل الغلام وقد هَلَكَ أبوه ، وهذه القصيدة : [البسيط]

ماذا تَرُدّ على الركْبان عدنانُ ... إن لم تُجد بجميل الصَّفْح قَحْطانُ
يا ليت شِعْرى بابن الفَضْل ما لِكُنا ... هل عنده لعظيم الذَّنْب غُفْرانُ
أشكو إلى الله أعداءً عهدتهم ... قالوا وقولهم زُورٌ وبُهْتانُ
قالوا على عظيمٍ ليس يغفره ... إلّا عظيمٌ عظيم العَفْو مَنّانُ
فى رِدَّة لو عَزَّت آل النبي إلى ... الكفرانَ حقًّا لنال الناسُ كفرانُ
ورَجْفةُ خَرّت الأفلاكُ خاضعة ... منها وفارقت الأرواحُ أبدانُ
كأن رأسي من هَوْل ومن فَزَعٍ ... ملقى على الترب لم يغمد جثمانُ
كأن جسمى إذا ما بتّ أذكره ... شلو تخطفه في الجو عُقْبانُ
ياربّة الخِدْر قومي وأبذلي حزنًا ... إني سيطربني نَوْحٌ وأحزانُ
إني أتاني وعيدٌ لو أتى شعفى ... ثهلان أيسره لانهدّ ثَهْلانُ
وَعيدٌ من لو أتي كيوان موعده ... لا نقضّ من أُفُق الأفلاك كيوانُ
مابِتّ أذكره إلّا ومن أحمي ... ومن ورائي لوَقْع السيف أرْنانُ
فإن سِمِعْتُ بها ناديت باكيتي ... هل عندك اليوم للمَقْتول أكْفانُ ؟
قوما احفرا جَدَثي إني يَخِيل لي ... من حيث ما كنت أن الأرضَ نيرانُ
حتى كأنَّ نجومَ الليل من جَزَعي ... ولامع البَرْق أسيافٌ وأسنانُ
وكل صادحةٍ في الطير صارخةٍ ... وكُلُّ نابتةٍ في الأرض مُرّانُ
فإن قفتني قوافٍ قلت قافيةٍ ... وإن بدا لي عَوْدٌ قلت إنسانُ
وإن بَدَتْ لي عينٌ قلت عيّنة ... وإن بَدَت لي ظِباءٌ قلت فرسانُ
يا ناعيي إلى الحَيَّين من مُضَر ... فليبك مطلولها في الحي عدنانُ
قوما ادفنا جسدي لم يَبْق فيه أسى ... حرفًا ولا في كتاب الوَجْه عُنْوانُ
هو الخبازة لولا أن ينم على ... باقى حُشاشته بيضٌ وأجفانُ
يا من شَفاعَتي إلى قيل شفاعته ... عند المُكَرَّمِ لي رُوحٌ ورَيْحانُ

مولىً مطاعٌ إذا أومى لمالكنا — فإنما قولَه حتمٌ وبرهانُ
هَبْني كفرتُ ولكني استجرت فلي — منك الجِوارُ ومن مولاي غُفْرانُ
إن المكَرَّمَ نورٌ يستضاءُ به — سَمَت به في الوَرى هُودٌ وقَحطانُ
قَوْمٌ إذا غَضِبوا أغْضُوا وإن قدروا — عَفَوا وإن سُوهِلُوا أو لانُوا
تُغْضي العيونُ حياءً من مهابته — لأنه مَلِكٌ فيها وسُلْطانُ
إذا بدا دارعًا قلنا بدا قَدَرٌ — في دِرْعِه قمرٌ ما فيه نُقْصانُ
يا فَيْج صنعاء صانعني بمَكْرُمةٍ — فالناسُ أعوانُ من زانته أعوانُ
أدِّ الكتاب وطالع بالجوابِ — ولا تَبْخَل بجاهك إن البُخْلَ خُسْرانُ
إن لم يكن لك إحسانٌ تجودُ به — فجُدْ بجاهِك إن الجاهَ إحسانُ
تقول بنتي أمعن في الفِرار وهل — من ابن أَسْماء يُنْجى اليوم إمعانُ ؟
فلا تلم إبلي إن أمعنت هَرَبًا — كيفِ الوُرود ودون الماءِ ثُعْبانُ
ياذُلّ عمران إن لم يُغْن عمران — ياهَوْنَه إن عَراهُ منه أهْوانُ
فإن عَفَى قَرّت الأوطان بي وبكم — وإن جَفا فقُبُور البيد أوطانُ
بَكَى بكاءً فناحت أُمّه فبكت — فارحم بُكاها لك الرَّحْمٰن رحمانُ
ولا تَدَعْنى أبا موسى بمُهْلِكة — وشُدّ بناءك إن الخير بُنْيانُ

وفاةُ الحُرَّة أسماء بنت شِهاب

وأقامت الحُرَّة أسماء بنت شِهاب الصُّلَيْحي مع ابنها الملك المكَرَّم إلى سنة سبع وستين وأربعمائة ، ثم أتاها القَدَر المحتوم والأَجَل المعلوم فتوفيت – قدَّس الله روحها ورضي عنها[1].

اتخاذ ذي جِبْلة عاصمةً للصُّلَيْحيين

وتولَّت الحُرَّة الملكة السَّيِّدة الصُّلَيْحية مع بَعْلِها الملك المكَرَّم ، وكان

---

[1] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٢٧ (٦٠) ؛ الخزرجي : الكفاية والإعلام ٥٢.

يَسْتَحْسِن رأيها وحميد فِعْلها ويثق بفِطْنَتِها . ولما اطمأنَّت الأمورُ للملك المُكَرَّم واستقرَّت وجَرَت الأحوالُ له على خير ما يريد واستمرت ، وهَرَبَت الحَبَشَةُ وفَرَّت ؛ طَلَبَتْه امرأتُه الحُرَّة السَّيِّدة ابنة أحمد أن يجعل ذي جِبْلَة دارَ قراره وأن يتمكَّن فيه بجنوده ، وقالت : ذلك أَقْوَى للمملكة وثُبُوت قواعِدها وأسْهَلُ جانبًا في مصادر الأمور ومواردها ، وهي متوسطةٌ بين اليمن الأَعْلَى والأَسْفَل وبها يَخْصُب العَيْش ويَطيبُ المحَلّ[1] .

وكانت مدينة ذي جِبْلَة أوَّل من بناها واخْتَطَّها السلطانُ عبد الله بن محمد الصُّلَيْحي أيام استعمله أخوه السُّلْطان الداعي الأَوْحَد عليّ بن محمد في التَّعْكَر وأعماله ، وهى المسماة مدينة النَّهْرَيْن[2] . وقالت الملكة السَّيِّدة لبَعْلِها الملك : يا مولانا أَرْسِل على عُمّال صَنْعاء ليجتمعوا ويَحْشُدُوا ، فأَمَرَ الملكُ المُكَرَّمُ بجَمْعِهم وحَشْدِهم ، فلما حَضَروا الميدان أشْرَفَ عليهم من قَصْر غُمْدان فلم تَقَعْ عينُه إلَّا على حاملِ سَيْف أو رُمْح . ثم انتقل الملك المُكَرَّم إلى ذي جِبْلَة ومعه امرأته السَّيِّدة ، فسألته أن يَحْشُدَ أهلَها ورعاياها ففَعَلَ وأشرف عليهم ، فلم تقع عينه إلَّا على حامل هَدِيَّة أو سائقها ، فقالت : العيشُ بين هؤلاء ، فاستوطن ذي جِبْلَة مسكنًا وجَعَلَها له محلًّا وموطِنًا وَوَلَّى عِمْران بن الفَضْل اليامي وأبَا السُّعود بن أسْعَد بن شِهاب الصُّلَيْحي صَنْعاء[3] .

السَّيِّدة الحُرَّة الصُّلَيْحيَّة

وأَمَرَ الملكُ المُكَرَّمُ ببناء « دار العِزّ » بذي جِبْلَة وأقام بها أيامًا ثم أصابه وَجَعُ

---

[1] عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١ : ٣٠و؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ٢٧١.

[2] انظر فيما سبق ص ٩٩- ١٠٠.

[3] عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ٣٠ (٦٣) ؛ الخزرجي : الكفاية والإعلام ٥٢؛ عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١ : ٣٠ و.

الفالِج وقَوِيَ ، وكان أصله فيما يقال إنه بعد أن فَرَغَ من قَتْل العبيد بزَبِيد – على ما ذكرناه – حَسَرَ المِغْفَر عن وجهه قبل أن يبرد جسمه ، فأصابته الرِّيح فكان ذلك سبب الألَم [١]، فأشار عليه الأطباءُ بالدواء وأن يشتغل به ويحتجب عن الناس . فطَلَعَ التَّفكر وجَعَلَ وقوفه فيه وصَرَف أمر الدَّعْوَة والمُلْك إلى امرأته الحُرَّة الملكة السَّيِّدة الصُّلَيْحِيَّة – وكانت امرأةً فاضلةً ذات نُسُك ووَرَع وفَضْل وكمال عَقْل وعبَادة وعلم – تفوق الرجالَ فضلًا عن رَبّات الحِجال [٢]، وتستحق مَدْحَ الشاعر حيث قال :

[الوافر]

وما التأنيث لاسم الشَّمْس عَيْبٌ   ولا التذكير فَخْرٌ للهِلال

فقامت بأمر الدَّعْوَة والمُلْك في جزيرة اليمن والجِهات المضافة إليها من السِّنْد والهِنْد .

---

[١] فيما سبق ص ١٢٥.

[٢] سَيِّدَة بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصُّلَيْحي زوجة الملك المُكَرّم أحمد بن عليّ الصُّلَيْحي وواحدة من النّساء القلائل اللاتي تولين السُّلْطَة العُلْيا في الإسلام ، وهي التي تولّت أمر الدَّعوة في اليمن بعد وفاة زوجها وحتى وفاتها هي في سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م عن اثنين وتسعين عامًا ، وبلغت مكانة عالية في الدَّعْوَة حتى رفعها الإمام المستنصر إلى مرتبة الحُجَج (انظر عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٢٨(٦٠) ؛ ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ١٦٩ ؛ عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١ : ٣٠ و ٤ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ٢: ٩ ؛ وأيضا H. Hamdani, «The life and Times of Queen Saiyidah Arwa the Sulaihid of the Yemen», *JRCAS* 18 (1931), pp, 305-15; Laila al-Imad, «Women and Religion in the Fatimid Caliphate : The Case of al-Sayyida al-Hurra, Queen of Yemen», in M.M. Mazzaoui and V. B. Moreen (eds) *Intellectual Studies on Islam : Essays Writen in Honor of Martin Dickson,* Salt Lake City1990, pp. 137-144; F. Daftary, «Sayyida Hurra : The Ismaili Sulayhid Queen of Yemen», in Gavin R. G. Hambly (ed). *Women in the Medieval Islamic World-Power , Patronage , and Piety* , New York 1998 , pp. 117-130 ; S. F. Traboulsi , *Gender , Authority, and Legitimacy in Medieval Yemen : The Case of Arwa Bint Ahmad* , Thesis For the degree of Master of Arts , AUB 1998.

إشرافُ اليمن على دَعْوَة الهِنْد

وكان مولانا أميرُ المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – صلَّى الله عليه – قد أضَافَ أَمْرَ أهْل دعوته في الجهاتِ المذكورة إلى الملك الدّاعي المكُرَم والسَّيِّدَة الصُّلَيْحِيَّة [1]. فقال – عليه السَّلام – في سِجِلٍّ من سِجِلَّاته إلى داعيه الملك المُكَرَّم:

« وأمَّا ما أَوْرَدْتَه من شَأْن الداعي المقيم كان بالهند ومُضِيِّه لسبيله، فالله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه، وقولُك في دُعاء الحاجة إلى من يَسُدُّ مَسَدَّه ويَحْفظ نظام المؤمنين بتلك الجهات جاهدًا جهده، فأنت أقربُ الناس من ذلك الخط، وأولاهم فيه بالقَبْض والبَسْط؛ فأَفْسِح في ذلك وفي سواه غاية الأمَل واللَّحظ، فلك من سكون أمير المؤمنين إليك أَوْفَر الحَظّ. فدَبِّر من يَسُدّ مَسَدَّه وكاتب بذكر من يقع الاعتماد عليه لتَعْضُدَه بالمكاتبة ونَشُدُّه ».

وقال في آخر السِّجِلّ المذكور:

« وكُتِبَ في شهر ربيع الأول من سنة ثمانٍ وستين وأربعمائة، والحمد لله رَبِّ العالمين وحده وصلواته على خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد وآله الطاهرين الأئمة المهديين وسلامه عليهم أجمعين وحسبنًا الله ونعم الوكيل » [2].

وفاة المؤيد في الدين الشيرازي

وكانت وفاةُ الدَّاعي الأجَلّ والسَّيِّد الأَفْضَل حُجَّة أمير المؤمنين وسَيِّد الدُّعاة الميامين المُؤَيَّد في الدِّين في العشر الأولى من شهر شَوَّال الكريم سنة سبعين وأربعمائة وصلَّى عليه مولانا المُسْتَنْصِر بالله – صلوات الله عليه – في

---

[1] أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية ١٦٥-١٦٦

[2] السجلات المستنصرية، سجل رقم ٤١.

القصر ودُفِنَ في الدار التي انْتَقَلَ فيها – قَدَّس الله رُوحَه – وهي دارُ العِلْم [1].

المُسْتَنْصِر بالله يُضيفُ دَعْوَةَ الهِنْد إلى السَّيِّدَة الحُرَّة

وسِجِلٌّ أمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – سلامُ الله عليه – أيضًا إلى الحُرَّة الملكة بإضافة الهِنْد وغيره إليها بما هذا نَصّه :

[a] بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمدُ لله رَبِّ العالمين – من عبد الله وَوليّه مَعَدّ أبي تميم المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين ، إلى الحُرَّة الملكة السَّيِّدَة السديدة المخلصة المكينة ذَخيرة الدين عُدَّة أمير المؤمنين كَهْف المستجيبين وَلِيَّة أمير المؤمنين وكافِلَة أوليائه الميامين ، أدام الله تمكينها ومعونتها ، سلامٌ عليك فإن أميرَ المؤمنين يحمدُ إليك الله الذي لا إله إلّا هو ، ويسأله أن يُصَلّي على جَدِّه المصطفى محمد خاتم النبيين وسَيِّد المرسلين – صلَّى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين وسَلَّم .

أما بعد ، فإنه عُرِض بحضرة أمير المؤمنين كتابُك المُضَمَّن وَفاة داعيه بالهند كان ذلك غَرْسُ الدين وَلِيّ أمير المؤمنين مَرْزُبان بن إسحاق بن مَرْزُبان – رحمة الله عليه ورضي عنه – وأنه خَلَّف ولدين ذوي دين وتَقِيَّة واستصلاح للخدمة ، وأن الموصى إليه منهما أحمد الأكبر لتميُّزه وحميد طريقته ، وصِدْق حاجة المؤمنين هناك إلى داعٍ يجمع شَمْلَهم على الطاعة ، ويُؤْنس وَحْشَتَهم بعد وفاة داعيهم الذي كان حَسَن الأَثَر مؤثرًا بحسن الولاية والتباعة . ثم شَفَعْت ذلك بما اعتمده المعروف بإسماعيل بن إبراهيم الدَّاعي كان بعُمان من التَخَلّي عن الخدمة والرَّكْض في طلب التجارة ، وبقاء

---

[a] زيادة من السجلات .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية الزاهرة ٣٢؛ المقريزي : مسودة المواعظ والاعتبار ٣٠٢.

المؤمنين شَتاتًا بعد بُعْده وانفصاله ، وأن سِبْط حميد الدين المتوفى – رحمة الله عليه – خَلَّف ولدًا يُسَمَّى حَمزة يَصْلُح للاستخدام عِوَض المذكور مما وقف أميرُ المؤمنين عليه . وأحمد تَنَبُّهك على هذه المصالح وتَفَقُّدك أحوال الدَّعْوَة والدُّعاة في تلك الأطراف والنواحي ، وعلم أنك يَقِظَةٌ لما عاد بقيام أمر الدين ووَطَّد مهاده وأعلا سلطان الدَّعْوَة ورَفَع عماده .

وأَوْعَزَ أميرُ المؤمنين إلى [فتاه] [a] السَّيِّد الأَجَلِّ أمير جيوشه وسَيْفه وناصره وكافِل قُضاته وهادي دُعاته عضَّد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين ، وأدام قُدْرَتَه وأعْلا كلمته الذي أَطْلَع اللهُ بدولته[b] طليعة سَعْد كَشَفَ به غماءها ، وأنار أضواءها ، فأصبحت الدولة بقيام تدبيره سامية العلاء مَكْبوتَة الأعداء منصورة اللِّواء فسيحة الأَرْجاء بعيدة من اللاواء – بإصدار التقليدين عن مجلس نظره باسم كل من الداعيين المذكورين ، وكِتابه بالخدمة إلى كافة المؤمنين بالاشتداد بحبل العِصْمة وإجراء الأمور في قيام منار الدَّعْوَة ، وضَمّ كلمة المؤمنين كَثَّرَهم الله على أَفْضَل عادة ، والتقليدان والمكاتبات تني هذه الإجابة .

وأنت فقد جَعَلَ أميرُ المؤمنين إليك النَّظَرَ في تلك البلاد والأعمال ومراعاة دُعاتها وانتظام حال الدَّعْوَة فيها ومعونتهم بما يُصْلِح خدمتهم ويؤكِّد أمرهم . ويجب أن تَنْدُبي من تَخَيَّرته للتوجُّه إلى هناك وإنْفاذ كُتُبك بما تطيب به النُّفُوس وتَنْشَرح له[a] الصُّدور بالرِّعاية ويُؤْنِس المُنافِر ، ويسكن القلوب . وأن تُواصِلي تَفَقُّد تلك الأعمال ونَشْدَتَها وإقامة الدَّعْوَة بها والمطالعة بما تحتاج إليه[b] من مصالحها ، فاعلمي ذلك واعملي بَحَسبِه إن شاء الله . والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته .

---

[a] زيادة من السجلات . [b] في السجلات : الذي أطلع الله به لدولته .

وكُتِبَ في العشر الأخرى من ذي القعدة من سنة إحدى وثمانين وأربعمائة . والحمد لله وَحْدَه وصَلَّى الله على جَدِّنا محمد خاتم النبيين وسَيِّد المرسلين وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين وسَلَّم تسليمًا وحَسْبنا الله ونِعْم الوكيل »[١].

وأقامت الحُرَّة الملكة الدَّعْوَة والمُلْك في جزيرة اليمن وما ولاها من الجهات ، ودَلَّتهم على سبيل النجاة وهَدَتْهم إلى ولاية الأئمة من آل النبي الطاهرين الهُداة ، ومعها في إقامة الدَّعْوَة قاضي قُضاة اليمن وهادي دعاتها لَمَكُ بن مالِك ، ثم بعد وفاته وَلَدُه الداعي الأجَلّ والقاضي الأفْضَل يحيى بن لَمك ولهما في دُعاة اليمن الفَضْل العظيم والمقام الكريم ، وعليهما في الدَّعْوة المُعَوَّل ، وإليهما فيها الرَّبْطُ والحَلُّ[٢].

وفى إقامة المَلك الأجَلّ المُكَرَّم بحِصْن التَّعْكَر وَصَلَ إليه القاضي عِمْران بن الفَضْل اليامي . وانتهى إلى باب التَّعْكَر المسمى بباب كُلَيْب ، والملك المُكَرَّم لما به من العِلَّة ، وكان مع عِمْران بن الفَضْل اليامي جماعةٌ كثيرةٌ فمنعه الوُلاةُ عن دخول الحِصْن ، وأُمِرَ بالنزول إلى ذي جِبْلَة . وصَرَف أمره إلى الحُرَّة الملكة ، فأصابه لذلك كِبْرٌ شديدٌ ووَقَعَ معه أمرٌ عظيم ، نعوذ بالله من الكِبْر المُرْدي والهواء المُطْغي . وقال في ذلك قصيدةً أولها :

[الطويل]

أباب كُلَيْبٍ إنني لَكَ هاجِرٌ   على أنَّني داعي لمولاك شاكِرُ

وهي قصيدةٌ طويلةٌ يذكر فيها أفعالَه وسوابِقَه مع الملك الداعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي ووقائعه . وظَنَّ أن رجوعَه برأي ابن هَبَّالة ونَجْم بن بشارة – وكان يتولّيان خدمة الملك المُكَرَّم – فقال في قصيدته هذه المذكورة :

---

[١] السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٥٠.

[٢] عماد الدين إدريس : نزهة ١: ٣٠و.

[الطويل]

فلما بدِيني بابه ابن هَبّالة   ومأذونُهُ نَجْمٌ فعمران كافِرُ

نعوذ بالله من الكُفْر بعد الإيمان والكِبْر والطُغْيان .

وَفاةُ المُكَرَّم أحمد

ولم تَطُل الأيام حتى توفي الداعي الملك المُكَرَّم – رضي الله عنه وأرضاه وقَدَّس روحه وبرحمته تولّاه – بحصن التَّعْكَر في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وأربعمائة [1]. وكتمت الحُرَّة الملكة السَّيِّدة وفاتَه إلى أن جاءَها سِجِلُّ أمير المؤمنين المُستَنْصِر بالله – صلى الله عليه – وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين – بإقامة وَلَدِها المُكَرَّم الأصغر عَبْد المُسْتَنْصر عليّ بن المُكَرَّم أحمد ابن المُظَفَّر عليّ بن محمد الداعي الصُّلَيْحي – رضي الله عنهم [2] – وهو ما هذا نَصُّه :

« بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الحمد لله رَبِّ العالمين من عبد الله وَوَلِيّه مَعَدّ أبي تميم المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين إلى المَلك الأَجَلّ الأَوْحَد المنصور العادل المُكَرَّم عُمْدة الخلافة تاج الدَّوْلَة سيف الإمام المُظَفَّر في الدين نِظام المؤمنين ، عماد المِلَّة وغِيَاث الأُمَّة شَرَف الإيمان مُؤَيِّد الإسلام ، عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين وعميد جيوشه أبي الحسن عبد المُسْتَنْصِر أحمد بن عليّ بن محمد الصُّلَيْحي أدام الله تأييده وتمكينه وأحسن عونه . سلامٌ عليك فإن أميرَ المؤمنين يحمدُ إليك الله الذي لا إله إلّا هو ويسأله أن يُصَلّي على جَدِّه المصطفى خاتم النبيين وسَيِّد المرسلين – صَلّى الله عليه وآله الطاهرين .

---

[1] انظر أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية ١٤٤هـ ٤ .

[2] عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١ : ٣٠و–٣٠ظ .

أما بعدُ ، فإن الله تعالى عَضَّدَ أمير المؤمنين بصَفْو أوليائه عَضْد السَّجير بسُجَرائه ، وأَطْلَع لإمامه نور العِصْمَة من سمائه يومِضُ بَرْقُه للمتنورين بدلائل وَلائه ، وجَعَلَ أولياءَ دَعْوَته كواكبَ تَطْلع وتَغُور وأيامًا تَكُرّ وتدور وأحوالًا تتعاقبُ على مَرّ الدُّهور ، فالغائرُ إلى جوار الله وظِلِّ جِنانه وزُمْرَة الصالحين من جيرانه ، والطَّالعُ بدأً بأحاظي الجدود ومطالع السعود ، وكبت الضِّدّ الحسود . يحمده أميرُ المؤمنين على عاداته سبحانه هذه لديه في قيام منار دولته وتمام مباني دَعْوَته ، لا ينتقل وَليٌّ إلى دار كرامته إلّا أعقبه وَليًّا يحمل أعباءه ويقوم بفرض طاعته ، فالماضي حميدٌ بما قَدَّمه ومَهَّدَه ، والباقي نجيحٌ بما اعتمده واعتقده ، وقد كان والدُك الأَجَلُّ المُكَرَّم – نَضَّرَ الله وَجْهَه وحَشَرَه مع من رَضِيَ أميرُ المؤمنين عنه – وقُبِلَ سعيُه مُرْهَفًا يصول به على ذوي الخلاف ، ويَشُدّ به أعضاد[a] أهل الوَلاء والائتلاف ، وشِبًا يشبُّ به على المعاندين نارًا يتضرَّم أجيجُها ويحرق وهيجُها ، وعُدَّة جليلة إذا أعدت العُدَد ، وذخيرة جميلة ليومى جلاد وجلد ، ومرافدًا يتقدم إذا تأخّر الأنصارُ ، ويدًا سابغةً في حِفْظ الذمار ، فالدَّعْوَةُ الهادية المستنصرية ثبّتها الله بالأعمال اليمنية منه مصونة بسياسة وصرامة ، والأمرُ المعذوق به محروسٌ بعزم رأيه وحزامه قد حَمَلَ الأعباء وكَفَّ اللّأواء وضَمّ شمل الأولياء وجَمَعَ الأمراء على ما عاد بنظام الدين وإشراقه ، ومَدَّ للصلاح باعه ووَسَّعَ من نطاقه . فالكلمةُ بإذن الله عالية والأمورُ في كل حال على الاستتباب جارية ، وأميرُ المؤمنين يمد قلبه من لطائفه تثقيفًا ويودِعُ لطيفه أدبًا وتصريفًا ، ويرغم به معالمًا وأنوفًا ، ويفتح للمناجح أبوابًا ، ويكسوه من الهداية للمصالح أثوابًا . ولما أَطْلَع الله أميرَ المؤمنين على استئثاره به وقَبْضِه إليه ، وإلحاقه بآبائه الذين درجوا

[a] في السجلات : أعضاد عضد .

بعصمة الإمامة متسربلي كريم مواقفها ، وانقرضوا مستبشرين بما قَدَّموه لآخرتهم من تالدها وطارفها ، نال أميرَ المؤمنين من فَقْده رَزِيَّة رَزَت القلوب ، وخَطْبٌ أوفى على حادثات الخُطوب ؛ ولولا أن أميرَ المؤمنين عين العالم أن المصلحة فيما أراده الله من قضائه والتسليم لأمره في كَوّنه وقَضائه[a] لأظهر من الكآبة عليه ما إنْ أخفاه أظهره البُرحاء والأسى ، وإن سَتَره أبداه الوَجْد المتضرّم في الحَشا ؛ وإن طَواه عن العيون التي كانت به قريرة نَطَقَت به دُمُوعُه المسفوحةُ الغزيرة . وأميرُ المؤمنين يعزّيك عن هَلكه ويدعو لك بالبقاء بعده وأن يُلْبِسك الله قميص ولائه ودينه ونُسُكه ، ويُسَلّيك عنه بالماضين من الناس الذين ضَمَّتهم المضاجع وأرْدَتهم هذه المصارع ، ويحكم محافظة أمير المؤمنين على الحرمات لذي الحرمات ، وأنه لا يُضيع أجر من بَدَت منه الطاعات وسعى المساعي المُصْلحات . فقد رأى أن يَصْطَنِعك ويُلْحقك برُتْبته ، ويُنَصِّبك منصبه ، ويَرْقَى بك درجته ؛ ويجعل ابتداء أمرك كآخر أمره ، ويرفع بصنيعك حتى يعلو بك هَضَبات الشُمّ من غارب المجد ووَعره ، فإنه ما فُقِدَ من أنت اعتياضه ، ولا هيض جناحٌ أنت قُذَّته وريشه ، ولا فَلّ حُسامٌ أنت غراره ؛ فالأصول إذا ذَوِيت نجمت أغصانُها ، والبدور تعود إلى كمالها إذا كَمُلَ نُقْصانها ؛ وأنت الكوكب الذى قَدَحَ أميرُ المؤمنين زنادك فأوريت ، ونَوَّرَ بك سماء الدَّعْوَة فطَلَعت وسموت . ولما تَمّ رأيُ أمير المؤمنين على ذلك وحَضَر بحضرته السَّيِّدُ الأَجلُّ أميرُ الجيوش سيفُ الإسلام وناصرُ الإمام كافِلُ قُضاة المسلمين وهادى دُعاة المؤمنين أبو النَّجْم بَدْر المُسْتَنْصِرى ، عَضَّدَ الله به الدين وأَمْتَعَ بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمته ، وهو قَسيمُ المُهْجة وخَدِينُها ، ووالي الدَّعْوَة وقرينُها . والعَضْب القاطع

[a] في السجلات : أن المصلحة في قضائه ، والتسليم لأمره في كونه ومضائه .

والبرهان اللامع ، ومحلّه لدى أمير المؤمنين محلّ من قَصرت النُّعوت الجليلة عن شَأْو فضائله ففات سابقًا ، وأنطقت مناقبُه حاديًا وسائقًا . وقد ناط أميرُ المؤمنين بثاقب تدبيره عُرى الدين والدَّوْلَة فأحكم أمراسها وقلَّدَه ما وراء سرير الخلافة من الدَّعوَة الهادية ومصالح الدَّعْوَة ومصالح الأمة فوطَّدَ أوتادها وشَيَّدَ أساسها ، وأعاد إلى الدولة وَجْهَها الوضيء بعد شحوبه ، وشبابها الغَضّ بعد مشيبه ؛ جازاه أميرُ المؤمنين بتزامن هذه الأعلام وكَساه كُسْوَةَ مجد يستحقها لخلوص طاعته للإمام . وإنك من أولياء الدَّعْوَة الذين وُلِدُوا على فِطْرتها وارتضعوا أخلاف طاعتها واستمطروا وابلها وتَقَلَّبوا على مهاد نعمتها فهُم بتولِّيها أوْلى ، كما أنها فيهم أفْضَل وأبهى ، وما أحسن الأشياء إذا كانت لأهلها ربائبًا وأليقها بهم إذا لم تكن فيهم غرائبًا ، ومَنْ أحق بأن يُعْطى الأماني والآمال ويُخَصّ بسيادة في الرجال ممن نَبَتَ في مغارس الآباء والأجداد طَيِّبًا ريحه وطعمه ، أو ممن خرج من دَوْحَة الدين خالصًا فيها قلبه وفهمه ، وأَمَرَه أن يُقَلِّدَك النَّظَر فيما كان أبوك تَقَلَّده من الدَّعْوَة الهادية والأحكام في سائر اليمن وسائر الأعمال المضافة إليه بَرًّاوبحرًا وسهلًا ووَعْرًا ونازحًا ودانيًا وقريبًا ونائيًا ، والتقليد مُقرونٌ بهذه المكاتبة ولم يقف بك أميرُ المؤمنين عند هذا الحدّ من الاصطفاء والسُّمُوّ بك إلى أَوْفى طبقات العلياء حتى خَصَّك من ملابس جَسَد الإمامة بشريف الحباء ؛ ونَعَتَك بالنُّعُوت التي كان والدُك بها موسومًا تشريفًا لك وتكريمًا ، وسَيَّر الأميرَ الأَجلَّ عَضُد الدين مؤتمن الدَّوْلَة خالِصَة أمير المؤمنين أبا الحسن جَوْهَر المُسْتَنْصِري – أحسن الله توفيقه وعونه – وهو في جُلَّة رجال الدولة المرموقين وعُظماء أوليائها المتقدِّمين ورؤساء عبيدها الأشدَّاءِ ذوي الوجاهة والدين ، وأمره أن يُخاطِبك بلسانه عن أمير المؤمنين تعزيةً وتسليةً ، وأن يظهرك في التشريف على رؤس الأشهاد ، ويَضُمّ إليك كل قريب وبعيد ويرشدك كل سديد . وأن يُوَصِّلَ أوامر أمير المؤمنين إلى كافة الأولياء المؤمنين رجال الدَّعْوَة الميامين ، كَثَّرَهم

الله وأعَزّهم بعَضُدِك والائتمار لأوامرك والازدجار لزواجرك ، وأن يُجْريك في جميع مَنْ تَضُمّه تلك البلاد والمعاقل والحُصُون والأعمال الدانية والقاصية على الرَّسْم المعهود من طاعة أمير المؤمنين فيك ، وأن يَجْمَع كلمتهم على الاتفاق في نُصْرَتك والجهاد قُدّامك والتَبَرّي من المارقين الذين يُبْدون الشنآن لك ؛ وأن يسالموا مَنْ سالمت ويعادوا مَنْ عاديت ويحاربوا مَنْ حاربت ؛ فالحميدُ السعيدُ من أحمدته وطالعت بإحماده ليزيد أمير المؤمنين من تقديمه والدُّعاء له ، والشَّقِيّ البعيد من ذَمّمْته وأبعدته ومَنْ خَرَجَ عن هذا التمثيل من كافة أولياء المؤمنين والناس أجمعين بَرِئَت منه ذِمّة الدَّعْوة وحُقَّت عليه كلمةُ البُعْد من الرحمة . وكاتب الحُرَّة السَّيِّدة السَّديدة المخلصة المكينة ذخيرة الدين عُمْدَة المؤمنين والدتك ، أدام الله عِزّها وَصَونَها ورعايتها وتمكينها بمثل هذه الجملة وحَضَّها على الخدمة والجري على كريم العادة في حياطة الجملة .

ولا يزال أميرُ المؤمنين يمدّك بمواد أياديه وتأييده ويواصل لطيفك بتثقيفه وتسديده حتى تتألّف لك الضمائرُ وتوافقك القُلوبُ والسرائرُ ، وتستريق لك الأمور في البادي والحاضر ؛ فاعلم هذا من جميل رأْي أمير المؤمنين واهتد بهدايته واسلك في منهج السَّداد ما تستخلص به بركات دعائه ومواد إنعامه إن شاء الله تعالى . والسَّلامُ عليك ورحمة الله وبركاته .

وكُتِبَ في غُرّة شهر ربيع الأول من سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة . والحمدُ لله وحده وصَلّى الله على محمد رسوله المصطفى خاتم النبيين وسَيِّد المرسلين وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين وسَلّم تسليمًا وحسبنا الله ونعم الوكيل »[1].

وكَتَبَ أميرُ المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – عليه السَّلام – [سِجلّاً] إلى الملك

---

[1] السجلات المستنصرية ، سجل رقم ١٤ وقارن كذلك السجل رقم ٤٨.

المُظَفَّر محمد بن الملك المُكَرَّم أحمد يأمره بطاعة أخيه الملك المُكَرَّم الأصغر ومؤازرته يقول فيه :

« وخَرَجَ أمرُه إليك وإلى كافة السلاطين والمُقَدَّمين المؤمنين – أدام الله عِزَّهم – بطاعته وإعطائه صَفْقَة اليد في مؤازرته ومعاضَدته والحفوف قدامه ، وموالاة من يوالي أمير المؤمنين ويُواليه ، ومعاداة من يُعادي أمير المؤمنين ويعاديه ؛ وسِلْم من يسالمه وحَرْب من يحاربه » .

وكَتَبَ إلى الحُرَّة الملكة السَّيِّدَة يأمرها بأن تَشُدَّ عَضُدَ ولدها الملك المُكَرَّم عبد المُسْتَنْصِر عليّ بن الملك المُكَرَّم أحمد ، وتَجْمَع على طاعته وامتثال أوامره أَهْلَ الدَّعْوَة في اليمن ، وتستعين بهم على من عاداه وعاداها ، ويستنصرها وجعل أمر ولدها معذوقًا بأمرها . وأَمَرَه أن يَصْدُر عن ما تومي إليه وتقول عليه في سِرِّها وجَهْرِها[1].

رَفْعُ السَّيِّدَة الحُرَّة إلى مراتب الحُجَج

وكان مكانُها عند الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين – عليه السَّلام – المكين ، ومحلُّها منه المحل المخصوص بالتقريب والتمكين . وأصدر الإمامُ – عليه السَّلام – إليها أَجَلَّ أبواب دعوته ، فأفادها من عِلْم إمامها وحكمته مما ورثه عن آبائه الطاهرين ، وتَلَقَّاه عنهم عن أبيهم سَيِّد الوصيين وجَدِّهم خَيْر الأنبياء المرسلين ، ما سما به مقامها على الأشكال واستحقت به التقديم والتفضيل على الفُضَلاء من الرجال ، ورُفِعَت عن حُدود الدُّعاة إلى مقامات الحُجَج ، وأَمَرَ الدُّعاةَ بامتثال أوامرها والجَرْي بعدها على سواء المنهج . وكان الدُّعاةُ عليها يُعَوِّلون ، ولها فيما أُشْكِلَ عليهم أمره يسألون ، وإليها في كل

[1] انظر السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٤٨.

أحوالهم يَرْجعون ؛ وبالوسيلة بها إلى أمير المؤمنين يَتَوَسَّلون ويتَشَفَّعون [١]. واستعانت في إقامة الدَّعْوَة بتثبيت قواعدها وإجراء أحكامها في مصادرها ومواردها بقاضي القُضاة وداعي الدُّعاة في اليمن لَمَلَك بن مالِك الحميد المؤتمن وبابنه المقيم للدَعْوَة الهادية على السُنَن والمحيي لفُروض الشَّريعة والسُّنن، حميد المساعي والمسالك يحيى بن لَمَكَ بن مالِك، وكان إليهما إقامة الدَّعْوَة وهداية أهل النَّواحي اليمنية وما يَنْضاف إليها. وكان الرُّجوعُ إلى الحُرَّة السَّيِّدة الملكة والمُعَوَّل في الأمور عليها.

وجَعَلَت الحُرَّةُ الملكة الأمير الأَجَلّ سَبَأ بن أحمد بن المُظَفَّر الصُّلَيْحي نائبًا عن وَلَدِها الملك المُكَرَّم عليّ بن الملك المُكَرَّم أحمد بن عليّ في المُلْك حاميًا لأطرافه عن المعتدين الذين يرمونه بالبَغْي والفتك [٢].

عَوْدَةٌ إلى النَّجاحِيين

وكان جَيَّاشُ بن نَجاح أيام الملك المُكَرَّم الأكبر أحمد بن عليّ بن محمد الصُّلَيْحي قد رَجَعَ عن الهند، وكان فَرَّ إليه حين قُتِلَ أخوه الأَحْوَل سعيد بن نَجاح، ودَخَلَ مدينة زَبيد متنكرًا وأقام فيها أيامًا متستِّرًا، ولم يزل يُدَبِّر الفَتْك ويروم الغوائل ويَبْذُل البذائل ويحقق أمر الملك المُكَرَّم أحمد بن عليّ وما عراه من العِلَّة واضطراب الجَسَد وتفويضه الأمر إلى امرأته الحُرَّة السَّيِّدة، فقوي بذلك قلبُ جَيَّاش [٣]، ووافَق عليُّ بن القُمّ [٤] وابنه الحسين بن عليّ الشاعر [٥]؛

---

[١] عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٤٣ ظ.

[٢] نفسه ١: ٣٠ظ.

[٣] عمارة اليمني: تاريخ اليمن (٩٦-٩٧)؛ عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٣٠ظ-٣١و.

[٤] عليّ بن محمد بن تَمّويه صاحب ديوان الخراج بتهامة (الجندي: السلوك ٢٥٨).

[٥] أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن تَمّويه المعروف بابن القُمّ. ولد بزَبيد في اليمن وكان يُعَدّ من فضلائها ورؤساء شعرائها، كان على صلة وثيقة بالسلطان سبأ بن أحمد الصُّلَيْحي وأقام معه =

وكان عَليٌّ بن القُمّ وزيرًا لوالي زَبيد من قِبَل الداعي المُكَرَّم الصُّلَيْحي ؛ فواطأه ابن القُمّ على الخِلاف وجَرَّأه عليه وشَجَّعه ، فجمع جَيَّاشُ بن نجاح الحرابة إليه والعبيد ؛ وتَمَلَّك بمدينة زَبيد وأخرج عامل الملك المُكَرَّم[1]. وهذا جَيَّاشٌ من عبيد عبيد العبيد ، أبوه نَجاح مولى مُرْجان ، ومُرْجَان مولى حسين بن سَلامَة ، وحسين بن سَلامَة مولى رَشيد الزمام ، ورَشيد مولى زياد بن إبراهيم بن إسحاق بن محمد بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن أبيه الذي ألحقه معاوية بأبيه أبي سُفْيان وخالَف رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلم – في قوله الوَلَدُ للفِراش ، وأطاعه على ذلك الأَوْباشُ وعبيد الله بن زِياد الذي فَعَلَ المنكرات وتجرَّأ على الحسين سِبْط رسول الله – عليه وعلى الطاهرين من آله أَتَمُّ السّلام والصلوات – . فتولّى الأميرُ الأَجَلُّ سَبَأ بن أحمد المُظَفَّر بأَشْيَح – وهو معقل رفيع مشرف على الجبال مطل على تِهامَة – وكان إليه أُصاب وما اليه من الأعمال المضافة لزَبيد وفيه الحسين بن علي القُمّي يقول :

[البسيط]

إن ضَامَكَ الدَّهْرُ فاسْتَعْصم بأَشْيَحَ   أو أَزْرَى بك الفقر فاستمطر بنان سبَا
ما جاءه طالبٌ يبغي مواهبَه   إلّا وأَزْمَع منه فَقْره هَرَبَا

= بحصن أشْيَح ومدحه وأسرته بأغر قصائده التي أورد منها عماد الدين إدريس مقاطع فيما يلي من الكتاب . وكان رئيس ديوان الإنشاء عند الصليحيين وهو صاحب مجموع الرسائل المعروفة بـ «رسائل ابن القُمّ» وهي مجموعة رسائل كتبها بلسان الصليحيين باليمن إلى الأئمة الفاطميين بالقاهرة ، ومنها نسخة بالمكتبة المحمدية الهمدانية وعندي منها صورة أمدني بها مشكورًا الدكتور عباس الهَمْداني ، كما تحتفظ المكتبة البريطانية تحت رقم 4004 بنسخة من ديوان شعره ، وكانت وفاته سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م (عمارة اليمني : المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد ١٩٤– ٢٠٣، تاريخ اليمن (٢٢٩–٢٨٨) ؛ العماد الكاتب : خريدة القصر ٣: ٧٤– ١٠٠؛ ياقوت الحموي : معجم الأدباء ١٠: ١٣٠–١٤٣ ومعجم البلدان (مادة أشْيَح) ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٣: ٥– ١٥، أيمن فؤاد : مصادر تاريخ اليمن ٩٢– ٩٣؛ Brockelmann, *GAL S* I, 459)

[1] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ٢٧١.

تخالُ صارِمَه يوم الوَغَى نهرًا تَضَرَّمَت من دَم حافاته لَهَبا
بني المُظَفَّر ما امتدَّت سماء عُلا إلّا وأَلْفَيْتُمُ في أُفْقِها شُهُبَا
إن امرءً كنت دون الناس مَطْلَبه لأَجدر الناس أن يَحْظَى بما طَلَبَا

وكان الأميرُ سَبَأ بن أحمد يجمع على جَيّاش بن نجاح الجُمُوع ويدير عليه دوائر الحرب، وكان إذا برد النسيم حَشَدَ الحشود ونزل إلى تِهامَة، فينتزح جَيّاش عن البلاد، ويقيم سَبَأ بن أحمد الصُّلَيْحي يجبي خراجها ويبسط العدل فيها، وكان يحتسب للعمال ما قبض منهم جَيّاشٌ في أشهر الصيف والخريف، فإذا انفصل الشتاء وانصرم الربيع ارتحل بمن معه من العرب من تِهامَة إلى الجبال. ومَلَكَ تِهامَة ابن نجاح والعبيد فتارةً يكون رحيل العرب عنها بالقتال وحينًا لكثرة الوباء وشِدَّة الحر[١].

وقعة الكظائم

ولما طال على جَيّاش وأتعبه حرب العَرَب وخشي منهم الغُلْب، دبَّر الحيلة وزيره خَلَف بن أبي الطَّاهِر المنسوب إلى زياد بن أبيه دَعِيّ أبي سُفْيان بن حَرْب الأُمَوي، وأرسل من يُشير على الأمير سَبأ الصُّلَيْحي بوصوله إلى زَبيد، وقد كاتبه أعيانٌ من فيها ببذل الطَّاعَة وقد أخفوا الغَدْر وأسَرُّوا المكر، فاطمأن الصُّلَيْحي إلى قولهم ورجاء صدقهم، فجمع جموعَ العرب وجاء إلى زَبيد في ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل. وكان جَيّاش قد أَعَدَّ الجموعَ واستنصر بالشريف يحيى بن حمزة بن وَهّاس[٢] وكثيرٌ من زعماء جيوش

---

[١] عمارة اليمني: تاريخ اليمن ٣٣(٦٦)؛ الخزرجي: الكفاية والإعلام ٥٤؛ عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٣١و-٣١ظ؛ يحيى بن الحسين: غاية الأماني ٢٧٥.

[٢] من أشراف تهامة عسير المعروفة الآن بالمخلاف السليماني، ينتسبون إلى موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن أبي طالب، وهم أقارب لأشراف مكة، ولا تزال ذريتهم معروفة في تهامة عسير ومن قُراهم صِبْيا وأبو عريش وحَرَض وضَمَد والملحا والقبة وغيرها (حسين الهمداني: الصليحيون ١٥٢هـ).

جَيَّاش قد كاتبوا الصُّلَيْحي غَدْرًا وكَيْدًا، وهم كثير من الأَشراف والعرب والعبيد، فحين وافاهم الأمير سَبَأ بن أحمد الصُّلَيْحي وَقَعَ بينهم القتال وتَبَيَّنَ له غَدْرهم، فقاتل هو والذين معه وكَثُر العبيد ومن انضَمّ إليهم وذلك في يوم الجمعة الخامس من ذي الحجة سنة تسع وسبعين وأربعمائة في أيام الملك المُكَرَّم الأصغر، وتُسَمَّى هذه الوقعة « وَقْعَةُ الكَظَائِم » فقُتِلَ الأميران قَيْس بن أحمد بن المُظَفَّر ومحمد بن مَهَنّا الصُّلَيْحيان – رحمة الله عليهما – وحَمَلَ الشريف يحيى بن حمزة بن وَهّاس الحَسَني على القاضي عِمْران بن الفَضْل اليامي واختلفت بينهما طعنتان، مات القاضي عِمْران – رحمة الله عليه – من تلك الطعنة بعد أيام[1]. فانفضت جموعُ العرب بعد أن قُتِلَ كثيرٌ منهم وعُقِرَ مُهْر الأمير سَبَأ بن أحمد الصُّلَيْحي وسار راجلًا في غِمار الناس حتى حمله بعض جُنْده على جواده. وفي قتل عِمْران بن الفَضْل اليامي يقول الشريف يحيى بن حمزة مفتخرًا من شعرٍ أوله:

أَبْلِغ نزارًا حيث حَلَّ نزار

ومنها يقول:

[الكامل]

وَنَجَا الحجازيُّ الرئيسُ بطعنَةٍ   نَجْلاء لها تحت القميص خُوار

ثم اعتذر إلى الداعي سَبَأ بن أحمد بن المُظَفَّر الصُّلَيْحي فيما كان من نَصْره للحَبَشَة في قصيدة أولها:

[البسيط]

يا راكبًا جسْرَه كالقاربِ القَطِمِ   هوى لمَاربِّه الكدريّ من أَمَمِ

إلى قوله:

---

[1] عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٣١ظ-٣٢و.

[البسيط]

وقد يَعِزُّ علينا ما أصابكم   منّا بغير رضا كف ولا قدَم
والله يعلم أنّي يومَ وَقْعَتكم   لم أمس إلّا على جَمْرٍ من النَّدَم
وإنَّ فَيْضَ دمٍ منكم كفيض دمٍ   بكَرْبلاء وثأرُ الطَّفِّ لم يَرِمِ

فأجابه السلطان عبد الله بن يَعْلَي الصُّلَيْحي على لسان سَبَأ بن أحمد الصُّلَيْحي فقال :

[البسيط]

يا راكبًا راحَ لا يَلْوي على أحدٍ   لقيت دَاعية التوفيق والنِّعَمِ

إلى قوله :

[البسيط]

فليس قيس وإن جَلَّت رزيَّتُه   وكان صِنْويَ لحمي لحمه ودمي
ولا الهُمام أبو موسى وصاحبه   محمدٌ وهما من أوثق العِصَم
بأوّل القوم منّا حُمَّ موتُهم   بين الأسِنَّة والهندية الخُذُم
والسيفُ يأكلنا حينًا ونُرتعه   حينًا إذا شاء في الأعناق والقِمَم[١]

النِّزاع بين الصُّلَيْحيين والزَّواحِيين

وجَرَت بين السُّلْطان الأَجَلّ أبي حِمْيَر سَبَأ بن أحمد الصُّلَيْحي والسُّلْطان عامِر بن سُلَيْمان الزَّواحي مكابرةٌ ومنافرةٌ ومطاولةٌ ومكاثرةٌ ، وجَدَّ السُّعاةُ لذلك الدخول بينهما وحاولوا إفساد الدَّوْلَة الصُّلَيْحِيَّة من قبلهما . وكان من السُّلْطان سَبَأ بن أحمد حِلْمٌ وتأنٍّ واحتمال وطلب لسداد الاختلال .

وطالعت الحُرَّةُ الملكة الصُّلَيْحيَّة الحضرة الشريفة المستنصرية بما ذلك جملته ، وسألت أمير المؤمنين أن يَمُدَّهم بما يكون به الصَّلاح من مستجاب

[١] عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١: ٣٢و-٣٢ظ .

دَعْوَته ؛ فورد جوابه الشريف إلى الحُرَّة الملكة يقول :

« وأما ما كان بين السلطانين الأَجَلَّين أبي حِمْيَر سَبَأ بن أحمد الصُّلَيْحي وأبي الرَّبيع عامر بن سُلَيْمان – أعزّهما الله – فقد عَرَف أميرُ المؤمنين ما تكرَّرت به مكاتباتك مع نعيم الشاعر الهِلالي ثم مع سَعْد الله ورفيقه الشِّيرازي ، وساقه رسولُك أبو النَّصْر – سلَّمه الله وحفِظَه الله – بما كان من تسديد السُّلْطان أبي حِمْيَر سبأ في جميع ما جرى بينه وبين السُّلْطان أبي الرَّبيع عامر بن سليمان الزَّواحي من المشاجَرَة والمنافَرَة ، وما أَفْضَت فيه على السُّلْطان أبي حِمْيَر سَبَأ من الثناء والتزكية والإطْراء ، وما ترضينه من حُسْن الطاعة ولين قيادة من الموافقة والمتابعة وإبقائه على ما طَلَبَ منه من المسامحة والمُسَاعَدَة ، ولو كان مهضومًا فيه من غير اضطرار إلى ما اعتمده من حسن احتماله وتغاضيه ، وتلك سجيَّة تعرب عن السلطان أبي حِمْيَر بتميزٍ وسداد وخُلوص نِيَّة واعتقاد . ومعلوم أنه ليس بمغبون من لَطَفَ وأَجْمَل ، ولا بمَهْموم من سَدَّد وتأنَّى واحتمل وتَعَجَّل استيفاء حَظِّه من رضى الله سبحانه ورضى أمير المؤمنين بما يعودُ عليه فيه من جميل الذِّكْر والمَثُوبة ، وطيب الأَجْر ما ينوب له عن عظيم الظَّفَر والنَّصْر . وما يحمد العاقبة من سداد الحال ويَرْتَق فُتوق هذا الشَّغَب والاختلال . وقد شكر له أميرُ المؤمنين ما طَالَعت به من هذه الأوصاف الحميدة والمقامات الرشيدة ، وأسْعَدَه في إجابته من هذه الجملة مما يَحْدوه على امتراء ما أَكْسَبَه فيه الرِّضَى ومَهَّدَ له دواعي الزُّلْفَى » .

ووَرَدَ عن أمير المؤمنين – عليه السَّلام – إلى السلاطين الصُّلَيْحيين والزَّواحيين والمشائخ الحجازيين وطوائف المؤمنين بجزيرة اليمن ما هذه نسخته :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

من عبد الله ووليّه مَعَدّ أبي تميم الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين إلى كافة السّلاطين الصُّلَيْحيين والزَّواحيين والمشائخ الحِجازيين وطوائف المؤمنين كَثَّرَهم الله ونَصَرَهم ، سلامٌ عليكم فإن أميرَ المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو ويسأله أن يُصَلّي على جَدّه محمد خاتم النبيين وسَيِّد المرسلين – صَلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين وسَلّم تسليمًا .

ويتلوه بخط الإمام [a].

أميرُ المؤمنين يعزم عليكم مَعْشَر السلاطين والمؤمنين – نَصَرَكُم الله – ويحتم العمل بما اشتمل عليه سِجِلّه هذا في مراسمه التي تُؤْذِن لكم بصَلاح الدُّنْيا والدِّين ، والفَوْز عنده بالرِّضوان والزُّلْفى ، ويُحَرِّم عليكم بحرام الله وحرام محمد وأبيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأبنائه الأئمة الطاهرين من ذريته مخالَفَة مضمونه أو تجاوز شيء منه ، واعلموا أنه من أَغْفَلَ ذلك متأوِّلًا فيه أو تاركًا للعمل بما يقتضيه فقد بَرِيءَ من الله تعالى ومن أمير المؤمنين إمام زمانه ، وقد شَهِدَ على نفسه بالكُفْر والمُرُوق والعُدْوان ، وأن أمير المؤمنين قد أَوْجَبَ عليه الوَيْل والحُزْن الطويل في الدنيا وله في الآخرة العذابُ المهين ، وأشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيدًا .

وكُتِبَ في شهر ربيع الأول سنة ثمانين وأربعمائة .

وبعد فإن الله شَرَّف أميرَ المؤمنين بفَضْل الخلافَة على بَرِيَّته وأناف به محلّ الدَّعْوَة الهادية ومزيته ، وخَصّه من مَجْد آبائه الكرام طارِفَ المجد وتليده ، ومَنَحَه من عصمته بيتَ الشَّرَف وعموده ، وهو يشكر لأوليائه في الدِّين مساعيهم التي بها عند الله يحظى الصّالحون ، ويمتري شرفَها المؤمنون ويتحَلَّوْن مفاخر حليتها في الدنيا والدين . ولما عَرَفَ أميرُ المؤمنين ما كان

[a] في السجلات : يتلوه بخط اليد النبوّية سلام الله عليها .

منكم في النُّصْرَة من حميد المساعي ؛ ومأثور مواقفكم في حماية الدَّعْوَة وما أنتم عليه من الالْتِزام بشَرائِط الطَّاعَة ، والعَمَل بعَلائِق الوَفاء والمُناصَحَة ، شَكَرَ لكم هذه المناقب التي تَقَلَّدتم بها قَلائِد التَّقْوَى ونلتم الدنيا والأخرى ، وأصبح قَدحَكُمُ المُعَلَّى وفخرَكم الأسمى الأعلى . وأميرُ المؤمنين يأمركم بالجري على هذا السَّنَن المشكور والاعتماد المأْثور ، وأن تعتمدوا الائتلاف والتحذير من عَواقِب المقاطعة والاخْتِلاف ، ويستغني بحصافَتِكم عن أن يَضْرب لكم الأمثال في ذلك بمن سَلَفَ من الأُمَم ، وما نالهم من مَعَرَّة التباين والتقاطع وخُذْلان التنافر والتنازع ، فإن الشَّيْطان ما نَزَغَ بين قومٍ إلَّا بَدَّدَ شَمْلَهم وأبادَهم ، ولا تشاجروا إلَّا ذَلُّوا وضَعَفوا وأصبحت قناتُهم لَيِّنَة لغامزها وسيوفهم كهامًا عند هزها ، و لا اتَّفَقَ قومٌ وتعاضَدُوا إلَّا كانت لهم اليد الطُّولَى ، ولا تصافَوْا ولا تعاضَدُوا إلَّا كانت كلمتهم المُثْلى ، وقد كان لكم في داعيكم الأَجَلّ الأَوْحَد أمير الأمراء أبي الحسن عليّ بن محمد الصُّلَيْحي – رحمة الله عليه – أُسْوَةٌ في مسعاه ورضى بما رضى الله عنه به وأمير المؤمنين وأرضاه ، الذي كانت مقاماته شهيرةً في إظهار الدَّعْوَة الهادية باليمن ، وإنكم كافة أوليائنا باليمن كَثَّرَكم الله ونَصَرَكُم ، مع ما لكم من السَّوابق المتقدمة والأواخي المتحكمة والمساعي المشكورة عند الله سبحانه والمواقف المأثورة ، لم تُعْرَفوا إلَّا به ولم تَسْعَدوا في طاعة أمير المؤمنين إلَّا باتصالكم بسببه ، فإنه الذي أبرزَكم إلى الوجود بعد العَدَم ، وقَدَّمَ إقدامكم إلى ما نِلْتُم به حظَّ الدنيا والدين وأيُّ تقدُّم فَعَلا في الدين منارُكم ، وحُمِدَت في الجهاد والنُّصْرة آثارُكم ، وعَزَّ عن الاهتضام جارُكم وامتنع من الطُّروق ذماركم ، واستَطَلْتُم بالنَّفر اليسير والعَدَد القليل على جحاجحة سلاطين اليمن الذين شادوا القصور والمعاقل وسادوا العشائر والقبائل ، ودانت لكم العربُ بعد شِماسها ، وأذْعَنَت مع قُوَّتها وشِدَّة بأسها ؛ فابتززتم ملكها قَهْرًا ، وأزلتم عِزّها قَسْرًا ، وأصبحتم عليهم عالين ولهم بظهور النصر غالبين ؛

وكنتم كما قال الله سبحانه : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الآية ٢٧ سورة الأحزاب] . ثم أفْضَيْتُم بعد انتقاله – رحمه الله – من مَبَرّة الملك المكرّم – رحمه الله – إلى الكَنَف الوَطِيّ والخُلُق الرَضِيّ ، الذي أوْسَعَكُم حلمًا وكرمًا ورأفَةً وتحنّنًا ومواساةً بما تحتوي عليه يده ، ومشاركة فيما تنتهي إليه استطاعته ، وكان يعدّ شيخكم أبًا ، وكَهْلكم أخًا ، ويافعكم ولدًا برًا ، لُطْفًا بكم وعَطْفًا عليكم ، مواصلاً للثناء عليكم بحضرة أمير المؤمنين ، مستدعيًا بركته عليكم ، إلى أن وافاه وَقْتُه المعلوم وأَجَلُه المحتوم . فاخْتُرِم وهو محمود الخِلال مفقود المثال مُسَدَّد الأقوال والأفعال ، وأمير المؤمنين راضٍ عنه متألّم لفَقْده مراعٍ لخَلَفِه من بعده – رحمة الله ورضوانه عليه – فأيّ فضيلةٍ هي أوْفَى من هذه الفضيلة ، وأيّ سابقة هي أزكى من هذه السابقة الجميلة ؛ وأيّ حُرْمةٍ لديكم آكد من هذه الحُرْمَة ، أم أيّ نعمة عليكم أجَلّ قدرًا من هذه النّعْمَة التي لا يَبْلُغ أحدكم شُكْرَها ولا يَسَعُه جُحُودُها ولا كُفْرُها . وإن أمير المؤمنين ليرعى لهذا السَّلَف الأطْيَب في خَلَفِه المرتضى الأنْجَب ، ما يوكِل هَمّه له بالإنْشاء والإنْماء والاصْطِناع والحِبا والاصْطِفاء . ويبقى الغَرْس الذى غَرَسَه تاليًا كما غَرَسه باديًا ناميًا ، سجيةً مألوفَةً له ولآبائه الطاهرين الأئمة المهديين في رَبّ النعمة ، ورعاية الذّمم وحِفْظ المَوَدّات الزاكية على القِدَم ؛ ويحكم ذلك بطاعة داعيكم الملك الأجَلّ المَنْصُور العادِل المُكَرّم عُمْدَة الخلافَة تاج الدولة سَيْف الإمام المُظَفَّر في الدين نظام المؤمنين عماد المِلّة غيّاث الأمّة ، شَرَفُ الإيمان ومُؤَيّد الإسلام عظيم العرب سُلْطان أمير المؤمنين وعميد جيوشه عبد المُسْتَنْصر أدام الله تمكينه وعُلُوّه وكَبَتَ حَسَدته وعَدُوّه ، كما قد فَرَضَ الله عليكم من طاعة أمير المؤمنين ويأمركم أن تعتمدوا الجد والتشمير في متابعته ومناصرته ومظاهرته ، والإزماع والاجتماع على مرافدته ومعاضَدته وتثبيت قواعد دولته ، والجهاد تحت رايته وتوافق الأيدي على من ضارّه وكايدَه

وحادّه وعانَده وترك الونية في ذلك . وأن تُخْلِصُوا النيّة في موافقته وطاعته وطاعة والدته الحُرَّة الملكة السيِّدة السَّديدَة المُخْلِصَة المِكَينة ذخيرة الدين عُمْدَة المؤمنين وكَهْف المُستَجيبين وَليّة أمير المؤمنين وكافِلَة أوليائه الميامين أدامَ الله تمكينها ونِعْمَتَها ، وأحْسَنَ توفيقَها ومعونَتها ؛ التي استكْفَلَها أمير المؤمنين في تدبير أمره ، واستكفلها رُبُّ حاله في صغره وإلى حين كبره . فإنه لم يؤَهِّلها لهذه الرُّتْبَة السنيّة إلاّ بعد أن خبر سدادها واجتهادها ، وعَرَفَ لها ديانتها وصِدْق اعتقادها . وأنها مأمونة على ما تُدَبِّره فيه مرضية لما نَدَبها له من تشييد مبانيه ، فأقامها مقام مَنْ يقول فيسمع ويأمُر وينْهي فلا يُراجَع ؛ وحَرَّم عليكم كافة السّلاطين المُقَدَّمين والمُؤْمنين الديّانين مخالَفَتها والرَّدّ لأمرها والقُعُود عن مناصرتها والإدْهان في طاعتها والتأخُّر عن أمثلتها ، فمن خالف هذه المراسم فقد مَرَقَ عن الدين وتَعَرَّض لمساخِط أمير المؤمنين وخَسِر الدُّنْيا والآخِرَة ذلك هو الخُسْران المبين . ومع هذا فلم تزل مُطالَعات هذه الحُرَّة الملكة متواتِرَةً لدى أمير المؤمنين مشحونةً من أحماد مساعيكم والإشادة ببهاء أمرها وَوَصْف حُجولها وغُرَرِها بما يوجب لكم من أمير المؤمنين الرِّضَى والزُّلْفى ويقضي جزاكم بالحُسْنَى ، ويفضي بكم إلى حميد العُقْبَى . وإنما يعهدكم بسِجِلّه هذا بِرًّا بكم وتوفيقًا ورأفةً وتذكيرًا وإيقاظًا ، وإن لم تكونوا ناسين ، وحَضًّا على الوفاء وإن كنتم البَرَرَة الأتقياء الوافين ؛ وأعلمكم جميلَ رأيه في هذه الحُرَّة التَّقِيَّة المباركة ، ووَلَدَيْها اللَّذَيْن هما الخَلَف من السَّلَف الصَّالح من دُعاته الذين لم يزل عنهم راضيًا ولهم في جميع الأحوال ملاحظًا مراعيًا ، واستزادكم من الأفْعال الحميدة التي بها تَسْعَدُون وبالمواظبة عليها تَشْكُرون وتحْمَدُون ، وأشعركم أنه كُلّما ازددتم في طاعةِ داعيكم ووالدته حُسْنى ، ازددتم من إمامكم قُرْبَةً وزُلْفَى ، واستأنفتم منه إقبالاً وتَحَنُّنًا عليكم وصَرْفًا لوجه الاهتمام إليكم ؛ فاقدروا النِّعْمة في ذلك حَقّ قَدْرها وامْتَرُوا أخلافَها بمواصلة شُكْرها ، واعلموا – أحسن الله توفيقكم – أن داعيكم وإن كان

صغير السن ، فإن له من لطيف ملاحظة أمير المؤمنين ومتواصل رعايته ما يَنْهَض بضبعه ويقيم أَوَدَه ويَبْسِط بالتمكين باعَه ويده ، ويرفعه عن مواطن الحَداثَة واليَفاعَة إلى مواقف أولي الحجر والبراعة . وقد أحسن له أميرُ المؤمنين النَّظَر في دَعْوَته وما فَرَضَه إليه من ولايته ؛ وأَوْعَزَ إلى السَّيِّد الأَجَلّ بأن أمضى للمأذونين المتقدِّمين منكم في أيام داعيه الأمير الأَجَلّ الأَوْحَد أمير الأُمَراء وولده الملك المُكَرَّم – رحمة الله عليهما – ومن عسى أن يُنَصِّبَه هو الآن ويَتَّفِق فيه رأيه ورأي والدته الحُرَّة التصَرُّف فيما كان إليهم على الرَّسْم الماضي المعهود ، وما استمر المستمر منهم على المساعي الصالحة والإخلاص في حُسْن الطاعة والمناصحة ، وآداء الأمانة فيما فُوِّضَ إليه واعتُمِدَ فيه عليه ، والثَّبات على قوانين الدين والتَّخَلُّق بأخلاق المؤمنين المخلصين على ما يختبره هو والحُرَّة والدته منه ، من استقامته على حميدة الطريقة والتزامه بسبب الحقيقة أو سوى ذلك والعياذ بالله ، فمن زَكَّاه وزَكَّته وارْتَضاه وارْتَضَتْه فهو عند أمير المؤمنين الزَّكيّ المُرْتَضَى ، ومن سَخَطَ وسَخَطَت فهو المُبْعَد المُقْصَى ، وأنَّ من الواجب على كافة المأذونين وسواهم من سائر المؤمنين ، تأليف القُلوب على طاعة داعيهم ووالدته وقَوْد من شَذَّ عنهما إلى متابعتهما بحزائم الدينْ واستبقائهم إلى موافقتهما بعزائم المُوَفقين المُسَدَّدين الذين صفت نياتهم لله سبحانه ولوَلِيِّه ، فأزالت عنهم طَبَع الشُّكوك والشُّبَه وجَلَت عن بصائرهم رِيَب الغَفْلَة والعَمَه ، فحظوا في الدُّنْيا والآخِرة بالفَوْز العظيم وهَدَوا إلى نَهْج الصِّراط المستقيم ، وسعدوا بالنجاة من نار الجحيم . ثم واعلموا – كَثَّرَكُم الله عَزّ وجَلّ ونَصَرَكُم – أن الاتفاق من أكبر دواعي الصَّلاح ، وأوْفَق مفاتيح النَّصْر والفَلاح ، فاحتشدوا حَفِظَكم الله بجِدٍ وتَشْمير ولُطْف رأي وتدبير ، وساعدوا داعيكم والحُرَّة عليه وسارعوا فيه إلى ما يؤميان إليه ، وادأبوا في إزالة الضغائن الحادثة بين سلاطينكم وكونوا على حَسْمِها أعوانًا وأعملوا الفِكْر في الأُلْفَة بينهم سرًّا وإعلانًا ، فإن قلوبَكُم إذا

اجتمعت على التَّصافي والإخلاص، وتشاركت في الممازحة والاستخلاص، هابكم أضدادُكم وأكبَت من أدكم وعَلَت كلمتكم، وثقُلَت على الأعداء وَطْأتكم، واحتمت عن مكائدهم حَوزَتكم، وعَظُمَ عليهم بأسُكم وسَطْوَتُكم، وكان الله ودُعاءُ أمير المؤمنين من وراء نُصْرَتكم والتمكين لكم من عَدُوّ أمير المؤمنين وَعُدوّكم. والله يستديم لكم الحُظْوَة برضى أمير المؤمنين ورأفته، ويُمِدُّكم بحُسْن المزيد من بِرّه وعاطفته، ويؤيِّدكم بالنَّصْر المبين في طاعته ويُعَضِّدكم بالظَّفَر في حماية دَعْوَته. فاعلموا – وَفَّقَكُم الله – هذا من أمر أمير المؤمنين ورَسْمه، واعملوا عليه وبحَسَبِه إن شاء الله. وكُتِبَ في شهر ربيع الأوّل من سنة ثمانين وأربعمائة، والحمد لله وَحْدَه وصلّى الله على جَدِّنا محمد خاتم النبيين وسَيِّد المرسلين وآله الطاهرين الأئمة المهديين وسَلَّم تسليمًا وحسبُنا الله ونعم الوكيل »[1].

ولما وَصَلَ هذا السِّجِلّ الشريف، ووَقَفَ عليه السَّلاطينُ وكافةُ الأمراء والمتقدِّمين، وجميع المؤمنين سَمِعوا وأطاعوا الإمام عليه السَّلام. وجَرَت الأمورُ على أحسن الائتلاف والانتظام، وأذْعَنوا بالطاعة للحُرَّة السَّيِّدَة ووَلَدِها الملك المُكَرَّم، ورضي كلٌّ منهم بأمره وسَلَّم. فقامت الدولة الصُّلَيْحية على ساق وانتظمت أحوالُها في الأقطار اليمنية والآفاق.

انفراد السَّيِّدَة الحُرَّة بالدَّعْوَة

ثم إنه قَضَى الله – جَلَّ جلالُه – بوفاة الملك المُظَفَّر عبد الإمام محمد بن الملك المُكَرَّم – رحمة الله ورضوانه عليه – في حياة أخيه الداعي الملك المُكَرَّم عبد المُستَنْصر. ولم تَطُلِ الأيام حتى جَرَى القَدَرُ ووَقَعَ أمرُ الله النازِل بجميع البَشَر على الملك الداعي الأَجَلّ المُكَرَّم عبد المُسْتَنْصِر عليّ بن الدَّاعي المُكَرَّم

[1] السجلات المستنصرية، سجل رقم ٣٨.

أحمد بن الدّاعي الأَجَلّ عليّ بن محمد الصُّلَيْحي – قَدَّس الله أرواحهم ورحمهم ورضي عنهم . فقامت الحُرَّةُ الملكة السَّيِّدَة عُمْدَة الإسلام خُلاصَة الإمام بدَعْوَة أوْلياء الله خَيْر قيام ، وكَفَلَت كافةَ المؤمنين والدُّعاة الميامين والحُدود المُسْتَجِيبين خير كَفَالَة ، وأوضحت البُرْهان في ولاية الأئمة – عليهم السَّلام – والدِّلالَة ، وأظهرت معالم الدَّعْوَة للتابعين ، وأبانَت وما وَهَنَت لما أصابها في سبيل الله وما ضَعُفَت وما اسْتَكانت . وشَدَّها أَمْرُ مولاها وعَضَّدَها وأقامها وأَيَّدَها ، ودَفَعَ الله بها عن الدَّعْوة أَوَدَها ، ورَفَعَ أعلامَها وأقام عُمُدَها .

السُّلْطان أبو حِمْيَر سَبَأ بن أحمد الصُّلَيْحي

وأقامت في الدَّعْوَة والمُلْكِ – بأمر مولاها – الدَّاعي الملك الأَجَلّ أبي حِمْيَر سَبَأ بن أحمد بن المُظَفَّر الصُّلَيْحي ، وكان فاضلًا ورعًا تقيًّا زاهدًا شُجاعًا كريمًا ، حَسَن الأخلاق طَيِّب الأسباب والأعْراق ، يقصده الشُّعَراءُ ويَأُمه طُلّابُ النَّدَى ، وفيه يقول الحسين بن علي بن القُمّ :

[الطويل]

وما يلتقي صِدْقُ الوداد وطاعة الـــ ـــعَذول ولا جودُ بن أحمد والجَدْبُ
كريمٌ إذا جَادَت فواضلُ كَفِّه تيَقنت أنّ البُخْلَ ما يفعل السحبُ
أجادَ فلا خوفٌ وأحيا فلا ردىً وجادَ فلا فقر ورامَ فلا صعْبُ
ويثني على قُصّاده فكأنه يجاد بما يُجْدي ويُحْبي بما يَحْبو
كتبتُ إليه والمفاوزُ بيننا وكان جوابي جود كَفَّيْه لا الكُتْبُ
وما كنت أدري قبل قَطْع هباته إلى الفَيافي أن أَنْعُمَه رُكْبُ

ومن شعره فيه أيضًا :

[الطويل]

معاليك لا ما شَيَّدَته الأوائلُ ومجدُك لا ما قاله فيك قائلُ
وما المجدُ إلّا حيث يَمّمت قاصِدًا وما النَّصْرُ إلّا حيث تَنزل نازِلُ

إذا رُمْتَ صيدًا فالملوك طرائدٌ … أمامَكَ تَسْعَى والرِّماح أجادِلُ
مصائبُها إن سالَمَتْكَ مواهبٌ … وأعضاؤُها إن حارَبَتْكَ مقاتلُ
ومذ رُمْتَ إيراد العوالي تَيَقَّنَت … نفوسُ الأعادي أَنَّهُنَّ مناهلُ
وقد عَشِقَت أسيافُكَ الهام منهم … وكلُّ حُسامٍ مُرْهَف الحَدِّ فاصلُ
مليكٌ يَفُضُّ الجيش والجيش حافلٌ … ويخجل صوب المُزْن والغَيْثُ هاطلُ
سِحاب غواديه لُجَيْنٌ وعَسْجَدٌ … ولَيْثٌ عواديه قَنا وقنابلُ
تَوَقَّى الأعادي بأْسَه وهو باسمٌ … ويرجو الموالي جُودَه وهو صائلُ

وله فيه ولغيره أشعارٌ كثيرةٌ ، قيل وكان فصيحًا شاعرًا يجيب الشعراء عن كثير من شعرهم ثم يجيزهم ويُزيد في بِرِّهم . ومن ذلك أن ابن القُمّ مَدَحه فأجابه بمثل شعره ، وأجازه بجائزة سَنِيَّة لا تَصْدُرُ إلّا عن مثله ، فقال في ذلك الحسين بن علي بن القُمّ :

[الطويل]

ولمَّا مَدَحتُ الهِزَبْرِيّ ابن أحمد … أجاز وكافأني عن المَدْح بالمَدْح
فَعوَّضَني شعرًا بشِعْري فزادَني … عَطاهُ ، فهذا رأسُ مالي وذا رِبْحي
شَقَقْتُ إليه الناسَ حتى بَلَغْته … فكنت كمن شَقَّ الظَّلام إلى الصُّبْح
فقُبِّحَ دَهْرٌ ليس فيه ابن أحمد … ونُزِّه دَهْرٌ كان فيه عن القُبْح

وقد جاء في بعض الرِّوايات أن الداعي سَبَأ بن أحمد خَطَب الحرَّة الملكة السَّيِّدَة ابنة أحمد ، وأراد أن يتزوَّجها ، فأبت ذلك فسَيَّر رسولين[1] إلى أمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – عليه السَّلام – يستشفع به إليها أمير المؤمنين المستنصر بالله – عليه السَّلام – في أثناء ما يُكاتِبها به يأمرها بذلك[2].

---

[1] هما القاضي أبو عبد الله حسين بن إسماعيل الأصبهاني ، وأبو عبد الله الطَّيِّب (عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٣٤(٦٧)).

[2] عند عمارة : « فكتب الإمام المستنصر بالله إليها في أثناء المكاتبات ثلاثة سطور يأمرها فيها بنكاح الداعي سبأ بن أحمد ».

وجاء مع رَسُولَي سَبَأ بن أحمد الصُّلَيْحي، أستاذٌ من القاهرة يُعْرَف بيمين الدَّوْلَة [١]، فوصلوا مع رَسولَي سَبَأ إلى الحُرَّة الملكة وهي بدار العِزّ بذي جِبْلَة، فخاطبها الأستاذ فقال: « أميرُ المؤمنين يقرأ السّلام على الحُرّة الملكة السّيّدة الرَّضِيَّة الطّاهِرَة الزكية وحيدة الزَّمَن وسَيِّدة ملوك اليمن عُمْدة الإسلام خالِصَة الإمام ذَخيرَة الدين عصمة المؤمنين كَهْف المستجيبين وَلِيَّة أمير المؤمنين كافِلَة أوليائه الميامين »، ويقول لها: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الآية ٣٦ سورة الأحزاب]، وقد زَوَّجك مولانا أميرُ المؤمنين من الداعي الأَوْحَد المنصور المُظَفَّر سَبَأ بن أحمد الصُّلَيْحي على ما حَضَرَ من المال وهو مائة ألف دينار عَيْنًا وخَمْسون ألفًا أصنافًا من تُحَف وأَلْطاف وطيب وكسى ». فقالت أما كتابُ مولانا - صلوات الله عليه - وأمره فأقول فيه: ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ [الآيتان ٢٩، ٣٠ سورة النمل] ولا أقول في أمرِ مولانا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [الآية ٣٢ سورة النمل]. وأما رُسُلُ الدّاعي سَبَأ بن أحمد فما جاؤا إلى مولانا - عليه السّلام - من سَبَأ بنبأ يقين، بل حَرَّفْتُم الكَلِم عن مواضعه و ﴿ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الآية ١٨ سورة يوسف].

ووافى الأميرُ سَبَأ بن أحمد إلى ذي جِبْلَة في جيوشه، فرأى من حال الملكة ما استَعْظَمَه وما استَصْغَرَ حالَه عندها، فلم يبت غير ليلة واحدة في ذي جِبْلَة ثم رَجَعَ إلى أَشْيَح. وقيل: إن الحُرّة الملكة وَهَبَت له جاريةً جميلة الخَلْق وحَمَّلَتها من الحُلِيّ ما استهاله واستعظمه [٢].

---

[١] عند عمارة: « أستاذا له يعرف بحامل الدّواة وينعت بيمين الدولة ».

[٢] عمارة اليمني: تاريخ اليمن ٣٦(٦٩)؛ يحيى بن الحسين: غاية الأماني ٢٧٦-٢٧٧؛ حسين=

لَمَك بن مالك وابنه يحيى بن لَمَك

وكان الذي انتصب للدَعْوَة باليمن معاضدًا للحُرَّة الملكة ونَصَب الدُّعاة وهَدَى الهُداة وأوْضَح للدين معالمه وأحْيا مراسمه وبَيَّنَ شريعته وفسَّر تأْويله وحقيقته ، داعي الدُّعاة وقاضي القُضاة لَمَك بن مالك الحَمَّادي وابنه الداعي يحيى بن لَمَك بن مَالك الدليل الهادي ، فهما اللَّذان ظَهَرَ فَضْلُهما وعلا عند الأئمة محلُّهما ، وقَلَّ في الفضلاء شَبَهُهما ومثلهما ، وعليهما كان المُعَوَّل بالجزيرة اليمنية وما يَنْضاف إليها في إقامة الدَّعْوة ، وهما للدُّعاة الهادين الدليل والقُدْوَة .

بقية أخبار الإمام المستنصر

ونرجع إلى ذكر نُبَذٍ مما كان في حضرة الإمام المُسْتَنْصر بالله – صلَّى الله عليه وعلى الطاهرين من آبائه وأبنائه – قد ذكرنا أمر ابن حَمْدان وما كان من فَتْك أَسَد الدَّوْلَة به لمَّا تمادى في طُغْيانه وتناهى في عُدْوانه وزاد في أشره وأظهرالعظيم من منكره . فلمَّا كان ذلك واستخدمت الحضرة النبوية أَسَدَ الدولة[1] على الأتراك وسائر الطَّوائف ، أقام ما أقام في الخدمة وأظهر النَّصيحة لأولياء الله الأئمة ؛ فلما قَوِيَ حالُه وامتدت يدُه واتسعت بَسْطَتُه وإملاء وَلِيّ الله له سار سيرةَ ابن حَمْدان وبَسَطَ يده بظُلْم الرَّعِيَّة وسوء السيرة ، وسَعَى سَعْي الباغين ذوي التَكَبُّر والتَجَبُّر ، وجَعَل يُطالِب الحضرة النبوية بالأموال ويكثر الشَّرْط ويُلْحِف في السؤال ، وكلما أُعْطِيَ من ذلك ما يرومه ويطلبه ومُكِّن مما يسأله ويَحْسَبه طالَب بغير ذلك ، وأكثر التَّطاول في الاحتواء على

= الهمداني : الصليحيون ١٥٧– ١٥٩؛ أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب ١٥٢– ١٥٣.

[1] هو المعروف بأسد الدولة إلدكز (ابن ميسر : أخبار مصر ٣٩– ٤٠؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٣١١؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ٢، ٢٠).

المَمالك ، فحين رآه أميرُ المؤمنين يزداد في طُغْيانه ويَلِج في عُتُوّه وعُدْوانه ويُلِحُّ في السؤال ولا يَقْنَع بما في الخزائن من الأموال ، أمر بالقَبْض عليه وصُيِّر في بعض الجزائر قد اعتقل ، ثم أفْضَى الأمر به بما كَسَبَت يداه إلى أن قُتِلَ ، فاضطربت المملكة وكثر الثُّوّار والمفسدون والدُّعّار .

وكان من عبيد الدولة المستنصرية رجلٌ يسمى بَلْدَكوش فَجَحَدَ الإنعام وخالفَ على الإمام وجَمَعَ إليه الطَّغام ؛ واستنهض معه العامة الذين هم أَضَلُّ من الأنعام ، فسَدَّ المنافذ من حيطان القاهرة ومَنَعَ من الدُّخول إليها والخُروج عنها اجتراءً وبَغْيًا واعتداءً .

وكَتَبَ أميرُ المؤمنين – عليه السّلام – إلى أمير الجيوش بَدْرِ الجمالي [١]، قال ابن خَلِّكان : وكان بَدْرٌ المذكور أرْمَني الجنس منسوبًا إلى أرْمينية ، استنابه المُسْتَنْصِرُ صاحب مصر بمدينة[a] عَكّا [٢]، قال ابن حَوْقَل البغدادي أيضًا : عَكّا مدينةٌ من بلاد الروم كبيرة مُتَّسعة مبنية على صخرة ذات بساتين وعمل جليل كثير الارتفاع وبساتينها مُسَوَّرَة بسور من حجر . ويُذْكَر أن بها قَبْرَ صالح –

---

[a] عند ابن خلكان : بمدينة صور وقيل عكا .

---

[١] بدر الجمالي . مملوك أرمني من أصل مسيحي في أغلب الظن ، كان مملوكًا لجمال الدولة بن عمّار– أحد ولاة طرابلس الشام–فعرف لذلك بالجمالي .

بدأ حياته العملية واليًا على دمشق سنة ٤٥٥هـ ، وللمعلومات أكثر راجع ، ابن الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ٩٤– ٩٧؛ ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة (الدولة الفاطمية) ٨١؛ ابن ميسر : أخبار مصر ٢٨– ٥٤؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢: ٤٤٨– ٤٥٠؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨: ٢٣٤– ٢٣٦، الصفدي : الوافي بالوفيات ١٠– ٩٥؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٣١١، ٣٢٩، الخطط ١: ٣٨١– ٣٨٢، المقفى الكبير ٢: ٣٩٤– ٤٠٢؛ ابن حجر : رفع الإصر ١: ١٣٠– ١٣٧؛ محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ٢٧٠– ٢٧١؛ أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٠٩– ٢١٩؛ G. Wiet, *CIA* Egypte II. pp. 132-158 ; C.H. Becker, *EI²* art . *Badr al-Djamâlî* I, p. 897 .

[٢] ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢:٤٤٩ .

عليه السّلام – وهو منها في الجهة الشمالية على عشرة فراسخ ، هذا قوله [١]، وهذا دليلٌ أن المُسْتَنْصِر بالله – عليه السّلام – قد مَلَكَ من جهات الرُّوم ، وأقام فيها دين الله الحَيّ القَيُّوم .

بَدْرُ الجَمَالي على قِمَّة السُّلْطَة في مصر

فلما وَصَلَ إلى بَدْر كتابُ المُستَنْصِر بالله – عليه السّلام – ووَقَفَ على ما فيه ، جَمَعَ عساكِرَه وخَيْلَه وسِلاحَه وأموالَه وشَحَنَ جميع ذلك في المراكب ورَكِبَ البحر مخاطرًا بنفسه في وقت لا يُرْكَب البحر في مثله [٢]، مبادِرًا إلى طاعة إمامه مسارعًا إلى نُصْرَة الحق وإقامة أعْلامه . وكان من صَلاح النّيَّة والولاية للأئمة وحُسْن السيرة على حاله ، يُرْضي الله تعالى ويُرْضي إمامه ، وبها نال من الخيرات مرامه . فلما وَصَلَ إلى تِنِّيس وافى أهلَها قد خالفوا على الإمام – عليه السّلام – ، ومن يليهم في تلك الجهات قد أظهروا الخلاف في الخاص منهم والعام ، فاستولَى على تِنِّيس وخَرَجَ منها إلى الرِّيف الأسْفَل وأَوْقَع بلَوَاتَه – وهم الذين كانوا أنْصار ابن حَمْدان وبطانته – فقَتَلَ مقاتلتهم وحازِ أموالَهم وكِراعَهم ، وضَبَطَ الإسكندرية وأعمالَها وأعمالَ الرِّيف الأَسْفَل . وحين قَرُب بَدْرٌ الجمالي المستنصري إلى القاهرة بجيوشه ، بادر أولياءُ الدولة إلى بَلْدَكوش فقَبَضُوا عليه ، وأُوْدِع السجن بعد أن جُعِلَ الحديدُ في رجليه ، ودارت دائرةُ السوء عليه [٣].

---

١ ابن حوقل : صورة الأرض .

٢ انظر السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٥٦، ١٥٧؛ ابن ميسر : أخبار مصر ٤٠؛ المقريزي : المقفى ٢: ٣٩٦ واتعاظ الحنفا ٢: ٣١١- ٣١٢.

٣ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢١٠.

ووَصَلَ إلى الحضرة الطاهرة بَدْرٌ المستنصري ، فكان وصولُه القاهرة عشية الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادي الأولى وقيل الآخرة سنة سبع[a] وستين وأربعمائة ؛ فأقبل عليه الإمام – عليه السَّلام – بالوَجْه الجميل وأعطاه العطاء الجزيل وخَلَعَ عليه الخِلَع السَّنِيَّة ورَفَعَ درجته على وزراء الدولة الإمامية ، وسمَّاه « سيفَ الإسلام » وصَرَفَ إليه أمر الخاص من دولته والعام ، وطَوَّقَه طَوْق الوَزَارة ، وجَعَلَ إليه إيراد الأمْر في الدَّوْلَة وإصداره [١].

فلما استقرَّ به القرارُ آنَس الرَّعِيَّةَ وعَوَّل فيها ، وأمَّنَ السُّبُلَ قاصيها ودانيها ، وتَتَبَّعَ المفسدين والدُّعَّار بالهلاك لهم والدَّمار ، والإجلاء لهم عن الديار ، وجَبَى الخراجَ ورَفَعَ الأموال إلى قصر أمير المؤمنين – عليه السَّلام – ورَدَّ الدَّواوين والكُتَّاب وأصحاب الخَراج على عوائدهم ، وملأ الإصطبلات من الخَيْل والدَّواب على ما كانت عليه الحال .

ثم نَهَضَ إلى الصَّعيد الأعْلَى فأمَّنَ أهلَه وشَرَّد من كان فيه من المفسدين ، وشَحَنَ مدنَه وثغورَه بالخيل والرجال ، وعاد على خير الأحْوال إلى حضرة أمير المؤمنين [٢].

وجاء الأقْسيس [٣] ملك الغُزّ ، فاستولى على أعمال الشام ثم تَحَرَّك بمن معه من جميع عساكره ومن انضاف إليه وزَحَفَ إلى أعمال مصر . وقد وَصَلَ في تلك الأيام بَدْرُ بن حازِم أميرُ طَيِّء بجَمْعٍ من قبائل العَرَب إلى باب أمير

---

[a] كذا بالأصول والصواب : ست .

---

[١] المقريزي : المقفى ٢: ٣٩٧ والخطط ١: ٤٤٠؛ أيمن فؤاد : المرجع السابق ٢١٠– ٢١١.

[٢] السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٥٦ ورقم ٥٧؛ ابن ميسر : أخبار مصر ٤١؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨: ٢٣٦– ٢٣٨؛ المقريزي : الخطط ١: ٣٨٢، الاتعاظ ٢: ٣١٤، المقفى ٢: ٣٩٦.

[٣] هو المعروف في المصادر أيضا باسم أتْسِز بُرا .

المؤمنين – عليه السَّلام – مواسيا بنفسه في الجهاد ، وباذلًا لها في كفاح أولي العناد ، وكانت منزلته عند الإمام المُستَنْصِر بالله – عليه السَّلام – سَنِيَّةً ، وهو من الولاية وحُسْن النِّيَّة على أحوال مرضية ، فلما استقر بباب أمير المؤمنين – عليه السَّلام – وَصَلَ الإقسيس والغُزّ إلى أن صاروا بصَهَرَجْت بناحية الرِّيف الأسْفَل وقد راموا أن ينالوا من مُلْك مصر المَرام ، وأن يَبْسِطُوا أيدي الظُّلْم والغَشْم في جميع شيعة الإمام .

فخَرَج أميرُ المؤمنين – عليه السَّلام – إلى خارج باب القاهرة ، ودعا وزيره سَيْف الإسلام المستنصري فأعطاه اللِّواء بعد أن عَقَدَه بيده وهَزَّه ، وأمر الوزيرَ ومعه بَدْر بن حازم الطَّائي ومن معه بالخروج إلى لقاء الغُزّ وجميع العساكر والعَدَد والعُدَّة ، وأن يُعِدُّوا لهم ما استطاعوا من القُوَّة ، ورَجَعَ الإمام – عليه السَّلام – إلى قصره بالقاهرة . وسار سيفُ الإسلام وزير الإمام للقاء الغُزِّ في عدد جَمٍّ وقوة ظاهرة ، فلما تدانى الجَمْعان والتقى الفريقان ، زَحَفَ بعضُهم إلى بعض وقد ضاق لكثرتهم فضاءُ تلك الأرض ، وكانت بينهم معركةٌ علا فيها القتال وكَثُرَ الكلام ودنا فيها من الأبطال الحِمام ، فدارت من الموت الزُّؤام بالرِّماح والصِّفاح الكؤس ، وسالت على البِيض والأسِنَّة النفوس ، وطارت عن أجسادها الرؤس . فنادى العسكرُ النبوي بالشِّعار المستنصري وثَبتوا ثَباتَ الصَّابر الجريء فمنحهم الله تعالى النَّصْرَ على التُرْكُماني وأصحابه ؛ فعادوا منهزمين وَوَلَّوا على أدْبارهم ناكِصين ، وانهزم الإقْسيس التُرْكُماني على وجهه لا يَلْوي على أحدٍ من أصحابه منقطعًا عن عسكره ورجاله ، لا يروم غير خَلاص نَفْسه حتى نجا بحُشاشَته مع بعض الأمراء من كَلْب ، وانتهى إلى دِمَشْق بعد أن أُخِذَت من عساكره السيوف ولعبت بهم عابثات الحتوف . فانجلت المعركة منهم عن عشرة آلاف قتيل على ما أتى في السِّيَر ، ومَلَكَ بَدْرٌ ما في عساكرهم من الأمتعة والأموال والمضارب

والأثْقال ، وكان فَتْحًا عظيمًا ملأ الآفاق ذِكْرُه وعَمَّها نَشْرُه ، فاضطربت منه الآفاقُ وهابته أملاكُ العراق [1].

وعاد بَدْرٌ الجَمالي إلى حضرة أمير المؤمنين – عليه السّلام – وأعلامُ النَّصْر عليه قد نُشِرَت ووجوه الآمال في الدَّولَة النبوية الإمامية قد ضَحِكَت له واسْتَبْشَرَت . ولم يزل عند إمامه مُقَرَّبًا بصالح أعْماله مُحَبَّبًا بحُسْن نِيَّته وصلاح حاله ، مخصوصًا بالتعظيم في الدنيا والدين ، ميمونًا فيما يقوم ويقعد فيه من نَظْم حال أولياء أمير المؤمنين . ولما قَرَّبَه أميرُ المؤمنين وأدْناه ، ونالَ منه ما أمَّلَه وتمنَّاه ، واغترف من زاخر تَيَّار علمه وأدْرَكَ ونال من الفضل خير قِسَمِه ، ورَفَعَه أميرُ المؤمنين وأعلاه ، وأفاض عليه من الخير والبر وأوْلاه ، وناطَ به أمور الدنيا والدين ، وجعله « كَافِلَ قُضَاة المُسْلمين وهَادي دُعاة المؤمنين » حسب ما ذكره في سِجِلّه الذي كَتَبَه إلى الأمير المُكَرَّم أحمد بن عليّ الصُّلَيْحي في سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة حيث قال في ذلك السِّجِلّ :

« ومعلومٌ لكافَةِ البَشَر ، من البَدْو والحَضَر ، أن عنايةَ الله تعالى بدولة أمير المؤمنين وَكِيدَة الأسْباب ، وأن آثار صُنْعِه تعالى لها ظاهِرَةٌ لأولي الألباب . ومن ذلك ما ذَخَر له من حسن إيالة [a] فَتَاه السَّيِّد الأجَلّ أمير الجيوش سَيْف الإسلام وناصر الإمام ، كافل قُضَاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين ، أبي النَّجْم بَدْر المستنصري عَضَّدَ الله به الدين وأمْتَع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام الله قدرته وأعْلى كلمته ، الذي فَرَّجَ الله به عن مملكته ما عَرَى من ظُلْمة تلك الحَوادث ، وكَشَفَ عن خلافته غُمَم الكوارث ، وأرْسَلَ سماءَ المصلحة

---

[a] في السجلات : آماله .

---

[1] ابن ميسر : أخبار مصر ٤٤؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ٢٣٧؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٢٠٢– ٢٠٤؛ المقريزي : المقفى ٢ : ٢٢١ واتعاظ الحنفا ٢ : ٣١٧– ٣١٨.

مِدْرارًا ، وأصدر وأورد في السّياسة فأحسن إيرادًا فيها وإصْدارًا . ولما فَوَّضَ إليه أمير المؤمنين سائر الأمور ، وعَذَقَ به أحوال الجمهور ، وناطَ به شئون الخلافة ، وقَلَّدَه حِياطَة الكافة ؛ فألفاه على خلال الفَضْل محتويًا ، وبُهداه في العَقْد والحَلّ مهتديًا ، أَحَبَّ أن لا يكون شيءٌ من أمور الدين والدنيا إلّا وهو به منوطٌ ، وبحسن تدبيره وثاقب بصيرته الثاقبة مصونٌ محوط ؛ لأنه وَجَدَه على جميعه قويًّا أمينًا ، وأَلْفى السَّعْد والرُّشْد بحسن نظره مَقْرونًا . فَعَزَم الله له على أن قَلَّدَه مع ما تقدَّم ذكره من أمور الدنيا أمور الدين ، وجعله « كافِلَ قُضاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين »[1]. هذا قوله عليه السَّلام .

وما زال أميرُ الجيوش بَدْرٌ المستنصري مقيمًا لعُمُد الدَّوْلَة النبوية بحُسْن الرأي والتدبير ، وقَطْع دابِرِ الفَسَاد بماضي السَّيْف الصَّقيل والعَزْم المنير ؛ مجتهدًا مجاهدًا قائمًا بشرائط الأمانة وَرِعًا زاهدًا ، وقَدْرُه عند الإمام – عليه السَّلام – يزداد عَلاءً ، وأوامرُه جاريةً نفاذًا وإمضاءً .

قال القاضي ابن خَلِّكان في تاريخه : « وهو الذي بنى الجامع [الذي] بثَغْر الإسكندرية المحروس في سوق العَطَّارين . وكان فراغُه من عمارته في شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربعمائة »[2].

وفي شهر المحرم أول سنة تسع وسبعين عَضَّدَ أميرُ المؤمنين أميرَ الجُيوش كافِلَ قُضاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين بَدْر الجَمالي بوَلَدِه أبي القاسم شاهِنْشاه المُلَقَّب بالأَفْضَل فَرَفَعَ شأنَه وأعْلاه ، وبجزيل نِعَمِه وَلّاه[3]، وقد ذَكَرَ ذلك في سَجِلٍّ كتبه إلى الأمير الأَجَلّ عبد المُسْتَنْصِر المُكَرَّم بن الملكِ المُكَرَّم أحمد بن عليّ الصُّلَيْحي . فقال في ذلك السِّجِلّ :

---

[1] السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٥٩.

[2] ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢: ٤٥٠؛ وراجع ابن ميسر : أخبار مصر ٤٦ هـ ١٨٩ .

[3] انظر أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢١٧– ٢١٨.

« وأما بعد ؛ فإن السَّيِّد الأَجَلَّ أميرَ الجيوش سَيْفَ الإسلام ، ناصِرَ الإمام ، كافِلَ قُضاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين – عَضَّدَ الله به الدين ، وأمْتَع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام دولته وأعلى كلمته – الآيَةُ التي أَطْلَع الله بها لأمير المؤمنين شَمْس الخلافة فشَرُقَت ، والمَوْهِبَةُ التي وَهَبَها لدولته والإسلام فَظَهَرت وأشْرَقَت ، والسَّيْفُ الذي انْتَضاه على جُمُوع الباطل فزَهَقَت وتَمَزَّقَت ؛ والقيل الذي انتصب للصَلاح انتصاب الفَذّ الذي فات بفضائله الأفضلين ، والأَلْمَعي الذي أربى بألمعيته على الأوَّلين ، وهَجَر الكَرَى في الخدمة إدلاجًا وتأويبًا ، وأسهم في الصَّلاح جردًا سوابقًا سلاهبيًا ، وأنضاها في قيام عمود الدين إيضاعًا وتخبيبًا ، وساس الأمورَ بمهابة أَذَلَّت الأسُود الضَّراغم ، وأَجْلَت السود الأراقم ، ورغبة انتجعها العُفاة للمغانم ، حتى أصبحت المملكةُ بلُطْف الله وإيالته ، محفوظةَ النّظام مكبوبَة الأعداء والأضْداد ، محفوظةً من الله تعالى ومن تدبيره بعَصَب أوقى من التمائم في الأجياد » .

حتى قال في هذا السجل الشريف ...

« وأميرُ المؤمنين مع هذه الأصول[a] يجيل فكرته فيما يرتفع بعُلُوّ جده ، ويختصه بلَطائِف المعالي في يومه وغده ، والإعلان بارتقائه مَراقي العُلَى التي شَرُفَت بمعاليه ، وحِياز الفَضَائل التي تجَمَّلت بفضائله ومعانيه .

ولما كَمُلَ وَلَدُه الأَجَلّ الأَفْضَل سَيْف الإمام جمال الإسلام شرف الأنام ، ناصر الدين خليل أمير المؤمنين شاهنشاه زاده الله في تمكينه وعلائه ، وكَبَتَ حَسَدَته وأعدائه ، وأَمْتَعَ أميرَ المؤمنين بطول بقائه فضلاً وتمامًا ، ونبغ حلمًا ، ونبلاً وسدادًا تامًا ، واقتبس من أنوار السَّيِّد الأَجَلّ أبيه أنوارًا مضيئةً

[a] في السجلات : الأصول الراسخة .

وَقَفَ منها بحيث لا مزيد ، وثَقِفَ من حسن أفعاله وولائه ما يثقفه المجيد من المجيد ؛ فهو هِلالٌ من بَدْر كمال ، وهُمام من هُمام ، وفَيْض من بحر عَذْب سلسال ، وسَهْم من كنانة الفَضْل والأَفْضال ، ووابل من وابل هَطّال ؛ رأى أميرُ المؤمنين – والله يُعَضِّدُ بالميامن آراءه – أن ناطَ به قُدّام والده عُرَى التدبير ، وعَرَقَ به وبسياسته ما وراء سرير الخلافة من صغير وكبير »[١]. هذا قوله عليه السّلام .

فكان إلى الأَفْضَل سياسةُ المُلْك وما يختَصّ بظاهر السُلْطان ، والدراية بأمور الجُنْد والأعْوان ؛ ووالدُه رَجَعَ إلى دَرْس علوم الأئمة والنَّظَر إلى ما أعطاهم الله سبحانه من العِلْم والحِكْمَة . فاستقامت الأمورُ واعتدل أمرُ الجمهور ؛ ووَلِيُّ الله يؤيده في الإيراد والإصدار ، ويواصله مما أتاه الله من المواد . وكانت مكاتباتُ الدُّعاة والعُمّال تَرِدُ إليه والمناصح والمساعد من الإمام – عليه السّلام – ترد عليه ، وتنالُ بشفاعته من لديه ، وكان بابُ الإمام – عليه السّلام – إليه في أمر الدين والدنيا النَّظَر والتقديم ، والله يُؤْتي مُلْكَه من يشاء والله ذو الفَضْل العَظيم .

وَفاةُ الإمام المُسْتَنْصِر بالله

ولم يزل المُلْكُ قائمًا على ساق والدَّعْوَةُ للإمام المستنصر بالله – عليه السّلام – ظاهرةً بالآفاق ، والأيام بيِّنَة الضِّياء والإشراق ، حتى نَزَلَ أمرُ الله الخلّاق ، وقَضَى الله سبحانه لأمير المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – سلامُ الله عليه – بالنُّقْلَة عن دار الدُّنْيا والفُراق . وكانت وفاتُه – صلواتُ الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته – في الثُّلْث الأول من الليلة المصبحة عن يوم الخميس ثامن عشر من شهر ذي الحجة آخر شهور سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وله من

---

[١] السجلات المستنصرية ، سجل رقم ١٥.

العمر سبع وستون سنة. وقيل إن وفاته – عليه السّلام – بالسّم والله وَليّ العِلم [١]. وكانت أيام خلافَتِه – سلامُ الله عليه – ستون عامًا وأشهرًا [٢] وخَلّف من الأولاد، غير من كانت وفاتُه في أيام حياته: نِزارًا وهو الأكبر، وعبد الله، وأحمد أبا القاسم المُستَعْلي بالله – عليه السّلام – ومُحْسِنًا، وعيسى، وعليًا وثلاثين بنتًا. وكان ابنه محمد والد عبد المجيد ممن توفي في حياته – رحمة الله عليه – ومما رُوِيَ له من الشِّعْر قولُه عليه السّلام [٣]:

[السريع]

أَصْبَحْتُ لا أَرْجُو ولا أَتَّقي إلّا إلَـهـي ولَـهُ الـفَـضْـلُ
جَدِّي نبيي وإمامي أبي ومَذْهَبي التوحيدُ والعَدْلُ

والحمد لله القاضي بالفَنَاء على جميع خَلْقِه، وصَلّى الله على محمد رسوله المبين لحَقّه، وعليّ وَصِيّه وآلهما أعلام صِدْقِه، وسَلّم عليهم أجمعين، وحَسْبُنا الله ونِعْم الوكيل.

---

[١] لم يرد في المصادر المصرية شك في قتله بالسّم!.

[٢] عند المقريزي في الاتعاظ (٢: ١٨٤) ستون عامًا وأربعة أشهر وثلاثة أيام.

[٣] هذان البيتان نسبهما المقريزي في الخطط (٢: ٢٨٨، ٤١١) إلى الإمام (الخليفة) الحاكم بأمر الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكل

الحَمْدُ لله الذي هو على نِعَمِه مشكورٌ محمودٌ، خالق الوجود من عَدَمٍ غير موجود، وصَلّى الله على خير ناشيء ومولود، محمد خير شفيع في اليوم الموعود، وعلى وَصِيِّه المثير على الكُفَّار والمنافقين نارَ الحرب ذات الوقود، عليِّ بن أبي طالب هازم الأحزاب والجنود، وعلى الأئمة من ذريتهما ظِلّ الله الممدود، المؤكّدة بطاعتهم المواثيق والعهود.

المُستَعلي بالله

ذكر أيام الإمام أحمد المُستَعلي بالله أمير المؤمنين[1]، وقيامه بالخلافة في أمر[a] الدنيا والدين.

[a] أمر: ساقطة من هـ.

[1] الإمام-الخليفة الفاطمي السادس في مصر والتاسع من المهدي (٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٥-١١٠١م) وهو رأس الدَّعْوَة الإسماعيلية القديمة (المُستَعلية) التى استمرت في مصر واليمن ومناطق أخرى في مقابل الدَّعْوَة الإسماعيلية الجديدة (النِّزارية) التى انتشرت في إيران (راجع أخباره عند، ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ١٢٨؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة (الدولة الفاطمية) ٨٢-٨٦؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٨: ٢؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٥٩-٧٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ١٧٨-١٨٠؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٤٣-٢٧٤؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٦: =

كان أبو القاسم أحمد المُسْتَعْلي بالله أمير المؤمنين ابن الإمام مَعَدٌّ المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين الثالث في ميلاده ممن خَلَّف من أولاده ، وكان نِزار وعبد الله أكبر منه سِنًّا .

وكان المُسْتَنْصِرُ بالله – سلامُ الله عليه – يبشِّر بولده أبي القاسم أنه صاحب خلافته ، والوارث لمقامه ورتبته قبل أن يولد ، وكان نزارٌ وعبد الله أكبر منه سنًّا ، وقد ورد عن الثِّقات من الرواة أن المُسْتَنْصِرَ بالله – عليه السَّلام – سمع ابنيه نزارًا وعبد الله يتشاجران في الإمامة أيهما بها أحقُّ وأحرى ، وكلٌّ واحد منهما يَدَّعي أنه من أخيه أعرف وأدرى ، فنهاهما عن ذلك – عليه السَّلام – وقال : « لا تشاجرا في شيءٍ لستما أهله[a]، وإن صاحبها ههنا » ، وأومى بيده إلى صُلْبِه[1].

فحين وُلِدَ الإمام المُسْتَعْلي بالله – عليه السَّلام – بَشَّرَ أبوه أهل دعوته أنه صاحب الإمامة والمستحق أن يرث مقامه . ولما بَشَّرَ بميلاده في مَحْضَر من خاصَّته وأولاده ، قالوا : « لِيَهْنِئْكَ يا أمير المؤمنين الأمير » ، قال : « بل قولوا لِيَهْنِئْكَ الإمام »[2] و ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [الآية ١١١ سورة يوسف] ، بل مما أَخَذَ من علم آبائه عن جدهم النبي المصطفى الذي لا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ، إذ قد ورثوا عنه عِلْم ما أطلعه الله من علم غيبه عليه ، وأوحى به الله إليه ، فهو –

[a] في هـ : لستما من أهله .

= ٤٤٢– ٤٦٠؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٩– ٢٨، المقفى الكبير ١: ٦٦٥– ٦٦٧؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ١٤٢– ١٦٩؛ H.A.R. Gibb, *EI*^{2}. art. *al-Mustaʿli* VII, 726. وانظر كذلك F. Daftary, *The Ismaʿilis* pp. 276-323.

[1] الهداية الآمرية ٢١٦، وقارن ابن ميسر : أخبار مصر ١٠٠؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٨٦ ومصدرهما الشهادة التي أدلت بها أخت نزار في قاعة صغيرة بجانب الإيوان بالقصر الفاطمي الكبير سنة ٥١٨هـ.

[2] الهداية الآمرية ٢١٥.

جَلَّ جلاله - ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الآيتان ٢٦، ٢٧ سورة الجن] .

وكَتَب أميرُ المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله - عليه السّلام - إلى دُعاته في الأقطار، وأشعرهم البُشْرَى لتطمئنّ قلوبُهم ببقاء كلمة الإمامة في عَقِبه الأطْهار؛ ومن ذلك ما كَتَبه إلى داعيه الملك الأَجَلّ العادل المُكَرَّم ذي السيفين أحمد بن عليّ بن محمد الصُّلَيْحِي - قَدَّسَ الله روحه - وهو ما عنوانه ونسختُه وتبيانه :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رَبِّ العالمين

من عبد الله ووَلِيّه مَعَدّ أبي تميم المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين إلى الملك الأَجَلّ الأَوْحَد المنصور العادل المُكَرَّم، عمدة الخلافة، تاج الدولة، سيف الإمام[a]، المظفَّر في الدين، نظام المؤمنين، عماد المِلَّة وغَيَاث الأمة، شرف الإيمان، ومؤيِّد الإسلام، سلطان أمير المؤمنين، وعميد جيوشه، أبي الحسن أحمد بن الأجَلّ الأوحد أمير الأمراء عمدة الخلافة أبي الحسن عليّ بن محمد الصُّلَيْحي - أدام الله تمكينه وعلوّه، وكبت حاسده وعدوه .

سلامٌ عليك؛ فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، ويسأله أن يُصَلّي على جده محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وعلى آله الطاهرين، الأئمة المهديين .

أما بعد، فالحمد لله موالي نعمه بحضرة أمير المؤمنين وآلائه، ومظاهرها

[a] في الأصل : سيف الإسلام .

بالطاهرين النجباء من أبنائه ، ومُظْهِر دينه على الدين كله بتكثير عدد أوليائه ، الذين هم دعائم بيت النبوة والرسالة ، ووسائل من ابتغى إلى ربّه سبحانه بهم الوسيلة . ويحمده أمير المؤمنين أن زَيَّن سماء مجده بزَهْر النجوم ، فرَجَمَ بها الشياطين كل الرُجُوم ؛ ويسأله أن يُصَلِّي على جده المصطفى الشجر الطيب الزكي الذين هم أغصانه ، والجبل الشامخ العَليّ الذين هم أركانه ، محمد ، الفاخر به كل مفاخر ، والطاهر من نَجَس الشِّرْك به كل طاهر ، والظافر منه بقائم النجاة كل ظافر ، وعلى وَصِيِّه عليّ بن أبي طالب الذي آتاه الله ما لم يؤت أحدًا من العالمين من فضله ، فجعل ذرية الأنبياء من نسلهم وذرية محمد – صَلَّى الله عليه – من نسله ، وعلى الأئمة من ذريته ينابيع العلوم والحلوم ، وحَمَلَة سرّ الله المكتوم ، وتحقيق قوله تعالى[a]: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الآية ٧٥ سورة الواقعة] .

وسِجِلُّ أميرِ المؤمنين إليك ، وقد وَهَبَ الله له غُلامًا زكيًا شَدَّ به أزر الإمامة ، ودَلَّ على بقاء كلمته في عقبه إلى يوم القيامة ؛ مولودًا أصبح بمولده كوكب الهدى مضيًّا مسفرًا ، وعود المنى مورقًا مثمرًا ، أكمل الله بمطلعه المغانم ، وجَمَّل بحلوله المواسم ، سَمّاه أحمد وكَنّاه أبا القاسم ؛ فالمسرَّة به تعمُّ الدنيا والدين ، وتخصّ حضرة أمير المؤمنين .

والحمد لله الذي وَهَبَ له ذرية طيبة يطول لهم برأفته الأعمار ، ويجعلهم لحرمه العمّار ، ويقصم بيأسهم الفجّار ، ليكونوا[b] ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [من الآية ٢٩ سورة الفتح] .

---

[a] في هـ : قول الله تعالى . [b] في هـ : وليكونوا .

وكانت ولادتة في المحرمْ سنة سبع وستين وأربعمائة[١] في أسعد ساعةٍ من ساعات الليل والنهار ، وأصَحُّها ليسري الخير بمساعدة الأقدار ، ومضاعفة[a] العِزّ والاقتدار .

وأتحفك[b] أميرُ المؤمنين بهذه البُشرى لتأخذ بحظلك بها من السرور ، وتواصل لله تعالى ذكره الشكر على ما جَدَّدَ فيها من إحسانه الموفور .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين » [٢].

أَحَقِيَّة المُستَعْلي بالإمامة

وكانت تُرَى في المُسْتَعْلي بالله – عليه السّلام – أمارات النجابة ، ومخائل الإمامة ، وآيات الفَضْل وعلامات الكرامة ، ونشأ على ما نشأ عليه آباؤه الطاهرون من العصمة والطهارة والزُّهْد ، والوَرَع والحِلْم والمجْد ، وارتاض بالعلوم ، ودان لله الواحد القَيُّوم . حتى إذا أكمل الكمالين دينيًّا وطبيعيًّا ،

[a] في هـ : بمضاعفة .   [b] هـ : اتحفك .

[١] جاء تاريخ ميلاد المستعلي بالله في بعض المصادر كالآتي : ابن ظافر : أخبار ٨٥ وابن سعيد : النجوم الزاهرة ٨٢ في ٢٠ محرم سنة ٤٦٧هـ؛ وعند ابن ميسر : أخبار ٦٩ والمقريزي : اتعاظ ٣: ٢٧ في ٢٠ محرم سنة ٤٦٨؛ أما ابن الأثير : الكامل ١٠: ٢٣٧ وسبط ابن الجوزي : مرآة ٨: ٢ وأبو المحاسن : النجوم ٥: ١٤٢ فقد أجمعوا على أنه في المحرم سنة ٤٦٧هـ/ سبتمبر سنة ١٠٧٤م . ولكن السجل رقم ٦ في مجموعة السجلات المستنصرية–وهو موجّه إلى الداعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي–يحمل خبر ميلاد ولد للمستنصر في يوم الأحد الرابع عشر من صفر سنة ٤٥٢هـ/ مارس سنة ١٠٦٠م سمّاه أحمد وكَنّاه أبا القاسم ؛ وهو دون شك وَلَدٌ آخر للمستنصر توفي في حياة أبيه ، فابن ظافر الأزدي : أخبار ٧٧ عندما ذكر أولاد المستنصر سَمّى المستعلي أبا القاسم أحمد الأصغر ، دون شك للتمييز بينه وبين سميه أخاه أبو القاسم أحمد الأكبر الذي بُشِّر بميلاده في السجل رقم ٦ السابق الإشارة إليه ، أو أن ناسخ النسخة الوحيدة من السجلات المستنصرية أخطأ في كتابة الاسم وأنه كان يعني ابنا آخر للمستنصر هو أبو القاسم محمد الذي توفي في حياة أبيه .

[٢] نشر حسين الهمداني نصّ هذا السجل في الملحق السابع من كتابه « الصليحيون » صفحة ٣١٩– ٣٢٠.

وبَلَغَ من الفضل مقامًا عَلِيًّا، واستكمله أبوه، وانتهى فيه إلى ما يأمله ويرجوه، زَوَّجه ابنة أمير الجيوش[١] وعَقَد له النِّكاح عليها، وأقعده عن يمينه وسائر أولاده عن يساره، ونبَّه على فَضْله المبين، ونَعَتَه بـ« وَلِيّ عَهْد المؤمنين »[a][٢]، ورَفَع على جميع أولاده مقامه، وأبان بالفضل أعلامه، وأشار إليه بإشارات الإمامة، وصَيَّرَ إليه الحُكْم في الأموال، وجَعَلَ إليه أمر أوليائه ودُعاته أهل الفضل والكمال.

حتى إذا آنت من المُسْتَنْصِر بالله – عليه السَّلام – النُّقْلَة، ودَنَت منه إلى دار كرامة الله الرِّحْلَة، أشار إليه، ونَصَّ عليه[٣]، وأَمَرَ أَهْلَ حضرته بطاعته، وعَرَّفَهم ماخَصَّه الله به من وراثة شريف مقامه وعالي درجته، وأمر سيفَ الإسلام بَدْرًا المستنصري[٤] وابنه الأَفْضل[٥] بخدمته، والإخلاص في ولايته، فامتثلوا أمره طائعين، وأَذْعَنُوا إليه مسارعين.

---

[a] في الأصل وهـ: المسلمين.

---

[١] هي سِتّ المُلْك ابنة بدر الجمالي (ابن ميسر: أخبار مصر ٧٠؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٢٨).

[٢] جاء في « الهداية الآمرية » ٢١٥ أن المستنصر بالله لما زَوَّج ابنه أبا القاسم أحمد من ستّ المُلك ابنة أمير الجيوش وعقد النكاح عليها، أقعده على يمينه وأقعد سائر أولاده على يساره ونعته في ذلك اليوم بـ « وَلِيّ عَهْد المؤمنين »، ولم ينعت ولديه الآخرين–يعني عبد الله ونزارًا–إلاَّ بوَلِيّ عهد المسلمين، وانظر كذلك ابن ميسر: أخبار مصر ٩٩ حيث يقول: إن المستنصر « أفرده بذلك فدَلَّ على تخصيصه، إذ ولاية عهد المؤمنين تتضمن ولاية عهد المسلمين؛ لأن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس ».

[٣] انظر الهداية الآمرية ٢١٣–٢١٤ وأيضًا ابن ميسر: أخبار مصر ١٠٠– ١٠١؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٨٦– ٨٧.

[٤] أي أمير الجيوش بدر الجمالي.

[٥] الأَفْضَل شاهنشاه بن بدر الجمالي. يذكر ابن ميسر أن بدر الجمالي بعد أن قاد في سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م حملةً لتأديب ولده الأَوْحَد–الذي خَرَجَ عليه في الإسكندرية–استناب ولده شاهنشاه وجعله وليّ عهده في جمادى الأولى من هذه السنة (ابن ميسر: أخبار ٤٧؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢١٧– ٢١٨)، ويؤكِّد ذلك السجل رقم ١٥ في « السجلات المستنصرية » المؤرخ في ٧=

فلما توفي أميرُ المؤمنين المُسْتَنْصِر بالله – سلامُ الله عليه – ولَحِقَ بالطاهرين من آبائه ، وصار من دار ثواب الله إلى ما أعَدَّه لأصفيائه وخيرته من أوليائه ، بويع لأمير المؤمنين أحمد أبي القاسم المُسْتَعْلي بالله – سلامُ الله عليه – ضحوة يوم الخميس المصبح عن ليلة وفاة والده – الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة وله من العمر واحد وعشرون عامًا . وحضر البَيْعَة – وكان أوَّل من بايعه – أخوه نِزار ابن المستنصر ، ولم يف البَيْعَة ، ولا استقام على نَهْج الهداية ، وسنذكر ذلك [1] ، ثم بايعه أخوه عبد الله وإخوته ، ثم سَيْفُ الإسلام بَدْر المستنصري [2] وولده شاهنشاه الأَفْضَل ، وسائر الدُّعاة وقُوَّاد الدولة وعامة الناس ، وكتب بذلك إلى النواحي والأمصار ، والجزائر والأقطار . فقامت الدولة على ساق ، وانتظمت الدَّعْوَة لأمير المؤمنين المُسْتَعْلي بالله في الآفاق ، ودانَ له جميعُ أهل الولاء والشِّقاق .

= محرم سنة ٤٧٩هـ/ ٢٥ أبريل سنة ١٠٨٦م الذي يشير إلى نَقْل الإمام المستنصر بالله لسلطة بدر الجمالي إلى ولده الأفضل شاهنشاه؛ ويشير ابن الصيرفي وساويرس بن المقفع إلى أن النظر في الأمور انتقل إلى الأفضل عندما اشتد مرض والده في شهر ربيع الأول سنة ٤٨٧هـ وأن المستنصر كتب سجلًا بتقليده أمور المملكة والنظر في سائر أمور الدولة وشرائعها وأحكامها وخَلَع عليه، وقرىء سجله في التاريخ المذكور في الإيوان الكبير بالقصر (ابن الصيرفي : الإشارة ٩٧– ٩٩؛ ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٢: ٢٤٣) .

[1] ما يورده عماد الدين إدريس هنا يخالف ما جاء في المصادر المصرية التي تذكر رواية مخالفة تفيد أن أبناء المستنصر إخوة المستعلي (نزار وعبد الله وإسماعيل) امتنعوا عن مبايعته وأن كلًّا منهم قال إن والده واعده بالخلافة، وأن نزار قال: لو قُطِّعت ما بايعت من هو أصغر مني سنًا وخرج إلى الإسكندرية (ابن ميسر : أخبار مصر ٥٩؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨: ٢٤٤؛ المقريزي : اتعاظ ٣: ١١، الخطط ١: ٤٢٣) ولكن ابن ميسر اعتمادًا على شهادة أخت نزار في سنة ٥١٨هـ يقول « وبايعه أخوه الأكبر عبد الله ، فأشار الأفضل إلى نزار فبايعه وأمر الأفضل بالتوكيل على نزار وتأخيره فأُخِّر إلى مكان لا يصلح له » (ابن ميسر : أخبار ١٠١؛ المقريزي : اتعاظ ٣: ٨٧) .

[2] هنا وهم آخر من عماد الدين إدريس فكل المصادر أجمعت على وفاة بدر الجمالي في حياة المستنصر بالله وأن ابنه الأفضل خلفه في منصبه (ابن ميسر : أخبار ٥٤؛ المقريزي : اتعاظ ٢: ٣٣١–٣٣٣) .

وكان أميرُ المؤمنين المُستْعلي بالله كما وصفه وَلَدُه أمير المؤمنين المنصور الآمر بأحكام الله – سلام الله عليهما – في « الهداية الشريفة » ، حيث يقول : « وإذا نظرنا إلى شرائط الإمامة وجدناها كاملةً في مولانا المُسْتَعْلي بالله ، وذلك أنه مُعْرِق في الإمامة ، خَلَفًا عن سَلَف بلا فصل ولا واسطة ، منته إلى الوصاية والنبوة ؛ ثم إن الإمامة صارت[a] إليه بنَصٍّ صحيح ثابت من إمام حقّ لا خلاف بين أهل الدَّعْوَة في إمامته ، وذلك النصُّ واقعٌ منه في دقيقة نُقْلته بحضرة من أولاده وخاصّته[b] ، ثم إنه قعد مقعده[c] ولم يفارق مكان خلافته ، ولا خرج عن آفاق عزّه ولا برح من سماء مملكته ، وأطْبَق جميعُ من في المملكة على طاعته ، وانتقلت إليه جميعُ مكاسبه الظاهرة والباطنة وقنيته ، ثم اتصل سببه وظهرت عصمته ، وبانت[d] معجزته[e] ، ونزلت الدوائرُ بمن خالف ، ولاح التأييد والتسديد في أفعاله وأقواله ، ولم يزل داعيًا إلى خلاص النفوس ونجاتها ، محاميًا عنها قائمًا بميزان القِسْط فيها ، لم تختلف عزائمه ولا اضطربت أحكامه ، وكملت فيه الفضائل الطبيعية والتي هي أسباب السعادة الأبدية ، وذلك أنه كان يفهم الشيء رمزًا[f] وإيماءً ، ويحفظ ما يدركه ويراه وإن تناهى كثرة واختلافًا ، ويفطن للأمر بأدنى دليل عليه أو هاد إليه ، ويذكر ما مَرَّ به ذِكْرًا لا يذهب عن خاطره ولا يبرح عن باله ؛ وكان إذا عَبَّر عن المعنى مَلَكَ فَصْل الخطاب ، وجمع المعاني الكثيرة في يسير الألفاظ ، واستدعى بحسن عبارته قبول النفوس[g] وإنصات الأسماع ؛ وكانت أعضاؤه على أفضل الهيئات متناهية في الكمال حاصلة في دَرَج[h] الاعتدال ؛ أجودُ الناس طبعًا في استفادة المعارف وإفادتها ، وأفضلهم نحيزةً في مواتاة الأخلاق

---

[a] الهداية : صُيِّرَت . [b] الهداية : بمحضر من خاصته وأولاده وجميع جلته . [c] مقعده : ساقطة من الأصل . [d] عصمته ، وبانت ساقطة من الأصل . [e] الهداية : معجزاته . [f] الهداية : وحيًا . [g] الهداية : النفس . [h] الهداية : درجة .

ونفاستها ، وأكثرهم تأنّيًا لمعاناة أمور الملك ومباشرتها . وكان لا شَرِهًا ولا راغبًا في لَذّة ولا متزيدًا على الحاجة بفضله ، عظيمَ النفس كريمًا محبًّا للعدل ، مبغضًا للظلم ، مؤثرًا للصدق ، منبسطًا إلى الخلق ، راغبًا إلى ما يعود على النفس منفعتُه ، كارهًا لما يسوء فيها مَغَبَّتُه ، وفيًّا لما يعده[a] ويعطيه ، معصومًا فيما يعتمده وينتحيه ، لم يعتوره قصور ولا فتور ، ولا ظهر منه أمرٌ يُنْتَقَد أو سببٌ يُنْكَر ، بل كمل كمالًا دَلَّ على أنه مواصل بنور إلهي من دار القدس ، منبعث لإفاضة العقل وتهذيب النفس »[1].

وَزارةُ الأَفْضَل شاهِنْشاه

وفي ابتداء أمره كانت وفاةُ أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة[2]– رحمة الله عليه ورضوانه – ولقد كان من أهل الإخلاص في ولاية الأئمة الطاهرين ، والرتبة السامية لديهم في أمر الدنيا والدين . وكان بَدْرٌ المذكور أرمني الجنس ، وأعطاه السعد قياده ، وبلغ في طاعة إمامه مراده ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾ [الآية ٢٤٧ سورة البقرة] ، وبيده تعالى الإبْلاء والإنْشاء .

---

[a] هـ : يعقده .

---

[1] الهداية الآمرية ٢٢٨– ٢٢٩. و « الهداية الآمرية في إبطال الدَّعْوَة النزارية » هي السجل الذي أمر بكتابته الوزير المأمون البطائحي سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م في أعقاب الشهادة التي أدْلت بها أخت نزار في مجلس عقده الإمام الآمر بأحكام الله في القصر الفاطمي بالقاهرة « بأن أخاها نزار لم تكن له إمامة وأنها بريئة من إمامته جاحدة لها لاعنة لمن يعتقدها ، وأن أباها المستنصر نَصّ على أخيها المستعلي بالإمامة » . وقد أمر الوزير المأمون البطائحي بكتابة سجل يقرأ على منابر مصر بهذا المعنى أنشأه كاتب الإنشاء تاج الرئاسة عليّ بن مُنجب ابن الصَّيْرَفي والذي جاء فيه أنه لا سبيل إلى إثبات الإمامة إلاّ بالنَّصّ والاختيار حتى ولو تَمّ في وَقْت نُقْلَةَ الإمام (أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٢٤–٢٢٥) .

[2] انظر الهامش رقم ٢ صفحة ١٩٣ .

ولما كانت وفاتُه وَزَرَ بعده ابنه شاهنشاه الملقَّب بالأَفْضَل ، فكان إليه أمرُ الدولة وإقامة المملكة .

انشِقَاقُ النّزاريّة

وخَرَجَ نزارُ بن المستنصر على أخيه الإمام المُسْتَعْلي بالله أمير المؤمنين [١]، بائنًا عن طاعة الإمام ، نازحًا عن جملة أهل الدين والإيمان ؛ وذلك أنه لما رأى الأمور للمُسْتَعْلي بالله – عليه السّلام – قد استوسقت ، والجماعةُ على طاعته قد اتَّفَقَت ، وقد شمل جميع الجهات عَدْلُه ، وظهر فيها جودُه وفضلُه ، وهو قائمٌ بالدَّعْوَة إلى توحيد الله خالقه ، مُبَيِّنٌ للبراهين الجليلة من علم الدين وحقائقه ، داخَلَه ما داخل قَابِيلَ بن آدم من حَسَدِه لأخيه ، وحَمَلَه الكِبْر على الفساد الذي أمعن فيه ، فبدرت منه أمارات النِّفاق ، وجَعَلَ يدعو الجهلاء إلى الخلاف والشقاق .

فحين بَلَغَ ذلك الإمام المُسْتَعْلي بالله – عليه السّلام – لقيه بما جُبِلَ عليه من اللُّطْف واللِّين ، وذَكَّره وصيّة أبيهما وما خَصَّه به من النَّصّ والتمكين ، واحْتَجَّ عليه بالحُجَج الواضحة والتبيين ، وأراه الآيات المعجزة والبراهين .

وكان عبد الله أجمع من نِزار على الخلاف والبَغْي ، وكاد أن يسلك معه طريق الفَساد والغَيّ ؛ فحين سمع حُجَج إمامه المبينة ، وأبصر آياته وبراهينه ، رَجَعَ إلى التوبة متمسكًا بعصمها آمنًا من عقاب المعصية داخلًا من الطاعة في أمين حرمها .

وخَرَجَ نِزارٌ في سَدْف الليل بجماعة من الغلمان والعبيد الذين لا معوّل

---

[١] يستمد عماد الدين إدريس معلوماته عن هذا الموضوع أساسًا من السّجِلّ الرّسْمي الذي أرسلته السّيّدَة والدة المستعلي إلى السّيّدَة الحرّة الصُّلَيْحيّة السجل رقم ٣٥ والذي أثبته فيما بعد صفحة ١٩٩ – ٢٠٩.

عليهم في جاه ولا علم، ولا دربة ولا فهم؛ فلم يُعْلَم أين ذهب، حتى ظهر بالإسكندرية، وفيها أَفْتَكين[١]- أحد مماليك أمير الجيوش بَدْر المستنصري - فوافق أَفْتَكين نزارًا على ما أراد من الشقاق والخلاف، وأجمع معهما أهل الإسكندرية والنواحي المضافة إليها والأطراف. وكان أتباعُ نِزار من لاخير فيه ولادين، ولا عِلْم له ولا عَمَل ولايقين من أطراف الناس والخَدَم والسُّوّاس. فنصب فيهم دُعاةً بزعمه كدُعاة أخيه الأخيار، أولئك يدعون إلى الجنة وهؤلاء يدعون إلى النار، وأقام دعوةً زعماؤها الفُسّاق والفُجّار، فارتكبوا المحرَّمات، وتركوا الأعمال الصالحات، وخالفوا سُنَن الشريعة، وكانوا سُبَّةً وشُنْعَةً على الشيعة، وجعلوا ذلك لهم دينًا ودَيْدَنًا، وَزيَّنَتْه لهم نفوسُهم الخبيثة فرأوا قبيحَه حسنًا؛ فلم يبق شيء من وثائق الشريعة إلّا تناهوا له نَقْضًا وحَلًّا، ولا مَحْرَم إلا انتهكوه بَغْيًا وجَهْلًا، وذلك بما زَيَّنَ لهم الشيطانُ من المعاصي وأَمْلَى. نبرأ إلى الله وإلى أوليائه من كُفْرِهم، ونعوذُ به من بغيهم ونُكْرهم.

وحين اجتمع لِنزار في تلك النواحي ما أراد، تمادى حَولَها في الغيّ والفَساد، وخرج مستوليًا على العباد في البلاد، قاصدًا للقاهرة والإمام

---

[١] الأمير نصر (ناصر) الدولة أَفْتَكِين التركي، أحد غلمان أمير الجيوش بدرالجمالي ومماليكه، تَرَقَّى في خدمته إلى أن ولّاه الإسكندرية، لجأ إليه نزار وأخوه عبد الله وابن مَصال اللُّكّي-كما في نص ابن ميسر-وعَرَّفوه الحال ووعدوه بالوزارة، فبايع أَفْتَكِين وأهل الإسكندرية نزارًا ولَقَّبوه بـ «المصطفى لدين الله» (ابن ميسر: أخبار مصر ٦٠- ٦١؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٢٢٨-٢٢٩، الخطط ١: ٤٢٣).

ويؤكِّد إعلان نزار لنفسه إمامًا وخليفة في الإسكندرية ظهور دينار جديد إلى النور عام ١٩٩٤- هو أوّل أنموذج معروف من هذا النوع- ضُرِبَ في الإسكندرية سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م يحمل الكتابة التالية «المصطفى لدين الله-ودعا الإمام نزار» (F. Daftary , «Hasan Sabbâh and the Origins of the Nizârî Isma˚ili Movement», in *Mediaeval Isma˚ili History and Thought*, p. 194؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٢٢).

المُستَعْلي، لايني عن ذلك ولا يولّي، فطوى البلاد طيًّا، وأَخَذَ من أموال أهلها ما تَهَيّأ، مما تَقَوَّى به على الطُّغْيان، ولَجَّ معه في المعصية والعدوان.

وكلما أراد وزيرُ الدولة الأَفْضَل أن يخرج إليه، أمره وليُّ الله أمير المؤمنين أن يملي له لتقوم الحُجَّة عليه. وكُتُبُ أمير المؤمنين تُوَالي عليه بالوَعْظ والتذكير، والمراودة أن يرجع من فعله النكير؛ وهو يتمادى – هو وأَفْتَكين – فيما هما فيه بغيًا وعنادًا [a]، ويرومون مرامًا كان عليهم بعيدًا؛ حتى انتهى إلى كُوم الريش[1b] قرب القاهرة، وقد زُلْزِلَ الناس زلزالًا شديدًا ووَقَعَت[c] بهم الذِّلَّة، فخرج أكثرُهم من الطاعة خشيةً وعُتُودًا، وكانوا جميعًا إلّا قليلًا على وَلِيّ الله مُجْلِبِين، ومن جميع الأمكنة مختلفين ومتألِّبين.

فعندها دعا وَلِيُّ الله بجواده، وخرج أميرُ المؤمنين في خمسة وعشرين فارسًا قاصدًا لأضداده. فحين خَرَجَ من قصره داخَلَ الناسَ له الهيبةُ والجلالة، ورَجَعَ المصريون إليه لينصروه بعد أن أضمروا قتاله.

ورَجَعَ نِزار عن أبواب القاهرة موليًّا بجنوده منهزمًا، وتبعه أهلُ المدينة يقتلون وينهبون. وأَنْهَضَ أميرُ المؤمنين – عليه السّلام – وزيره شاهِنْشاه الأَفْضَل لهم بالعساكر، ورماهم بالمَنْجَنيقات حتى دارت عليهم سوء الدوائر؛ ولم يزل حتى أَسَرَ نِزارًا وأَفْتَكِين، وعاد بهما إلى قصر أمير المؤمنين[2].

---

[a] هـ: عنودا. [b] الأصل وهـ: كور المريس. [c] الأصل وهـ: وقع.

---

[1] كوم الريش. اسم لبلد فيما بين أرض البَعْل ومنية السَّيرج، كان النيل يمر بجانبها الغربي وكانت من أجل متنزهات القاهرة وكان يقع إلى مشرقها بينها وبين الخليج الكبير قرية الخندق. وقد خربت البلدتين في أعقاب الأزمة الاقتصادية التي مَرّت بها مصر سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م، ويوجد من آثار قرية الخندق الآن الدير المعروف بدير الملاك البحري الواقع تجاه الزاوية الحمراء (المقريزي: الخطط ٢: ١٣٠، ١٣٦؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ١: ٣٩٣-٣٩٤).

[2] راجع تفصيل هذه الأحداث عند ابن ميسر: أخبار مصر ٦٢- ٦٣؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: =

وقد أوردنا سِجِلًّا من الحُرَّة الملكة والدة مولانا المُستَعْلي بالله إلى الحُرَّة الصُّلَيْحِيَّة، يحتوي على ما كان من الأخبار، وما كان من خلاف نِزار وخروج الأَفْضَل حتى رمى تابعيه بالدمار، واستولى على الإسكندرية وجاء به في ذُلِّ الأسار، فلِما في هذا السِّجِلّ من ذِكْر ذلك أوردناه برُمَّته ميلًا إلى الاختصار، وهذا السِّجِلُّ أوردناه بنَصِّه تذكرةً لأولي الاستبصار، وهو:

« بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله على نِعَمِه[1]

من السيدة الملكة الكريمة، الرؤفة الرحيمة، والدة الإمام المُستَعْلي بالله أمير المؤمنين[a] بن الإمام المُستَنْصِر بالله أمير المؤمنين – صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وأبنائه الأكرمين – إلى الحُرَّة الملكة السَّيِّدَة السديدة الخالصة المكينة، ذخيرة الدين، عُمْدة المؤمنين، كَهْف المستجيبين، وَلِيَّة أمير المؤمنين، وكافلة أوليائه الميامين – أدام الله نعمتها، وأحسن توفيقها ومعونتها.

سلامٌ عليك؛ فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، مختصنا بالطول العميم والفضل المبين، وواصل سببنا بالسبب[b] النبوي المتين، الذي هو غاية الفخر ومنتهاه، ومنتسب الشرف ومنتماه والذي تنقطع الأسباب والأنساب كلها يوم القيامة سواه؛ ونسأله أن يُصَلِّي على سيدنا محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وصَلَّى الله عليه وعلى آله الطاهرين، الأئمة المهديين، وسَلَّم تسليمًا.

---

[a] أمير المؤمنين: ساقطة من السجلات. [b] السجلات: بالنسب.

= ٢٤٤-٢٤٦ (رواية مختلفة)؛ المقريزي: الخطط ١: ٤٢٣ واتعاظ ٣: ١٤-١٧.

[1] هذه علامة الراسلة والدة الإمام المستعلي بالله.

أما بعد ، فالحمد لله مولي الفضل والكرم ، وولي المواهب والنِّعَم ، وأهل الحمد ومبتديه ، ومبدع الخلق ومنشيه ، الدالّ بلطف حكمته على عظيم السلطان [a]، وبخَفِيّ لطفه على جسيم الفضل والامتنان ، الذي نَشَرَ رحمته على الأمة ، ونَصَبَ لهم أعلام الرشاد بالأئمة ، وجعل معرفتهم إكمال الدين وإتمام النعمة ، فلم يُخل زمانًا من قائم منهم يقيم الإسلام ، ويُقَوِّمُ أَوَدَ الأنام ، ويروض الأرض بدائم الطول والإنعام ، وإمام يهدي به الله مَن اتَّبَع رضوانه سبل السَّلام ، احتجاجًا على الخلائق ، ونَهْجًا لطرق الحقائق ، وهدايةً بالعدل مؤذنة ، بالتكليف مقترنة ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [الآية ٤٢ سورة الأنفال] . وصَلَّى الله على سيدنا محمد نبيه الذي شرع الدين ، ورَفَعَ منار اليقين ، وصَدَع بأمر الله تعالى وأَعْرَضَ عن المشركين ، وعلى الأئمة الطاهرين الهداة المنتجبين ، وسلّم عليهم أجمعين .

وقد وَهَبَ الله تعالى للحُرّة[b] من صحة الإيمان ، وقوة البصيرة والإيقان ، ما تعرف[c] به حال الإمامة التي هي خلافة الله في الأرض ، لإقامة السُّنَّة والفَرْض ، وأنه لا قدرة للعباد على أن يزيلوها عن ممرّها وسننها ، أو يحيلوها عن مقرّها ومعدنها ، إذ يفعلوا فيها بحسب ما تقتضيه المشيات والآراء ، وتُرتضيه الشهوات والأهواء ، والله تعالى يقول في كتابه المحكم[d]: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ [e][الآية ٢٦ سورة آل عمران] ، وأن الله تعالى[f] أجراها على نظام من الدلالة والتعريف ، وبيان من النصّ الجليّ والتوقيف ، ارتفع به الالتباس ، واطَّرَدَ معه القياس ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس .

---

[a] السجلات : الشأن . [b] السجلات : الحرة . [c] الأصل : يعرف . [d] السجلات : محكم كتابه . [e] بعد ذلك في السجلات : وتعز من تشاء وتذل من تشاء . [f] السجلات : جل ذكره .

وقد اشتهر بين كافّة المؤمنين، وأولياء الدولة أجمعين، أن الإمام المُسْتَنْصِر بالله – عليه السّلام – كان يشير بها إلى ولده الإمام المُسْتَعْلي بالله أمير المؤمنين ثم أَفْصَح، ويُعَرِّض بوجوبها له ثم صَرَّح، وأنه تَوَلَّى بنفسه الشريفة الكريمة توقيفه وتفهيمه، وغَذَّاه موادّه الإلهية وعلومه، واختصّه دون الأولاد بمرتبته وإلفه وأنسه، وأحَلَّه من بينهم بمركز نوره وموطن قدسه، وحَجَبَه عن الأبصار، وجَلبَبَه رداء العظمة والوقار، ثم انتقل إلى دار الكرامة ومحل الإقامة، بعد أن أظهر النصّ عليه، وأعلن بانتقال الإمامة إليه.

واستوى على سرير مملكته آخذًا بهديه وسكينته، وانتصب بمنصب خلافته لابسًا لجلالته وهيبته. وذَخَر الله تعالى الإمامة له، وأنزله في مقام آبائه الطاهرين وأحَلَّه؛ وجَعَلَ خليله وزيره السَّيِّد الأَفْضَل أمير الجيوش، سَيْف الإسلام، ناصر الإمام، كافِل قُضاة المسلمين، وهادي دُعاة المؤمنين – عَضَّد الله به الدين، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين، وأدام قدرته، وأعلى كلمته – وَلِيًّا أعلى الله هِمَّته في ارتياد الصلاح واغتنامه، ومَكَّنَ رتبته في ذروة الجلال وسنامه[a]، ومُدَبِّرًا أجرى به أمر المملكة على اطراده وانتظامه، وأَوْرَى به زَنْدَ المِلّة بعد إصلاده وإظلامه.

فقام لأمير المؤمنين بأمر البَيْعَة أحسن قيام، وعَقَدَها بلطف سياسته في رقاب الخاص والعام. فكان أول داخل فيها الأمراء إخوة أمير المؤمنين تسليمًا لحقّه وإذعانًا، ومعرفةً به وإيقانًا، وعِلْمًا بأن الله تعالى يُفيض شعار الإمامة على من يرتضيه، ويعصب تاج الكرامة بمفرق من ينتجبه لها ويصطفيه، وأن ذلك أمرٌ[b] لا يُنال بالطِّلاب، ولا يحاز بالغِلاب؛ ومن جملتهم نزار، أخوه

[a] هـ : وسنامه ومصامه ، الأصل : ومصامه .   [b] السجلات : الأمر .

الأكبر سِنًّا ، فإنه عَرَفَ الحَقّ فعاهَد وبايع ، وبادر إلى الدخول تحت أحكامه وسارع . ثم أدركه الحَسَدُ الذي أدرك أوّل ولد آدم من العالمين ، واستزلّه الشيطانُ فأخرجه مما كان فيه من جناب[a] أمير المؤمنين ، وهو ظِلُّ المبسوط على الخلائق ، وحرمه المحوط من الزوابع والبوائق ، فانسلّ ذليلًا تحت جناح[b] الليل منه ، ونَزَعَ بيده[c] العزّ عنه ؛ ومضى إلى الإسكندرية ، وبها المعروف بأفْتَكِين ، أحد مماليك السيد الأَجَلّ أمير الجيوش – قَدَّس الله روحه ، ونَوَّر ضريحه – الذين ربّاهم لخدمة الدولة وخدمة ولده ، وظنّ أنهم يجرون في الطاعة والمخالصة على سمته وجَدَده ؛ وكان هذا العبد اللعين مُنَزَّلًا من بينهم في أعلى رتب إكرامه ، ومخولًا أسنى منحه وإنعامه ؛ فقابل النعمة بالكفر ، ووافق نزارًا على ما سعى له من الشقاق والغَدْر ، واجتمعا معًا على الفتنة يَشُبّان نارَها ، والمعصية يظهران شعارها ، واستغويا طوائف من المنافقين قد قضى الله هلاكها وشاء دمارها . فكانا في مقابلة فضل السيد الأَجَلّ المفيض إنعامه بمنزلة الضد ومكانة النقيض ، فهو دائب في الاشتمال على كافة العباد ، والإسبال لستر الأمنة على البلاد[d] ، وهما مُوْغلان على النفاق والعناد ، ساعيان في العيث والفساد ، حتى كأن الله تعالى ليس بالمرصاد ، أو كأنهم لم يسمعوا أخبار أولي الزيغ والإلحاد .

وكان أميرُ المؤمنين – سلامُ الله عليه – بما أتاه الله تعالى من شرف العلم ، وحَبَّب إليه من الفضل والحلم ، يوعز إلى فتاه وخليله السيد الأَجَلّ الأَفْضَل بمواصلتهم بالمكاتبات المشتملة على الإعذار والإنذار ، والعظات الباعثة على الهداية والاستبصار ، وهم متمادّون على الغلوّ في البَغْي والعناد ، ﴿ وَمَنْ

[a] السجلات : جنات . [b] السجلات : جنح . [c] السجلات : بيده لباس . [d] هـ : سترا لأمنه على البلاد .

يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الآية ٣٣ سورة الرعد] ؛ إلى أن قادهم الحينُ[a] إلى البروز والظهور ، وقَصْد الأعمال الرِّيفية مطلقين فيها أيدي الظُّلْم والفُجور ، ومستحلّين من محارم الله كل محظور .

وأميرُ المؤمنين يأمر فتاه بالكَفّ عنهم مع تلَهُّفه على استئصالهم ، وتميّزه غيظًا من أفعالهم ، علمًا بأن الكتاب لم يبلغ أجله فيهم ، ومعرفةً بسرِّ الله تعالى في مدة جولتهم وانقضاء عواديهم ؛ وهو يمتثل أمره الشريف علمًا بأن الصواب يطابق آراءه وعزائمه ، والمصلحة توافق هِمّاته وحزائمه ؛ إلى أن وصلوا إلى المكان المعروف بكُوْم[b] الرِّيْش والمنايا تضحك من اغترارهم ، وتبشرهم بفناء أعمارهم ، والقضاء يجدّ في استعجالهم ويستحثّهم إلى مصارع آجالهم .

فعند ذلك أذن له مولانا – سلامُ الله عليه – في لقائهم ، وأعلمه بابتداء فنائهم ، فسار نحوهم بقلب لمباشرة العظائم معتاد ، وعزم على حياض الكرامة ورّادٍ ، ونفس منافسة في المناضلة عن الدولة والجهاد ؛ ونهد إليهم في جيوش ترتاح إلى الجِلاد والكفاح ، وتثبت للأعداء ثبات الجبال للرياح ؛ والميامِنُ من شعار أمير المؤمنين ولوائِه ، وآرائه ودعائه ، تَحُفُّه وتسايره ، وتُعَضّده وتظاهره ، حتى أناخ لديهم ركائب المنون ، وأدار عليهم رحى الحرب الزبون ؛ واشتدَّ المصاع ، وامتدّ الجلاد والقراع ، فلم يكن إلّا وقفةً من وقفاته المذكورة[c] ، وحملةً من حملاته المشهورة ، التي تشبه اضطرام النيران ، وتزيد على أَتِيّ السيل بالقِيْعان ، حتى لاحت مخايل الفتح ، ووَضُحَت دلائلُ النصر وضوح الصبح ؛ فأقصد المخاذيل بسهام القَدَر ، وحَصَدَتهم السيوف[d] حَصْد هَشِيم المحْتَظَر ، ورُمُوا من بأس الله – جَلَّت قدرته –

[a] السجلات : الجبن . [b] الأصل وهـ : كور . [c] السجلات : المأثورة . [d] السجلات : حصدهم بالسيوف .

بالجَنادل ، وانقضّ عليهم أولياؤه انقضاض الأجادل ؛ فولوا بقلوب لاتفيق من الخُفُوق فُواقا ، ونفوس لاتصحب الجسوم جزعًا وإشفاقًا ، طائرين بأجنحة الخوف والذُّعر ، منتشرين في أرجاء السهل والوعر[a] قد قَصَمَ الله شجعانهم وأعيانهم من القتل والأسر .

وعاد السَّيّدُ الأَجَلّ من ذلك المقام الكريم آخذًا أهبة اللِّحاق بهم ، ومستمدًا من أنوار الإمامة في بابهم ، فأمره مولانا – سلام الله عليه – بالإعداد والإسراع ، وألقى عليه من سياساته نورًا ثاقب الشعاع ، وتَوَجَّه من حضرته مسعودَ الكواكب ، منصور الكتائب والمَقانب ، تؤمّه معونة الله تعالى الواحد القهّار ، ويمتثل أمره في عداه الأقدار ؛ والمنافقون يطوون المراحل بين يديه تعجلًا ومبادرة ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ [الآيتان ٥٠، ٥١ سورة المدثر] ، حتى قطعوا بحرين من بحور النيل العظام ، وحصلوا في الجانب الغربي طامعين في الاعتصام . فخاضها السَّيّد الأَجَلُّ إليهم متقدمًا بجميع العساكر ، وركب في ذلك[b] مركب المخاطر ، لكن الله تعالى سبحانه وَقَى تلك النفس النفيسة التي يتحرّس بحراستها الإيمان ، وتبقى ببقائها بهجة الزمان ، ويسّر عليه العسير كما عَوَّدَه في كل وقت وأوان .

ولما رأى المنافقون أنهم قد أُدْرِكوا انقطعت بهم الأسباب ،وكشرت لهم المنية عن عَضْل الأنياب ؛ وثبتوا إذ لم يجدوا إلى الإحجام والهرب سبيلًا ، وكانوا كما قال الله تعالى ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الآية ١٦ سورة الأحزاب] .

وكانوا عند حصولهم في الجانب المذكور قد تواصلت أمدادهم ، وتضاعفت أعدادهم ، وانضّم إليهم جميع أحزاب الضلال وأشياع الباطل ،

---

[a] ساقطة من الأصل . [b] في ذلك : ساقطة من الأصل .

حتى زادت عدّتهم على ثلاثين ألف فارس وراجل ؛ فضاقت بالفريقين الأقطار، وأظلم بمثار[a] نَقْعهم النهار.

وتلاقى الجيشان فسُعّرت بينهم نيران الحتوف، وبَرَقَت الأبصار بشعاع[b] الأسِنّة والسيوف، والتهبت جَمْرَة القتال، ودارت كؤوس المنايا بين الأبطال، واتّصل بين الجحفلين الجلاد، حتى تقاطعت الأرواح والأجساد ؛ واعتركت الميامن والمياسر اعتراك الأسود، والسيّد الأَجَلّ ثابت في القلب بقلبٍ[c] يسع أقطار الوجود، ثم جرى على رسمه في الحمل بنفسه النفيسة، وصناديد غلمانه الذين غذّوا بدَرّ صبره وجهاده، ونشأوا على خُلُقه الكريم في التبادل واعتقاده. فعندها جرّ الدهرُ على المخاذيل ذُيول الحِمام، وتواقعوا كأنّهم شَرْبٌ صَرَعَتْهم كؤوسُ المُدام، وامتلأت بهم الأرض حتى كأنّ الدماء أُنْبِتَت فيها الأجسام، فاشتملت عِدّة القتلى على عشرةَ آلاف سوى المأسورين ؛ وولّى فَلّ المخاذيل وفيهم نزار وأَفْتَكِين، قد اضطُرّا بعد التناصر إلى التخاذل، وتقاطعا في الفِرار والهرب بعد التواصل، والمنايا من كل جانب ترصدهم وتدلف إليهم، ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [الآية ١٦٧ سورة البقرة]. وكان يومًا أحسن الله فيه للدولة البلاء، وأسبغ على الأمة النعماء، وشهر[d] به للسيد الأَفْضَل فضائلًا تفوت شأوَ العدّ والإحصاء، وتبقى خالدةً على مر[e] الدهر ما خلدت نجوم السماء ؛ فلله هو من ماجدٍ عَبِق بنشر محاسنه الزمان، وتألّق بنور مواقفه الإيمان، وسد ثغر الملك بعد ما انفرج بيد الحِدْثان، وساس أمر الخلق فوطّأ الله به مهاد البرّ والإحسان.

ولما انتهى فَلّ المخاذيل إلى الإسكندرية، توجه السّيّد الأَجَلّ إليها مُنازِلًا،

---

[a] السجلات : بمنار. [b] السجلات : وشعاع. [c] بقلب ساقطة من السجلات.

[d] السجلات : شهد. [e] السجلات : خالدة على الدهر، هـ : وتبقى على الدهر خالدة ما خلدت.

وحاصرها مطاولًا ، وأحاط بها برًا وبحرًا ، ونظم العساكر في جيدها سهلًا ووعرًا ، وخيفةُ الله تعالى تصده عن قصد اجتياحها ، وتكفه عن التصميم على أخذها قهرًا وافتتاحها ، وهو يعمل بسنّة الإعذار ،ويحذر المنافقين عاقبة الإصرار ، ويستعد ما يحتاج إليه من آلات القتال وعُدَد الحصار .

واتفق حضور شهر رمضان فتوفّر على الأسباب المزلفة إلى الله تعالى فيه ، وكفّ عن الدماء المراقِ مع أنهم أضداد الله تعالى وأعاديه . فلما ترحّل شهر رمضان وهم على غُلْوائهم ، أذن الله تعالى في حلول بَوَارهم وفنائهم ، فغاداها وراوحها [a] بالقتال ، ورماها من حجارة المنجنيقات بما يهد رواسي الجبال ، وألَحَّ عليها [b] ببأسه الشديد ، وعزمه السديد ؛ ولم تزل السهام تَساقطُ عليهم كتساقُط الثمر من الأشجار ، والحجارة تَتَاثَرُ عليهم تناثُر الطيور من الأوكار ، حتى عادت جدرانها أرضًا ، وأركانها رَضًا [1] .

فانْثالوا حينئذ على الجناب مستأمنين ، وترامَوا إلى الخيام مسلمين ، وهو يغمرهم بالطّول السابغ والفضل المبين ؛ وثار الأولياء للبلد وهو يمنعهم صيانةً للحريم ، وصبابةً إلى الظّفَر الكريم .

ورأى أَفْتَكِين المخذول عاقِبَةَ كفره ، وذاق وَبَالَ أمره ، وعلم أنه في شرك الحِمام واقع ، ومن النجاة بعيد شاسع ، فتلدّد حائرًا ، وحَنَّ للخروج مبادرًا ، بحيث لم يتعلّق بعَقْد ولا عِصْمَة ، ولا حصل على إلّ ولا ذمّة ، ووقف بين

---

[a] ساقطة من الأصل . [b] الأصل : عليهم .

---

[1] كان ذلك تبعًا لما أورده ابن ميسر : أخبار مصر ٦٢ بعد أن فَرّ ابن مَصال اللُّكّي – الذي صحب نزار وعبد الله من القاهرة إلى الإسكندرية – إلى مسقط رأسه لُكّ بالقرب من بَرْقَة مما أضعف من قوة نزار وأفتكين (وقارن أيضا المقريزي : الخطط ١: ٤٢٣ واتعاظ الحنفا ٣: ١٥) .

يدي مولاه وقد اشتمل أطمار المهين، وسلب الحطام الفاني وقد باع فيه الدين و ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ ﴾ [الآية ١١ سورة الحج]. فما أعاره الطَّرْفَ احتقارًا لأمره، ولا عاجله بالعقاب جزاءً على عدوانه وكفره، بل أقصاه وأطرحه، وتوفَّر على ما لَمَّ شعث الثغر وأصلحه؛ وشمل الخلق كلهم جندًا ورعية بالعفو والغفران، ومدّ على ذلك الجانب ما كان قَلَص عنه من ظلّ العدل والإحسان، واحتاط على نِزار الذي ضَيَّع نفسه وظَلَمَها باتّباع خطوات الشيطان.

ووردت البُشرَى على مولانا أمير المؤمنين وعلينا فأنجز الله بها للدين[a] وعده، وأطلع للمُلْك سَعْده، واغتدت الدنيا بآثار وليّنا المخلص لنا والكافل لدولتنا تضيء آفاقها وتُهَلِّل، وتُزْهِر أشجارها وتخضلّ؛ ونَفذ إليه من الحضرة المقدسة من الكرامات العالية والملابس الطاهرة، والعقود الفاخرة، والمراكب والخيول الخاصّة المتخيّرة، ما ظهر فيه لأهل ذلك الثغر، وتجلّى في أنواره الزاهرة تجلّي البدر.

وعَزَمَ مولانا أمير المؤمنين عليه في الانكفاء إلى حضرته استيحاشًا لبهائه، وارتياحًا إلى لقائه، فانثنى راشدًا إلى محلّ مجده انثناء اللَّيْث الباسل، والغيث الهاطل، وعاد ظافرًا إلى مقرّ عزّه عود الحلى إلى العاطل. وشَرَّفَه أميرُ المؤمنين بالخروج إلى منازل العِزّ[1]. مستقبلًا له، وبَلَغَ به من الإكرام والإعظام ما لم يبلغه أحَدٌ قبله، وانتهى في ذلك إلى أن ألبسه ما كان على جسده الطاهر، وعَصَب بمفرقه تاجه الكريم المرصّع بأشرف الجواهر، أثرة مَيّزَه بها على جميع[b] الأنام، ومفخرة يبقى له جلالُها وشرفُها ما بقيت الليالي والأيّام.

---

[a] ساقطة من هـ . [b] زيادة من هـ .

[1] عن منازل العز انظر فيما سبق صفحة ٩٢ .

وعاد أميرُ المؤمنين إلى قصوره الزاهرة وهو أمامه أزْهَر الوجه والأفعال ، كريمَ الفاتحة والمآل ، عظيم السُّؤدد والجلال ، يُثْني عليه الدَّهْرُ بلسان العيان ، ويُشْرِق المُلْك بآثاره الحسان ، ويَهْتزّ الدين لموافقته اهتزاز فرح جَذْلان .

ولعمر الله تعالى ما زالت شمائلُه ناطقة بمناقبه ومعاليه ، ومخائلُه ضامنةً للدولة بلوغ الآراب بمساعيه . ومازلنانسمع من أمير المؤمنين المستنصر بالله – قدس الله لطيفه – فيما يفيده من أنوار علمه وحكمته ، ويُفيضه من أنوار تأييده وعصمته ، التي يقرب علينا بها الإسناد ، ونفتخر باختصاص محلّنا بها على كل حاضر وباد ، ذَكَره بأحسن التحميد والثناء ، ووَصَفَه بأسْمَق السؤدد والعَلاء ، وأنه مدّخر لحفظ الدنيا والدين ، وحياطة الإسلام والمسلمين ، ومؤيّدٌ في كل وقْت بالإعزاز والنصر[a] والتمكين ، وأنّ الله تعالى سيتابع على يده من الفتوحات في كل مكان ، مالم يتهيّأ مثله في سالف الزمان ، ويقويّ بنظره معاقد الحق والإيمان ، ويرفع في أيّامه قواعد العدل والإحسان . وقد حَقَّق الله تعالى قولَ وليّه الماضي ، وأكّدَه[b] بأضعافه من أقوال وليّه الباقي .

فنسأل المؤمنين شرقًا وغربًا ، وبُعْدًا وقُرْبًا ، أن يخبتوا لذكره ، ويُقَدِّروا إحسان الله تعالى به على الأمّة حق قَدْره ، ويعتقدوا طاعته كاعتقاد طاعة أمير المؤمنين التي فرضها الله تعالى على أهل عصره ؛ وهذا نظره مذ عَادَ واستقرّ في الحضرة بطالع النصر والإسعاد ، وامتثل أمر أمير المؤمنين في تعفية آثار الغادِرَين وغيرهما من أهل الفساد ، مصروفٌ إلى مصالح العباد ، موفورٌ على عمارة البلاد ، فقد أنصب نفسه في راحة الأنام ، وهَجَرَ في مواصلة حفظهم لذيذ المنام . والله تعالى يمتع الدولة ببقائه ، وثبوت مجده وعلائه .

---

[a] والنصر ساقطة من هـ . [b] ساقطة من هـ .

ولما كانت الحرَّة عندنا بالمكان المشهور تَأثُّله وسناؤه ، ومن الإيمان والإخلاص بالموضع المشيد بناؤه ، وكان التفاتنا شديدًا إلى ما نَظَمَ الله به أحوالَها ، وأصلح أعمالها ، ومَكَّن أواصرها وأواخيها ، وسَدَّد مقاصدها ومراميها ، رأينا إطْلاعها على هذه الجملة من جهتنا ليتوفَّر لها الفخر[a] والجمال ، ويتأكد عندها العِزّ والجلال ، وينتهج لها السبيل إلى مطالعتنا بمتجدّدات الأحوال ، والترقُّبُ شديدٌ لوصول ذلك مع أخبار الحرَّة التي أسعدها الله بالاعتلاق بحبل الإيمان ، ومَيَّزها بالإخلاص والاختصاص على أهل الزمان .

فلتعلم هذا ولتعمل بحسبه ، ولتواصل بما تجب به المواصلة ، إن شاء الله . وكُتِبَ في الثامن من صفر سنة تسع وثمانين وأربعمائة .

والحمد لله وحده ، وصلواته على سَيِّدنا محمد وآله والطاهرين الأئمة المهديين ، وسلّم عليهم أجمعين ، وحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ »[1] .

ولما مضى نِزارٌ وعوجل بالقَتْل لسوء فعله ، وما ارتكبه في الدين وأهله ، بقي كثيرٌ في الأقطار من المنافقين معتقدين لإمامته ، متشبثين بدعوته ، وقام فيهم دعاةُ سوء يدعون إليه ، ويقولون بإمامته تدليسًا على الأنام ، واحتيالًا لأكل الحُطام .

وبقيت النِّزارِيَّة في ذلك الأوان فرقتين : فرقةٌ تزعم أن نِزارًا حَيٌّ لم يمت وأنه لا يموت حتى ينتشر العَدْل ، ويظهر - بزعمهم - بالفَضْل ، وفرقةٌ قالت

---

[a] هـ : المفخرة .

---

[1] السجلات المستنصرية ، سجل رقم ١٥.

إنه قُتِلَ وأن له ولدًا في خُراسان ، وقال بعضهم بل ولده عند ابن صَبَّاح [1]. فضَلُّوا ﴿ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [من الآية ٧٧ سورة المائدة] ، وتاهوا بالحيرة بغير دليل ؛ وهم مع ذلك مصرُّون على ما هم عليه من تحليل المحرَّمات ، ونقْض أحكام الدين المبرمات [a]، وإباحة المحظورات ، وارتكاب الفَواحِش والمُنْكَرات ، حتى شُنِّع بهم على فرقة الحق ، ونُسِبَ إليهم ماهم براء منه من الفِسْق. ومذهبُ الأئمة من أولاد إسماعيل بن جعفر – عليهم السَّلام – معروفٌ بإقامة شريعة محمد – صلَّى الله عليه وعلى آله – وأداء فروضها وسُننها والمضيّ على واضح منهجها وسُنَنِها ، وعلى ذلك دُعاتهم وشيعتهم الأخيار ، المتوالون للأئمة الأطهار ؛ المحافظون على أعمال الشريعة ، آمرون بها مَن اتَّبعهم من الشيعة ، ناهون عن المُنْكَر الذي نَهَى الله تعالى عنه في كتابه ، مقيمون لمعالم الدين وأسبابه ، ثابتون على المنهج الواضح ، بريئون إلى الله تعالى من أهل المُنْكَر والفَضائح ، مقيمون من الدين أعلامَه ، مُوَضِّحون طريقه وأحكامَه ، متوالون مَنْ أوجب الله له الإمامة ؛ ولايضرّهم من ضلَّ إذا اهتدوا ، وبمحمد وعليّ والطاهرين من آبائهم اقتدوا ؛ وقد ذكرنا أن إبليس – نعوذ بالله منه – مذ خرج من جملة الصافِّين المسبّحين ، لم يضرّهم شيءٌ من كفره ونُكْره ومصيره في العذاب المهين ؛ أعاذنا الله من

---

[a] ساقطة من الأصل .

---

[1] في أعقاب هزيمة نزار في الإسكندرية ، ادَّعى بعض النزارية أن نزارًا لم يمت في الحقيقة وأنه في الغَيْبة وسيعود كمَهْدي وتنتهي به سلسلة الأئمة الظاهرين ، ولم تعش هذه الفرقة طويلاً . أما الاعتقاد الذي اعتقده سائر النزارية فهو أن الإمامة انتقلت إلى حفيد لنزار كان قد جُلِبَ سرًا إلى أَلَمُوت : في رواية أنه هُرِّب من مصر إلى فارس ، وفي رواية أخرى أن جارية حملت من ابن نزار أخذت إلى أَلَمُوت حيث وضعت الإمام الجديد ! (B. Lewis, *The Assassins : A Radical Sect in Islam*, London 1967, p. 49; H.A.R. Gibb, *EI*[2] art *Nizār* VI, p.85) . وعن الإسماعيلية النزارية في أَلَموت راجع ، Daftary , *The Ismā°īlīs* pp. 324-434 .

المَيْل عن سبيل الهُدَى، واتِّباع من ضَلَّ واعتدى [a]، وثَبِّتْنا على سبيل المنهج والدين الذي لاميل فيه ولا عِوَج.

وقد ذكر القاضي ابن خلِّكان في تاريخه أن إلى نِزار تُنْسَب ملوك الإسماعيلية في قلعة آلموت[1b] وما معها من القلاع. ونقول على الجملة من انتسب إليه فهم ضالّون مضلّون، يُحَرِّمون على غير الكتاب والسنة ويُحِلّون.

* * *

وقد وافى إلينا رجلٌ غريب في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ونحن في محروس حِصْن شِبام [٢]، أعلى قلعة في جبال حَراز وأمنعها، فزَعَمَ أنه من عراق العَجَم من سَمَرْقَنْد، وخلا بقوم من ثقاتنا فذكر لهم أنه على دين نِزار، وأن لهم إمامٌ من أولاد نِزار، سَمَّاه وسَمَّا أباه، حتى عَزَاهم إلى نِزار بن المُسْتَنْصِر، وأن إمامَهم هذا وشيعةً له في سَمَرْقَنْد، وأنهم باقون إلى هذا الوقت المذكور؛ وذَكَرَ لهم أشياء يفعلونها من المنكرات، ويميلون فيها إلى

---

[a] هـ : ومن اعتدى.   [b] في الأصل وهـ : اليلموت.

---

[١] قلعة أَلَموت Alamut أقيمت على أحد الجبال الشاهقة الواقعة بين قزوين وجيلان في إيران، وأطلق اسم أَلَموت على المنطقة الجبلية التي تشرف عليها القلعة وهي تقع في شمال غرب قزوين. واكتسبت هذه القلعة أهميتها السياسية والعسكرية عندما نجح الداعي الإسماعيلي الحسن بن صَبّاح في الاستيلاء عليها سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م وانتزاعها من أيدي السّلاجقة. وبعد الخلاف الذي نشأ حول خلافة المستنصر بالله في مصر تبنى ابن صباح دعوة نِزار واتخذ من أَلموت عاصمة لدولة إسماعيلية أقامها هناك (V. Minorsky, *EI*[2] art. *Alamût* I, p. 363-65; Daftary, *op. cit.*, p. 324-724).

[٢] أقام بها الداعي إدريس في الفترة التي عَمَّ فيها الطاعون منطقة حراز (برهانبوري: منتزع الأخبار ١٧٠، ١٧٢).

الإباحات ، وأن إمامهم خَفَّفَ عنهم أثقال الصوم والصلاة ، وما أثقلهم من الفروض الواجبات . فلما بَلَغَنا أمرُه ، أمرنا بطرده وإبعاده ، ومِلْنا عن وعده إلى إيعاده ؛ وبَرِئْنا ممن يُنْقِص شيئًا من شريعة محمد ﷺ أو يعتقد تأويلًا يبطل فرضها المؤكَّد ، وعلى ذلك نحن[a] نحيا ونموت ، ويوافينا الأجل الموقوت نبرأ ممن يُحِلُّ شيئًا من معالم الشريعة ، أو يميل في شيء من إبطال فرائضها إلى الأمور الفظيعة ؛ ندين من المِلَّة الحنيفية بدينها ، ونعلم أن رُجحان الأعمال برُجحان موازينها[b]. ونقول ما قاله الداعي المُؤَيَّد في الدين ، عِصْمَة المؤمنين – أعلى الله قدسه :

« اللّهم وَكُلّ من دعا إلى الإمامة الإسماعيلية ، وانتمى إلى الدعوة الفاطمية ، فَتَنَقَّص واحدًا من الرُّسل ، وقَدَحَ في شيء من الشرائع والسبل[c]، وأجاز في شيء من مناسك شريعة محمد – صلّى الله عليه وعلى آله – صَلاتِها وزَكاتها وصَوْمِها وحجّها وجهادها ، أقلَّ سنة من الرُّخْصَة ، أو جَوَّز في ركن من أركانها أدنى نكتة من الفرصة ، من ماضٍ وغابر وغائب وحاضر ، اللّهم فاجعله موضع النقمات ، وموضع اللعنات ، من أهل الأرض والسماوات ؛ اللّهم إنا نُشهِدك ونُشهد ملائكتك أنّا براء ممن هذه سبيله ، وأنه من المشركين ﴿ وَأَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُه ﴾ [الآية ٣ سورة التوبة] . اللّهم ومَنْ نَسَبَ إلينا من ذلك ما لسنا بأهله ، وافترى الكذب علينا فيه بعناده وجهله ، تدنيسًا للأعراض المُطَهَّرة ، وتدليسًا على الدَّعْوَة المنوّرة ، فإنه يارَبِّ من المكذّبين بآياتك ، المتقلّبين في لعناتك ؛ اللّهم فبحقّ كرام أوليائك ، في أرضك وسمائك ، إلّا أخذْتَه بالسمع والبصر ، وجعلته في دنياه قبل أُخراه محلًا للعِبَر كما قلت وقولك الحقّ المبين ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الآية ٢١ سورة السجدة] » .

---

[a] ساقطة من هـ . [b] هـ : أن رجحان موازينها . [c] ساقطة من الأصل .

هذا قوله – أعلى الله قدسه ، وتلك عقيدَتنا التي ندين ، وننتظم في سلك أولياء الله الموحِّدين . وقد قَدَّمنا ذكر ذلك حيث ذكرنا فِرَق الغُلاة ، واحتجنا إلى تكريره لمَّا ذكرنا هذه الفرقة التي سَلَكَت في منهاجهم ، وسيقت إلى النار في زُمَرهم وأفواجهم[1] .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن اقتفى آثار العالمين العاملين ، ونال شَفاعَةَ محمد نبيه وآله الطاهرين كنه أمل الآملين ، وعلى الله نَتَوكَّل وبه نستعين .

الدَّعْوَةُ المُسْتَعْلِيَّة في اليمن

ونَشَرَ الإمام المُسْتَعْلي بالله – عليه السَّلام – دُعاتَه في الأقطار ، وأقام الدين في النواحي والأمصار ، ونَهَى عن المُنْكَرات ، وأقام الأعمال الصَّالحات الواجبات ، من المفروضات والمسنونات ؛ وقامت به الحدود ، وأشرق بنوره الوجود .

وانتصبت الحُرَّة الملكة الصُّلَيْحِيَّة ، وقاضي القضاة وداعي الدُّعاة في اليمن يحيى بن لَمَك بن مالِك الحَمَادي[2] ، بإظهارالدَّعْوَة بأقطار اليمن إلى الإمام المُسْتَعْلي بالله – عليه السَّلام – وبيان فضله ، وبَثّ عدله ، وإيضاح معالم

---

[1] انظر عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٦: ٢٨١ وما بعدها .

[2] يحيى بن لَمَكَ بن مالك الحمّادي أحد أهم رجال الدعوة الفاطمية في اليمن في عهد الملكة الحرة الصُّلَيحيّة . أصبح داعي دُعاة وقاضي قضاة اليمن في أعقاب وفاة والده–الذي كان يشغل هذا المنصب–نحو سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م . وقد تلقى علمه عن أبيه الذي أخذه أثناء إقامته في مصر عن داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي ، ونقل يحيى بن لمك علمه الباطن إلى الداعي الذُّؤَيب بن موسى الوادعي أول الدعاة المطلقين للدعوة الطيبية . وتوفى يحيى بن لمك في جمادى الآخرة سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م (ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ٢٣٤– ٢٣٥؛ أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية ١٣٢، ١٦٠، وفيما يلي صفحة ٢٤٥–٢٤٦) .

التوحيد ، وإشادة دَعْوَة أولياء الله بالتثبيت والتأكيد ؛ وأنارت بهما الدَّعْوَة ، وكانا للعالمين العاملين خير قدوة ، وكان أمْرُ جميع الدُّعاة في اليمن مصروفًا إليهما ، والتعويل فيه عليهما .

وَفَاةُ سبأ الصُّلَيْحي وسليمان الزَّواحي

وكانت وفاةُ الملك الأَجَلّ الداعي سَبَأ بن أحمد الصُّلَيْحي – قدّس الله روحه – في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ؛ وتوفي بعده عامِر بن سُلَيْمان بن عبد الله الزَّواحي – رحمة الله عليه – في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ؛ وكانا من أهل السَّوابق والجهاد في الدَّعْوَة اليمنية ، ومن أعيان رجال أهل المملكة الصُّلَيْحِيَّة [1].

المُفَضَّلُ بن أبي البَرَكات الحِمْيَري

فأقامت الحُرَّة الملكة السيدة الصُّلَيْحِيَّة المُفَضَّل بن أبي البركات بن الوليد الحِمْيَرِى لحرب المعاندين من العبيد في زَبِيد وغيرهم ممن أظهر الفَساد ، وأراد التغلُّب في أطراف البلاد . ووَلَّته حصن التَّعْكَر ، وكانت قد وَلَّته أباه أبا البركات الحِمْيَرِي – رحمة الله عليه – بعد وفاة بَعْلِها الداعي الملك المُكَرَّم – قَدَّسَ الله روحه – فاستقرت الأحوال واستوسقت في الأمصار والتلال [2].

---

[1] عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١:٣٤و الذي ذكر أن وفاته كانت في حصن أَشْيَح ؛ (أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية ١٥٨) .

[2] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٣٧-٣٨ (٧٠-٧١) ؛ الخزرجي : الكفاية والإعلام ٥٥؛ أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية ١٥٨- ١٦٠.

وكان التَّعْكَر مقرّ ذخائر بني الصُّلَيْحي، وكانت الحُرَّة الملكة تطلع إليه من ذي جِبْلَة أيام الصيف فتقيم فيه، فإذا بَرَد الوقت سكنت بذي جِبْلَة. ثم إنها بعد ذلك أقامت بذي جِبْلَة، وقطعت الطُّلوع إلى التَّعْكَر؛ وكان المُفضَّل يسألها ذلك فتأباه، وكان من رجال دولتها، وذوي النصيحة في خدمتها، وكانت له مواطنُ حميدة في حرب عمرو بن عَرْفَطَة الجَنَبِي، وغيره من سَنْحان وعَنْس وزَبِيد وسواهم ممن أراد الخلاف[1].

وقام على آل زُرَيْع في عَدَن حتى رفعوا نصف ما فيها من الخراج إلى الحُرَّة الملكة[2]. وروي عن أبي الطاهر القانوني، قال: «أذكر يومًا وأنا عند المُفَضَّل في التَّعْكَر وقد جاءه ارتفاع نصف خراج عَدَن، خمسين ألف دينار، فسَيَّر ذلك من وقته إلى الحُرَّة الملكة». قال: «فقلنا له: لو تركتَ شيئًا منه عندك» فقال: «ليس ينفعني إلّا ما حصل عندها». فلمّا وصل المال عندها أعادته إليه، وقالت: «أنفقه على الجنود، فأنت أحوج إليه منّا». قال الراوي: ففرّق منه على الحاضرين عشرة أكياس، نالني منها كيس فيه ألف دينار[3].

---

[1] مصدر عماد الدين إدريس في هذه الأخبار وما يلي من أخبار عمارة اليمني في كتابه «تاريخ اليمن».

[2] كان الداعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي قد أصدق السَّيِّدَة الحُرَّة بنت أحمد عَدَن حين زَوَّجها من ابنه المُكَرَّم، ولم يزل ارتفاع عَدَن من حين زواجها يرفع إليها وهو مائة ألف دينار يزيد وينقص إلى أن توفي العباس بن المكرم، فلما مات زوجها المُكَرَّم وَلّى لها زُرَيْع بن العباس وأخوه مسعود. ولكن عندما انتقل أمر عَدَن إلى ولديهما أبي السعود بن زُرَيْع وأبي الغارات بن مسعود وتَغَلَّبا على الحُرَّة جرت بينهم حروب انتهت بالمصالحة على نصف ارتفاع عدن. وبعد وفاة المفضل بن أبي البركات تَغَلَّب أهل عدن على النصف الثاني فسار إليهم أسعد بن أبي الفتوح–عم الملك المُظَفَّر–وصالحهم على ربع الارتفاع للحُرَّة. فلما ثار بنو الزّر في التَّعْكَر تَغَلَّب أهل عدن على الربع الذي للملكة (عمارة تاريخ اليمن ٤٩–٥٠ (٨١–٨٢)؛ ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ١٢١– ١٢٢؛ بامخرمة: قلادة النحر ٢: ٦٠٠).

[3] عمارة اليمني: تاريخ اليمن ٣٩ (٧١–٧٢).

تَمامُ أخبار المُستَعْلي بالله

ومازالت دعوة الإمام المُستَعْلي بالله – عليه السّلام – مشرقة الأيام، خافقة الأعلام.

وكانت الرُّوم قد تَغَلَّبوا على دمشق والشام وقتلوا كثيرًا ممن فيها، وكان أكثرُ المقتولين ممن خالف ونافق وانتمى إلى النِّزارية وبَغَوْا في الأرض، فسَلَّط الله عليهم شِرار خلقه. ثم أمر الإمام – عليه السّلام – عددًا جمًّا من جنوده وأمَّرَ عليهم بعض عبيده، وأمر براياتٍ صُفْرٍ فنُشِرَت في عساكره، وأخرجهم إلى الرُّوم؛ فانهزمت الرُّوم، وأجْلوهم عن الشام[1].

ثم إن أمير المؤمنين المُستَعْلي بالله – عليه السّلام – حين أيقن بنفاد مدّته، وصعوده إلى عالم البقاء ورفعته، أحضر أولياءه وخلصاء شيعته، وشَهَر النَّصَّ على ولده المنصور الآمر بأحكام الله – عليه السّلام – وكَتَبَ بذلك سِجِلّاته إلى الأمصار، وأشهره على أهل دعوته حيث كانوا من الأقطار.

وكانت بعد ذلك وفاةُ أمير المؤمنين الإمام المُستَعْلي بالله – تلقّاه الله بالتقديس والرضوان، والصَّلَوات الزاكيات المستمرة عليه وعلى آبائه في كل وقت وأوان – في أحد شهور سنة خمس وتسعين وأربعمائة، ومُدَّة إقامته في الخلافة سبعة أعوام[2].

---

[1] هنا إشارة سريعة إلى بداية الحروب الصليبية ووصول الفرنج إلى سواحل الشام (راجع، ابن ميسر: أخبار مصر ٦٤– ٦٨؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ١٣٤– ١٣٩؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٢٠– ٢٧؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٢٦، ٦٧٤–٦٨٣).

[2] اختلفت المصادر في تحديد اليوم الذي توفي فيه المستعلي، فيذكر ابن الصيرفي: الإشارة ١٠١ أنها في ١٦ صفر؛ وجعلها ابن الأثير: الكامل ١٠: ٣٢٨ وابن ميسر: أخبار ٦٩ في ١٧ صفر وكذلك ابن خلكان: وفيات ١: ١٦٢ وحدد اليوم بالثلاثاء وأيضًا المقريزي: اتعاظ ٣: ٢٧.

والحمد لله القاضي على جميع خلقه بنزول القضاء، وصَلّى الله على رسوله سيدنا محمد وآله خير من يأتي ومن مضى، وعلى وَصِيِّه عليّ بن أبي طالب الصَّفِيّ المرتضى، وعلى الأئمة من ذريتهما، الفائز مَن نظروا إليه بعين الرضى، وسَلّم عليهم أجمعين تسليمًا؛ وَحَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الْوَكِيلُ، ونِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ الْعَظِيمِ.

يتلوه ذكر نُبَذ من أيام الإمام المنصور الآمر – عليه السَّلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نَسْتَعين

الحمد لله الذي جَلَّت نعمته عن العدّ والحصر، الآمر مع طاعته وطاعة رسوله بطاعة أولي الأمر، وصَلّى الله على رسوله الذي نَعَتَه في كتابه بالذكر، محمد الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وعلى وَصِيِّه علي بن أبي طالب قاتل أهل الكُفْر، وعلى الأئمة من ذريتهما سادة أهل البدو والحضر.

الآمِرُ بِأَحْكَامِ اللهِ

ذِكْر نُبَذٍ من أخبار الإمام المنصور الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين وظهور دَعْوَته، ووَصْف جُمَلٍ مما كان في أيام خلافته.

وولي الإمام المنصور أبو علي الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين[١] بن الإمام أحمد المُسْتَعْلي بالله أمير المؤمنين - صَلَّى الله عليهما وعلى آبائهما والطاهرين من أبنائهما - في اليوم الذي كانت فيه وفاةُ أبيه المُسْتَعْلي بالله أمير المؤمنين -

---

[١] الإمام-الخليفة الفاطمي السابع في مصر و العاشر من المهدي (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٣٠م) آخر الأئمة الإسماعليين الذي حكموا في مصر واعترفت بهم الدَّعْوَة اليمنية. بايعه بالخلافة ونصبه مكان أبيه الوزير الأفضل شاهنشاه وعمره خمس سنين وشهر وأيام (راجع أخبار الآمر عند، ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة (الدولة الفاطمية) ٨٧- ٩٣؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٧٠- ١١٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥: ٢٩٩- ٣٠٢؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٦: ٤٦١- ٥٠٥؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٧٤- ٢٩٦؛ المقريزي: الخطط ١: ٣٥٧، ٢: ٢٩٠، اتعاظ الحنفا ٣: ٣١- ١٣٣؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ١٧٠- ١٨٥؛ S.M. Stern, *EI*² art. *al-Âmir bi Ahkâm Allâh* pp. 1372-73.

عليهما السّلام والصلوات – في سنة خمس وتسعين وأربعمائة ؛ فبايعه ذلك اليوم أهلُ حضرته ، وكَتَبَ إلى الجهات النائية بخبر وفاة والده وما خَصَّه الله به من خلافته[١] ، فبايع الدُّعاة له في الجزائر والأمصار ، والكُوَر والأقطار ؛ فظهرت دعوته ، وعَلَت كلمته ، وارتفع أمره ، وسَمَا صيته وذكره .

وكان وزيره أبو القاسم شَاهِنْشاه الأَفْضَل ابن أمير الجيوش بَدْر المستنصري . وكان داعي الدُّعَاة في حضرته أبو البركات بن بُشْرى الحَلَبي[٢] ؛ وكان فصيح اللسان ، حسن البيان ، وله مجالسُ[٣] فيها مواعِظ بليغة وحِكمة جليلة من حِكَم الأئمة – عليهم السّلام – وفيها معرفة الأنبياء والأوْصياء والخلفاء ، ومعرفة المستقرّ والمستودع .

فنُصِبَت الرايات الآمرية على التوفيق والتسديد ، ودانَ له كل جبّار عنيد ، وخَنَعَ الأضدادُ في البلدان ، وخَضَعَ له أهل ذلك الزمان .

وكان رجلٌ يسمّى بَهْرام[٤] قد تَغَلَّب في دَمِشْق وبَغَى وطَغَى وساء فعله ، وكَبُر جهله ، واجتمع إليه كثيرٌ من الجنود والحشود ؛ فدعا الإمام – علية

---

[١] كتَبَ تاج الرئاسة عليّ بن منجب ابن الصَّيْرَفي – كاتب الإنشاء – سجلّ انتقال المستعلي وولاية الآمر ، وقرىءَ على رؤوس كافة الأجناد والأمراء وهو صادر استنتاجا في ٢٧ صفر سنة ٤٩٥هـ (انظر نصّ السجل عند ابن ميسر : أخبار مصر ٧٠– ٧٤؛ السيوطي : حسن المحاضرة ١: ٦٠٤– ٦٠٧؛ جمال الدين الشيّال ، مجموعة الوثائق الفاطمية ١٨٣– ١٩٠؛ وفيما يلي صفحة ٤٤) .

[٢] ربما كان هو نفسه أبو البركات بن بُشْرَى الجَوْهَري الواعِظ الذي تولّى القضاء وتوفي سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٧م عن واحد وتسعين عامًا (ابن ميسر : أخبار مصر ١٢٨؛ المقريزي : اتعاظ ٣: ١٦٣؛ وانظر فيما يلي صفحة ٢٣٧) .

[٣] ذكر إيفانوف أنها ستين مجلسًا في مسائل الدين والأخلاق (W. Ivanow, *Ismaili Literature* n° 184 p. 50) .

[٤] راجع أخبار بَهْرام داعي الإسماعيلية النزارية (الباطنية) في الشام ودمشق ومقتله في سنة ٥٢٢هـ بدمشق وحمل رأسه إلى مصر عند ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٢١٥، ٢٢١– ٢٢٢؛ ابن الأثير : الكامل : ١٠: ٦٥٦؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨: ١١٨– ١١٩؛ ابن ميسر : أخبار مصر ١٠٦؛ المقريزي : اتعاظ ٣: ١٢١ والمقفى الكبير ٢: ٥١٧– ٥١٨.

السّلام – خمسين فارسًا وقَدّم عليهم رجلًا منهم، وقال: «اذهبوا إلى دِمَشْق فإنكم تقتلون بَهْرام». فساروا وقد قضوا من ذلك عجبًا، وقالوا: «كيف يمكن أن يكون خمسون فارسًا يغلبون رجلًا قد تَغَلّب وصار له جنودٌ وأعوان، ومُلْكٌ وسلطان»؛ إلّا أنّهم لم يجدوا بُدًّا من امتثال الأمر وطاعة الإمام – عليه السّلام – فلمّا انتهوا إلى دمشق، وافوا بَهْرام الباغي وهو خارج دمشق ومعه جماعةٌ من أصحابه، فقتلوه ورجعوا برأسه. وتَهَيَّبَ الناسُ أن يلحقوهم، واضطرب أمرُهُم، واعتراهم الفَشَل الوجل؛ ورجعوا إلى الإمام – عليه السّلام – بخبر بَهْرام وأتوه برأسه.

و(a)في ذلك يقول القاضي أبو الفتح محمد بن القاضي المُوَفَّق فيه:

[الخفيف]

كُلُّ يوم يزيدك الله نصرًا ... واعتلاءً ويُبدِّل العُسْرَ يُسْرا
والمقاديرُ في البرية خُدًّا ... مك لا يستطعن يمضين أمرا
فوق السّعْد منهم حتف بهرا ... م فلم يحظ حين أصْماه نَحْرا
إصْبَع لم يكن يشير بشيء ... وسيغشى غداة لومًا وغدرًا
رأسُ حزب النِّفاق قد طال ماخا ... دع بالزور قومه واستمرّا
واستعان الصّليب والشِّرْك جهلًا ... طامعًا أن يشدّ بالكُفْر كُفْرًا
حاولوا بالخداع إطفاء نور الـ ... ـلّه تبًّا لهم وتعسًا وبترا
أجمعوا كيدهم فلمّا استقلوا ... أحدث الله بعد ذلك أمرا
أخمد البغي منهم كل نار ... ولنا فيهم مآرب أخرى
أتراهم يرون أن معادا ... وهو لا شكّ فيه للقوم طرا
يرتضى منهم بأن لا يدالوا ... طُرًّا أو أن يرفضوه سرًّا وجهرا
خالفوا الآمر الإمام الذي أو ... سع كل الأنام هديًا وبرًا

(a – a) ساقطة من هـ.

صـلـوات الإلـه وقـفٌ عـلـيـه   وعـلـيـهـم لـعـائـن الله تـتـرى[a]

وكان ابن صَبّاح[١] ممن يدين بدين نِزار – ويُظْهِر الدَّعْوَة إليه في الجَهْر والإسْرار، ويفعل الأمور المنكرات، ويُبيح المحظورات فأمر الإمام – عليه السَّلام – ابن أخته بقتله، وهما جميعا نِزاريان، فقتله[a][٢].

ودَلَفَ الروم إلى دمشق ليتغلَّبوا عليها فأخرج إليهم الأَفْضَل في جنوده وحشوده، فهزمهم وقَهَرَهم، وعاد منهم بالغنيمة والأموال، والسبايا من النساء والأطفال[٣].

وخالف رجلٌ يدعى سِنْبِس[٤] فتغلَّب على مصر، واجتمع إليه عامّةُ الناس وغوغاهم ممن لاخلاقَ لهم، وحاصروا القاهرة؛ فغُلِّقَت أبوابها، وأقاموا على ذلك أيامًا.

---

[a] فقتله ساقطة من الأصل.

---

[١] الحسن بن صبّاح زعيم إسماعيلية فارس الذين اعترفوا بإمامة نزار بن المستنصر بالله واتخذ من قلعة آلموت في إيران مقرًا له حيث كوّن مجتمعا إسماعيليًا صرفًا يخضع كل رجاله لرئيسهم الروحي ويعملون جميعًا على نشر المذهب الإسماعيلي (راجع أخبار قدومه إلى مصر في زمن المستنصر وتكفله بإقامة الدعوة بخراسان وبلاد العجم ثم مبايعته لنزار حتى وفاته بقلعة آلموت سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م عند ابن الأثير: الكامل ١٠: ٣١٦– ٣١٧؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٤٧، ٦٢، ٩٧؛ المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٣٢٧– ٣٣٤، اتعاظ الحنفا ٢: ٣٣٣– ٣٣٤؛ M. G. S. Hodgson, *The Order of Assassins*, La Haye 1955, pp. 45-47; id., *EI*[2] art. *Hasan i Sabbâh* III, pp. 260-61; F. Daftary, «Hasan Sabbâh and the Origins of the Nizârî Isma°ili Movement» in *Mediaeval Isma°ili History and Thought* pp. 181-204.

[٢] هذه الفقرة غير واضحة في الأصل ولا نعلم إلى ماذا تشير كلمة «ابن أخته» و «قتله»!.

[٣] عن الصراع بين الفاطميين والفرنج الصليبيين في الشام، وخاصة في فلسطين راجع، سعيد عبد الفتاح عاشور: «شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية»، المجلة التاريخية المصرية ١٦ (١٩٦٩) ١٠– ٦٦؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٦٧٤– ٦٨٣.

[٤] سِنْبِس ليس اسم رجل وإنما اسم يُطْلَق على قبيلة بني سِنْبِس بالبحيرة (ابن ميسر: أخبار مصر ٣٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٧٩).

وكان رجلٌ أرْمني يحرس الطريق ويمسك السفار، فبينا هو وقوم معه على الطريق ذات ليلة بعد هُوِيّ من الليل، إذ نظروا إلى باب من أبواب القاهرة قد فُتِح، وخرج منه إنسانٌ راكبٌ ليس معه غيره، فاختفوا منه ليعرفوا خبره ويَطّلعوا على أمره، فإذا هو الإمام المنصور الآمر بأحكام الله – سلام الله عليه – فعاينوه إلى أين يمضي وأين يريد؛ وإذا برجلٍ راكبٍ قد التقاه فسلَّم عليه، وسأل كل واحد منهما صاحبه على حاله، ثم نزلا عن خيلهما، فأراد الأرْمني الوثوب عليهما فيمن معه، فغشيتهم الهيبة وأخذتهم الرِّعْدَة، فوقفوا مكانهم ينظرون؛ وقال له الرجل: «إلى أين تريد؟»، قال: «أريد عسكري أنصرهم على قتل سِنْبِس وأتباعه الأنْجاس الأرْجاس» – وكان عسكرُ الإمام مصافّين لهم والقتال بينهم؛ فأخذ كلٌّ واحد منهما منديلًا بسطه وصلَّيا عليه ركعتين، وأقبل الرجل على الإمام – عليه السّلام – فقال له: «ارجع ياوَلِيّ الله، فنحن نكفيك هذه النوبة غدًا إن شاء الله»؛ وتوادعا، وركب كل واحد منهما على فرسه وافترقا، فعادَ وليّ الله إلى القاهرة المعزية ودَخَلَ وأَقْفَلَ الباب بعد دخوله، وعاد الذي لقيه من حيث أقبل.

وكثر تَعَجُّبِ أولئك الذين كانوا على الطريق، وما عرفوا الرجل الذي لقي الإمام – عليه السّلام – من هو. فباتوا ليلتهم إلى الصباح، وظَلُّوا نهارهم كذلك، وإذا النَّجّابَة تمضي عليهم مبشرين بقتل سِنْبِس والنصر عليهم في ذلك النهار بعينه؛ فأيقن الأرْمني بفضل الإمام – عليه السّلام – ودَخَل في دعوته، واستجاب لعهده، والذين كانوا معه؛ وحَسُنَت حالُ الأرْمني، وكان يخبر بذلك ويرويه، ويَقُصُّه ويحكيه، وهذه الرواية جاءت عن الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي – أعلى الله قدسه [١].

---

[١] هذه الرواية لا يوجد لها ذكر في المصادر المصرية، وواضح أن عماد الدين إدريس استمدها من أحد مصادر الدعوة اليمنية البعيد الصِّلَة عن التاريخ المصري. والداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي– =

ولأمير المؤمنين الآمر بأحكام الله رسالةُ « الهِدايَة الشريفة »[١]، أنشأها في إثبات إمامة أمير المؤمنين المُسْتَعْلي بالله – عليه السَّلام – واضحة البرهان، جَلِيَّة البيان، مبطلة للبهتان، فيما ادَّعاه أولو الطغيان، من إمامة نِزار، يُبْطِل بها دعواهم الزائر، وقولهم الذي يبطله الحق في الباطن والظاهر.

ونَقَلْتُ من خُطَبه – عليه السَّلام – ما وجدته في حريرة مُنْتَسَخًا للحرة السيدة الملكة الصُّلَيْحِيَّة، وقد أطلق عليها العلامة الشريفة لأمير المؤمنين[٢]؛ وهي هذه بفَصِّها وقصِّها:

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذى قَصُرَتِ الفِطَنُ عن معرفة حقيقة ذاته، وعَجَزَت الألْسُن

= مصدر هذه الرواية–هو الداعي المُطْلَق الثاني في الدَّعْوَة الطَّيِّبِيَّة عينه الداعي الذُّؤَيْب أولاً «مأذونًا» بعد وفاة السلطان الخَطَّاب بن الحسن ثم تولّى رئاسة الدَّعْوَة بعد وفاة الذُّؤَيْب سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤٢م، وكان مقره مدينة صنعاء محتميا بدولة بني حاتم الهمدانيين، وهو صاحب كتاب «كنز الولد» الذي نشره مصطفى غالب في بيروت سنة ١٩٧١، وتوفي في ١٦ شعبان سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م (عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٤٦ظ؛ برهانبوري: منتزع الأخبار ٧٤– ٧٥؛ حسين الهمداني: الصليحيون ٢٧٠– ٢٧٣؛ W. Madelung, *EI*[2] art. *Ibrâhim al-Hâmidi* II, p.; Hamdani, «The Dâʿî Hatim b. Ibrahim al-Hamidi», *Oriens* 23-24 (1970-71), pp. 286-74; Daftary, *The Ismaʿilis* pp. 286-87؛ وعن مؤلّفات إبراهيم بن الحسين الحامدي انظر Ivanow, W., *op. cit.*, pp. 52-54 n° 198-201 وانظر فيما يلي صفحة ٢٦٧.

١ المعروفة بـ « الهداية الآمرية في إبطال الدعوة النزارية » وهي في أصلها السِّجِلّ الذي أنشأه تاج الرئاسة عليّ بن منجب بن الصَّيْرَفي سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م (انظر فيما سبق صفحة ١٩٥)، نشرها آصف عليّ أصغر فيظي في أكسفورد سنة ١٩٣٨ A.A.A. Fyzee, *al-Hidayatul-Amiriyya an Epistle of the tenth Fatimid Caliph al-Amir bi Ahkamillah* in Islami Research Association Series No.7, Oxford 1938; B. Lewis, BSOS X (1940-42), p. 258; S. M. Stern, «The Epistle of the Fatimid Caliph al-Amir (al-Hidaya al-Amiriyya) its Date and Purpose», JRAS (1950) PP. 20-31؛ ثم أعاد نشرها جمال الدين الشيال في مجموعة الوثائق الفاطمية، القاهرة ١٩٥٨، ٢٠٥– ٢٣٠.

٢ وهي: الحمد لله رَبّ العالمين.

عن تعديد صفاته ، وخَضَع لعِزّه مَنْ في أرضه وسماواته ، ودلّ على وحدانيته عظيمُ ملكه باهر آياته ، لا رادّ لأقضيته ، ولا مبدّل لكلماته ، نحمده على نِعَمه التي مازال يُجرينا فيها على جميل عاداته ، ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له شهادةً تمحو عن قائلها عظيم سيئاته ، وتقضي بمُضاعف حسناته ، ونشهد أن جَدَّنا محمدًا عبده ورسوله أرسله ومكارم الأخلاق من آياته ، وصَلّى الله عليه وعلى أبينا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب المتصدق بخاتَمه في صَلاته [1]، وعلى الأئمة الطاهرين من ذريتهما براهين الهُدى وعلاماته ، وسَلَّم تسليمًا .

أيّها الناس ، حَتّامَ أنتم في غمرة ساهون ، وعن ما أمامكم من هول المطلع لاهون ، وللبصائر لا تستعملون ، وبما يدعو إليه الرّشاد لا تعملون ، ﴿ كَلَّا سَوْفَ تعْلَمُوْنَ ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ﴾ [الآيتان ٣، ٤ سورة التكاثر] ؛ فرحم الله أمرءً نظر إلى أمامه ، واهتدى بمراشد إمامه ، وأرضى خالقَه في نقضه وإبرامه ، وهَجَر الْهُجْرَ في منطِقه وكلامه .

عباد الله ، وهذا شهر رمضان المبارك قد نَزَل بكم نزول الضيف فبالغوا في إكرامه ، وتوفّروا في صلاته وصيامه ، واجتهدوا أن تقطعوا أيّامه نُسُكًا ووَرَعًا ، ولياليَه سُجّدًا ورُكّعًا ، وأن تصوموا فيه عن الخطايا والمآثم ، صيامَكم عن المشارب والمطاعم .

إنّ أحسن ما تُليَ على صَهَوات المنابر ، ووَعَتْه أسماع البوادي والحواضر ، كلامُ عَلّام الغيوب والمُطّلِع على السرائر ؛ قال الله تعالى في كتابه

---

[1] إشارة إلى سبب نزول الآية ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُوْلُه وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَواة وَيُؤْتُونَ الزَّكَواةَ وهُمْ رَٰكِعُون ﴾ [الآية ٥٥ سورة المائدة] ، يقول القاضي النعمان إنها أنزلت في الإمام عليّ بن أبي طالب وذلك أن سائلاً وَقَف به وهو راكع فرمى إليه بخاتمه ، والآية فيه وفي الأئمة من ولده صلوات الله عليه وعليهم أجمعين (دعائم الإسلام ، تحقيق آصف على أصغر فيظي ، القاهرة ١٩٨٥، ١: ١٦) .

المكنون : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الآية ١٠٤ سورة الأعراف] . أعوذ بالله وقدرته ، من الشيطان ونزغته ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيٓ أُنْزِلَ فِيْهِ الْقُرْءَانُ ، هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيْضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَر ﴾ [الآية ١٨٥ سورة البقرة] .

بارك الله لنا ولكم في القرآن العظيم ، ونَفَعَنا وإيّاكم بالآيات والذكر الحكيم ، ونستغفر الله لنا ولمن سَلَّم لنا من المؤمنين حقّ التسليم » .

الخُطْبَة الثانية :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله باري البريّة ، وعالم الخفية ، والمنزَّه عن الصحابة والذرية ، وصلّى الله على جَدِّنا محمد الهادي إلى المَحَجَّة المضيّة ، وعلى أبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أخيه وابن عمه الذي ارتضاه للوصيّة ، وعلى الأئمة الطاهرين من ذريتهما حُجَج الله على خلقه الواضحة الجليّة ، وسَلَّم تسليمًا .

أيّها الناس ، إن الله تعالى رَفَعَ جَدَّنا محمدًا إلى الدرجة العليّة ، وأناله من الشرف ما لم يصل إليه منتهى أمر ولا أمنية ، وأمر سبحانه بأمرٍ بدأ فيه بنفسه وثنّى بملائكة قدسه تشييدًا لفخره وتعظيمًا ، فقال جلّ من قائل -: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الآية ٥٦ سورة الأحزاب] اللّهم صَلِّ على جدّنا محمد رسولك الكريم ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، والمنزّل عليه ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الآية ٦ سور النمل] ، وصَلِّ ياربُّ على آل محمد ، اللّهم صلّ على جدنا محمد الذي أشرق بمبعثه

وجه الزمن البهيم ، وبَشَّرَ بظهوره كلُّ نبيٍّ كريم ، وأنزلتَ عليه واصفًا له ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [الآية ٤ سورة القلم] ، وصَلِّ ياربُّ على آل محمد ، وصَلِّ اللّهم على أبينا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى الكليم [١] ، وعلى أمِّنا فاطمة الزهراء الحورية ، وعلى ولديها الإمامين أبي محمدٍ الحسن وأبي عبد الله الحسين أفضل البرية ، وعلى عَليّ بن الحسين زين العابدين ، ومحمد بن عَليّ باقر علوم الدين ، وجَعْفَر بن محمدٍ الصادق الأمين ، وعلى إمام الحق إسماعيل ، ومحمد نجله حائزي شرف الخلافة الأصيل ، والمحتويين على جُمَل الفضل والتفضيل ، وعلى الأئمة المستورين عن عدوهم العادل في أفعاله كلّها عن سواء السبيل ، وعلى نُجُومِ الحق الثواقب ، وشُمُوسِ الهُدَى الطالعة من المغارب ، المهدي بك ، والقائم بأمرك ، والمنصور بنصرك ، والمُعِزّ لدينك ، والعزيز بك ، والحاكم بأمرك ، والظَّاهر لإعزاز دينك ، والمُسْتَنْصِر بك ، والمُسْتَعْلي بك ، المنقولين إلى جوارك الأمين ، والحالّين في أصحاب اليمين [٢] .

اللّهم وأنا عبدك الآمر بأحكامك ، والشاكر لإنعامك ، نَظَمْت لي بفضلك عقود السعود ، وتوّجْتني تيجان العُلى مكلَّلة بدُرّ التوفيق المنضود ، وأوْرَثْتني مقام الخلافة المنتقل إليّ عن الآباء الكرام والجدود ، وجعلتَ أيّامي في محاسن الوجود ، وأذْلَلْتَ لي أعناق الأسود ، وجمعتَ على طاعتي قلب السيّد والمسود .

اللّهم فَكما خصّصتَني بهذا الفضل المبين ، وجعلتني حُجَّتك البالغة على العالمين ، فصِلْ يوم الدين بي وبعقبي حبل الإمامة كما وَعَدْت إلى يوم الدين ، واجعل مَنْ اتَّبعني من الآمنين الفائزين .

---

[١] إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم إلى عليّ بن أبي طالب : «أما تَرْضَى أن تكون مِنّي بِمنْزِلَة هارونَ من مُوسَى» (النسائي : خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، بيروت ١٩٨٧، ٥٩–٦٠) .

[٢] هذه إشارة إلى سلسلة نسب الأئمة الإسماعيليين الظاهرين والمستورين ثم الأئمة الذين أقاموا الخلافة الفاطمية .

اللّهم وارض عن السَّيِّد الأَجَلّ الأَفْضَل ابن السَّيِّد أمير الجيوش رضاك عمّن أحسن عملًا ، واجعل رِفْدَ رحمتك إليهما متّصلًا .

وانصر اللّهم جيوشي وكتائبي حيث كانوا ويكونون برًّا وبحرًا ، واستأصل بسيوفهم شأْفَة أعدائك الذين تمرّدوا طغيانًا وكفرًا ، وامنح المسلمين عليهم ظَفَرًا ونَصْرًا .

واغفر اللّهم للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، إنّك وليّ الحسنات ، وغافر السيئات .

﴿ إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدلِ وَالإحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذكَّرُونَ ﴾ [الآية ٩٠ سورة النحل] اذكروا الله يَذْكُرْكُم ، واشكروه يزِدْكم .

والحمد لله رب العالمين، وصلواته على رسوله سيدنا محمد وآله الطاهرين » .

ومن خُطَبه أيضًا – عليه السّلام – ما وجدته مكتوبًا في حريرة عليها العلامة الشريفة « الحمد لله ربّ العالمين » ، وهذا ذكرها :

« الله أكبر الله أكبر ، ولا إله إلّا الله ، والحمد لله ، والله أكبر الله أكبر ، ولله الحمد ، الله أكبر على ماهَدانا ، وله الشُّكر على ما أولانا .

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي نَصَرَ بنا مَعْشَرَ الأئمة من أهل بيت نبيه دين الإسلام الواجب ، ورمى عَدُوَّنا المُنَاصِب بالعذاب الواصب ، ومُتَوَقِّد محرقات الشُّهُب الثواقب ، وأنفذ في مخالفينا أحكام سيوفنا القواضب ، الماضية المضارب ، ونَشَرَ بنا أعلامًا للعدل سامٍ ذكرها في المشارق والمغارب ، نحمده

على نعمه التي جادتنا أنواؤها بطَلٍّ وابلٍ من الإحسان ساكب ، وحقّقت من آمالنا كل دان وعازب ، ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له شهادةً أوردها اليقين من نَميره أعذب المشارب ، وأحلّها من توحيد ذي الجلال والإكرام أعلى المراتب ، ونشهد أن جَدَّنا محمدًا عبده ورسوله هَدَى به إلى الدين الحنيفي أفضل الشرائع والمذاهب ، وأيَّده بالقرآن الباهر الآيات والعجائب ، وعَضَّده بأبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أخيه ووَصِيِّه وخطيب شرعه وموضح مشكلاته الغرائب ، صلّى الله عليهما وعلى الأئمة من ذريتهما صلاةً يبلّغهم بها من شَرَف المعاد أقصى المراتب .

أيّها الناس ، الزموا كتاب الله العزيز وسُنَّة رسوله ، واعملوا بما تَضَمَّنا من أمره وتمثيله ، واعتمدوا عليهما في فروع الدين وأصوله ، ولا تعدُّوا ذلك إلى ما نهى الله عنه من الخوض في كلام الإلحاد وأباطيله ، فإن ذلك من مصائد الشيطان وأضاليله ، فقد سمعتم قول الله تعالى ﴿ وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الآية ١٣٥ سورة الأنعام] ، وأطيعوا لمواعظنا الصادرة عن محض النصيحة والإشفاق ، ولا يصَدنّكم الشيطان وأعوانه أهل الزيغ والنّـفاق عن الشرائع وما أوضحته من طُرُق العبادة ، فإن الله تعالى أَمَدَّها من كتبه ورُسُلِه ومعجزاتهم بأقوى مادّة ، وجعل العقولَ لها خادمة ، ولم يجعل العقولَ على الشرائع حاكمة ، لأنّ الشرائع صدرت عنه وهو الخالق المتفرّد بعلم الغيوب والكمال ، والعقول خَلَقَها كسائر صفات المخلوقين في النقص ، وتحكيمُ النقص على الكمال لا يوصف به ذو الجلال ؛ فكونوا على ما أمركم الله عاكفين ، وعن مانهاكم عنه صادفين ، وسلّموا له تسعدوا وتسلموا ، ولا تطلبوا النجاة بالجدال فتضلّوا وتندموا .

عبادَ الله ، ويومكم هذا عيدٌ شَرَّف الله به دين الإسلام ، وخَتَمَ به شهر الصيام ، الذي مَيَّزَه على الشهور وفَضَّلَه ، وفَرَضَ صومه تذكيرًا بنعمته

بكتابه الذي فيه أنزله ، ووَعَدَ كُلًّا من المحسنين فيه والمنيبين عن مضاعفة الحسنات ومغفرة السيئات بما يحقّق أمله ، واستقبل به أشْهُر حَجّ بيته الحرام الذي كَفَلَ لكل حُجّاجه ومعتمريه بما يمحو زَلَله ، ويوصله إلى نفيس ما قَسَمَ له ؛ فانتضوا – رحمكم الله – من العزمات أمضاها ، وامتطوا من الاجتهادات أوفاها ، وأُمّوا بركات تلك المعالم، واستجيروا بحَرَم الله الشامل المراحم ، تَظْفَروا بصَفْحِه عن الجرائم ، وتفوزوا بما عنده من النعيم الدائم ؛ وكونوا لحرمة هذا العيد حافظين ، وبما يرضي الله فيه عاملين ولافظين ؛ وعودوا على فقرائكم بالمعونة من أموالكم والرأفة ، تأمنوا عاجل العدو وآجل المخافة . وَفَّرَ الله حظوظَكم من أنوار اليقين ، واستعملكم بما ارتضاه لكم من الدين ، وحماكم من مضالّ الشيطان اللعين .

إن أكملَ الهدايات وأوضحها أدِلّةً وسبلًا كلامُ الله وما تَضَمَّنَه من قوله ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الآية ١١٥ سورة الأنعام] ، وهو القائل سبحانه ﴿ وإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الآية ٢٠٤ سورة الأعراف] . أعوذ بالله وما مَن به من الإرشاد والنور ، من الشيطان وما يدعوا إليه من الإلحاد والغَرور ؛ بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [الآية ٥ سورة البيّنة] . بارك الله لنا ولكم في القرآن الكريم ، ونَفَعَنا وإياكم بالآيات والذِّكْر الحكيم ، ونستغفر الله لنا ولمن سلّم لنا من المؤمنين حقّ التسليم » .

الخُطْبَة الثانية :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي أعَزَّ بنا معشر الأئمة من أهل بيت نبيه حِزْب الإيمان ونَصَرَه وأصْلَح شأنه ، وصلّى الله على جدّنا محمدٍ رسوله الذي أكْمَل دينه

ومعجزه وبرهانه ، وعلى أبينا عليّ بن أبي طالب أخيه ووَصِيّه الذي عَضَّدَه به وأيَّدَه وأعانه ، وعلى الأئمة من ذريتهما صلاةً يُضاعَفُ لهم بها في دار كرامته تشريفه وإحسانه .

أيّها الناس ، إن الله أمركم بالصلاة على نبيه المبعوث إلى البرية جَمْعًا ، وأكرم رسلَه أصلًا وفرعًا ، فقال جلّ منعمًا كريمًا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الآية ٥٣ سورة الأحزاب] . اللّهم صلّ على محمد الذي أمددتَ الخَلْقَ من شرعه ببالغ التسديد والتقويم ، وهَدَيْتَهم إلى النجاة وصراطِها المستقيم ، وعلى آل محمد ، اللّهم صلّ على محمد الذي دعوتَ به إلى دار السلام ونعيمها المقيم ، ونَجَّيْتَ به من الجحيم ، وعذابها الأليم ، وعلى آل محمد ؛ اللّهم صلّ على أبينا أمير المؤمنين أخيه ووَصِيّه وشقيق نقعته المساهم ، ونَصِيحِه الصادق ووزيره الحازم ، وفارِجِ غَمّائه في المأزق المتلاحم ، وعلى أمّنا فاطمة الزهراء غذية ماخُصّت به النبوة من الوحي وشرف الأخلاق والمكارم ، وعلى الحَسَن والحُسَين إمامَي المِلّة ونَيّرَيّ فَلَك الدين وجماله في المحافل والمواسم ، وعلى الأئمة من ذُرّيّة الحسين الجارين على سُنَن نَبِيّهم في الآثار والمراسم ، والمقيمين لشرعه المعالم ، والمفتقر إلى علمهم كل عالم – أئمة الرشاد ، وخيرة الله من العباد ، الذين جُعِلَ لكل قوم منهم إمامٌ هاد ، وهم أفضل العباد والزُّهّاد ، وأهل الجدّ في إقامة الدين الحنيف والاجتهاد ؛ ضَلّ قومٌ اتّخذوا من غيرهم وَلِيًّا ، وجَهِلوا من فضلهم واضحًا جليًّا ، ونَبَذُوا الحقّ بنبذهم وراءهم ظهريًّا ، وجاءوا من عنادهم وشقاقهم شيئًا فريًّا .

اللّهم إنّي عبدك ، الداعي إلى سبيلك ، المكافح لأعداء رسولك ، المبيّن لآياتك ، الدليل على ما وعدت به أولياءك من جنّاتك ، المُوضّح لبراهينك ودلالاتك ، المبتغي لعفوك ومرضاتك ؛ اللّهم فانْصُرْني على الكافرين

والجاحدين ، وأَظْهِر بي العَدْلَ وأَعِزَّ الدين ، وأَيِّد الغازين والمجاهدين ، واحْم حَوْزَة المؤمنين ، ودافع عن الإسلام والمسلمين ، واهْد إلى واضح سبيل الحقّ المسترشدين ، وكُنْ لي خير وَلِيّ ومعين ، برحمتك يا أرحم الراحمين . والحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين » .

الدعوة للآمر بأحكام الله في اليمن

وقامت الدَّعْوَةُ إلى أمير المؤمنين الآمر بأحكام الله في أكثر الجزائر ، وازَّيَّنت بذكره فُروقُ المنابر .

وقامت الحُرَّة الملكة السَّيِّدَة الصُّلَيْحِيَّة بالدَّعْوَة إليه خير قيام ، وعاضَدَها في ذلك داعي الدُّعاة باليمن وقاضي القضاة يَحْيى بن لَمَك الحَمَّادي ، ونَشَرا الدَّعْوَة في الحاضر والبادي ؛ فاستقامت بهما معالم الدين في أقطار اليمن ، ووَضُحَت بهما الفُروض الشرعية والسُّنَن ، ومَضَت بهما الأحكام ، وأقيمت شرائعُ الإسلام ، وعُرِفَ الحلالُ والحرامُ ، وعَظُمَ فضلهما عند الخاصّ والعامّ ، ودَلّا الناس على معرفة الإمام ، وهَدَيا من الضلالة والجَهالة كثيرًا من الأنام ، وانقمع كل معاندٍ ألدُّ الخصام .

والمُفَضَّل بن أبي البركات – المقدّم ذكره – في حِصْن التَّعْكَر واليًا[1] ، وفي طاعة الحُرَّة الملكة السيدة خادمًا ساعيًا ، يقصد من عاداها بالمحاربة والمنابذة ، وتأوي إليه القبائل والعشائر بحُسْن سعيه ، وشفاعته إلى الحُرَّة الملكة لائذة .

[1] فيما سبق صفحة ٢١٤ .

ثَوْرَةُ الفُقَهاء بالتَّعْكَر

ولمّا أُخرج[a] المنصور بن جَيّاش بن نَجاح من زَبيد، واستولى عليها أخوه عبد الواحد بن جَيّاش، جاء المنصور وعبيده إلى المُفَضَّل وهو في التَّعْكَر فلاذوا بجواره، واستنصروا بجيوشه وأنصاره، والتزموا له برُبْع خَراج ما ملكوه من البلاد، وسألوه المادّة لهم والأنجاد، فسارَ المُفَضَّل معهم، فأخرج عبد الواحد ومَلَّكهم[1].

وطالت إقامته في تِهامَة، وقد دانت البلاد فيها له، وكاد أن ينال فيها أمله، وقد ترك في التَّعْكَر نائبًا له يسمى الجَمَل[2]، وكان جماعةٌ من فقهاء الشافعية يخالطونه إلى التَّعْكَر، فوعدوا الرعايا في القيام معهم، ثم صعدوا إلى الجَمَل، وقد مالوا جماعة من الذين معه، فخالفوا في التَّعْكَر، وبايعوا لرجل منهم يُسَمَّى إبراهيم بن زَيْدان[3]، وأشعلوا النار في رأس حِصْن التَّعْكَر، فاجتمع الرعايا إليهم، فأصبح معهم على باب حِصْن التَّعْكَر عشرون ألفًا؛ واستولت الفُقَهاء على مُلكٍ لم يعهدوه، وأمرٍ أَخَلّوا به وأَفْسَدوه.

ووصل الخبر إلى المَفَضَّل وهو في تِهامَة، فسار مبادرًا لا يلوي على أحد حتى وَصَلَ إلى جبل التَّعْكَر، وحَصَرَ الفقهاء في الحِصْن؛ وقامت خَوْلان[4] في

[a] في تاريخ اليمن: خرج.

[1] عمارة اليمني: تاريخ اليمن ٣٩ (٧٢)، ولكنه عاد في صفحة ٧٠(١٠٠-١٠١) وجعل من لاذ بالمُفَضَّل هو المنصور بن فاتك بن جيّاش وليس عمه المنصور بن جيّاش.

[2] ورد اسمه عند عمارة ٣٩ (٧٢) الحمل بالمهملة ووصفه بأنه كان متقمصًا متمسكًا بالدين.

[3] إبراهيم بن محمد زيدان قال عمارة: «وله كانت البيّعة وهو عمي أخو والدي لأبيه وأمه» (عمارة اليمني: تاريخ اليمن ٣٩ (٧٢)).

[4] خَوْلان أحد القبائل اليمنية، والمراد هنا طائفة من خَوْلان العالية (حسين الهمداني: الصليحيون ١٦٥هـ[2]).

نُصْرتهم ، ومازال الحصار عليهم . ثم رأى الفُقَهاء أن خَوْلان خاذلتهم ، فقال لهم إبراهيم بن زَيْدان : «إنّي أريد أن أقتلَ المُفَضَّل ، ثم لا أبالي بعدها بالموت» ، فعمد إلى سرايا المُفَضَّل التي كانت في الحِصْن ، فأخرجهن في أحسن زِيّ ، وجعل بأيديهن الطارات ، وأطلعهن على سقوف القصور بحيث يراهم المُفَضَّل ويسمع أصواتهن ، وأكرههن أن يعزفن ويضربن الطارات ؛ وكان المُفَضَّل ذا غَيْرَة وأَنَفَه ، فقيل إنه مات غَيْرَةً لذلك تلك الليلة . وكانت وفاتُه – رحمة الله عليه – في شهر رمضان سنة أربع وخمسمائة [١].

ولما انتهى أمر موته إلى الحُرَّة الملكة السيدة الصُّلَيْحِيَّة ، بادرت بالطلوع بنفسها إلى جبل التَّعْكَر ، وكاتَبَت الفُقهاء ولاطَفَتهم ، ومازالت تراسلهم ، وكَتَبَت لهم كريم خَطِّها بما راموه واقترحوه من الأموال والأمان ؛ ويقال إن الذي صار إلى إبراهيم بن زَيْدان ، غير ما عند أصحابه ، من الحُرَّة الملكة ، خمسة وعشرون ألف دينار من العَيْن ، واستولت الحُرَّة الملكة على حصن التَّعْكَر ووَلَّت فيه مولاها فَتْحًا [٢].

ابن نَجيب الدَّوْلَة

ولما كان في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة قدم ابن نَجِيب الدَّوْلَة إلى اليمن من الحضرة الشريفة الآمرية ، وقد أُلْزِمَ خدمة الحُرَّة الملكة [٣]، وأن يكون طَوْعَ

---

[١] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٣٩-٤٠ (٧٢-٧٣)؛ ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ١٧٠- ١٧١؛ الخزرجي : الكفاية والإعلام ٥٨. وأضاف عمارة رواية أخرى مفادها أنه امتص خاتمًا كان في يده ، معدًّا عنده ، فأصبح مَيّتًا والخاتم في فيه . أما ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن فيذكر أنه مات بعزّان التَّعْكَر سنة تسع أو ثمان وخمسمائة (قيل مسمومًا وقيل مبطونًا) .وعلّق على ذلك حسين الهمداني بأن ما هذا القول إلاّ خرافة وأنه مات كمدًا لشدة غيرته وأنفته (الصليحيون ١٦٥هـ).

[٢] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٤٠ (٧٣).

[٣] بعد وفاة المُفَضّل بن أبي البركات أقامت السيدة الحُرَّة الأمير أسعد بن أبي الفتوح بن العلاء في=

أمرِها، ويذبّ عن دولتها. قال صاحب كتاب المفيد: «وكان ابنُ نجيب الدولة [في ابتداء أمره على خزانة الكتب الأفضلية][a] غزير الحِفْظ، مستبصرًا في المذهب [الطاهر][a]، قائمًا بتلاوة القرآن العزيز على الروايات عن السبعة القُرّاء؛ واسمه عليّ بن إبراهيم بن نجيب الدَّوْلَة، ونعته الأمير المنتجب عُز الخلافة الفاطمية، فَخر الدولة العلوية، المُوَفَّق في الدين، وَليّ أمير المؤمنين[1]. وسار معه عشرون فارسًا من الحُجَرِيّة[2] مختارة منتقاة»[3].

ولما وَصَلَ ابن نجيب الدَّوْلَة صَرَفت إليه الحُرَّة الملكة أمر الجُنْد والرعية. فغزا ابن نجيب الدَّوْلَة أهل وادي ميتم، وغزا زبيد، وغزا أهل السهلة؛ فأمنت

[a] ما بين المعقوفتين زيادة من عمارة اليمنى.

= المكان الذي خلا بوفاته ليدافع عن دولتها وظل كذلك إلى أن قتل في سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م (أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية ١٥٩-١٦٠).

[1] إن الوضع الصحيح لهذا الشخص بالنسبة للدعوة اليمنية غير واضح لنا سواء في المصادر المصرية أو المصادر اليمنية، وأظن أنه جاء لحماية أطراف مملكة السيدة الحُرّة مثله في ذلك مثل سبأ بن أحمد والمُفَضَّل بن أبي البركات. (راجع، عمارة اليمني: تاريخ اليمن ٤٢-٤٨ (٧٥-٨٠)؛ الخزرجي: الكفاية والإعلام ٥٨- ٥٩؛ الأشرفُ الرسولي، فاكهة الزمن ١٥٩- ١٦٣؛ ابن الديبع: قرة العيون؛ بامخرمة: تاريخ ثغر عدن ٢: ١٣٢- ١٣٤؛ يحيى بن الحسين: غاية الأماني ٢٨٥-٢٨٧ بالإضافة إلى عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٣٥و-٣٧و. والمصادر المصرية عند ابن ميسر: أخبار مصر ١٠٤- ١٠٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ١١٠- ١٢٢؛ وكذلك أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب ١٦٠-١٦٤).

[2] الحُجَرية. جماعةٌ من الشباب كانوا يُكَوَّنون في جهات مقدرة يُعَلَّم كل واحد منهم فنًّا من فنون الشجاعة والفروسية التي تحتاج إليها الدولة. فإن كبر منهم الصبي سُلِّم إليه سلاحٌ كاملٌ يكون عنده متى طُلِبَ منه الخروج للقتال لا يجد أمامه ما يمنعه. وهم على نمط «فرسان المعبد» المعروفين بال Templars وجماعة الاسبتارية Hospitallers عند الفِرنج. وهم أحد نتائج الإصلاحات العسكرية التي قام بها أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه في أعقاب هزيمة جيشه أمام الصليبيين، حيث أسَّس سبع حجرات خلف دار الوزارة الكبرى تجاه باب النَّصْر لإعداد محاربين جدد اختارهم من أولاد الأجناد وجعل على رأسهم أميرًا يقال له «المُوَفَّق» (أيمن فؤاد: الدول الفاطمية في مصر ٦٨٤).

[3] عمارة اليمني: تاريخ اليمن ٤٢(٧٥).

البلاد، وانقمع أهلُ الفساد، ورَخُصَت الأسعار، وانكفَّ الدُّعّار، وقَبَضَ يده عن أموال الناس، وعَدَلَ فيهم وأقام الحدود. واستخدم من بني حماس وسَنْحان ثلاثمائة فارس، وقَدَّم عليهم الطَّوْق الهَمْداني [1].

وَفاةُ الأَفْضَل بن بدر الجمالي

وفي [سَلْخ] شهر رمضان المعظم من سنة خمس عشرة وخمسمائة كانت وفاةُ وزير الإمامين المُسْتَعْلي بالله والآمر بأحكام الله، وهو أبو القاسم الأَفْضَل ابن أمير الجيوش بَدْر الجمالي المستنصري - رحمة الله عليه -. وكانت وفاتُه شهيدًا؛ وذلك أنه خَرَجَ من داره - قال القاضي ابن خَلّكان [2]: «وكان يسكن بمصر بدار المُلْك [3] التي على بحر النيل»، قال: «وهي اليوم دار الوَكالَة - فلمّا ركب من داره وتقدَّم إلى ساحل البحر وَثَبَ عليه جماعةٌ فقتلوه» [4].

---

[1] الطَّوْق بن عبد الله الهمداني (انظر فيما يلي صفحة ٢٤٠).

[2] ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢: ٤٥٠- ٤٥١.

[3] دار المُلْك. أنشأها الأفضل بن بدر الجمالي سنة ٥٠٠هـ بشاطىء النيل على ساحل مصر الفسطاط وانتقل إليها سنة ٥٠١هـ وحَوَّل إليها الدواوين من القصر كما جعل بها عمل الأسمطة في الأعياد واتخذ بها مجلس سماه «مجلس العطايا». وبعد وفاته سنة ٥١٥هـ صارت من جملة متنزهات الخلفاء. وبعد سقوط الفاطميين جعلها الملك الكامل محمد دار مَتْجر ثم عملت في أيام الظاهر بيبرس دار وكالة (وهو الوقت الذي كتب فيه ابن خلكان كتابه) (ابن ميسر: أخبار مصر ٧٦- ٧٧، المقريزي: الخطط ١: ٤٨٣- ٤٨٤، ٢: ٢٩١).

[4] راجع خبر مقتل الأَفْضَل بن بدر الجمالي عند، ابن الصيرفي: الإشارة ١٠١- ١٠٢؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ٢٠٣- ٢٠٤؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة (الدولة الفاطمية) ٨٨؛ ابن الأثير: الكامل ١٠: ٥٨٩- ٥٩٠؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٨: ١٠٤؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٧٩- ٨١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢: ٤٤٨- ٤٥٢؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٧٩- ٢٨١؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٦: ٤٨٥- ٤٨٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٦٠- ٦٢، الخطط ٢: ٢٩٠؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٢١٨- ٢٢٢؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٢٩- ٢٣٠.

وخَلَّفَ الأَفْضَل من الأموال ما لم يُسمع بمثلها. قال صاحب «الدُّوَل المنقطعة»: خَلَّفَ ستّمائة ألف ألف دينار، ومائتين وخمسين إرْدَبًّا دراهم نقد مصر، وخمسة وسبعين ألف ثوب دِيبَاج أَطْلَس، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي، ودوات ذهب فيها جوهرة قميتها اثنا عشر ألف دينار، ومائة مسمار من ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال في عشرة مجالس في كل مجلس عشرة مسامير، على كل مسمار منديل مذهّب بلون من الألوان أيّما أحبّ منه لبسه، وخمسمائة صندوق كسوة لخاصّته من دَقّ تِنّيس ودِمْياط؛ وخَلَّف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والطيب والتَّجَمُّل والحُلِيّ ما لم يعلم قدره إلّا الله تعالى؛ وخَلَّفَ خارجًا عن ذلك من الإبِل والبقر والغنم والجواميس ما يُستحى عن ذكر عدده، إلّا أنه بَلَغَ ضَمانُ ألبانها في سنةٍ مائةً وثلاثين ألف دينار؛ ووُجِدَ في تركته صندوقان كبيران فيهما إبَر ذهب برسم النساء والجواري. هذه رواية ابن خَلّكان في تاريخه[1].

وقد قال ابن خَلّكان: إن الآمر بأحكام الله - عليه السّلام - هو الذي أَوْثَبَ عليه قاتليه لتغلُّبه على المُلْك[2]، والله أعلم بذلك كيف كانت؛ إلّا أنها

---

[1] ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة (الدولة الفاطمية) ٩١- ٩٢، وعماد الدين إدريس لا ينقل مباشرة عن ابن ظافر وإنّما ما نقله عنه ابن خلكان؛ ابن خلكان: وفيات ٢: ٤٥١؛ وانظر كذلك ابن الطوير: نزهة المقلتين ٨- ٩؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٣/ ١: ٢٣- ٢٤؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٩٣؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٨٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٩٨؛ أيمن فؤاد: المرجع السابق ٢٣١، ٦٠٣- ٦٠٥.

[2] تشير المصادر إلى أن جماعة من النِّزارية (الباطنية) تَسَلّلوا إلى مصر وتربّصوا به حتى قتلوه عند رأس الجسر ليلة عيد الفطر سنة ٥١٥هـ/ يناير١١٢٢م (ابن المأمون: أخبار مصر ٤٦؛ المقريزي: الخطط ١: ٤٦٠)، ومع ذلك فإن أصابع الاتهام تشير إلى أن الخليفة الآمر دبَّر قتله بالاتفاق مع القائد محمد ابن فاتك البطائحي «لتضييقه عليه ومنعه مما تميل نفسه إليه ومنافرته إيّاه في بعض الأوقات» وأضاف ابن القلانسي-الذي أورد هذا الخبر-أن الآمر سُرَّ بمقتل الأفضل سرورًا غير مستور عن كافة الخاص بمصر والقاهرة (ذيل تاريخ دمشق ٢٠٤).

جاءت رواية عن الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي – قدّس الله روحه – تكاد أن تصحّح ما رواه ابن خَلّكان من توثيب الجماعة عليه . قال في بعض ماصَنَّفَه : « واعلم أنّ مولانا الإمام المنصور قد فَعَلَ مثل فعله ، ذلك بعبد من عبيده ، وذلك ما فعله في الخبر المشهور بالداعي أبي البركات بن بشْرى الحَلَبي – قدَّس الله روحه – وذلك أن الأَفْضَلَ كان يحسده ويرصده كثير الحرص في قتله ، فلما وَقَعَ ذلك وعلم الإمام – عليه السّلام – ذلك ، كتمه في قصره ؛ وكان الأَفْضَلُ يتصلّق على خبره ولا يعلم أين توجّه ، ولم يقع على شيء من ذلك . وأقام الداعي أبو البركات – قَدّس الله لطيفه – يربّي مَن أمر بتربيته من المؤمنين ، ويؤلّف ما ألزم تأليفه من كتب الدين .

فلما توفّي الداعي أبو البركات – قَدّس الله لطيفه – جاء بعض الأستاذين من خَدَم القصر إلى الأَفْضَلِ وذلك بأمر الإمام – عليه السّلام – فقال الأستاذ للأَفضَل : « إن الداعي أبا البركات كان من تلك المدّة لم يفارق القصر » ، قال الأَفضَل : « وكيف ذلك ؟ » قال : « أوقِفُك عليه غدًا إن شاء الله » . قال : فلما كان من الغد تقدّم الأَفْضَلُ لقضاء فَرْض الصباح ، فلما وَصَلَ الباب العزيزي لقيه جماعةٌ يزفّون جنازةً إلى المقبرة ؛ فلما أدّى فَرْضَ الصباح وخرج ، سأل الأستاذ ما وَعَدَهُ ، قال : « إنه صاحب التابوت الذي خرجوا به عند دخولك » ، قال : « ماقصّته ؟ » ، قال : « قُضِيَ عليه » ؛ فما تمالك الأَفْضَلُ أن تبع القوم وكشف التابوت فإذا الداعي الذي لا ينكره في الثياب والتشريفات التي تُجْعَل للدعاة ، ومع رأسه كُتُب التقليدات له في إقامة الدَّعْوَة ؛ فلما دُفِنَ وراح الأَفْضَلُ كثير التعجّب لذلك ، فجاء إلى القصر في اليوم الثاني وعاتب مولاه على إخفاء أبي البركات وكَتْمِه ، فقال – عليه السّلام : « علمنا سعيك فيه وعداوتك إيّاه ؛ وعليك خدمة لا تتعدّاها ، وعليه خدمة قد أدّاها » . وإذا كان ذلك من الأَفْضَل ومن عُتُوّه حتى ستر الإمام –

عليه السّلام- عنه وليًّا من أوليائه مثل أبي البركات، فإنّما ذلك لتكبّره وعتوّه، وتسلُّطه وعُلُوّه، وهو حريّ بما حَلّ به؛ والعلم عند الله سبحانه.

وزارة المأمون البطائحي

وأقام أميرُ المؤمنين الآمر بأحكام الله -عليه السّلام- بعد أبي القاسم المذكور في الوزارة أبا منصور جَوَامَرْد الآمري الملقّب بالمأمون[1]، ووُسم بـ «أمير الجيوش، سيف الإسلام ناصر الإمام، خليل أمير المؤمنين»[2].

قال صاحبُ المفيد: «ولما مات الأَفْضَلُ أمير الجيوش الوزير بمصر سنة خمس عشرة وخمسمائة، قَوّى المأمونُ الوزيرُ عليّ بن إبراهيم بن نجيب الدولة في اليمن وشَدَّ أَزْرَه، وكَتَبَ إليه بالتفويض، وسَيَّرَ نحوه أربعمائة قَوّاس أرمني وسبعمائة أَسْوَد؛ وسكن الجَنَد -وهي وطيئة للحافر، متوسّطة في الأعمال- وضاق الأمر به على سلاطين اليمن[3] [وهم سليمان وعمران

---

[1] يوجد هنا تخليطٌ عند عماد الدين إدريس فاسم الوزير المأمون البطائحي، أبو عبد الله محمد بن فاتك، أما جوامرد الذي أورد اسمه عماد الدين إدريس فهو أحد كبار غلمان الآمر الذي تولّى الوزارة لفترة نصف يوم فيّ أعقاب وفاة الآمر في ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ/ أكتوبر ١١٣٠م (ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢٦-٢٧؛ المقريزي: المقفى ١: ٣٩٤، ٣: ٨٠، اتعاظ الحنفا ٣: ١٣٧).

وسبب تلقيب محمد بن فاتك بـ «المأمون» حرصه على استدعاء الإمام الآمر بأحكام الله في أعقاب مقتل الوزير الأفضل لتسلُّم تركته الضخمة التي استمر نقلها من دور الأفضل إلى القصر نحو أربعين يومًا (المقريزي: المقفى ٦: ٤٨٠، ٥٠٠، اتعاظ ٣: ٦٤-٦٥؛ أيمن فؤاد: المرجع السابق ٢٣٣).

[2] ألقابُ المأمون البطائحي التي وردت في سجل توليته هي: «الأجلّ المأمون تاج الخلافة عز الإسلام فخر الأنام نظام الدين والدعاة» ثم نعت بما كان ينعت به الأفضل وهو «السيّد الأجلّ المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين» (ابن ميسر: أخبار مصر ٨٨؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٦: ٤٨٨؛ المقريزي: اتعاظ ٣: ٧٦، المقفى الكبير ٦: ٤٧٨-٤٧٩؛ أيمن فؤاد: المرجع السابق ٢٣٣-٢٣٤).

[3] عمارة اليمني: تاريخ اليمن ٤٣ (٧٦)؛ الخزرجي: الكفاية والإعلام ٥٨، عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٣٥و؛ بامخرمة: تاريخ ثغر عدن ٢: ١٣٣.

ابنا الزر ، ومنصور بن المُفَضَّل بن أبي البركات ، وسَبَأ بن أبي السعود ، ومُفَضَّل بن زُرَيْع] [a].

وفي سنة ثماني عشرة غزا ابن نجيب الدَّوْلَة زَبيدًا ، والوزير بها يومئذ مَنُّ الله الفاتكي[1] – أحد عبيد بني نجاح – وبنونَجَاح عبيد مَرْجان ، ومَرْجان عبد الحسين بن سلامة ، والحسين بن سلامة نوبيّ كان مملوكًا لرشيد الحَبَشي ، ورشيد الحَبَشي عبدٌ لأبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن فلان بن عبيد الله بن زياد بن أبيه ، الذي ادَّعى معاوية أنه لأبيه أبي سُفْيان بن حرب [2]. فغزا ابن نجيب الدَّوْلَة زَبيدًا كما ذكرنا ؛ وكان عشرة رُمَاة من الأرْمَن الذين وصلوا إليه قد استأمنوا إلى زَبيد ؛ فلما تزاحف الرجال للقتال ، رمى رجلٌ من الأرْمَن الذين بزَبيد بسهم فلم يخط أنف الجواد الذي عليه ابن نجيب الدولة ، فسقط ابن نجيب الدولة إلى الأرض ، وشَبَّ الفرس عن ابن نجيب الدولة نافرًا . وانهزم الناسُ عن ابن نجيب الدولة ، فقاتَلَت عنه هَمْدان أشدَّ القتال ، حتى أردفه رجلٌ منهم من مواحد يدعى السَّباعي[b] ؛ وكان في هَمْدان الطَّوْق الهَمْداني فأبلى وقوم معه . وعاد جواد ابن نجيب الدولة من الوقعة صلاة

---

[a] زيادة من عمارة اليمنى . [b] في تاريخ اليمن : الساعي .

---

[1] الوزير مَنُّ الله الفاتكي ثاني وزراء بني نجاح–بعد أنيس الفاتكي–شُهِرَ بالكرم والشجاعة والهيبة ، وهو الذي سَوَّر زبيد بعد الحسين بن سلامة–وزير بني زياد المتوفى سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١٢م–وهو أيضا الذي كسر ابن نجيب الدولة على باب زبيد وقتل من أصحابه مائة من العرب وثلاثمائة أرمني رماة وخمسمائة أسود (عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٣٨(٧١)).

[2] عن بني نجاح وتاريخهم راجع ، عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٦٠–٧٥ (٩٢–١١٨)؛ زاهر رياض : «دولة حبشية في اليمن–دولة بني نجاح» ، المجلة التاريخية المصرية ٨ (١٩٥٩) ١٠١– ١٣٠؛ محمد أمين صالح : «بنو نجاح في زبيد» ، مجلة الغد اليمنية ١/٣ (مارس ١٩٧٧) ١٠٠– ١١٥، ٢/٣ (يونية ١٩٧٧) ١٢٣– ١٣٣؛ أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية ٨١– ٨٥؛ G.R. Smith, *EI*[2] art. *Nadjâhides* VII, pp. 862-63.

الظهر يوم الجمعة، فأصبح يوم السبت بمدينة الجَنَد، وبينها وبين زَبِيد ثلاثة أيام المجد، فلم يمس الخبر إلّا بذي جِبْلَة ليلة الأحد، وأشاعوا أنه قتل ابن نجيب الدولة بزَبِيد، ثم وصل عليّ بن إبراهيم إلى الجَنَد بعد أربعة أيام وركب إلى ذي جِبْلَة؛ وعَضَّدَته الحُرَّة السَّيِّدَة الملكة وأعطته الأموال، وجمعت إليه الرجال، فما زال يغزوا العدوّ إلى أقصى البلاد، وينقمع به أولو الزَّعارة والفَساد [1].

« ثم اجتمع عليه سلاطينُ اليمن [2]، وقد خالف الحُرَّة الملكة في بعض رأيها وقال إنها قد خَرِفَت، فأعرضت عنه؛ وحاصروه بالجَنَد - وكانت ذات سور - ومعه من هَمْدان - كما ذكر صاحب المفيد - أربعمائة فارس منتقاة؛ وجاءه السلاطينُ في ألفي فارس وثلاثين ألف راجل، فأحاطوا به. قال: وكان مع ابن نجيب الدَّوْلَة فُرسانٌ يُعدّ كل فارس منهم بمائة فارس، منهم الطَّوْق بن عبد الله الهَمْداني ومحمد بن أحمد بن عِمْران اليامي، وعلي بن عبد الله الصُّلَيْحي - قال: وهو الذي وَلَّته الحُرَّة الملكة بعد ابن نجيب الدَّوْلَة - ومنهم علي بن سليمان الزَّوَاحي، وجماعةٌ معهم. وكانت بينهم حروبٌ ووقعات، وأبْلت هَمْدان مع ابن نجيب الدَّوْلَة [3].

ولما اشتدّ الحصار على ابن نجيب الدَّوْلَة كتب إلى الحُرَّة الملكة يستغيث بها، فكتبت الحُرَّة الملكة إلى عمرو بن عَرَفْطَة الجَنَبي، فأجابها، وخَيَّم عندها

---

[1] عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ٤٣-٤٤ (٧٥-٧٦).

[2] هم سليمان بن أبي الزَّرّ والمُفَضَّل بن زُرَيْع ومسعود بن زُرَيْع (عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ٤٤ (٧٦) وفيما سبق صفحة ٢٣٩).

[3] عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ٤٤-٤٥ (٧٧)؛ الخزرجي: الكفاية والإعلام ٤٥٨ عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٣٦و٤؛ يحيى بن الحسين: غاية الأماني ٢٨٦.

وعليّ بن عبد الله الصُّلَيْحي ابن شقيق الداعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي أما عليّ بن سليمان الزَّواحي فهو ابن سليمان بن عامر بن سليمان الزَّواحي أخي السيدة الحُرَّة في الرَّضاعة.

بذي جِبْلَة ؛ وبعثت إلى وجوه القبائل ، ففرَقَّت فيهم عشرة آلاف مثقال مصرية ، وقالت للرسل : « أشيعوا في العسكر أن ابن نجيب الدَّوْلَة فَرَّق في الناس عشرة آلاف دينار مصرية » ؛ فلما شاعَ ذلك في العسكر ، اجتمعوا وقالوا : « إن أنفق السلاطين علينا من الذهب المصري وإلَّا ارتحلنا » ؛ فلما خوطب السلاطينُ بذلك ، وَعَدوا الناس ؛ فلما كان من الليل ، ارتفع السلاطينُ كلٌّ منهم إلى بلده ، وأصبحت الحشودُ من كل بلد بلا رئيس ، فانفضَّ الناسُ عن الجَنَد . فقيل لابن نجيب الدَّوْلَة : « هذا تدبير التي قلتَ إنها قد خَرِفَت » ؛ فركب إليها إلى ذي جِبْلَة فتنصَّل واعتذر [١].

وقال محمد بن أحمد بن عِمْران مفتخرًا يبلائه مع المُوَفَّق ابن نجيب الدَّوْلَة ويذكر تفرُّق الجنود عن الجَنَد ، وكَتَبَ بها إلى قومه :

[الطويل]

خليليّ إني قد قَصَصْتُ عليكما ... مع الركب من أنبائنا ما تَقدَّما
وهـا أنـا والله المُوفَّـق مُـورد ... من القول ما يشفي الغليل المنصرما
ومُهْدٍ سلامًا كالرياض تأرّجتْ ... وفتَّح منها الرشح نورا مكمّما
وإن نسي الإخوان بأسًا وقسوةً ... خليلًا رمى نجدًا وغورًا فاتهما
فلم ينسني بعد الديار ودادكم ... ولا مسلكي شرقًا وغربًا مقدّما
ولم أنسكم والنبل حولي كأنّها ... سراع يعاسيب فرادي وتوءما
ورَشّ جياد الخيل منّا ومنهم ... خضابُ دمٍ قانٍ بخيّل عندما
أبثّـكـمـا أنّ الـغُـواة تـألّـبـوا ... علينا وقادوا كل أنكد أشأما
عساكرُ فيهم كل ضدّ وناصب ... وعادٍ ومرتدّ يرى النور مظلما
جموعُ عبيد الله ظلمًا وردّة ... وجُنْدٌ يزيد سطوة وتغشّما

---

[١] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٤٥-٤٦ (٧٨) .

فلما توافى القومُ من كل وجهة　　　وفَجٍ وأمسى كلّ حزب مخيّما
وأعجبهم آراؤهم وجموعهم　　　وأصبح منهم ثعلب القوم ضَيْغَما
أشاحوا من الشِّحان صَبْحًا وجَنّدوا　　　لأجناد جُنْد كالجراد عَرَمْرَما
صفوفُ قسيّ خلف صَفّ ضرامر　　　وصفّ يهزّون الوَشيح المقومّا
كمثل أعاصير الربا وكوابل　　　من المُزْن أو أمواج بحر تلطَما
وحامت عقاب الحرب فينا وفيهم　　　فظلّ بها طير المنيّة حُوَّما
فردّهم جيشُ الإمام وحزبُه　　　وقد أمطروا صخرًا علينا وأسْهُما
بوابل نَبْلٍ والعجاج سحابه　　　وبارق لَمْع الظبي حين أسجما
وتدبير داعيه الموفّق أنه　　　كميّ إذا ما أبرم الأمر أحكما
وفَلّت شباهم عصبة يذكريّة　　　ترى الصبر في يوم الكريهة مَغْنَما
تحامي على أحسابها وعهودها　　　وبُنْيان سامي مجدها أن يهدّما
فولّوا فرارًا بعدها وتفرقوا　　　وأدبر قوماهم جميعًا وأحجما
ولا يستوي حزبُ الإمام وجنده　　　وأتباع مرتدّين خانا وأجرما
فذلكما ما كان من عِلْم حالنا　　　وأخبارنا صدقًا إلى الآن فاعْلما
وصلّى على خير الأنام محمد　　　وأبنائه الله العظيم وسلّما

ومازال ابن نُجيب الدَّوْلَة في اليمن حتى وافى كتابُ أمير المؤمنين الآمر بأحكام الله – سلامُ الله عليه – إلى الحُرَّة الملكة يأمرها بإشخاصه إلى مصر. فلما رَكبَ في الجَلْبَة[1] احتال بعض من يكرهه وبذلوا لرُبّان المركب مالًا، فاحتال فيه حتى غَرَّقَه في البحر[2]. وغَرَقَ مع ابن نجيب الدَّوْلَة كاتبُ الحُرَّة

[1] جَلْبة جـ. جِلاب وجُلَب وجَلْبات. من المراكب التي تسير في المحيط الهندي، واستعملها أهل مصر والحجاز واليمن في نَقْل الحُجّاج، ووصفها ابن جُبَيْر نحو سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م بأنها لا يستعمل فيها مسمار ألبتة، إنما هي مخيطة بأمراس من القنبار (ابن جبير: الرحلة ١٤٧؛ المقريزى: الخطط ١: ٢٠٣؛ درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم ٢٧-٢٩).

[2] تذكر المصادر اليمنية أنه أغرق في باب المندب، أما المصادر المصرية فتفيد أنه أحضر إلى القاهرة سنة =

الملكة ابن الأزدي، فماتا جميعًا غريقين في البحر - رحمة الله عليهما [١].

وقد أشاعوا على المُوَفَّق في الدين وَلِيِّ أمير المؤمنين، أنه دَعَا إلى نِزار؛ فبَرَّأته الحُرَّة الملكة مما يقولون، وأظهرت طهارته مما يزعُمون [٢].

عليّ بن عبد الله الصُّلَيْحي.

ووَلَّت الحُرَّة الملكة عليّ بن عبد الله بن محمد الصُّلَيْحي - ابن أخي الداعي الأَجَلّ عليّ بن محمد الصُّلَيْحي - بعد ابن نجيب الدَّوْلَة ما كان إليه، وأقامته للقاء المعاندين في الحرب، وقَدَّمته في اليمن للدفاع عن دولتها والذَّبّ، ونُعِتَ بـ «فَخْر الخِلافَة» [٣].

فقال محمد بن أحمد بن عِمْران يمدح فَخْر الخلافة الصُّلَيْحي، ويذكر بما خُصَّ به من التشريف، والتقديم في المكان الزليف [٤]:

= ٥٢١هـ/١١٢٧م فوصل إليها يوم عاشوراء فشهِّر في طرقاتها ثم أدخل السجن مع الوزير المأمون البطائحي ثم قتلا معًا ومعهما شخصٌ يدعى صالح بن عفيف في ١٩ رجب سنة ٥٢٢هـ/١٩ يولية ١١٢٨م وصلبوا بقرب سقاية ريدان (ابن ميسر: أخبار مصر ١٠٦، ١٠٧؛ المقريزى: اتعاظ ٣: ١١٩، ١٢٢).

[١] انظر تفاصيل هذا الخبر الذي أوجزه عماد الدين إدريس ومناقشته عند أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية ١٦٢- ١٦٤؛ حسين الهمداني: الصليحيون ١٦٨- ١٧٥.

[٢] تذكر المصادر المصرية أن من بين أسباب قتل الإمام الآمر لوزيره المأمون البطائحي أنه هو الذي أمر ابن نجيب الدولة أن يظهر الدعوة النزارية في اليمن والتى كان وراءها الأمير الكذّاب هلال الدولة سوار (ابن ميسر: أخبار مصر ٩٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ١٠٣).

[٣] عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١:٣٦و، ٣٧و.

[٤] نشر حسين الهمداني الأبيات الأول والثامن ومن التاسع إلى الرابع عشر في كتابه «الصليحيون» ١٧٤- ١٧٥، وانظر كذلك عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٣٦و-٣٦ظ.

[البسيط]

يا غاديًا مزمعًا في السَّير معتزمًا ... لا يتّقي الأين والوَعْثاء والألَما
يطوي الصَّفاصِف مختارًا لطيَّته ... بذي رسيم يفوت الأنيق الرسما
عَبْل سَبُوح طَموح سَلْهَب أرن ... يعلو الرُّبا ويجوز السَّهْل والأكَما
يظل للأمْعَز الصَّوّان منتعلًا ... وللحيازم والغِيطان مُخْتَرِما
يخالُ في الهِضَب عودًا عصما وقلًا ... وفي الفلا شببًا في وابل شبما
يؤم بالوَخْذ أعلام الصوى طَلْقًا ... إلى الذي صار في دين الهُدى عَلَما
واصل مسيرك بالآصال منسرحًا ... إلى الدُّجي وَصْل الإصباح والظُّلَما
واحمل سلامي إلى المختار عن كَثَب ... فَخْر الخلافة والْثَم كَفَّه أمَما
ندب سما للمعالي وهي شامسة ... وأزعف الصارم الهِنْدي والقَلَما
وحازَ من نسب الأَصْلوح ذروته ... وحاشِد واعتلى الهامات والقِمَما
رئيسُ هَمْدان بل كَهْلانَ أجمعِها ... بل قَوْم قَحطانَ حازَ العلم والكَرَما
أوفى بني الدَّهْر في شام وفي يمن ... قولًا وفعلًا وأعلى يعربٍ هِمَما
ومنصبًا ومحلًا شامخًا وعلًا ... عند الفَخار وأسنى رَهْطَه شيما
لما رأى الله ركن الدين منهدمًا ... والعَدْلَ مهتضمًا والحقَّ مخترما
حباه بالرُّتْبَة العُلْيا وشَرَّفَه ... بدَعْوَة الدين حتى عَزَّ وانْتظما
وساقَها نحوه عفوًا لطاعته ... وحُسْن سيرته كَهْلًا ومُحْتَلِما
فدونك الدُّرُّ منظومًا محاسنه ... يعمي الشناة ويجلو نوره الظُّلُما
فأَحْيه وابْق ما ناحت مطوّقة ... ولا تُمِته فيمضي سلكة رمما

وقال إليه أيضًا في صدر كتاب :

يا من إليه عيونُ الناس طامحة ... ومن لدولته الحسّاب تنتظر
أنت المُعْرِق في سِرِّ الملوك ذوي ... الأحساب والشَّرَف الوَضّاح إن ذكروا
وأنت من دَوْحَة الأَصْلوح نبعتها ... والأصلُ يشبهه الأغصان والثَّمَر
عليك مِنِّي سلامُ الله ما طلع الـ ... سَّعدانُ والشمسُ والنحسانُ والقمرُ

الذُّؤَيْب بن موسى الوادعي

وما زالت الدَّعْوَة الشريفة الآمرية حيث انتشرت من الأقطار جاريةً على السعود، ومنقمعًا عنهما كل شان وحسود.

والحُرَّة الملكة قائمةٌ بنَشْر أعلامها في اليمن، منتصبةٌ لذلك انتصاب من هدى فأحسن؛ والداعي السَّيِّد قاضي القضاة يحيى بن لَمَك منتصبٌ معها بإقامة الدَّعْوَة، كائنٌ في أهل الإيمان الدليل إلى الخير والقدوة.

وأقاما الدّاعي الذُّؤَيْب بن موسى الوادِعي[1]– كَوْكَب اليمن الوَقَّاد، وشهابه المرمى بثواقب براهينه شياطين العناد – داعيًا في الدَّعْوَة الشريفة، وجعلاه بعدهما القائم في الدَّعْوَة والخليفة.

فيقال إنه اجتمع عِدَّةٌ من سلاطين اليمن إلى قاضي القُضاة وداعي الدُّعاة باليمن يحيى بن لَمَك بن مالِك الحَمّادي – أعلى الله قُدْسَه – وكلٌّ من أولئك السلاطين يرى أنها ستقع إليه بإقامة الدَّعْوَة الشريفة الإشارة، ويتطلَّع إلى أن يلي إيراد الأمر فيها وإصداره، والذُّؤَيْب بن موسى – قَدَّس الله روحه – متواضعٌ مع علوّ رُتْبَته، لا يؤبه إلى ما يشار إليه من عالي منزلته فحين اجتمعوا عند القاضي الأَجَلّ يحيى بن لَمَك بن مالك، أعلى بالتعريف بفضل الداعي

---

[1] الداعي الذُّؤَيْب بن موسى الوادعي الهَمْداني أوّل الدُّعاة المُطْلَقين للدعوة الطيبية في اليمن في دور السَّتر الثاني، توفي في المحرم سنة ٥٤٦هـ/ مايو سنة ١١٥١م (راجع، عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٣٧ظ، ٤٣ظ؛ برهانبوري: منتزع الأخبار ٦٩- ١٧٤؛ حسين الهمداني: الصليحيون ١٨١-١٨٢ الذى يرى أنه مع تولّي الذُّؤَيْب بدأ نظام ثنائي حيث فَصَلَت السيدة الحُرَّة الدعوة عن الدولة فصلا مطلقا، كما أدّى اختفاء الإمامة من مصر باستتار الإمام الطَّيِّب وسقوط الدولة الصليحية إلى أن أصبحت الدعوة في اليمن منظمة دينية بحتة يعوزها تعاون الدولة وتأييدها؛ أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية ١٩٠-١٩٤، ١٩٨-١٩٩؛ Ivanow, *Ismaili Literature* p. 52; Poonawala, *Biobibliography* pp. 137-39, Daftary, *The Ismā'īlīs* pp. 285-86.

الذُّوَيْب بن موسى وعالي مقامه، وأنه المعاضد له والخالف له بعد انقضاء أيّامه؛ وتلى على السلاطين والمؤمنين التقليدين من الحُرَّة الملكة السيدة وليّة أمير المؤمنين وكافلة أوليائه الميامين، ومن داعي الدُّعاة وقاضي القضاة يحيى ابن لمك ذي الحُجَّة الماضية والبراهين. فسمع أهلُ الفضل والديانة قَوْلَ الحُرَّة الملكة حُجَّة الإمام الآمر، وقول داعيه يحيى بن لَمَك ولم يكن منهم جاحدٌ ولا مكابرٌ؛ وتَوَقَّفَ قومٌ توقُّف المتحيّرين، وأعرضوا عنه إعراض المُصِرِّين المستكبرين، فكانوا بذلك النادمين الأخسرين. وقالت الحُرَّة الملكة: «حَسْبُ بني الصُّلَيْحي ما أعْطَوْه إلى الآن»، ونظرت فيما هو أصلح لأهل الديانة والإيمان [1].

وكان الداعي الذُّوَيْب بن موسى بين دُعاة اليمن كالمصباح، وهو العالمُ العَلَم المجدّ في نجاة النفوس والأرواح، وبه قامت الدَّعْوَة لمولانا الإمام الطَّيِّب ابن الآمر – صلّى الله عليه – في الآفاق، ووضُحت وضوح الشمس في الضياء والإشراق.

وفاةُ يحيى بن لَمَك

وكانت وفاةُ الداعي الأَجَلّ الأَفْضَل يحيى بن لَمَك بن مالك الحَمّادي – أعلى الله قدسه – في شهر جمادى الآخرة من سنة عشرين وخمسمائة [2].

---

[1] حسين الهمداني: الصليحيون ١٨٢.

[2] ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن ٢٣٤؛ الخزرجي: الكفاية والإعلام ٥٩؛ عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٤٤و.

البِشَارة بميلاد الطَّيِّب

ووَرَدَت على الحُرَّة الملكة السيدة البشارة بمولد أمير المؤمنين الطَّيِّب بن الآمر في سِجِلٍّ يتضمَّن من النَّصّ عليه ، والإشارة بشريف مقام الإمامة إليه [١] ، ولما وَصَلَ السِّجِلُّ الشريف بذلك إلى الحُرَّة الملكة وعرفت معناه ، وتحقَّقت فَحْواه ، عملت بما به مولاها أمرها ، وأعلمت به من حَضَرَها ، وأذاعت ذلك في جميع المؤمنين ، وعَرَّفتهم أن ذلك نَصٌّ على الإمام الطَّيِّب أبي القاسم أمير المؤمنين ، حتى تساوى في معرفة ذلك البعيد والقريب ، وأَخَذَ كُلٌّ منه بأوفى نصيب .

وقامت هي والداعي الأَجَلّ الذُّؤَيْب بن موسى بأمر الدَّعْوَة خير قيام ، ونشراها في الخاصّ من أهل دعوتهما والعامّ ، وأقاما معالم الإيمان والإسلام ، وشهرا ما للأئمة – عليهم السَّلام – من الفَضْل ، وأمرا بما أمر به الأئمة الطاهرون من العَدْل ؛ فَعَلَت بهما الدَّعْوَة واستقامت ، وانتشرت في البادين والحاضرين وقامت .

وأظهر الداعي الذُّؤَيْب بن موسى من عِلْم الأئمة الطاهرين ، ونَشَرَه في الأولياء والمستجيبين ، وعُرِف فضله المبين ، والداعي الذُّؤَيْب بن موسى كان مقرُّه ومحلُّه بحُوث من أرض الظَّاهر ؛ وهو العالِم المُفَلَّق ، والمُبَرِّز في الدَّعْوَة الذي هو كالبحر المتدفِّق .

ولما علم أميرُ المؤمنين الآمر بأحكام الله – سلام الله عليه – بما وَرِثَه من علم آبائه الطاهرين المأخوذ عن رسول ربِّ العالمين ، مما نزل به الروح الآمين ،

---

[١] انظر فيما يلي صفحة ٢٥٤ .

على قلب محمدٍ سَيِّد المرسلين، أنّ نُقْلَته قد دنا أوانُها، وحان حينُها وزمانُها، وأن ذلك كائنٌ، ووَلَدُه الطَّيِّب في الطفولية، كَتَبَ إلى الحُرَّة الملكة يأمُرُها ودُعاته كافَّةً بالدَّعْوَة إلى ولده، وأنه الخليفة من بعده.

وأرسل إلى الحُرَّة الملكة السيدة الشريف محمد بن حَيْدَرة[1] بسِجِلّات تَتَضَمَّن السلام عليها، والأوامر والنواهي الواردة في كلّ وقت إليها.

وكان مما سَفَر به إليها منديلُ كمّ[2] سَمِل، وأمر الشريف محمد بن حَيْدَرَة بتسليمه إليها، فجعل الشريفُ ذلك المنديل في ثيابه، وتعَجَّبَ من قضية إرساله إليها بفرد منديل، لما يعرفه عندها من المُلْك الجليل، ولم يعلم أسرار أولياء الله في جليل الخطر والقليل.

فلما وَصَلَ الشريفُ سألته: هل خَصَّها الإمام – عليه السَّلام – معه من أوامره ومُلَطَّفاته التي جَرَت بها عوائده إليها؟ فقال: «ما عندي شيءٌ غير ما أبلغته». وقد أنسي ذلك المنديل احتقارًا له؛ وأقام أيامًا. ثم إنه افتقد ثيابه ليلبس منها شيئًا، فوجد ذلك المنديل، فأخذه وجاءَ به إلى الحُرَّة الملكة – رضي الله عنها – واعتذر في نسيانه؛ فأخذته منه – وكان المنديل سَمِلًا – ثم فاضت عيناها بالدموع؛ فسألها مَنْ لديها عن ذلك؛ فقالت: «إن مولانا نعى إليَّ نفسه». وكان قد قال سِجِلُّه الشريف: وقد أمرنا الشريف محمد ابن حَيْدَرَة إليها بما تَعْمَلُ بحسبه، ولم تسأله حين سألته ما الذي خَصَّها به الإمام من مُلَطَّفاته وأسراره إلّا لقوله – عليه السَّلام – لها «بما تعمل

[1] شاعر فاطمي لم يصل إلينا من إنتاجه إلّا نماذج أوردها عماد الدين إدريس، وربما كان هو المترجم عند الصفدي: الوافي بالوفيات ٣: ٣٢ وذكر وفاته في سنة ٥٤٩هـ، وفيما يلي صفحة ٢٥٨، ٢٦١.

[2] منديل الكم مصطلح لم يرد في المصادر المصرية سوى عند ابن المأمون وابن الطوير: وهو غير واضح المدلول ويبدو أنه كان يوضع في كم الخِلَع.

بحسبه » ، ولم يظهر لها أمر تعمل عليه حتى وَقَفَت على ذلك المنديل ورأته سَمِلًا ، فعلمت أنه نَعَى إليها نفسَه .

وفاة الآمر بأحكام الله

ولما أتت نُقْلَةُ الإمام الآمِر بأحكام الله أمير المؤمنين – عليه السَّلام – إلى جوار ربِّه ، ولحوقه بمحمدٍ – ﷺ – وحزبه ، كان يرمز بذلك لخاصته ، وخُلَصاء أوليائه القائمين بدعوته .

فمن ذلك أنه كان جماعةٌ منهم بين يديه ، فقربت إليه معشرة فيها تُفَّاح حسن ، وفي ذلك التفَّاح حَبَّة حسنة كبيرة خضرة نضيرة ، فأخذها – عليه السَّلام – واستدعى بسكاكين فركزها جميعًا في التُّفَّاحة ، قال للحاضرين بين يديه : « إن هذه مثلي ؛ هكذا أُوْخَذ من بينكم ، ويقع الحديد عليَّ كما رأيتم » .

ومن ذلك أن عليّ بن الحسين كاتب صاحب الحرمين ، سَفَّرَه ابن أبي هاشم – صاحب مكة المشرفَة[1] – إلى الحضرة الشريفة الآمرية ، فأمر أمير المؤمنين – عليه السَّلام – الداعي أبا الفَخْر[2] بإنزاله وإكرامه ، وأقام عليّ بن

---

[1] فُلَيْتَة بن قاسم بن أبي هاشم محمد بن جعفر بن أبي هاشم ، أمير مكة المتوفى في ٢١ شعبان سنة ٥٢٧هـ (الفاسي : العقد الثمين ٧: ٢٠) .

[2] الداعي أبو الفخر ربما كان الشخص الذي حضر مع دُعاة الإسماعيلية المجلس الذي عقده الإمام الآمر في القصر سنة ٥١٨هـ والذي شهدت فيه أخت نزار بشرعية تولّي أخيها المستعلي للإمامة (ابن ميسر : أخبار مصر ٩٩؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٨٤، الخطط ١: ٤٤٥) وذكر ابن ميسر أيضا في حوادث سنة ٥١٧هـ خبر وفاة داعي الدعاة وَلِيّ الدولة أبو البركات بن عبد الحقيق واستقر عوضه أبو محمد حسن بن آدم ، ثم صرف لحداثة سنة وقُرِّر أبو الفَخْر صالح (الذي ربما كان هو المقصود في النَّص) وأضيف إليه الخطابة بالجامع الأزهر مع خزانة الكتب (أخبار مصر ٩٦؛ المقريزى : اتعاظ ٣: ١٠٥) .

الحسين حَوْلًا كاملًا ، وأبو الفَخْر يلاطف الإمام – عليه السَّلام – ويذاكره في خلاص حوائج عليّ بن الحسين ، وعودته إلى الحرمين ، فلا يجيبه الإمام – عليه السَّلام – بغير قوله : « يا أبا الفَخْر ، مسكين ابن مسكين ، المقتول بالسكين »[١].

فلما كان يوم الثلاثاء الثالث من ذي القعدة من سنة ست وعشرين وخمسمائة[٢]، خَرَجَ أميرُ المؤمنين الآمر بأحكام الله – عليه السَّلام – في موكب عظيم من الجيوش والعساكر ، والراياتُ عليه خافقة ، والعيونُ إليه رامقة ؛ وقد تمالأ قومٌ من المَلَحِدَة النِّزارية اللُّعَناء على أن يفتكوا به – عليه السَّلام – ، فعَلَا رجلٌ من أولئك النِّزارية اللُّعَناء إلى رأس منارة عالية ، ثم ألقى بنفسه ، فالتفتوا الناس إلى ذلك ليعلموا شأنه ، وعاجل بقية أصحابه اللُّعَناء الفرصة ، فوَثَبوا على الإمام – سلامُ الله عليه – فطعنوه بسكاكينهم – وقد أكثروا فيها السمّ ؛ ومال الناسُ عليهم مقلقين غِضَابًا ، فقطَّعوهم آرابًا[٣].

وعاد الإمامُ – عليه السَّلام – إلى قصره وهو لما به ، ودَخَل القصر مُتَّكِئًا على ابن عمه عبد المجيد . وأمر عند دخوله القصر بإحضار حُجَجِه وأبوابه ،

---

[١] أورد أبو المحاسن رواية مماثلة يقول : «إن بعض مُنَجِّميه كان عرّفه أنه سيموت مقتولًا بالسكاكين ، فكان الآمر كثيرًا ما يَلْهَج بقول : الآمر مسكين ، المقتول بالسكين » (النجوم الزاهرة ٥: ١٨٥) .

[٢] هذا التاريخ غير صحيح ، وما ورد في المصادر المصرية وعلى الأخص عند ابن ميسر : أخبار ١١٠ أن الآمر توفي مقتولاً يوم الثلاثاء الثاني من ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وأن عمره يوم قتل أربع وثلاثون سنة وتسعة أشهر وعشرون يومًا .

[٣] انظر خبر مقتل الآمر عند ابن القلانسي : ذيل ٢٢٨؛ ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة (الدولة الفاطمية) ٩١؛ ابن الطوير : نزهة المقلتين ٢٤– ٢٦؛ ابن الأثير : الكامل ١٠: ٦٦٤؛ ابن ميسر : أخبار ١١٠– ١١١؛ ابن خلكان : وفيات ٥: ٢٩٩– ٣٠٠؛ ابن القطان : نظم الجمان ٢١٧– ٢٢١، ٢٣١– ٢٣٣؛ ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٨٤– ٨٥؛ النويرى : نهاية الأرب ٢٨: ٢٩٤– ٢٩٥؛ المقريزي : الخطط ٢: ٢٩١ اتعاظ ٣: ١٢٩؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ١٨٤– ١٨٥؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٤١– ٢٤٢، ويمدنا نصّ ابن الطُّوَيْر ونَصّ ابن القَطّان بتفاصيل دقيقة عن مؤامرة قتل الآمر .

والخلصاء من دُعاته وأوليائه وأصحابه ، فجَدَّد النَّصَّ على ولده الإمام الطَّيِّب أبي القاسم أمير المؤمنين ، وأَخَذَ البَيْعَة له ، وأَوْدَع ابن عمه عبد المجيد[1] قصره وظاهر ملكه بعد أَخْذ البَيْعَة عليه وتأكيدها أنه حافظٌ لما في يديه للإمام الطَّيِّب أبي القاسم أمير المؤمنين ، وسَلَّم إليه جميع ما أمره أن يؤدِّيه أداء الثقة الأمين[2].

وأحضر ابن مَدْيَن – وكان لديه صاحب المنزلة العلية ، والقائم بالرُّتْبَة العظيمة البابية[3]– واستودعه لولده الإمام الطَّيِّب أبي القاسم أمير المؤمنين ؛

---

[1] أبو الميمون عبد المجيد ابن عم الإمام الآمر بأحكام الله وأكبر أقارب الإمام سنًا الذي بويع في مصر فور مقتل الآمر «كفيلاً لحَمْل منتظر في بطن أمه» ثم اعتقله الوزير أبو علي الأفضل كُتَيْفات إلى أن قتل في ١٦ محرم سنة ٥٢٦هـ/ ٩ ديسمبر سنة ١١٣١م ، فأخرج من معتقله وبويع «ولي عهد كفيل لمن لم يُذْكَر اسمه» ؛ ثم قرىء سجل في ٣ ربيع الآخر سنة ٥٢٦هـ/ ٢٣ فبراير سنة ١١٣٢م بمبايعته إمامًا وتلقيبه بـ «الحافظ لدين الله» ليُصْبح بذلك أوّل إمام في تاريخ الدولة الفاطمية لم يكن أبوه إمامًا . وبذلك انقسمت الدّعوة المستعلية إلى : طَيِّبِيَّة–نسبة إلى الإمام الطَّيِّب بن الآمر – الذي اعترفت بإمامته مستعلية اليمن ، و «حافظية» أو «مجيدية» – نسبة إلى الحافظ عبد المجيد – تَمَتَّعت بتأييد مؤسسة الدعوة في مصر . وقد تجاهلت المصادر المصرية التي كتبت في عهد الحافظ عبد المجيد وما بعده أمر الإمام الطَّيِّب ولم تشر إليه إطلاقًا (راجع ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة (الدولة الفاطمية) ٩٤– ١٠١؛ ابن الطوير : نزهة المقلتين ٢٦– ٥٣؛ ابن الأثير : الكامل ١٠: ٦٦٥، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣: ٢٣٥– ٢٣٦؛ ابن ميسر : أخبار مصر ١١٣– ١٤١؛ النويري : نهاية ٢٨: ٢٩٦– ٣١٠؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٦: ٥٠٦– ٥٥٤؛ الصفدي : الوافي ١٩: ١٢٦– ١٢٧؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ١٣٧– ١٩٢؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٢٣٧– ٢٤٠؛ A.M. Magued, *EI*^{2} art. *al-Hâfiz* III, pp. 56-57; P. Sanders, «Claiming the Past : Ghadir Khumm and the Rise of Hâfizi Historiography in late Fatimid Egypt», *SI* 75 (1992), pp. 81-104؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية ٢٤٨–٢٥٣؛ Daftary, *The Isma'ilis* pp. 265-68؛ وفيما يلي صفحة ٢٦٥ .

[2] هذه الرواية انفرد بها عماد الدين إدريس لأغراض مذهبية لتأكيد مبايعة عبد المجيد لابن الآمر الطفل الطَّيِّب ، وأن تولِّيه الإمامة بعد ذلك هو اغتصاب لحق اؤتمن عليه . فالمصادر المصرية تذكر أن الإمام (الخليفة) قُتِلَ بجزيرة مصر بالقرب من المقياس وحُمِلَ في مركب في الخليج إلى منظرة اللُّؤلؤة ومنها إلى القصر . وبينما يذكر ابن الطوير أن الآمر فاضت روحه قبل وصوله إلى القصر ، يذكر ابن ميسر أنه توفي بعد نقله إلى القصر باقي يومه ، وانظر فيما يلي صفحة ٢٦٥.

[3] هذا الداعي وكذلك أسماء الدُّعاة المذكورين فيما يلي صفحة ٢٦٨ في النص المنقول عن الداعي =

وأعلمه أنه مقتول بعده ؛ وأمره أن يستودع صهره أبا علي القائم بعده برتبة البابية ، والخالف له في منزلته السنية ، وأن يكون ذلك الأمرُ لديه وديعةً لولده الإمام الطَّيِّب – صلوات الله عليه – وأن يستتر بستره ، ولا يخالف شريف أمره .

وانتقل – عليه الصَّلَوات السَّنِيَّة ، والبركات الرضية ، والرحمة والرِّضْوان من الله باري البرية – من ليلته ، وعَظُمَت المحنة والبَلِيَّة لتُقْلَته .

والحمد لله على نزول قَدَره ، وعظيم قُدَره ، وصلّى الله على رسوله محمد والطاهرين من آله ومعشره ، وسلّم عليهم سلامًا دائمًا كثيرًا جزيلًا ، وحسبُنا الله كافيًا ووكيلًا .

يتلوه ما أوّله بعد البسملة .

= إبراهيم بن الحسين الحامدي غير معروفين في المصادر المصرية وانفرد بذكرهم وذكر دورهم عماد الدين إدريس .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مُصَرِّف الأمور، ومخالف أيّام الدهور، الذي جَعَلَ أولياءه متعاقبين في الستر والظهور، كما جعل الظلمات والنور، وجعل الظّل والحرور، [a]وصلّى الله على رسوله المبعوث بالكتاب المسطور، والمنعوت فضله في التوراة والإنجيل والزّبور، وعلى وَصِيّه دامغ كل كفور، عليّ ابن أبي طالب الفائز متواليه يوم الحشر والنشور، وعلى الأئمة من ذريته أولي الفضل المشهور، القائل فيهم جدّهم: إنّ منهم الظاهر الموجود والخَفِيّ المغمور.

الإمام الطَّيِّب بن الآمر

ذِكْرُ ما كان من الامتحان بعد وفاة الأمر بأحكام الله – صلوات الله عليه – والتَّغَلُّب واستتار مولانا أمير المؤمنين أبي القاسم الإمام الطَّيِّب.

كانت ولادةُ الإمام الطَّيِّب أبي القاسم أمير المؤمنين – سلام الله عليه – في القاهرة المعزّية [1]. وقد علم أبوه الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين بما انتهى إليه من علم آبائه الطاهرين، الذي إسناده إلى جَدِّهم محمد خاتم النبيين – صلَّى الله عليه وعليهم أجمعين –، أن مُدَّة عمره قد آن استقصاؤها، ودَنَا انتهاؤها،

---

[1] الإمام الحادي والعشرين في سلسلة الأئمة الإسماعيليين عند الإسماعيلية المستعلية، وبه يبدأ دور الستر الثاني عند الإسماعيليين الطيبيين في اليمن، وهو ابن الإمام الآمر بأحكام الله ووريثه في الإمامة. وإذا كانت المصادر المصرية قد أشارت إلى أن الإمام الآمر بأحكام الله قد ترك إحدى جهاته حاملاً، وأن هذا الحمل ظهر بعد ذلك أنه أنثى، فإن ابن ميسر هو المؤرخ الوحيد الذى انفرد بذكر ميلاد ولد للآمر قبل وفاته وأنه سمّاه أبا القاسم الطَّيِّب (أخبار مصر ١٠٩–١١٠ وعنه المقريزي: اتعاظ ٣: ١٢٨ وأيضا النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٩٥، وانظر كذلك أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب ١٨٢–١٨٦ والدولة الفاطمية في مصر ٢٤٩–٢٥١).

فكتب سِجِلّات البشارة بولده أبي القاسم والنَّصّ عليه ، وبيَّن فيها الإشارة بالإمامة[a] إليه .

سِجِلُّ البشارةِ بميلاد الإمام الطَّيِّب .

ومن ذلك سِجِلُّه الوارد إلى حُجَّته الحُرَّة الملكة الصُّلَيْحِيَّة ، القائمة بأمر الدَّعْوَة والمُلْك في الجزيرة اليمنية ، وهو ما هذا مسطوره ، وعليه العلامة الشريفة الإمامية المنصورية الآمرية [١].

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين[b]

من عبد الله ووَلِيّه الإمام المنصور أبي عليّ الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين ، إلى الحُرَّة الملكة السيدة ، الطاهرة الزكية ، وحيدة الزَّمَن ، سَيِّدَة ملوك اليمن ، عُمْدَة الإسلام ، خالصة الإمام ، ذخيرة الدين ، عُمْدَة المؤمنين ، كَهْف

(a – a) ما بين الرقمين ساقط من نسخة الأصل . b ساقطة من عمارة .

١ يعد صمويل شتيرن S.M. Stern أوّل باحث حاول تقديم تفسير نقدي للأحداث التي أعقبت الانقسام الطَّيِّبي-الحافظي بعد وفاة الإمام الآمر بأحكام الله في مقاله S.M. Stern, «The Succession to the Fatimid Imam al-Amir, the Claims of the Later Fatimids to the Imamate, and the Rise of Tayyibi Ismailism» , *Oriens* IV (1951), pp. 193-255 واعتمد في مناقشته لتسلسل الدعوة وتطورها على الشواهد الداخلية للنص الوارد في الفصل الأخير من «تاريخ اليمن» لعمارة اليمني وكتاب «تحفة القلوب» للحامدي . وأصبحت النتائج التي توَصَّل إليها شتيرن قديمة ، خصوصًا بعد أن عُرِفَ الآن أن الفصل الأخير عند عمارة عن الدُّعاة غير أصيل وأن معلوماته مقحمة من كاتب طيبي متأخّر (انظر المقدمة صفحة ٣٢ -٣٣ ، كما أنها لا توجد في جميع نسخ الكتاب ، ولكن يبقى لشتيرن فضل الريادة في هذا المجال . وانظر مناقشة ذلك عند أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية ١٨٤-١٨٥ والدولة الفاطمية في مصر ٢٥٠- ٢٥١.

المستجيبين ، عِصْمَة المسترشدين وَلِيَّة أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائه المؤمنين – أدام الله تمكينها ونعمتها ، وأحسن توفيقها ومعونتها .

سلامٌ عليك ؛ فإن أميرَ المؤمنين يحمد إليك[a] الله الذي لا إله إلّا هو ، ويسأله أن يُصَلِّي على جَدِّه محمد خاتم النبيين وسَيِّد المرسلين ، صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين[b] وسَلَّم تسليمًا .

أمّا بعد ، فإن نِعَم الله عند أمير المؤمنين لا تُحْصى بعد ، ولا تقف عند أَمَدٍ وحد ، ولا تنتهي إلى الإحاطة بها الظنون ، لكونها كالسَّحاب الذي كلما انقضى منها سحابٌ أعقبه سحابٌ هَتُون ، فهي كالشمس الساطعة الإشراق الدائمة الانتظام والاتساق ، والغيوث المتتابعة الاتّصال ، المتوالية في الغُدُوّ والآصال .

ومن أشقِّها[c] لديه قَدْرًا ، وأعظمها صيتًا وذكرًا ، وأسناها جلالًا وفخرًا ، الموهبة بما جَدَّدَه الآن بأن رزقه[d] مولودًا زكيًا رضيًا[e] مرضيًا برًّا تقيًا ، وذلك في الليلة المصبحة بيوم [الأحد][f] الرابع من شهر ربيع الآخر[1] سنة أربع وعشرين وخمسمائة ؛ ارتاحت إلى طيب ذكره أسرة[g] المنابر ، وتطلّعت إلى مواهبه آمال كل باد وحاضر ، فأضاءت بأنوار غُرّته[h] وبهجة طلعته ظُلَم الدياجر ، وانتظمت به للدولة الزّاهرة الفاطمية عقود الفضائل والمفاخر ؛ استخرجه من سُلالة النبوة كما يستخرج النور من النور ، ومَنَح أمير المؤمنين ما قَدَحَ به زِناد السرور ، وسمّاه الطَّيِّب لطيب عنصره ، وكَنّاه أبا القاسم كنية جده نبيّ الهدى المستخرج جوهره من جوهره .

---

[a] ساقطة من عمارة . [b] عمارة : المهتدين . [c] عمارة : أشرفها . [d] عمارة : رُزق .
[e] ساقطة من عمارة [f] زيادة من عمارة . [g] ساقطة من هـ . [h] عمارة : عزته .

---

[1] عند ابن ميسر : أخبار مصر ١٠٩: ربيع الأول .

وأميرُ المؤمنين يشكر الله على ما مَنَّ به من إطلاعه كوكبًا منيرًا في سماء دولته ، وشهابًا مضيئًا في فلك جلاله ورفعته ، شكرًا يقضي باستدامة نعمته ، وإدرار سحائب طَوْله ورأفته ؛ ويسأله أن يبلِّغه فيه كُنْه الآمال ، ويَصِل به حَبْل الإمامة ما اتّصلت الأيامُ والليال ، ويجعله عصمةً للمسترشدين ، وحُجّةً على الجاحدين ، وغَوْثًا للمصطرخين ، وغَيْثًا للمنتجعين ، ووِزْرًا للخائفين ، وسعادةً للعارفين ، لتنال الدنيا بسعادته أوفى حظوظها وقِسَمِها ، وتصبح الأيام مفترةً عن ناجذ مَبْسمها .

ولمكانِك من حضرة أمير المؤمنين المكين ، ومحلِّك عنده الذي ارتفع عن المماثل والقرين ، أشعرك هذه البشرى الجليل قدرها ، العظيم فخرها ، المنتشر صيتها وذكرها ، لتأخذي من المسرة بها بأوفى نصيب ، وتذيعيها فيمن قِبَلِك من الأولياء المؤمنين إذاعةً يتساوى بالمعرفة بها كل بعيد منهم وقريب ، لينتظم بها عقد السرور ، ويتضوَّع عَرْفُها تضوُّع المَنْدَل الرطب في البادين والحضور . فاعلَمي هذا واعملي به إن شاء الله تعالى .

والسلام عليك ورحمة الله .

وكتب في التاريخ المذكور .

والحمد لله وحده ، وصلّى الله على جدّنا محمد رسوله وآله الطاهرين ، وسلّم تسليمًا ، وَحَسْبُنا الله وَنِعْمَ الْوكيلُ»[١] .

فحين وَصَلَ هذا السِّجِلُّ إلى الحرَّة الملكة ، أذاعته كما أُمِرَت ، فتساوى في معرفته البعيد والقريب ، وأخذت من المَسَرّة به بأوفى نصيب ، وعلمته كافّة الدُّعاة بالجزيرة اليمنية ، وعَمِلوا به ودَلّوا مَنْ قِبَلهم على كون الإمام الطَّيِّب – عليه السَّلام – هو المنصوصُ عليه ، المستحق للإمامة بعد أبيه ،

---

[١] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ١٠٠-١٠٢ (١٢٨-١٢٩) ، وانظر المقدمة ص ٣٢-٣٣ .

والخالفُ له بعد غروبه ومغيبه ، وأنه خليفةُ آبائه الطاهرين ، والوارثُ لفضلهم المبين .

وحين وَقَعَت الحادثةُ بالفَتْك بالإمام الآمر – عليه السّلام – أكّد الأمرَ على الحاضرين في شريف مقامه ، وعَرّفهم ما أوجب عليهم من ولاية ولده وأنه الخالف له بعد انقضاء أيامه ؛ واستودع عبد المجيد – كما ذكرنا – في مُلكه وقصره ، واستودع ابن مَدْيَن حُجّته وبابه في مكنون علمه ، وشريف أمره[1] .

الدَّعْوَة للإمام الطَّيِّب

وحين كانت وفاةُ الآمر بأحكام الله – سلام الله عليه وصلواته ورضوانه – قام الدُّعاةُ الفضلاء الثابتون على أكيد الديانة والولاء ، بالدَّعْوَة إلى ولده أمير المؤمنين الطَّيِّب أبي القاسم ، بعد أخذ العَهْد له والبَيْعَة على كافّة الأولياء والمؤمنين ، والحدود والمستجيبين ، حيث كانت دعوة أبيه – عليهما السّلام – قائمة ، وولايته ثابتة لازمة .

ولما انتهى ذلك إلى جزيرة اليمن ، قامت الحُرّة الملكة السيدة والداعي الذُّؤَيب بن موسى الوادِعي – رضي الله عنهما – بأخذ البَيْعَة والعَهْد لمولانا الطَّيِّب – عليه السّلام – والدَّعْوَة إليه سِرًّا وإعلانًا ، وجَهْرًا وتبيانًا ، وأظهرا في ذلك الحُجّة ، وأوضحا المحَجّة ، لكافّة الدُّعاة والمؤمنين والأولياء والمستجيبين . وأمرت الحُرّة الملكة عند قراءة « مَجالس الحِكْمَة الشريفة »[2] بالصَّلاة على الإمام ابن الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين – عليه السّلام – .

---

[1] انظر فيما سبق صفحة ٢٥١ .

[2] مَجالِسُ الحِكْمَة . كان من أَجَلِّ أعمال داعي الدُّعاة ونوابه في الجزائر عقد مجالس الحكمة التأويلية ، وهي عبارة عن محاضرات يلقيها الداعي على جمهور المؤمنين والمستجيبين يشهم فيها عقائد مذهبهم والتأويل الباطن للدين . وكانت هذه المجالس التعليمية درجات ولكل طبقة من المؤمنين والمستجيبين =

العَزاءُ في الإمامِ الآمر

وكان الشريفُ السيد الفاضل محمد بن حَيْدَرَة الحسيني[1] باليمن منذ وروده بالسفارة من الإمام الآمر بأحكام الله – عليه السّلام – إلى حُجَّته الصُّلَيْحِيَّة ، وهو من أفاضل الأولياء الحاضرين للنصّ ، ولذلك نَدَبَه مولاه للسفارة واختص ؛ ونَعَى الإمام – عليه السّلام – نفسه إلى الحُرّة الملكة على يديه ، بما عرفته وتحقّقت الإشارة إليه .

فخَطَب خُطْبَةً في حال العَزاء في الإمام الآمر بأحكام الله – سلامُ الله عليه – ، فقال :

« بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تحيط به المعارف والأسماء والفكر إذا ارتقى في درج الأحوال المعرفية رجع عن إدراكه أعمى ، أبدع الخلق روحًا وجسمًا ، وجعل انفصال أحدهما عن الآخر بالموت قضاءً حتمًا ، لم يُخَلِّد مَلَكًا مقرّبًا ولا نبيًّا مسمّى ، بَعَثَ محمدًا رسوله أكرم المرسلين أبًا وأمًّا ، وأفضل من يُعزى من البرية ويُنمي ، فعمّره سبحانه ما شاء ثم قبضه إذا كان أجله تمًّا ، بعد أن جعل

= مجلس خاص بهم , S. M. Stern, «Cairo as the Centre of the Ismaili Movement» *CIHC* pp. 348-45 ; H. Halm, «The Isma'ili oath of allegiance (*'ahd*) and the sessions of wisdom (*majâlis al-hikma)* in Fatimid times» in F. Daftary, (ed) *Mediaeval Isma'ili History and Thought*, Cambridge 1996, pp. 91-115 ' id., The Fatimids and their traditions of learming, London 1997, pp. 45-55; W. Madelung *EI*[2] art. *Madjlis* V, p. 1029 ؛ محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ، القاهرة ١٩٧٠، ٥٤– ٦٢ ؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٥٧٤–٥٨٣) .

[1] انظر عنه فيما سبق صفحة ٧٠.

ولاية وصيّه عليّ بن أبي طالب على الأمة حتمًا ، وأعلم الأمة أنه مولاهم بعده علمًا – صَلّى الله عليهما وعلى الأئمة من ذريتهما – كلمة الله المتنقلة في القُروم منهم كلّما غاب قرم أنجب قرمًا ، مستمرة تؤم من الأَنْزَع البطين[١] إلى مولانا وسيدنا الإمام الآمِر بأحكام الله أمير المؤمنين واحدًا بعد واحدٍ أمّا ، فعاش – عليه السّلام – ما وَهَبَ الله له في الخلافة يُفيض على هذه الأمة أفضالًا جمًّا ، ويروون في ظله شربًا ويشبعون طعمًا ، فكانت الأيّامُ به باسمة والليالي منيرة لا ظلما ، فاختار ربّه تعالى له النقلة إلى زُمْرَة آبائه الطاهرين ، فأعلاه عن العالم السفليّ وأسمى ، فعينُ الجلال لفقده لا تدمع بل تدما ، والشريعة حاسرة لمصابه لابسةً حزنًا وهمًّا ، لولا ما تدارك الله به الأمّة من سليله القائم مقامه بالنّصّ الجليّ منه مقالًا وهمًّا ، البَيْعَة التي كانت لمحمد وعلي تَأْمُوْرًا وحِلْمًا ، مولانا الإمام الطَّيِّب أبي القاسم أمير المؤمنين – صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين المنتظَرين – بقيّة الله فينا المتّحد بها نوره الرّبانيّ وسمًا ، والعَقِب الطاهر المنتظم ما دام في العالم إنسان نظمًا ، فللّه مصابٌ رُمي الإسلام فيه بالتّآد فأصمى ، ونعمة رَدِفَت آست جرحًا وأبرأت كَلمًا ، فأحسن الله لنا ولكم العَزَاء بإمامنا الماضي حُزنًا وغمًّا ، وألْهَمَنا وإيّاكم التأسي بأهل البيت الذين مُزِّقوا في سبيل الله عُدْوانًا وظُلْمًا ، اللّهم وأيِّدْ بروح منك الإمام الذي أقمته لنورك مُتِمًّا ، وأوْرَثْتَه تراثَ الإمامة في المَهْد وآتيته في الصبى حلمًا ، واجعل مرْمى كافِله و وَلِيّ العَهْد[٢] فيه أصْوب مرمى ،

---

١ الأَنْزَع البطين هو الإمام عليّ بن أبي طالب .

٢ أي الأمير أبو الميمون عبد المجيد ابن عم الإمام المقتول الآمر بأحكام الله الذي تذكر مصادر الدعوة الطَّيِّبيَّة أن الآمر حين وفاته أخذ البَيْعَة عليه لابنه الطَّيِّب وائتمنه عليها ، وأن عبد المجيد أقَرّ بأنه حافظٌ لها للإمام الطَّيِّب . أما المصادر المصرية فتذكر أن عبد المجيد تولّى الأمر كـ «إمام مُسْتَوْدَع»–وفقًا للمصطلح الإسماعيلي–انتظارًا لظهور مولود للآمر ، حيث أشار الآمر إلى أنه ترك إحدى جهاته =

كما كان من لُحمته الطاهرة دمًا ولحمًا ، وأيِّد اللّهم دولته العلوية الطاهرة بنصر وزير مملكته ومدبِّر ما وراء سرير خلافته قولًا وعزمًا ، السّيِّد الأَجَلّ الأَفْضَل أمير الجيوش سَيْف الإسلام ناصِر الإمام كافِل قُضاة المسلمين ومعاضد دعاة المؤمنين أبي علي أحمد فتى مولانا – صلوات الله عليه[1] – امض اللّهم له في الأعداء حسامًا وسدِّد سهمًا ، واشدد لعزائمه من ملوك الآفاق عربًا وعجمًا ، كما تَقَيَّلَ في خدمة وليّك عن أبيه[2] وجدِّه[3] درجةً شمًّا ، واجعل اللّهم أتمّ الغاية مَنِّك بتعمير حجّة وليّك وحجّة آبائه الطاهرين بهذه الجزيرة تعميرًا لا ترى له حسمًا ، ورد عين الحوادث كُمْهًا وآذانها صُمًّا ، وارغم معاندها بنصر منك تعزّ كلمةُ الإيمان

= حاملاً ، وتبعًا لبعض المصادر فإن هذا الحمل لم يظهر ، وتبعًا لبعضها الآخر فإن الحامل وضعت أنثى . والسبب الذي من أجله تولّى عبد المجيد كـ«كفيل لحمل منتظر في بطن أمه» أن أباه لم يكن إمامًا . ويذكر ابن الطُّوَيْر أن غلامي الآمر هزار الملوك جوامرد والعادل بَرْغَش قاما بدور كبير في حسم هذا الأمر ، لذلك فإن عبد المجيد عَيَّنَ جوامرد وزيرًا (نزهة المقلتين ٧٦–٧٧) ، بينما يذكر ابن ميسر– المصدر الوحيد الذي أشار إلى مولد الإمام الطَّيِّب–أنه لما قُتِلَ الآمر كَتَم عبد المجيد أمر ولده الذي وُلِدَ في هذه السنة ، وبايعه الناس بولاية العَهْد إلى أن تنكشف أحوال نساء الآمر (أخبار مصر ١١٣) وراجع ، أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٤٢– ٢٤٣؛ Daftary, F., *The Ismailis* pp. 266-68.

[1] أبو علي أحمد بن الأَفْضَل شاهنشاه الملقب بـ «الأَفْضَل كُتَيْفات» ، الوزير الذي فرضته طوائف الجند على عبد المجيد عوضًا عن هزار الملوك جوامرد الذي عُزِلَ في يوم توليته ، وقاد أبو عليّ الأفضل كُتَيْفات انقلابًا قَبَض فيه على ولي العهد واعتقله في خزانة من خزائن القصر ، وأعلن نهاية الأسرة الفاطمية ، ودعا للإمام المنتظر الاثنى عشري وظل في موضعه من ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ وحتى ١٦ المحرم سنة ٥٢٦هـ عندما ثار غلمان الآمر وعلى رأسهم ناصر الجيوش يانس وتمكنوا من قتل أبي علي الأفضل وهو يلعب الكرة في الميدان الكبير خارج باب الفتوح ، ثم أخرجوا الأمير عبد المجيد من معتقله وبايعوه «ولي عَهْد كفيل لمن يُذْكَر اسمه» (انظر أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٤٢– ٢٤٨؛ S. M. Stern, *EI*[2] art. *al-Afdal Kutayfât* I, pp. 222-23; Daftary, *The Ismâ*ʿ*îlîs* pp. 266-67.

[2] أي الأفضل شاهنشاه .

[3] أي أمير الجيوش بدر الجمالي .

للمعاندين رَغْما ، مولاتنا ومالكتنا الحُرَّة الملكة السَّيِّدَة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن سَيِّدَة ملوك اليمن عُمْدَة الإسلام خالصة الإمام ذخيرة الدين عُمْدَة المؤمنين عِصْمَة المسترشدين كَهْف المستجيبين وَلِيَّة أمير المؤمنين وكافلة أوليائه الميامين ، اللّهم وكما وهبتها في طاعة أوليائك وأئمة دينك واحدًا بعد واحد رأيًا سديدًا ونظرًا حزمًا ، وتواتيًا لأهل هذه الجزيرة بسياستها العادلة سكونًا وسلمًا ، فامْدُدْها بفاتحة من نَصْرك ، واختم لها بالخيرات ختمًا ، واغفر للمؤمنين والمؤمنات واغفر لنا ولهم خطيّات وجرمًا ، والحمد لله الذي أسْبَغ على عباده إحسانًا جمًّا ، وصلّى الله على محمد رسوله الذي رَفَعَه على النبيين وأسمى ، وعلى وَصِيِّه عليّ بن أبي طالب الذي أهلك الكافرين وأقما ، وعلى الأئمة من ذريتهما الوارثين لهما فضلًا وعلمًا » .

وقال الشريف محمد بن حَيْدَرَة يرثي مولانا الإمام الآمر بأحكام الله ويذكر ولده الطَّيِّب أبا القاسم – صلوات الله عليه – وأنشد في العزاء ، وهي :

[الطويل]

تُصاولنا أيامنا وتُداوس ... وتبلغ ما شاءته والمرء يائس
وما يَشتر الإنسان إلّا صفائِـ ... ـح تُهالُ عليه في الثّرى ودَوامِس
كأنّ الوَرَى غَرْقى جميعًا بلُجَّة ... فطافٍ بها عاثي الهلاك وقامِس
وكيف بقاءُ المَرْء يعتقب الضُّحى ... عليه دليلٌ حالك اللون دامِس
لقد ضلَّ مَنْ شاد المغاني مَحْرَسا ... عليها ولا ينجيه مغنى وحارِس
فسلْ عن بني ساسان في مُلْك فارس ... وما عَمَّروا في الدَّهْر يُخبِرْك فارِس
بأن شخوصَ القوم رَدْمٌ دوارس ... وأن ديار المُلْك وَحْشٌ طَرامِس
وكَمْ من ملوك قد تقضَّوا وملكهم ... وأنت عن اللُّقْيا لأمْسِك آئس
ولو كان يحميها الجلالُ لأحجمت ... عن الآمر ابن المصطفى إذ تمارس
أتانا نَعْيٌ عنه كادت له الرُّبى ... تُدَكّ رواسيها وتُطْوى البَسابِس

ولله يوم غادروا ابن نَبِيِّهم … لديه ومنه السَّيْف أحمر وارِس
فساء نهارًا ذلك اليوم إنه … أعيد عليه ليله وهو شامِس
يسوءُ رسول الله أحمد موقف … على ابن نبيه يومه فيه عابِس
فلا بارَك الرحمنُ في أُمَّةٍ لهم … بنو المصطفى في كل وقت فرائِس
كأنهم يَبْغون ثأر أبيهم … فتغزو بنيه رجلهم والفوارس
دماؤهم سيب على كل بُقْعَة … يسيل بها صُلْب الثرى والدواهِس
على الآمر المنصور إذ غاب شخصُه … ربوع الهدى والدين قَفْر دَوارِس
تبكي عليك الآل والشَّرْع والهُدى … وتسعدها أديانُنا والنوامِس
وأنت الذي يُفْضِي عليك اختصامها … وعنك انجلى إشكالها المتلابِس
ندوس بك النَّهْج القويم فيهتدي … بهديك مِنَّا حيث ماداس دائِس
فجاورتَ ربَّ الناس تركًا لعالَم … همُ في ظلام لا يرى الكفَّ لامِس
ورُقِّيت في حزب الذين عدا على … دمائهم في الأقدمين الأبالِس
كيحيى وساعورَ النبي ومثل ما … أصابت أباك البسط أمس الأخامس
تأسَّ ففي هذا لنا خير أُسْوَة … يروص لنا النَّدْب الزمان القدامِس
وفي نجلك الهادي الذي قد نَصبتَه … هدىً ظنّ غاوٍ أنه منك واكِس
وهيهات أن يُطْفِي بقول معاند … لحقِّكم نورٌ له الله قابِس
وأنتم بنو من كان كالقاب دانيًا … من الله لا ما قاس بالقاب قائِس
ولكنه سِرُّ الإله لديكم … جَليٌّ وهل للحق والصِّدْق لابِس
تجلَّى به الرُّوح الأمين لجدّكم … بنورٍ به الهادي محمد آنِس
فأَوْدَعَكُم تلك الأمانة إذ مضى … لها سائسٌ من بيتكم قام سائِس
إلى أن يقوم الحَشْر ذلك دائبًا … وما دام فوق الأرض يَنْبِس نابِس
وابن المَدى في فخر منتظَر له … تناهت دلالاتٌ عليه حبائِس
إمام تولَّى جبرئيل غذاءه … بحكم إلهٍ للإمام يحارس
فإن يك طفلًا راضعًا فهو ناطقٌ … بهدي على عطفيه منه مُلابِس

هي الرُّتَب اللاتي تنقّل فيكم   وفي مثلها لا يطمع المتنافِس
وإن قد مضى المنصور ألفَينا فذا ابنه   وفي الفرع مغزى إذ تصاب المغارِس
ولولا تسلّي النَّفْس منّي بفترة   تزول إذا قَدَّت فؤادي الهواجِس
وما ربط الإسلام إلّا ابنُ فاطم   وكلُّ مصلّى بالشآم فبائِس
وما قضت الأقدارُ منه بموته   كذلك إلّا أنّ ذا الحظّ تاعِس
وإني لأخشى أمّ دَفْرٍ إذا بَدَت   وبانت لمن فيها الأمورُ الخسائِس
واعلم أن الموت قصرى حياتها   وسيّانِ رَطْب سوف يفنى ويابِس
فمن ذا الذي يغترّ منها بضحكةٍ   يلاقى غدًا من يومها وهو عابِس
مضى تُبّع والأنجم الزُّهْر من عُليّ   وهُنّ بواقي سعدها والمناحِس
سنمضي ويأتي بعدَنا من تضمُّهم   غدًا مثل ما ضمّت علينا المجالِس
وفي ذاك للناس اعتبارٌ وداؤهم   طعام تلوسُ القُوت منه اللوائِس
كأن الليالي والنَّهار سوابق   تطارد فالأعمال منها شوامِس
سلامٌ على الدنيا فإنّي تاركها   لمن غَمَسَته في هواها الغوامِس

وقال – قَدَّس الله روحه – من أخرى ، أوّلها قوله :

[الخفيف]

لو وَعَيْتُ النَّعْي كنت حزينًا   غير أني خولطت منه جنونا

إلى قوله :

قَدَّس الله من ثوى بقصور   المَقْس ملقى بها غدا مدفونا
وعليه السَّلام ما دام يتلو   كل عام من السنين سنينا
آه منها مصيبة أصبح القلـ   ـبُ بها معثرًا أليما حزينًا
ولئن كان جرحُها واسع الفـ   ـكر سياسو سليله الجرح فينا
الإمام الذي به اشتدرك اللّـ   ـه الحنيفي إن يرى مَفْتونا
أمسك الله منه أفضل نفس   إذ بدا نصُّه لنا مُستبينا

وهـو نـور الإلـه أَخبـر عنـه   بتمامٍ في الآي إذ تقرءونا
بَيِّنَ الله في الكتاب لنا أنّ   بـهـادٍ منـهـم لـنـا يـهـدينـا
بايعوا بَيْعَة الرضى لإمام   واجعلوها سلمًا لكم آمنينا
وابذلوا الأَجْر في القرابة للمنـ   ـتظر الطُّهْر كَيْ تروا جبرئينا
فهو تحت الجناح يغذوه بالعلـ   ـم صبيًّا وراضعًا وجنينا
نُطفٌ طِبْنَ في الفِقار من الصُّلْـ   ـب وإذ أهبطت قرارًا مكينا
جـاء بـالـوحـي جَدُّه وأبـوه   كان صدِّيقه من القابلينا
فانظروا بينما تزول به الفتـ   ـرة مستعصمين مستمسكينا
واعلموا أنه امْتحان من اللّـ   ـه ليبلو مستبصرًا وظنينا

وقال أيضًا – قَدَّس الله روحه – :

[الوافر]

أرى الآياتَ مقفرةَ المعاني   ومَسْلكَها سدى من تُرْجمان
ومَهْبط جبرئيل عَفت عليه   مدارسُ من تلاوات القران
وعادت فترةٌ من بعد عيسى   مَضَتْ وأوانُها في ذا الأَوان
كأن متمسكا بالدين فيها   مرى شوك القتادة بالبَنان
أتغدر أمس بالمنصور جهرًا   وتطمع أن تفي لك بالأمان
على الأيّام من دَمٍ آل طه   قميصٌ ليس يبرح قطّ قان
كأنّ الدهر ينفُضُ فيه صَبْغًا   على المرجان أو قطع الجُمان
فما تنفكّ تسقي الأرض منه   ليوجد في ثراها الأحمران
ويسلى القلبُ أن النور فيها   تنقّل من فُلان في فلان
إذا أخفى بشخص أبٍ هجان   لكم نور بدي في ابن هِجان
تضمَّن ذلك المنصور حقًّا   فلما مات أوفى بالضَّمان
فأبقى بابنه عن صادقيه   كما أبقى الهلال النيّران
تكفَّل جبرئيل له بهذا   يشير لسانُه قبل البنان

فمهبطه لدى مَهْد كريم … له تَشْتاق أصحاب الجنان
عطاءُ الله هذا لا كمعطى … بني ساسان وابن المَرْزُبان
مضوا كالأمس إلَّا رَجْم ظنّ … ومطلب فائت عند الأماني
فلا تركنْ لدار إن تغادرْ … شجاعًا تبتليه بالجبان
تصيد الأسْد بالذوبان جبنًا … وتفترس القويّ بكفّ وان
وإن تبسَّم لي عَبُوسٌ … وإن يدنو فإني غير دان
ولي شأنٌ وللأيام شأن … ويأتي شأنُها بخلاف شاني

الدَّعْوَةُ الطَّيّبِيّة

وظَهَرَت الدَّعْوَة بعد نُقْلَة الإمام المنصور الآمر بأحكام الله إلى ابنه الإمام الطَّيِّب أبي القاسم – صلَّى الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين وأبنائهما المنتظَرين – وأَخَذَت الدُّعاة له البَيْعَة والعَهْد، وعَرَفوا بفضله أهلَ الولاية والودّ.

وكان المنتصبُ بالدَّعْوَة إليه في الديار المصرية هو ابن مَدْيَن [1]، الذي أقامه الإمام الآمر بأحكام الله في الرتبة البابية، وصِهْره القاضي أبو علي الذي أشار إليه بحفظ رتبته وأن يقوم بالدَّعْوَة إلى وَليّ الله ويغيب بغيبته.

والحُرَّة السيدة الصُّلَيْحِيّة باليمن والداعي الذُّؤَيْب الوادِعي قائمان بالدَّعْوَة إلى الإمام الطَّيِّب أبي القاسم إمامهما، منتصبان في ذلك مدةً أيامها.

وعبد المجيد قائمٌ بحِفظ القصر وظاهر المُلْك لا يَدَّعى الإمامة، ولا يُعْرَف بها عند الخاصّة ولا العامة، إلى أن ظَهَرَ أبو عليّ بن الأَفْضَل بالضديّة، وتَغَلَّب على الديار المصرية، وقَصَدَ القاهرة المعزّية، وأظهر دين النَّصْب،

[1] انظر فيما سبق صفحة ٢٥١ .

وعداوة الأئمة في البعد والقرب ، وعَمَدَ الأولياء بالقتل والنهب ، وفرّقهم في البلدان ، وصال فيهم صولة أمثاله من أولي الطُّغيان [١]، فخاف الأولياءُ على الإمام من جَوْر أحزاب الشيطان ، وأهل البَغْي والعدوان ، فأخرجوه خائفين مترقّبين ، ساترين له عن الباغين والناصبين ، وكان عبدُ المجيد قد بَدَت فيه أمارات النِّفاق ، وطَمع في الملك وإظهار الشِّقاق ؛ ولذلك افترقت الشيعة والأولياء ، واضطربت المملكة وأظلمت بعد الضياء . فبذلك استطال ابن الأَفضَل وتَغَلَّب ، واجتمع له من الحشود وألَّب [٢].

وكان الإمامُ الآمر بأحكام الله – سلام الله عليه – قد أعلم أولياءه بوقوع حادثة الظُّلْمَة ، وقد كان – صلوات الله عليه – أشاع السفر ، وأمر بعمل آلاته من الرَّوايا والسُّفَر . فحين استشهد – عليه السَّلام – وظَهَرَ النِّفاق ، ونَجَمَ ابن الأَفضَل بعداوة أولياء الله وقَصَدَهم بالإرهاق ، أخرج الأولياءُ الإمامَ – سلام الله عليه – ومعه أبوابه ودعاته الخُلَصاء ، وصَفْوَة من لديه من أهل الفَضْل والصَّفاء ؛ فخَلَت منهم بيوتُ القاهرة ، واستتر وليُّ الله كاستتار الشمس وقوعَ الليل وفارق الأمة الغادرة ؛ وكان القاضي أبو علي صِهْر ابن

---

[١] تحتفظ مجموعة الوثائق المحفوظة في دير سانت كاترين بسجل له فائدة كبيرة للتاريخ الفاطمي من حيث التاريخ الذي صدر فيه والأشخاص الذين ذُكروا فيه ، حيث يوضِّح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن عبد المجيد كان وليًا للعهد وأبا علي الأفضل وزيرًا ، فالسجل صادرٌ عن «وليّ عهد المسلمين... وكافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو علي أحمد بن السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش» . ورغم أن اسم وَليّ العهد لا يظهر في الجزء المحفوظ من السجل فهو دون شك الأمير أبو الميمون عبد المجيد ، أما تاريخ صدوره فهو اليوم الذي اشترك فيه الاثنان في إدارة الدولة قبل اعتقال عبد المجيد في ١٦ ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ (S. M. Stern, «A Fatimid Decree of the Year 524/1130», *BSOAS* 23 (1960) , pp. 439-55; id., *Fatimid Decrees*, London 1964, pp. 35-45؛ أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية ١٧٥-١٧٦) .

[٢] قارن عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١: ٣٨و يقول : «فخرج الدعاة المؤمنون بوليّ أمرهم الإمام الطَّيِّب أبي القاسم أمير المؤمنين خائفين مترقبين ووقع ستر الأئمة الطيبيين» .

مَدْيَن ممن استتر بسَتْر مولاه، وسافر معه فلم يَعْلَم إلَّا المخلصون أين مقصده ومثواه [١].

وما زال السَّتْر إلى هذا الأوان، والإمامةُ جاريةٌ في الإمام الطَّيِّب أبي القاسم أمير المؤمنين وعقبه الطاهرين في كل وقت وزمان؛ ولا يزال ذلك حتى تقوم القيامة وتنقطع الدنيا، ويصير الأمر لله تعالى الذي إليه مرجع الأشياء، أمْرَ قضاهُ الله تعالى في التكوين، وحِكْمَةُ حكيم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الآية ٤٠ سورة النحل]، ليتَّصِل سبب رسول الله – صَلَّى الله عليه وعلى آله – بشريف نسبه، وتبقى كلمة الإمامة إلى الساعة في عقبه.

وقد قال الصَّادقُ جعفر بن محمد – عليه السَّلام: «إن لله البدء والمشيئة في كل شيء إلَّا في الإمامة»، يريد أنها باقية في الأعقاب إلى يوم القيامة، وقال – عليه السَّلام: «إن الإمامة لا تنقسم ولا تجزي ولا تصير في أخوين، بعد الحسن والحسين» – صلوات الله عليهما؛ أخبر بذلك الثِّقات، وقامت الدلالات، وصَحَّت الروايات.

نرجع إلى ما كُنّا فيه مما كان بعد سَتْر الإمام – عليه السَّلام.

وَضْعُ الدَّعْوَة في مصر

قال الداعي إبراهيم بن الحسين [٢] – أعلى الله قدسه: وكان اختصاصُ أمير المؤمنين الإمام الآمر بأحكام الله – عليه السَّلام – لابن مَدْيَن صاحب الرُّتْبَة،

---

[١] عُرِفَ أتباع الطَّيِّب في مصر والشام بـ «الآمرية»، يقول صاحب كتاب «البستان الجامع لتواريخ الزمان» ١٢١-١٢٢ –وهو يذكر خبر وفاة الآمر–«وكان له ولدٌ نصّ عليه بالخلافة واسمه أبو محمد، فدَسّ عليه الحافظ عبد المجيد رجلًا اسمه ناصر الليثي–ركاب دار الآمر–فأخذه عنده ولم يظهر له خبرٌ إلى الآن بموت أو بغيره، وجماعةٌ من المصريين يقولون إنه حيّ ويعتقدون فيه الإمامة».

[٢] انظر فيما سبق صفحة ٢٢٢.

وابن رَسْلان والعَزيزي وقُونَص ونَسْلان ، وكانوا من أفاضل دُعاته وأهل الإخلاص والاختصاص . قال : كان ابن مَدْيَن صاحب الرُّتْبَة لا يزال في منزله وهؤلاء أصحابُه لا يزالون بين يديه - وقُونَص دون الثلاثة في المنزلة . وكان الإمام الآمر - عليه السّلام - يقول : « هؤلاء الأربعة لا يُثاقِف عنّي غيرهم » . وكانوا إذا سمعوا قوله - عليه السّلام - لا يَفْقَهون كثيرًا منه ولا يرجعون إلى منازلهم حتى يدخلوا على شيخهم صاحب الرُّتْبَة ، فيقول : « قلتم لمولانا وقال لكم ، وإشارته إلى كذا وكذا ومعناه كذا وكذا » . وكان ذلك دأبهم على مرور الزمان ؛ فلما خفي عليهم قوله - عليه السّلام - « لا يُثاقِفُ عَنّي غير هؤلاء الأربعة » ، تقدَّموا إلى ابن مَدْيَنَ - صاحب الرُّتْبَة - فسألوه عن ذلك ، فقال : « إن الإمام يُظْهِر الغَيْبَة بالقتل ، فإذا أظهرها وَقَعَ في البلد الخِلاف ، وتَوَلّى الأمر أبو علي ابن الأَفْضَل ، ويُعْلِن بدين النَّصْب ويَقْتُل الأولياء ويَطْرُدهم ؛ فإذا قويت يده أرسل إليكم ، يا هؤلاء الأربعة ، يقول « إما تبرَأتم من الإمام وإلّا قَتَلْتكم » ، فتخاصمون عني الإمام وتسبون الشَّيْصَبان [1] ؛ فيقتل نَسْلان والعَزيزي ورَسْلان ، وتهرب يا قُونَص إلى اليمن وتأتي بعد ذلك فلا يفوتك القَتْل ؛ وإني أكون في بيتك يا عزيزي منكتمًا فيقبضوا عليّ بعد قتلكم ، في النهار الثاني ، ويعرضوا عليّ ما عُرِضَ عليكم ، فلا أختار الدنيا على الدين ، وأستشهد » . قالوا : « فمن الإمام بعد إظهار المنصور الغَيْبَة بالقتل ؟ » قال لهم : « إنه السّابع الطَّيِّب وإنه مستورٌ مكتتم » . قالوا : « فمن صاحب الرُّتْبَة بعدك ؟ » قال : « إنه صِهْري القاضي أبو علي ، وإنه يغيب بمغيب صاحبه ، ويحلّ حيث حلّ » [2].

---

[1] الشَّيْصَبان . اسم للشيطان أو فريق من الجن .

[2] هذا النّصّ نشره صمويل شتيرن في مقاله Stern, « *The Succession* », pp. 232-33

فلما وَقَعَ الأمرُ الذي حكاه ، واستشهد الإمام – عليه الصلاة والسَّلام – واستتر وَلَدُه الإمام الطَّيِّب – صلَّى الله عليه – قام وَلَدُ الأَفْضَل – كما ذكرنا – واستولى على المملكة ، ومالأه الحَسَن بن عبد المجيد على ذلك ، واعتقل أباه عبد المجيد ، وكان أفحش الظالمين قيامًا ، وأشدّهم سترًا لنور الهدى وإظلامًا [1] ؛ وعَمَد أولياء الله بالقتل وطردهم كل مطرد ، وشرَّدَهم كل مشرد ؛ وأخرجوا النساء المؤمنات على وجوههن ، فخرج منهم إلى الغرب ستمائة امرأة .

وأمر إلى الأربعة المذكورين من أصحاب ابن مَدْيَن وقال : إن أَحَبُّوا السَّلامة فليتبرعوا من المنصور وذُرِّيته وإلا قَتَلَهم ، فعَظُمَ ذلك عليهم ، وشَرَد قُونَص إلى بعض الدور ، وقال الآخرون : « آمنّا بالله وبأولياء الله وتبرّأنا من الشَّيْصَبان » . فقبض عليهم وقُتِلُوا – قدّس الله أرواحهم ؛ وقُتِلَ معهم من المؤمنين بَشَرٌ كثيرٌ – رحمة الله عليهم ، وقُبِضَ على صاحب الرُّتْبَة ابن مَدْيَن من دار العزيزي وقُتِلَ – قَدَّس الله روحه ورضي عنه – في اليوم الثاني

---

[1] يشتمل نَصُّ عماد الدين إدريس على العديد من الأخطاء في تسلسل الأحداث . فكما ذكرت من قبل فإن الأفضل كُتَيفات قاد انقلابًا عَطَّل فيه الدولة الفاطمية وقبض على وليّ العهد ودعا إلى الإمام المنتظر الاثنى عشرى إلى أن قُتِل كُتَيفات في المحرم سنة ٥٢٦هـ . أما الحسن فهو الابن الثاني للحافظ الذي تخطّاه الحافظ ولم يعقد له ولاية العَهْد بعد وفاة أخيه الأكبر سليمان وولاّها ابنه الأصغر حَيْدَرَة ؛ لأن الحافظ لم يستصلحه لهذا الأمر وذلك في سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م . واضطر الحافظ أمام ثورة ابنه عليه أن يكتب له سجلاً بولاية عهده في ٢٦ رمضان سنة ٥٢٨هـ/ ٢٠ يولية ١١٣٤م وحجر على والده لولا تَدَخُّل الجُنْد الذين عزموا على خَلْع الحافظ وولده ، وأصَرّ الأمراء والجند على قَتْل حسن ، فاضطر الحافظ إلى سَمّ ولده عن طريق سُقْيَة وصفها له ابن قِرْفَة الطبيب اليهودي (أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٥٥-٢٥٨) .

ويرى شتيرن أنه من المؤكد أن الدور الذي منحه إدريس للحسن بن الحافظ في هذه الأحداث يرجع إلى خلطه ذلك بالأحداث التي أعقبت مقتل الأفضل كُتَيفات سنة ٥٢٦هـ (Stern, *The «Succession»*... p. 200 n.1) .

شهيدًا . وخرج قُونَص إلى اليمن وعاد بعد ذلك فقُتِلَ – رحمة الله عليه ، وأمّا أبو علي الذي أقامه ابن مَدْيَن في مرتبته ، فإنه ممن سافر مع الإمام – عليه السّلام – في سفره ، واستتر بستره .

ثم إنه لما ظَهَرَ من ابن الأَفْضَل الجَوْرُ والعُدْوانُ ، والظُّلْمُ والطُّغْيانُ ، بعد ما قد أَلِف الناسُ من عَدْل الأئمة ، وحُسْن سيرتهم في الأمة ، قاموا على ابن الأَفْضَل فقتلوه [١]، وأخرجوا عبد المجيد من سجنه وأقاموه [٢]. فقَبَضَ على ابنه الحسن بن عبد المجيد وسَجَنه ؛ فاجتمعت الرعية من الحضر والعسكرية في قدر مائة ألف إلى قصر القاهرة ، وطالبوا عبد المجيد في إخراج ولده إليهم ، حتى أحرقوا باب القصر ؛ فلما أيقن منهم عبد المجيد بالقتل وخافه منهم ، أمر بولده الحسن إليهم ميتًا يَزُفُّون جنازته ، وقد أمر بسَمّه لكي لا يتولّي أحدٌ قتله ، فلما عرفوا ذلك واستيقنوا ، قَبرَوه وسكتوا عن أبيه [٣].

فحين خلا لعبد المجيد الأمر ، وقُتل المخلصون من أهل الولاء ، العارفون الإمامة واستقرارها في العَقِب الطاهر على الولاء ، المخصوصين بالمقام الأَسْنَى الأَعْلَى – وذلك حين استتر من استتر منهم مع إمامه ، وُقتِلَ من قُتِلَ على يد ابن الأَفْضَل في أيامه – فعند ذلك سَمَا عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله – عليه السّلام – إلى ما ليس له بأهل ، وادّعى الرُّتْبة العُليا من الفَضْل ، فمَخْرَقَ على العالمين ، ولم يراقب دَيّانَ يوم الدين ، وادّعَى إمرة المؤمنين [٤].

---

[١] وذلك في يوم الثلاثاء ١٦ محرم سنة ٥٢٦هـ/ ٩ ديسمبر سنة ١١٣١م (ابن ظافر : أخبار ٩٥؛ ابن الطوير : نزهة المقلتين ٣٣؛ ابن ميسر : أخبار ١١٥- ١١٦؛ المقريزي : اتعاظ ٣: ١٣٤ والمقفى ١: ٣٩٧- ٣٩٨؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ٢٤٧- ٢٤٨؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية ٢٤٨).

[٢] اتخذ عبد المجيد هذا اليوم عيدًا سمّاه عيد النَّصْر ظَلّ يُحْتَفَلُ به حتى سقوط الدولة الفاطمية في مصر (ابن الطوير : نزهة المقلتين ٣٤- ٣٥؛ المقريزي : الخطط ١: ٣٥٧- ٣٥٨، ٤٩٠-٤٩١).

[٣] انظر الهامش ١ صفحة ٢٦٩ .

[٤] أُعْلِنَ عبد المجيد إمامًا وخليفة في مصر في ٣ ربيع الآخر سنة ٥٢٦هـ/ ٢٣ فبراير سنة ١١٣٢م=

وكان قبل ذلك يكاتب الحرَّة الملكة السيدة بنت أحمد – حُجَّة الأئمة في الجزيرة اليمنية ، ذات الرُّتْبَة الشريفة السنية – « من وَليّ عَهْد المسلمين وابن عم أمير المؤمنين » ، ثم كَتَبَ إليها « من أمير المؤمنين » ؛ فقالت : « أنا ابنة أحمد ، بالأمس وَليّ عَهْد المسلمين واليوم أمير المؤمنين ؛ لقد جرى في غير ميدانه ، وادَّعى أمرًا يبعد عن مكانه » ؛ وأَعْلَمَت أهل دعوتها أنه قد نَكَثَ عَهْدَه ، وخالف رُشْدَه ، وادَّعى ما ادَّعاه الظالمون من قبله ، وارتقى لمقام ليس هو من أهله [1].

الدَّعْوَةُ المجيدية

ثم أرسل إلى اليمن المسمَّى بالقاضي الرَّشيد ، وهو في فعله وقوله غير سديد ولا رشيد ، واسم الرَّشيد أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزُّبَيْر الغَسّاني ، فدعا إلى عبد المجيد ، وأَفْسَدَ كثيرًا من سلاطين اليمن بما بَذَلَ لهم من الرَّغائب ، وأتاهم به من القول المُزَخْرَف الكاذب ؛ فمال كثيرٌ منهم إلى

= حيث قرىء في القاهرة سجلٌ بمبايعة الأمير أبي الميمون عبد المجيد إمامًا وتلقيبه بـ «الحافظ لدين الله» (ابن ميسر : أخبار مصر ١١٧؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٣٤٦) وأورد القلقشندي نَصّ السجل (صبح الأعشى ٩: ٢٩١–٢٩٧ وأعاد نشره جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٤٩–٢٦٠ والدراسة التحليلية ٧١–١٠٢) وأمر الحافظ أن يدعا على المنابر بالدعاء التالي «اللّهم صلّي على الذي شُيِّدت به الدين بعد أن رام الأعداء دثوره ، وأقررت الإسلام بأن جعلت طلوعه على الأمة وظهوره آية لمن تَدَبَّر الحقائق بباطن البصيرة مولانا وسيدنا وإمام عصرنا وزماننا عبد المجيد أبي الميمون وعلي آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين صلاةً دائمة إلى يوم الدين» (ابن ميسر : أخبار مصر ١١٧؛ المقريزي : اتعاظ ٣: ١٤٦).

[1] قارن مع «فصل فيمَن ولي الدعوة الفاطمية باليمن» المقحم على نص تاريخ عمارة اليمني ، وفيه أنه لما وَلِيَ الحافظ كان أول سجل وصل منه إلى الحرَّة الملكة «من ولي عهد المسلمين» وفي السنة الثانية «من أمير المؤمنين» فأقامت الحرة الملكة الداعي الأجل إبراهيم بن الحسين الحامدي ثم نقلت دعوة الحافظ إلى آل زُرَيْع ، وقالت «عشب بني الصُّلَيْحي ما علموه من أمر مولانا الطَّيِّب» (عمارة : تاريخ اليمن ١٠٢ (١٢٩–١٣٠)؛ وعماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١: ٣٨و).

دعواه، ورضي بالاستبدال عن دينه بدنياه، وباع أُخْراه بأولاه[١].

وفي ذلك حُجَجٌ للدعاة باليمن واضحة البراهين، مثبتة لجريان الإمامة في العَقِب الطاهر بأبين التبيين، وكونها جاريةً في عَقِب الإمام الطَّيِّب أبي القاسم أمير المؤمنين، تشهد بها الأنفس والآفاق، وتقوم بها دلالات الحق على ساق، ولا يعد الله إلّا الظالمين ويجعل العاقبة للمتقين.

وقد انقطعت دَعْوَةُ عبد المجيد اليوم في جزيرة اليمن، ولم يَبْق من يقول بها في سِرٍّ ولا عَلَن.

ثم إن عبد المجيد أَطْلَق بزعمه سَبَأ بن أبي السُّعُود الزُّرَيْعي الجُشَمي الهَمْداني – صاحب عَدَن – ونَصَبه داعيًا إليه باليمن[٢]. فمال نحوه المريدون

---

[١] أبو الحسن أحمد بن عليّ بن إبراهيم بن الزُّبَير، القاضي الرشيد الغَسّاني الأسواني، شاعرٌ مصريٌّ ذكر ابن سَمُرَة أنه كان عالمًا بارعًا مجودًا في علوم شتى واستفاد منه بعض أصحاب ابن سَمُرَة باليمن. بعثه الإمام الحافظ لدين الله إلى اليمن سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م ليعمل على إقامة الزُّرَيْعيين في عَدَن الدَّعْوة للحافظ بهَدَف استمرار سيطرة الفاطميين على طريق تجارة الهند، وأجابه إلى ذلك أبو عمران محمد بن سبأ بن أبي السُّعود (راجع ترجمته عند بامخرمة: تاريخ ثغر عدن ٢: ٢١٦–٢١٨)، وتَقَلَّد الرَّشيد بن الزبير قضاء عَدَن غير أنه لما قوي أمره بها سمت نفسه إلى الخلافة فأجابه قومٌ إلى ذلك وضَرَبوا سِكَّة باسمه على أحد وجهيها «الإمام الأمجد أبو الحسين أحمد» وانتهى الأمر بالقبض عليه حيث أنفذ إلى قوص ومنها إلى القاهرة حيث قتله الوزير شاوَر السَّعْدي في المحرم سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م (ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن ١٦٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ١٦٠– ١٦٤؛ ياقوت: معجم الأدباء ٤: ٥١– ٦٦؛ العماد الأصفهاني، خريدة القصر (شعراء مصر) ١: ٢٠٠– ٢٠٢؛ ابن ميسر: أخبار ١٣٥، ١٥٢؛ الصفدي: الوافي ٧: ٢٢٠– ٢٢٥؛المقريزي: اتعاظ ٣: ١٧٩، ٢٨٩، المقفى الكبير ١: ٥٣٣– ٥٣٦؛ عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٤٠ظ– ٤١و؛ بامخرمة: تاريخ ثغر عدن ٢: ٥– ٦، ١٨٤؛ أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية ١٨٨– ١٨٩).

[٢] بدأ الاستقلال الفعلي للزُّرَيْعيين عن سلطة الصُّلَيْحيين في وقت سبأ بن أبي السُّعود–المذكور في النص– الذي كان إليه ساحل عَدَن وحصن التَّعْكَر، كما استولى على الحصون والمرتفعات الجنوبية التي كانت للصُّلَيْحيين (بامخرمة: تاريخ ثغر عدن ٢: ٨٧)، ولما استمال الحافظ لدين الله الزُّرَيْعيين للدعوة =

لحُطام الدنيا ، الراضون بما هو أدنى عن ما هو خير وأبقى .

وكان السلطانُ سَبَأ بن أبي السعود يُظْهِر الدعوة إلى الحافِظ عبد المجيد وهو مالك لعَدَن والدُّمْلُوَة وما والاهما من البلدان . وقد ذكر أنه لم يُجِب دعوة عبد المجيد ويَدْعُ إليه إلَّا تَقِيَّةً وخوفًا لمَّا كان في ثغر ، فخاف سَطْوَته ، وصَوْلَتَه وعداوته ، وأنه كان باقيًا على طاعة الإمام الطَّيِّب – سَلام الله عليه – واعتقاد ولايته ، والقول بثبوت إمامته .

قال الداعي الأَفْضَل السَّيِّد السديد عليّ بن محمد بن أحمد بن الوَليد القُرَشي – أعلى الله قدسه[1]: والصحيح أنه لما كان عبد المجيد يومئذ مستوليًا على المُلْك والسلطان ، كَتَبَ إلى السلطان الأَجَلّ سَبَأ بن أبي السعود – رحمة الله عليه – يأمره بالدَّعْوَة له وصَرْف وجوه أهل بلاده إليه – وكان إذ ذاك في ثَغْر من بلاده ، وغير آمِنٍ سطوته إن تظاهر بعناده ، فلم ير إلَّا إسعافه بمراده ، غير ناظر في غَيِّ ذلك من رشاده . وسأل السلطان المذكور الحُرَّة الملكة – أعلى الله قدسها – إجازة ما كُلِّف القيام به ليكون فَسْحها له تقوية لسببه ؛ فلم تطلق – أعلى الله قدسها – فيما سألها إياه نهيًا ولا أمرًا ، ورأت أن الإمساك عنه والإغضاء بها أَجْدَر وأحرى ، ولم تُظْهِر الإنكار عليه تَقِيَّةً من

= أطلق عليه لقب «داعي» وظَلَّ هذا اللقب ملازمًا لخلفائه من بعده ، وتوفي سبأ سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م (عمارة : تاريخ اليمن ٥٤ (٨٦–٨٧) ؛ عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١٠: ٤١و؛ بامخرمة : تاريخ ٢: ٨٩) .

[1] الداعي الأَجَلّ السَّيِّد الأَفْضَل عليّ بن محمد بن جعفر بن إبراهيم بن الوليد القُرَشي الأَنْف الداعي المُطْلَق الخامس في الدَّعْوَة الطَّيِّبِيَّة في اليمن ورأس أُسرة الأَنْف الذين تولوا الدعوة بعد ذلك نحو ثلاثة قرون . تولّى رئاسة الدَّعْوَة في ٢٥ ذي القعدة سنة ٦٠٥هـ/ يونية سنة ١٢٠٨م بنَصٍّ من الداعي السابق عليّ بن حاتم بن إبراهيم الحامدي ، وتوفي في ٢٧ شعبان سنة ٦١٢هـ/ ديسمبر سنة ١٢١٥م (عماد الدين إدريس : نزهة الأفكار ١: ٥٦ظ–٦٢و ؛ برهانبوري : منتزع الأخبار ٨٣– ٩٢؛ Ivanow, *Ismaili Literature* pp. 69-70; Poonawala, *Biobibiliography* p. 159; Daftary, *The Isma'ilis* pp. 288-89؛ حسين الهمداني : الصليحيون ٢٨٤–٢٩١) .

سلطان عبد المجيد ، وكَوْن ذلك غير قادح في الولاية ولا التوحيد – كما لم يكن إمساك أمير المؤمنين عليّ – صلوات الله عليه – في أيام خلافة الثلاثة بمُبْطِلٍ حَقَّه ولا مؤخِّرٍ سَبْقَه ، وما كان في أثناء ذلك من المعونة لهم على كثير من الأحوال ، فتوهَّم معها الرضى بفعلهم كثيرٌ من أغبياء الرجال ، وقَصْدُهُ بذلك استعمال التَّقِيَّة ، وحياطة المِلَّة الحنيفية . وكذلك كان إغضاؤها – أعلى الله قدسها – عن ما كان من الدُّعاء إلى عبد المجيد تَقِيَّةً على دينها ، ورعاية لأهل دعوتها ومملكتها وأهليها ، اقتداءً في ذلك بمواليها ...

إلى قوله : وكان عبد المجيد قد فَرَّق في جزيرة اليمن على استمرار دعوته به أموالًا ، ليوسع له بها فيما حاوله من الاستبداد بالأمر مجالًا ، فافتعل له المفتعلون بذلك من الروايات ، ما دعاهم إليه الطَّمَع في الخِلَع والولايات ، وتناقلوها بينهم وتدارسوها ؛ وتلك سبيل من سَلَف من أهل الصدر الأول في نُصْرَة الباطل رغبةً في تافه الحُطام على الحقّ ، وتمويهًا بمزور الأخبار على ضعفاء الخلق ، كما روي أن أبا هُرَيْرَة أخذ من معاوية على ألف حديث افتراه على النبي – صلوات الله عليه وعلى آله – في ما يُوَطِّد الخلافة لأضداد أهل البيت – عليهم السلام – أربعمائة ألف درهم ، هذا قوله – قَدَّس الله روحه .

الزُّرَيْعِيُّون

وبنو زُرَيْع[١] هم من رؤساء هَمْدان ، وهم من جُشَم ثم من يام بن أصبا ،

---

[١] المصدر الرئيسي لتاريخ الزُّريعيين في عَدَن هو «تاريخ اليمن» المسمى «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» لعمارة اليمني الذي كانت تربطه علاقات حميمة بالعديد من أفراد أسرة الزُّرَيْعيين ؛ وقد نَقَلَ هذا القسم من تاريخ عمارة ابن المجاور في كتابه «صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز» ١٢١ وما بعدها ؛ وانظر كذلك أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية ١٨٧– ١٩٠، مصادر تاريخ اليمن ٣٨٩–٣٩٠؛ Daftary, *The Ismāʿīlīs* pp. 275-80 .

وكانت لجدّهم زُرَيْع[a] بن العَبّاس بن الكُرَم سابقةٌ محمودة، وأفعالٌ حسنة معدودة، وجهادٌ واجتهاد، وفي قيام الدَّعْوَة المستنصرية مع الملك الأَجَل الأَوْحَد الداعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي ومع وَلَده الداعي المُكَرَّم أحمد بن عليّ – رضي الله عنهما.

وكان السببُ في ملكهم لعَدَن أن الداعي عليّ بن محمد الصُّلَيْحي لما فَتَحَها وبنو مَعْن فيها جعل الولاية بها إليهم، وأبقاها في أيديهم؛ فحين استشهد – قَدَّس الله روحه – نافقت بنو مَعْن، وأظهرت الخلاف في عَدَن، فسار إليهم الملك المُكَرَّم أحمد بن عليّ ففَتَحَها وأزال بني مَعْن منها، ووَلّاها زُرَيْع[a] بن العَبّاس بن الكُرَم وعمه مسعود بن مسمع بن الكُرَم، وجعل مقرّ زُرَيْع[a] بن العَبّاس بتَعْكَر عدن – وهو يحوز الباب وما يصل من البرّ، وجعل إلى مسعود بن الكُرَم حِصْن الخَضْراء – وهو يملك من الساحل والمراكب ويحكم على المدينة، واستحلفهما لامْرأته الحُرَّة الملكة السَّيِّدة، فوقَفا في عَدَن حتى استشهدا جميعًا على باب زَبِيد – رحمة الله عليهما – وكانا مع المُفَضَّل بن أبي البركات – عامل الحُرَّة الملكة – في بعض غزواته. فوَلِيَ الأمر بعدهما أبو السُّعود بن زُرَيْع وأبو الغارات بن مَسْعود، فمكثا مدّتهما.

ووَلِيَ بعد أبي السُّعود ولده سَبَأ بن أبي السعود بن زُرَيْع، ووَلِيَ بعد أبي الغارات ابنه محمد بن أبي الغارات، ثم مات محمد بن أبي الغارات وولي أخوه عليّ بن أبي الغارات بن مسعود[1].

وكان من محمد بن أبي الغارات مُدَّة أيامه إلى سبأ بن أبي السُّعود ما

[a] النص عند عمارة اليمني – مصدر هذه المعلومات – وسائر من نقلوا عنه: العباس بن الكرم.

[1] عمارة اليمني: تاريخ اليمن ٤٨–٤٩ (٨١–٨٢)؛ ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ١٢١.

غاظه وأحنقه عليه، من السَّفَه وقبيح الكلام وبَسْط اليد فيما كان إليه، فصبر على ذلك سَبَأ، واحتمل ما يصير إليه من الأذى. فلما وَلِيَ عليّ بن أبي الغارات ازداد في بَسْط اليد وظُلْم العباد، والعيث والفساد، فعيل من سَبَأ الصبر، وثار بينهم الشَّرّ؛ فجرت بينهم حروبٌ كثيرة وغوائل، وقتالٌ شديد هائل، وضمّ سبأ بن أبي السعود هَمْدان إليه [1]، وأنْفَق عليهم الأموال وبَذَلَ لهم البدائل، حتى أَنْفَق كل ما في يديه - فقيل إنه أَنْفَق ثلاثمائة ألف دينار - حتى أفْلَس؛ ثم عاد إلى التجار من أهل عَدَن فاقترض منهم ما قضاه في حياته، وبقي عليه بعد موته ثلاثون ألف دينار قضاها عنه ابنه عليّ بن سَبَأ من بعده [2].

فغلب سَبَأ بن أبي السُّعود واستولى على عَدَن وحُصُونِها وبُلْدانها. ومات بعد أن قَرّ له أمر عَدَن بسبعة أشهر؛ وكانت وفاتُه سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، بعد وفاة الحُرَّة الملكة الصُّلَيْحِيَّة - أعلى الله قدسها - بسنة [3].

ووَلِيَ بعده ابنه الأَعَزّ عليّ بن سَبَأ، فنفى أخاه محمد بن سَبَأ، والتجأ محمد بن سَبَأ إلى منصور بن المُفَضَّل بن أبي البركات إلى التَّعْكَر. ولم يلبث عليّ بن سبأ قليلًا حتى مات، فأرسل بلال، مولى سبأ بن أبي السعود بن زُرَيْع، لمحمد بن سبأ، ومَلَّكه عَدَن. ووَصَلَ القاضي المكنى الرشيد من قِبَل عبد المجيد بتقليد لعليّ بن سبأ في سنة أربع وثلاثين، فوجد عليًا قد مات، فقلّد محمدًا أخاه [4].

---

[1] عند عمارة بعد ذلك: وجنب بن أسعد وعَنْس وخولان وجنبَر ومَذْحج وغيرهم (تاريخ اليمن ٥١ (٨٤)).

[2] قارن عمارة اليمني: تاريخ اليمن ٤٩ (٨٢-٨٦).

[3] نفسه ٥٤ (٨٦-٨٧).

[4] نفسه ٥٥ (٨٧) ونعته «المُعَظَّم المُتَوَّج المكين».

وفي سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، قتل محمدُ بن سبأ عليًّا بن أبي الغارات ، واستولى على حصنيه اللذين كان التجأ إليهما بعد أن زال عن خضراء عَدَن ، وهما المُنِيف والجبلة ، وهما فيما يلي أعالي لَحْج [١].

وفي سنة سبع وأربعين ابتاع المُتَوَّج المكين محمد بن سبأ من الأمير منصور ابن المُفَضَّل بن أبي البركات حصن التَعْكَر ومدينة ذي جِبْلَة وغير ذلك مما كان لبني الصُلَيْحي ، وانتقلت ذخائرهم إلى محمد بن سبأ [٢].

ثم لما توفي محمد بن سَبَأ [٣] ولي بعده ابنه عِمْران بن محمد ، وجاءه التقليد من آل عبد المجيد أيام قيام الملك الصَّالح [٤] في مصر وأعمالها . ومات عِمْران بن محمد في سنة ستين وخمسمائة ، وخلف ولديه أبا السعود ومحمدًا ابني عِمْران [٥]. ودام المُلْكُ في أيديهم إلى أن استولى على بلادهم عبد النَّبِيّ بن مَهْدي بن عليّ بن مَهْدي [٦]، وتَمَلَّك بلادهم – غير عَدَن – فإنهم صالحوه على تركها في إيديهم .

وكانت لبني زُرَيْع مكارمُ مشهورة ، ومفاخرُ مذكورة ، ومَدَحتهم الشعراء

---

[١] عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ٥٤ (٨٦).

[٢] عند عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٥٦ (٨٨) : «وهي ثمانية وعشرون حصنًا ومدائن منها : مدينة ذي جِبْلَة ، وذي أشرق ، وإبّ فأخلها منه بمئة ألف دينار».

[٣] في سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م.

[٤] الملك الصّالح طلائع بن رُزِّيك وزير الفائز والعاضد آخر الخلفاء الفاطميين في مصر (٥٤٩–٥٥٦هـ/ ١١٥٤م) وهو أوّل من تَلَقَّب بـ «الملك» من وزراء الفاطميين حيث نُعت في سجل توليته بـ «السّيّد الأجلّ الملك الصالح... أبي الغارات طلائع الفائزي» (أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٨١).

[٥] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٥٨ (٩٠).

[٦] نفسه ٩٦(١٢٤) وعن دولة بني مهدي راجع ، عمارة : تاريخ اليمن ٩٢–١٠٠ (١٢٠–١٢٧)؛ أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب ٨٥– ٨٧؛ محمد أمين صالح : « دولة الخوارج في اليمن ، بنو مهدي في زبيد ٥٥٤–٥٦٩هـ» ، المجلة التاريخية المصرية ٢٥ (١٩٧٨) ، ١٢٧– ١٤٧؛ G. R. Smith, *EI*² art. *Mahdides* V, 1235-36.

بالحَسَن من الأقوال، وأجازوهم بالكثير من الأموال. وهم من رؤساء هَمْدان، وممن كانت لهم عند الدُّعاة الصُّلَيْحيين التقدمة والمكان.

* * *

نرجع إلى ما كُنَّا فيه.

ومازالت الحرَّة الملكة الصُّلَيْحِيَّة تدعو إلى الإمام الطَّيِّب – عليه السَّلام – في السِّرِّ والإعلان، وتُظْهِرُ فَضْلَه بواضح البرهان، وتبيِّنُ ما استحق من آبائه من النصوص، وأنه صاحب العصر الذي هو بفضائل آبائه مخصوص؛ وعاضَدَها على ذلك الداعي الأَجَلّ الذُّؤَيْب بن موسى الوادعي.

فانتشرت دعوتُهما في الآفاق، وانقمع من اعتزى إلى المجيدية من أهل الشِّقاق، وأقرَّ بفضلهما الخاصُّ والعامُّ، وزال بهما ما عرى شمس الإمامة من الإظلام؛ فزهرت نجومُ الدَّعْوَة الطَّيِّبِيَّة، وبان إفْك ما ادَّعته الفرقة المجيدية، وبَطُلَ ما يأفكون ويزعمون، ويُحِقُّ اللهُ الحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المجْرِمُونَ [1].

وكانت الحرَّة الملكة الصُّلَيْحِيَّة متبحِّرة في علم التنزيل والتأويل، والحديث الثابت عن الأئمة والرسول عليهم الصلوات من الله الملك الجليل؛ وكان الدُّعاةُ منها يتعلَّمون من وراء السِّتْر ويأخذون عنها، ويرجعون إليها في مشكلات الدين فيجدون عندها ما يريدون، ويغترفون من تيّار عِلْمِها إذ يردون، وكان لها مع علمها وفَضْلها ونُسُكها ووَرَعِها وزُهْدِها وعبادتها حُسْنُ سياسة، ولطافَةُ تدبير جبلت به على محبَّتها الخاصة والعامة. واستعبدت ملوكَ اليمن فكانوا لها طائعين، وإلى أمرها مسارعين، مؤالِفُهم ومخالِفُهم يُقِرّ بفضلها، ويمتثل أمرها.

---

[1] استشهادًا بالآية ٨ سورة الأنفال والآية في المصحف ﴿ليحق الله الحق ...﴾.

وقامت بالدَّعْوَة والمُلْك في حياتها مع مَوْت أولي الفَضْل من رجالها، ووقوع الشَتْر في أيّامها؛ فلم يك خَلَلٌ، ولا شَغَبَ عليها من أهل مملكتها رجلٌ.

حتى إذا آنت منها الوفاةُ، وتصرَّمت مُدَّة الحياة - بعد أن أقامت الداعي الذُّؤَيْب بن موسى في الدَّعْوَة، وجعلته لدُعاة اليمن الدليل والقُدْوَة، وقلَّدته الدَّعْوَة في اليمن وما ينْضاف إليه من الجزائر، مع ما صار إليه من الداعي يحيى بن لَمَك بن مالك من تسليم رُتْبَتِه إليه وإقامته في البادي من أهل دعوته والحاضر؛ وكان ذلك والحُرَّة الملكة في بهجة من أيامها، وبُرْهَة من عمرها - ثم إنها لما دَنَت نُقْلَتها، كَتَبَت وَصِيَّتها وعَهَدَت عَهْدَها، ووَقَفْتُ على وَصِيَّتها بخط كاتبها وأجْرَت شريف علامتها، بما هذا فَصُّه ونَصُّه:

كتابُ وَصِيَّة السَّيِّدَة الحُرَّة

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على رسوله سيدنا محمد وآله الطاهرين.

هذا ما أوْصَت به أَمَةُ الله تعالى وأَمَةُ أوليائه سَيِّدَة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم، وعَهِدَت أنها تحمد الله تعالى على آلائه المتواترة ونعمه الباطنة والظاهرة وتشهد أن لا إله إلّا الله تعالى مبدع المبدعات وخالق المخلوقات جَلَّ وعلا أن تناله صفة أو تدركه معرفة، وأن الخلائق فى قبضته والأشياء صادرة عن أمره وإرادته لا مُعَقِّب لحكمه ولاراد لأمره، وإنه العَدْل الذي لا يجور والحَكَم الذي لا يحيف والصّادق الذي لا يُخْلِف والعَفُوّ الذي لا يؤاخِذ، خالق السموات والأرضين وإله الأوّلين والآخرين ذو

الأسماء الحسنى والكلمات التامات صِدْقًا وعَدْلًا ، وتَشْهَد أن له ملائكة انتجبهم من بريته وانتخبهم للسفارة بينه وبين المصطفين من أُمّته يُسَبِّحون الليل والنهار ولا يفترون ، ولا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يَعْلَم ما بين أيديهم وما خَلْفَهُم ولا يَشْفَعون إلّا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ، وتَشْهَدُ أن الجنّة حَقٌّ خَلَقَها الله للمطيعين من بريته الخائفين من سَطْوَته ، المؤمنين به المُصَدِّقين لوَعْده ، المُوَفِّين بعَهْدِه ، المُتَّبعين لرُسُله العاملين بمتضمّن آياته وكتبه ؛ وتَشْهَد أن النارَ حَقٌّ أعَدَّها الله لمن جَحَدَ أنبياءه وخالف أولياءه وأنكَرَ آياته وتَعَدَّى حدوده وأَلْحَد في سبيله وتمادى في غيّه وأسرف في أمره وأصرّ على كفره وادّعى معه سبحانه إلهًا آخر لا إله إلّا هو تبارك وتعالى عمّا يقول الظالمون عُلوًّا كبيرًا ؛ وتَشْهَدُ أن البَعْثَ حَقٌّ والقيامةَ حَقٌّ والحسابَ حَقٌّ والصِّراطَ حَقٌّ وأن الله يبعثُ مَنْ في القبور ويُحَصِّل ما في الصُّدور ، وأن كُلّ شيء هالك إلّا وَجْهه ، له الحُكْم وإليه ترجعون ؛ وتَشْهَدُ أن ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ومَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْها وما رَبُّكَ بظَلّامٍ للعَبِيدِ ﴾ [الآية ٤٦ سورة فصلت] ؛ وتَشْهَدُ أن الله أرسل الأنبياء وبعث الرُّسل والأصْفياء بكُتُبٍ أنزلها وآيات فَصَّلَها رَحْمَةً لعباده وأمنًا لبلاده وإقامة للحُجّة وإيضاحًا للمَحَجّة ؛ لئلا يكون للناس على الله حُجَّة بعد الرُّسُل وكان الله عزيزًا حكيمًا ؛ جعلهم أسبابًا للنجاة من الضَّلال وعُرًا وثيقةً لمن تَمَسَّك بهم في المبدأ والمآلُ لا تُفَرِّق بين أحدٍ من رسله وأنبيائه ولا تجحد أحدًا من خلفائه وأوليائه ؛ وتَشْهَد أن أشْرَفَ الأنبياء عند الله قدرًا وأعظمهم خَطرًا وأجلّهم مكانًا وأعلاهم وأسناهم شأنًا هو النَّبِيّ العربي الهاشمي الأبْطَحي والسَّيِّد الأوّاه محمد بن عبد الله - صَلّى الله وملائكته عليه وعلى آبائه الطاهرين وأنبيائه الأكرمين صلاةً مُتَّصِلَة إلى يوم الدين ؛ وتَشْهَد أن الله - عَزَّ وجَلَّ - اختصه بالاصطفاء وخَتَم به عِدَّة الرُّسَل والأنبياءُ بَعَثَه إلى أُمّةٍ قد غلب عليها

الخيال واستولى عليها الضَّلال واستحوذ عليها الهوى وغاب عنها الهدى ، فصدع بأمر الله جاهدًا وقام بنُصْرَة الحَقّ مجاهدًا ، فحَطَّم الأوْثان وأخْمَدَ بيوت النيران ، وعَطَّلَ معابد الرُّهْبان ، وأظهر أمر الله وهم كارهون ؛ وتَشْهَد أن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب – صلوات الله عليه – وَصِيّه والخليفة من بعده ، نَصَّبه عن أمر الله سبحانه يوم الغَدير ، وأحَلّه منه في ذلك المقام محل الظهير والوزير ، وجعله لدينه قاضيًا وعلى أمته وليًا ، وقضى – صَلّى الله عليه – دينه وأحسن فى الأُمَّة تدبيره ، وحذا حَذْو رسول الله في سيرته ، وقام مقامه في إحياء سُنَّته ؛ وتَشْهَد أن فاطمة البَتُول الزَّهْراء الإنسية الحَوْراء ، خامسة أصحاب الكِساء ، والدَّوْحَة المباركة التي أصْلُها ثابت وفرعُها في السماء لا يجحِد حقَّها إلا مارقٌ ، ولا يُنْكِر شرفَها إلا منافِقٌ ، وتشهد أن وَلَدَها الحَسَنَ بن عليّ مفترض الطاعَة بالنَّصّ الجلي من جده وأبيه ، وأنه مستودع مرتبة الحسين بن علي أخيه ، وأن الحُسَيْنُ بن علي تلوه في نَصّ الإمامة ، وأن الكلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة ؛ وتشهد أن الأئمة الطاهرين من ذرية الحسين بن عليّ قُرَناء القرآن وحُجُج الرَّحمن ، وأنهم نجومُ أهل الأرض والذين بهم يقتدون ، وبعلومهم الواضحة يهتدون ، وأن الأول منهم يَنُصُّ على الآخر ، والماضي منهم يشير إلى الغابر ، ﴿ سُنَّةُ الله الّتي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ولَنْ تَجِدَ لسُنَّةِ الله تَبْدِيلًا ﴾ [الآية ٢٣ سورة الفتح] . ولن تجد لسنة الله تحويلًا ، وأن ذلك النص بتأييد الله وأمْره لما سبق في سابق علمه اختيارًا ، وانتجابًا واصطفاءً وانتخابا . وأن أوّل الأئمة بعد الحُسَيْنُ بن عليّ صلوات الله عليه زَيْن العابدين عليّ بن الحسين ، ثم باقر علم الدين محمد بن عليّ ، ثم الصَّادِق الأمين جَعْفَر بن محمد ، ثم الكلمة الباقية في عقبه إلى يوم الدين إسماعيل بن جعفر ، ثم ذو الشَّرَف الأصيل الإمام الحق محمد بن إسماعيل ، ثم الأئمة الثلاثة المستورون خوف أعداء الله الظالمين ، ثم الإمام المَهْدي بالله ، ثم الإمام القائم بأمْر الله ، ثم الإمام المَنْصُور بنَصْر الله ، ثم

الإمام المُعِزّ لدين الله ، ثم الإمام العزيز بالله ، ثم الإمام الحاكم بأمر الله ، ثم الإمام الظّاهر لإعْزاز دين الله ، ثم الإمام المُسْتَنْصِر بالله ، ثم الإمام المُسْتَعْلي بالله ، ثم الإمام الآمِر بأحْكَامِ الله ، ثم الإمام الطَّيِّب أبو القاسم أمير المؤمنين نجل الإمام الآمر بأحْكام الله أمير المؤمنين صلوات الله وبركاته وتحياته وكراماته عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين .

على ذلك عاشت وعليه تموت وعليه تُبْعث وبه تَلْقى الله . وأوْصَت به من بعدها وبتَقْوى الله تبارك وتعالى وإيثار طاعته وبما أوْصى إبراهيم نبيه ويعقوب : ﴿ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾ [الآية ١٣٢ سورة البقرة] . وأوصت ، متى حدث بها حَدَثُ الموت ، الذي جعله الله حتمًا على عباده وساوى به بين القَويّ والضعيف والمَشْروف والشَّريف ، عدلًا في قضيته ، ونفاذًا لحكمه في بريته ، أخرج عنها من جميع تركتها جميع الأشياء المسمّاة الموصوفة في هذا الكتاب ، وهي الأشياء التي :

منها عصابة ذهب كبيرة مفصّصة واسطتها ياقوتة حمراء ، ويليها من يمين ويسار دُرّتان ، ويليها ياقوتتان زَرْقاوان ، ويلي هاتين دُرّتان لطيفتان ، ويلي هاتين فصّا ياقوت أحمران ، ويليهما في الطرفين أيضا دُرّتان لطيفتان يحيط بالجميع من ذلك خيطًا لؤلؤ ، أحدهما لُؤْلؤه لؤلؤ لطيف عدده مائتا حبة وحبة واحدة ، والآخر لُؤْلؤه لؤلؤ كبار عدده مائتا لؤلؤة ولؤلؤتان ، وزن جميع ذلك سبعون مثقالا .

ومنها عصابة ذهب بيضاء , فيها مائة حبة لُؤْلؤ وست وعشرون حبة لُؤْلؤ مفصصة ، واسطتها لُؤْلؤة لطيفة ، ويليها من يمين ويسار فصان أحمران ، ويلي هذين الفصين فصوص حمر وزرق وخضر ، وزن الجميع من ذلك ثلاثة وأربعون مثقالا .

ومنها عصابة ذهب أيضا منجّمة بلؤلؤ ، فيها واسطتها فَصّ ياقوت

أزرق ، وثلاثة فصوص عن يمينه ويساره ، حتى انتهى إلى فَصَّين أخضرين في الطرفين ، عدد لؤلؤه مائة لؤلؤة واحدة واثنتان وثلاثون لؤلؤة . وزن الجميع من ذلك تسعة وثلاثون مثقالا .

ومنها عصابة ذهب أيضًا مفصصة بفُصوص منجمة بلُؤْلؤ قد انقطع من فصوصها فَصّ ، عدد لؤلؤها مائة لؤلؤة واحدة وست وعشرون لؤلؤة ، وزن الجميع من ذلك ثمانية وثلاثون مثقالا .

ومنها قبلة لُؤْلؤ ، عدد لُؤْلؤها مائة لُؤْلؤة واحدة ، وتسع عشره لُؤْلؤة بفرائد ذهب ، وزن الجميع منها أحد عشر مثقالا .

ومنها ست وتسعون دُرَّة ، من جملة ذلك عشرون دُرّة علامية ، وإحدى وتسعون فريدة ذهب ، وزن الجميع من ذلك أربعة وثلاثون مثقالًا .

ومنها ست عشرة ضَبّة بفرائد الذهب ، وخيوط ذهب عدد لُؤْلؤها مائتا لُؤْلؤة وثمان وأربعون لُؤْلؤة ، وزن جميع ذلك ثلاثة وثلاثون مثقالًا ونصف مثقال .

ومنها اثنان وعشرون لَوْح ذهب ولاجستان في الجميع من ذلك مائة حَبّة واحدة ، وثمان وتعسون حَبّة لُؤْلؤ بفرائد ذهب ، وزن جميع ذلك خمسون مثقالًا .

ومنها ثلاث وعشرون ضَبّة أيضًا بفرائد ذهب مفكن بخرز أخضر ، عدد اللؤلؤ ثلاثمائة وثمان وستون لؤلؤة ، وزن جميع ذلك أربعة وعشرون مثقالًا .

ومنها أربعة أزواج أفلال ذهب ولُؤْلُؤ ثمان وثمانون لؤلؤة ، وزن جميع ذلك عشرون مثقالًا ونصف مثقال .

ومنها تركيتان لؤلؤ ، فيها ثمان حبات لُؤْلؤ ، في أحدهما حبة ياقوت

حمراء وفي الآخر حجر بَلَخْش أحمر ، الوزن لجميع ذلك أربعة مثقايل إلا ربع مثقال .

ومنها زوج مدارى ، فيه عشرة ألواح ذهب ، وهلال ذهب ، ورباعية ذهب ، ولُؤْلؤ عدده ألفا لؤلؤة وتسعمائة لُؤْلؤة وثمان وثمانون لُؤْلؤة ، وزن الجميع من ذلك مائة مثقال وواحد وتسعون مثقالا .

ومنها زوج شماريخ لؤلؤ أيضا فيه عشرة خيوط لُؤْلؤ ، وأربعة ألواح ذهب، وست رباعيات ذهب ، وخَرصا ذهب وثلاثة مناوِط ، وزن جميع ذلك اثنان وستون مثقالًا ونصف مثقال .

ومنها زَوْج شماريخ لؤلؤ أيضا ، عشرة خيوط ذهب مدار عليها لؤلؤ ، وعشرة مناوط ، وعشرة ألواح ذهب ، في أطراف المناوط حَبّ ياقوت لطاف ما بين أزرق وأصفر ، وزن جميع ذلك مائة مثقال واحدة ، وأحد عشر مثقالًا .

ومنها زوج شماريخ أيضًا , فيه ثمانية خطوط لؤلؤ , وعشر رباعيات ذهب ، وخرصا ذهب فيهما خيطا قطن مجدولان ، وزن جميع ذلك خمسة وأربعون مثقالًا .

ومنها ذُبابتان لؤلؤ ، فيهما اثنا عشر منوطًا ، وزن الجميع ثمانية وسبعون مثقالًا ونصف .

ومنها جديلة فيها عقود ، الأول منها عقد واسطته ياقوتة صفراء ، ويليها فريدتا ذهب ، وفيها أربع بيوت لُؤْلؤ في كل بيت سبعة خيوط ، وفي طرفيه ياقوتتان زرقاوان بفرائد ذهب ، والثاني خرز لُؤْلؤ واسطته ياقوتة زرقاء ، والثالث عقد واسطته ياقوتة صَفْراء ويليها من يمين ويسار زُكْرُدتان خضراوان وأربع فرائد ذهب ، وفيه أربع بيوت في كل بيت سبعة خيوط لُؤْلؤ ، والرابع

خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء ، والخامس عقد واسطته ياقوتة صفراء ويليها من يمين ويسار في الطرفين زُمُرُّدتان خضراوان وفيه أربع بيوت في كل بيت تسعة خيوط لؤلؤ ، والسادس خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاؤ بفريدتي ذهب . والسابع عقد واسطته ياقوتة صفراء ، ويليها من يمين ويسار ياقوتتان صفراوان وفريدتا ذهب ، وفيه واسطة زُمُرُّدَة خضراء ، وفي جرباني الجديلة ثماني خيوط لؤلؤ ، في كل طرف أربع خيوط برباعيتها ، وزن الجميع من ذلك مائتا مثقال وخمسة وثلاثون مثقالا .

ومنها خمسة قمارى لُؤْلؤ مضموم بعضها إلى بعض : الأول منها قمرى لُؤْلؤ واسطته زُمُرُّدَة خضراء ، ويليها في الطرفين من يمين ويسار ، ياقوتتان حمراوان ، وفيه سبع وأربعون لُؤْلؤة . والثاني قمرى لُؤْلؤ واسطته ياقوتة حمراء ، ويليها من الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان زرقاوان ، وست فرائد ذهب ، وفيه ثلاث وخمسون لُؤْلؤة . والثالث قَمَرى لُؤْلؤ واسطته زُمُرُّدة خضراء ، ويليها في الطرفين عن يمين وشمال حجرا بَلَخْش أحمران ، فيه أربع وخمسون لُؤْلؤة . والرابع قمرى لُؤْلؤة ، والخامس قمرى لُؤْلؤ واسطته زمردة خضراء ، ويليها في الطرفين عن يمين ويسار حجرا بَلَخْش أحمران وست فرائد ذهب ، فيه خمس وخمسون لؤلؤة . وزن جميع ذلك سبعة عشر مثقالا .

ومنها ست قمارى : الأول قمرى لُؤْلؤ واسطته ياقوتة حمراء ، ويليها عن يمينها ويسارها في الطرفين زُكُرُّدتان خضراوان وست فرائد ذهب . فيه اثنتان وثلاثون حبة لؤلؤ . الثاني قمرى لُؤْلؤ واسطته حجر بَلَخْش أحمر ويليها في الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان زرقاوان وست فرائد ذهب فيه ثلاث وثلاثون حبة لُؤْلؤ . والثالث قمرى لُؤْلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويليها في الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان صفراوان وسبع فرائد ذهب ، وثلاثون حبة

لُؤْلؤ . الرابع قمرى لُؤْلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويليها في الطرفين عن يمين ويسار زُمُرُّدتان خضراوان وست فرائد ذهب فيه اثنتان وثلاثون حبة لُؤْلؤ . الخامس قمرى لُؤْلؤ واسطته زُمُرُّدَة خضراء ويليها في الطرفين عن يمين ويسار حجر بَلَخْش أحمر بفريدتي ذهب . الرابع واسطته زمردة خضراء بفريدتي ذهب . السابع واسطته حجر بَلَخْش أحمر بفريدتي ذهب . الثامن واسطته حجر خضراء بفريدتي ذهب . التاسع واسطته حجر صفراء بفريدتي ذهب . وزن الجميع تسع عشرة مثقالا .

ومنها لازما لُؤْلؤ ، في أحدهما تسعة ألواح ذهب ، وفي الآخر سبعة ألواح ذهب وزنهما اثنان وعشرون مثقالا .

ومنها لازم لُؤْلؤ أيضًا فيه ثمانية عشر لوح ذهب منظمة بلُؤْلؤ ، وزنه ستة عشر مثقالا .

ومنها دُمْلُجا لؤلؤ برأسي ذهب ، وزنهما اثنان وخمسون مثقالًا .

ومنها اثنا عشر سوار برعوس ذهب ، وزنها مائة مثقال واحدة وستة وخمسون مثقالًا .

ومنها خُلْخَالًا لُؤْلؤ برأسي ذهب ، وزنهما ثمانية وتسعون مثقالًا .

ومنها شبطة إبريشم منظومة بلُؤْلؤ مكللّة بأهِلّة ذهب . وزنها مائة مثقال واحدة وثلاثة مثاقيل .

ومنها لازم لُؤْلؤ ساذَج فيه ياقوتة حمراء صغيرة ، وزنه ثلاثة عشر مثقالًا إلّا ربع مثقال .

ومنها لازم لؤلؤ أيضا في ثمانية ألواح ذهب ، وزنه خمسة مثاقيل .

ومنها شيالا لؤلؤ فيهما أربع جدائل ذهب وجديلتا ذهب ، وزن الجميع

أربعة وعشرون مثقالًا .

ومنها تاج ذهب مرصّع بيواقيت ملونة ودُرَرَ مختلفة ، وزنه مائة مثقال واحدة وثمانية مثاقيل .

ومنها تسعة أسورة ذهب مزروعة .

ومنها عشرة أسورة ذهب مفتولة ، وزنها مائتا مثقال واثنان وتسعة مثاقيل .

ومنها سوارا ذهب لطيفان مزروعان ، وزنهما ثمانية عشر مثقال ونصف وربع .

ومنها زوجا خُوص ذهب ، وفرد سوار ذهب مفصَّص بفصوص ملونة ، وزن الجميع ثلاثة وسبعون مثقالًا .

ومنها خوصتا ذهب ، وزنهما ثلاثون مثقالًا .

ومنها دَمْلَجا ذهب ، وزنهما مائتا مثقال .

ومنها أربع عشرة دَقَّة ذهب : الأولى منها قاقلية بفرائد ، الثاني مار ذهب ، الثالثة دقة ذهب مشبكة ، واسطتها ياقوتة حمراء بأربع فرائد ذهب ولؤلؤة فيما بينها ، الرابعة دَقَّة ذهب سفرجلية ، الخامسة والسادسة دقتا ذهب متداخلتان ، السابعة دقة ذهب حسكية بفرائد ، الثامناة دقة ذهب قاقلية دقيقة ، التاسعة دقة ذهب حَسَكِية بفرائد ، العاشرة دقة ذهب عمل الهند في طرفيها خمس عشرة حبة لؤلؤ ، الحادية عشرة دقة ذهب حَسَكية بفرائد ذهب أيضًا ، الثانية عشرة دقة سفرجلية بفرائد . الثالثة عشرة والرابعة عشرة دقتا ذهب أخريان . وزن الجميع من ذلك ثلاثة وثمانون مثقالًا .

ومنها ست عشرة دقة ذهب أيضا يضمها جُزبان حرير ، في طرفي

الجُرْبان أربعة خيوط لُؤْلؤ في طرف كل خيط رباعي ذهب . الأول من ذلك قَمَرى لُؤْلؤ بواسطة ياقوتة صفراء وثمان فرائد ذهب وأربع يواقيت صفر فيه أربع وعشرون حبة لُؤْلؤ ، ويتلوه مار ذهب ، ويتلوها دَقّة حَسَكية ذهب بفرائد ، ويتلوها دقة ذهب قاقلية بفرائد ، ويتلوها دقّة ذهب قاقلية أيضًا ، ويتلوها دَقّة ذهب مُشَبَّطة فيها ثماني عشرة حبة لُؤْلؤ واسطته ياقوت أحمر وأربع فرائد ذهب ، ويتلوها مار ذهب ، ويتلوها دَقّة ذهب قاقلية أيضًا . ويتلوها دقّة ذهب مثمرة ، ويتلوها دقة ذهب حَسَكِيّة فيها واسطة ياقوتة صفراء وإحدى عشرة حبة لؤلؤ ، ويتلوها دقة ذهب مداخلة عمل الهند ويتلوها أيضا دقّة مداخلة عمل الهند ، ويتلوها دقة ذهب مَشَبّة بواسطة زُمُرُّد ، ويتلوها دَقّة ذهب قاقلية ، ويتلوها دقّة ذهب مثمنة . وزن الجميع من ذلك مائة مثقال وثمانية وأربعون مثقالا بالجُرْبان .

ومنها ست دقق أيضا : الأولى منها دَقّة ذهب مشبكة واسطتها ياقوتة زرقاء ، وفيها ثمان حبات لُؤْلؤ وأربع فرائد ذهب وثمان حبات لُؤْلؤ ، ويتلوها مار ذهب ، ويتلوه دقة ذهب قاقلية بفرائد ، ويتلوها دقة ذهب حَسَكِيّة بفرائد ، ويتلوها لازم ذهب فيه أحد عشر لوح ذهب في كل لوح حبة لؤلؤ . وزن الجميع من ذلك ثلاثة وخمسون مثقالًا .

ومنها ثمان دقق صغار : الأولى منها دِقّة ذهب مشبكة بواسطة حجر بَلَخْش حمراء وثمان حبات لؤلؤ وأربع فرائد ذهب . والثانية دَقّة ذهب مشبكة بواسطة خضراء وثمان حبات لُؤْلؤ وأربع فرائد ذهب وفي الطرفين ثمان لآلئ . والثالثة دقة ذهب حسكية بفرائد . والرابعة دقة ذهب بفرائد ، والخامسة دقة ذهب مشبكة في الطرفين منها سبع حبات لؤلؤ . السادسة مار ذهب . السابعة دقة ذهب قاقلية في طرفيها حبتا لُؤْلؤ . الثامنة مار ذهب . الوزن من ذلك تسعة عشر مثقالًا .

ومنها ثلاثة لوازم ذهب دخنية . وزنها خمسة وثلاثون مثقالاً .

ومنها عشرة خواتيم ذهب : منها أربع بفصوص ياقوت زُرق ، ومنها اثنان بفصي ياقوت أحمرين إحداهما مصراني ، ومنها اثنتان بفَصّي ياقوت أصفر مصرانيتين ، ومنها اثنان إحداهما بفَصّ ياقوت أصفر مربع ، والأخرى بفص ياقوت أحمر مربع .

ومنها حَلَقَتا ذهب إحداهما بفَصّ ياقوت أحمر بهرمان ، والأخرى بفَصّ ياقوت أزرق مربع .

ومنها حلقتا ذهب إحداهما بفَصّ عين الهِرّ مدور ، والأخرى بفَصّ أزرق .

ومنها ثلاث حلقات صغار : إحداهما بفَصّ ياقوت أحمر لطيف ، والثانية بفَصّ ياقوت أزرق مربع ، والثالثة بفَصّ بقران .

ومنها خاتم عمل الهند بفَصّ ياقوت أحمر صغير ويطيف به فصوص ما بين صغار ، وزن الجميع من ذلك مائة مثقال واحدة وخمسون مثقالا .

ومنها ثلاث خواتيم ذهب أيضًا : إحداها بفَصّ ياقوت مربع أصفر . والثانية بفَصّ أحمر مربع . والثالثة بفَصّ أخضر مربع ، وزن الجميع من ذلك اثنان وعشرون مثقالاً .

ومنها اثنتان وعشرون رباعية ذهب معراة وخمسة مفاتيح ذهب لطاف . وزن الجميع أربعة وعشرون مثقالا .

ومنها خُلْخالا ذهب ، وزنهما خمسمائة مثقال .

ومنها مار ذهب ، وزنه ثلاثة عشر مثقالاً .

ومنها فَصّ ياقوت أصفر مصراني ، وزنه ثلاثة مثاقيل وربع مثقال .

ومنها فَصّ ياقوت أزرق مصراني أيضًا ، وزنه مثقال واحد وسدس وثلث ثمن مثقال .

ومنها حبة ياقوت زرقاء مستديرة ، وزنها مثقالان وربع .

ومنها حَبَّة ياقوت زرقاء علامية ، وزنها مثقال واحد وسدس مثقال .

ومنها حُقٌّ صغير فِضّة فيه علامات شريفة .

ومنها عقد أيضًا واسطته ياقوتة صفراء ، ويليها من جنبيها ياقوتتان زرقاوان بست فرائد ذهب ، وفيه أربع بيوت في كل بيت أربعة خيوط لُؤْلؤ عدد اللؤلؤ مائة واحدة وثمان وعشرون لؤلؤة ، وفي طرفيه خَرَزَنا مرجان حمراوان . وزن الجميع من ذلك تسعة وعشرون مثقالًا ونصف وربع .

أخرجت الحُرَّة الملكة السَّيِّدَة الرضية ، الطاهرة الزكية ، وحيدة الزمن ، سَيِّدَة ملوك اليمن ، عُمْدَة الإسلام ، خالصة الإمام ، ذخيرة الدين ، عُمْدَة المؤمنين ، عِصْمَة المسترشدين ، كَهْف المستجيبين ، وَلِيّة أمير المؤمنين ، وكافِلَة أوليائه الميامين ، السَّيِّدَة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصُّلَيْحي – مَدَّ الله في عمرِها – جميع هذه الأشياء المسمّاة الموصوفة في هذا الكتاب بعد عينها – وقد عاينها شهودُ هذا الكتاب وقت وقوع هذه الشهادة عن الحُرَّة الملكة السَّيِّدَة الرضية وَلِيّة أمير المؤمنين السَّيِّدَة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصُّلَيْحي – أنسأ الله في أجلها – قُرْبانًا تقرَّبت به إلى وَلِيّ الله الإمام الطَّيِّب أبي القاسم أمير المؤمنين – صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، لما ترجوه من ثواب الله وتأمله من رِضوانه والزُّلْفَة لديه ، ولأن تكون يوم الفَزَع الأكبر من الآمنين ، ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الآيتان ٨٨، ٨٩ سورة الشعراء] .

وجعلت الحُرَّة الملكة السَّيِّدَة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم – أنسأ الله

في أجلها – وليّ وصيتها هذه ، والقائم بها والمُتَفِّذ لها بعد غيبها ، السُّلْطان الأَجَلّ أحمد بن أبي الحسين بن إبراهيم بن محمد الصُّلَيْحي – أدام الله عزه – وأسْنَدَتها إليه ، وحَمَّلَته في ذلك عَهْد الله سبحانه وعَهْد رسوله وعَهْد وليّه – صلوات الله عليهما – وقلّدته فيها أمانة الله – عزّ وجلّ – التي عرضها على السماوات والأرض والجبال فأبَين أن يحمِلْنها ، أنه إذا أحدث فيها حادث الموت ، واستأثر الله بها ونقلها من محل الفناء إلى محل البقاء ، أن يتولّى إمضاء هذه الوصية والإنفاذ بها ، صحبة رجلٍ عدلٍ من المسلمين ثقةٍ مأمون ، يوصلها بجملتها على ما سُمّيت ونُعتت ووزنت إلى باب وليّ الله المذكور – صلوات الله عليه – ، إلى من يُخرج الأمر المطاع الإمامي – أعلاه الله – بقبض ذلك منه ، ويأخذ هذا العدل المأمور بحملها إلى الباب الطاهر الإمامي – صلوات الله عليه – الخطّ الشريف الإمامي بوصول جميع ذلك مما هو مذكور في هذا الكتاب ، ويستمطر الدعاء لها والترحم عليها .

وقبل السلطان الأجل أحمد بن أبي الحسين بن إبراهيم بن محمد الصُّلَيْحي – أدام الله عزّه – ما أسند إليه في هذا الكتاب ، وصار ذلك أمانةً في رقبته ، وميثاقًا في عنقه ، لا يفكّه منه إلا الإنفاذ بجميع ما ذكر في هذا الكتاب إلى باب وليّ الله المذكور – صلوات الله عليه – .

وحَرَّمَت الحُرَّة الملكة السَّيِّدَة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصُّلَيْحي – طَوَّلَ الله في عمرها – وصيتها هذه أن تُغَيّر عن ما ذكرته في كتابها هذا ، أو تُبدّل أو تنقص أو تُحَوّل عن ما شرطته في كتابها هذا ، بما حَرَّمَ الله به دماء المسلمين وأموالهم وصدقاتهم ، وبما حَرَّم الله به الكعبة البيت الحرام ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِيْنَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ﴾ [الآية ١٨١ سورة البقرة] . ومن سعى في إبطال هذه الوصيّة أو في شيء منها ، أو تأوّل في بعضها أو شيء منها ، بغامض علم أو لطيف

مدخل أو خَفِيّ حيلة ، أو عمل في شيء منها بتبديل أو تحويل ، أو أشار إلى غفلة عنها أو تهاون في التوجيه بها ﴿ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الآية ١٦ سورة الأنفال] .

شهد على إقرار الحُرّة الملكة السَّيِّدَة الطاهرة الرضية الزكية ، وحيدة الزمن ، سَيِّدَة ملوك اليمن ، عُمْدَة الإسلام ، خالِصَة الإمام ، ذَخيرَة الدين ، عُمْدَة المؤمنين ، كَهْف المستجيبين ، وَلِيَّة أمير المؤمنين ، وكافِلة أوليائه الميامين ، السَّيِّدَة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم – مدّ الله في عمرها – بما في هذا الكتاب على ما كُتِبَ فيها ونُسِبَ ، وعلى إلزامها ذلك نفسها ، في صِحّةٍ منها وجواز أمر ، جميعُ من حَضَرَها من الشُّهود ، وذلك بعد أن قرئ عليها هذا الكتاب من أوّله إلى آخره ، فأقرّت بفَهْم ذلك جميعه ، ومعرفته وإتقانه ، وألزمت نفسها ما أقرّت به من ذلك » .

وهذا الكتاب مكتوبٌ في سبع ورق ، جمع بينهن ستة أوْصال :

كُتِبَ على الوَصْل الأول سطر نسخته : « كهف المستجيبين ، وَلِيَّة أمير المؤمنين ، وكافِلَة أوليائه الميامين ، السَّيِّدَة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصُّلَيْحي » .

وعلى الوَصْل الثاني سطر نسخته : « وقام مقامه في إحياء سُنَّته وتَشْهَد أن فاطمة البتول الزَّهْراء ، الإنسية الحوراء ، خامسة أصحاب الكساء » .

وعلى الوَصْل الثالث سطران ، كُتِبَ في أوّل السطر الأعلى منهما : « مائة لؤلؤة واحدة ، وست وعشرون لؤلؤة » ، وعلى آخر السطر الثاني منهما : « وَزْن الجميع من ذلك أحد عشر مثقالًا ، ومنها » .

وعلى الوَصْل الرابع سطران ، أوّل السطر الأعلى منهما : « واسطة حجر

بَلَخْش أحمَر » . وعلى آخر السطر الثاني منهما : « ياقوتة صفراء ، ويليها في الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان صفراوان وسبع » .

وعلى الوَصْل الخامس سطران ، أوّل السطر الأعلى منهما : « في كل لوح حَبّة لؤلؤ : وَزْن الجميع من ذلك » ، وعلى آخر السطر الثاني منهما : « وأربع فوائد ذهب » .

وعلى الوَصْل السادس سطران ، أوّل السطر الأعلى منهما : « علامية وزنها مثقال واحد وسُدُس مِثْقال ومنها حُقّ صغير » ، وعلى آخر السطر الثاني منهما : « فوائد ذهب » (وفي هذا الكتاب حكٌّ في ذَال) .

ولحق نسخته محمد بن تد عاينه شهود هذا الكتاب ، وذلك في غُرّة رجب من سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ، وذلك بحضرة من شَهَد ، وهم : إسماعيل بن عبد الله بن عمرو الصَّحالي – وكُتب عنه بأمره ومحضره ، ومحمد بن عليّ بن عبد الله بن محمد الهندي – وكَتَبَ بخطّه ، وسبأ بن أحمد بن شهيد بن محمد – وكَتَبَ بخطّه . وحاتم بن علي بن حاتم – وكَتَبَ بخطّه .

والحمد لله حَقّ حمده ، وصلّى الله على رسوله سيدنا محمد نبيه ، وعلى أهل بيته الأئمة الطاهرين ، الهداة المهديين ، وسلّم تسليمًا »[1].

وكانت هذه الوَصِيّة قبل وفاة الحرَّة الملكة السَّيِّدة بعام وشهر – فعلى هذا تكون وفاتُها في غُرّة شهر شعبان من سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة والله أعلم ، فيكون عمرها على ما ذكره صاحب كتاب « المفيد » في تاريخ مولدها الذي [هو] سنة أربعين وأربعمائة ثلاث وتسعين سنة والله أعلم – ، فلما توفيت – أعلى الله قدسها – أدّى السُّلْطان الأَجَلّ أحمد بن أبي الحسين

---

[1] نشر نصّ هذه الوَصِيّة حسين الهمداني في الملحق التاسع من كتابه «الصليحيون» ٣٢٣- ٣٣٠.

الصُّلَيْحي الأمانة، وضمن ما ألزمته ضمانةً، وأصدر ما ذكرته مع مَنْ ارتضاه، إلى أن أوصله إلى مقام الإمامة وأدّاه.

أوْصافُ السَّيِّدة الحُرَّة

وكانت للحُرَّة الملكة السَّيِّدة فضائل مشهورة، ومناقب مذكورة، أجمع عليها الخاصّ والعام، ورواها كثيرٌ من الأنام.

قال صاحب الكتاب «المفيد»: «مولدها سنة أربعين وأربعمائة. وتولّت أسماء بنت شِهاب تهذيبها وتأديبها. ويقال إنها قالت لأسماء: «رأيت البارحةَ في النوم أن في يدي مكنسة وأنا أكنس قصر مولانا»، فقالت لها أسماءُ: «كأنّي بك والله [يا حُمَيْرَاء][a] وقد كَنَسْت بني الصُّلَيْحي ومَلَكْتِ أمرهم»[1].

قال: و[b]كانت كاملةَ المحاسن، جهورية الصوت، قارئةً كاتبةً، تَحْفَظ الأشعار والأخْبار والتواريخ، وما كان أحسن ما كانت تلحقه بين سطور الكتاب عنها من القَصْد[c] والمعنى[2].

قال: وسمعتُ غير واحد من شيوخ ذي جِبْلة يقول إن الصُّلَيْحي كان يخصُّها من الإكرام في حال صغرها بما لا يعلمه أحدٌ[d]، ويقول لأسماء: «أكرميها، فهي والله كافلة ذرارينا وحافظة هذا الأمر على من بقي مِنّا»؛

---

[a] زيادة من تاريخ عمارة. [b] أسقط عماد الدين إدريس بداية وصف عمارة اليمني وهو: «كانت بيضاء حمراء مديدة القامة معتدلة البدن إلى السمن أقرب». [c] في تاريخ عمارة: اللفظ. [d] في تاريخ عمارة: لا يماثلها فيه أحد.

---

[1] عمارة: تاريخ اليمن ٢٨ (٦١).
[2] نفسه ٢٨ (٦١).

قالوا: «وسُمع ذلك منه في غير موطن»؛ هذا قوله [١].

مدائحُ السَّيِّدَة الحُرَّة

ومما مُدِحَت به الحُرَّة الملكة الصُّلَيْحِيَّة قول الداعي الأجَلّ الخَطّاب بن الحسن ابن أبي الحِفاظ [٢]– صاحب مدينة الجُرَيْب – حيث قال – قَدَّس الله روحه – :

[الكامل]

هِمَمُ النفوس على النفوس مَدارُها ... وبها تَبِينُ كبارُها وصغارُها
فإذا تَفرَّسَ في الوَرَى مُتَفَرِّسٌ ... ببصيرة لاحَتْ له أخبارُها
إنَّ النفوسَ فروعُ أجسام، وما ... تُبديه مِن هِمَمِ النفوس ثمارُها
وجَناه أفضَلُها التُّقي إذ بالتُّقَى ... تَحْوِي بها [a] مما ابتغت إيثارُها
كوَحِيدَة الزَّمَن التي أضحى التُّقي ... وشعارُها من محضه ودِثارُها
رضيَ الأئمَة سَعْيَها فتوطَّدت ... أركانُ دولتها وقَرَّ قرارُها
وتواصَلَت بركاتُها ممدودةً [b] ... منها حبائل ما استمرَّ مُغارها
موصولةً بحِبالها تبقي على ... مَرِّ الزَّمان وصرفِه إمرارُها

---

[a] الديوان: لها. [b] الديوان: موصولة.

---

[١] عمارة اليمني: تاريخ اليمن ٢٩ (٦٢).

[٢] السلطان أبو عمرو الخطّاب بن الحسن بن أبي الحِفاظ الحَجُوري اليامي، أحد الوجوه البارزة في الفترة المبكرة للدَّعْوة الطيبية، وهو «مأذون» الداعي الطَّيِّبي المُطْلَق الأول الذُّؤَيْب بن موسى الوادعي، توفي في صفر سنة ٥٣٣هـ/ أكتوبر ١١٣٨م. وضع العديد من كتب الدَّعْوَة بالإضافة إلى ديوان شعر (عمارة: المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد ٢٠٤–٢١٥؛ العماد الكاتب: خريدة القصر (قسم الشام) ٣: ٢٠٧–٢٠٨؛ عماد الدين إدريس: نزهة الأفكار ١: ٤٤و؛ بامخرمة: قلادة النحر ٢: ٦٣٥–٦٣٦، برهانبوري: منتزع الأخبار ٧٠–٧٢؛ حسين الهمداني: الصليحيون ١٩٣–٢٠٤، ٢٦٩–٢٧٠؛ Ivanow, *Ismaili Literature* pp. 51-52; Poonawala, *Biobiliography*, pp. 133-37؛ إسماعيل قربان بوناوالا: السلطان الخطاب: حياته وشعره، القاهرة–دار المعارف ١٩٦٧، بيروت–دار الغرب الإسلامي ١٩٩٩).

وإذا الملوكُ أطاعت الرحمنَ لم ... تُخْذَلْ وطالت في الورى أعمارُها
وجَرَتْ لها بميامِنٍ وسعادَةٍ ... موصولةٍ بدوامها أطيارُها
وسما على زهر[a] الكواكب قدرُها ... وعلى فخار[b] ذوي الفخار فخارُها
أمّا عُلاكِ فإنها مشهورةٌ ... لاحت أدلّتها وطال منارُها
شَهِدَتْ عِداك بها فإنْ هم طالبوا ... إدراكَها فقُصارها إقصارها
أنتم بنو الأَصْلُوح جوهر يَعْرُبٍ ... وسواكم أصدافُها وبحارُها
ولأنت يا ابنة أحمد تُنْمِيك من ... تلك اللآلي الفائقات كبارُها
أنْقَذْتُم أمم الضلالة أهلها ... كانوا بها طام بهم تيّارها[1c]

وهذا الداعي الخَطّاب هو من حَجُور من قُدَم، حيٌّ من هَمْدان؛ قال:

قومي حَجورٌ جناحٌ لي أطيرُ به ... وأَهْلُ عِزّي من دون الورى قُدَمُ[2]

وكان أخا الحُرّة الملكة السّيّدَة من الرّضاع. وكانت له منزلةٌ جليلةٌ وفضل، وعِلْم وعَدْل، ووَرَع وزُهْد وعَقْل. وهو ثاني الداعي الذُّوَيْب بن موسى في الدَّعْوَة، وهما لدُعاة اليمن في الدَّعْوَة الطيبية القدوة؛ وهما في العلم مناره، وعَلَمه الذي لا تخبو ناره.

قال صاحب «المفيد»[3]: ومن شُعَراء اليمن المجيدين الخَطّاب بن أبى الحِفاظ. وكان قد أخرج أخاه سليمان من مدينة الجُرَيْب إلى زَبِيد، ثم كتب إليه يلطف به، فمن شعره – وليست من جيد شعره – قال: وإنما هي التي

---

[a] الديوان: قدر. [b] الديوان: جميع. [c] الديوان: أنقذتم اليمن الذى كانت به ظلم الضلال طمى بها تيارها.

---

[1] القصيدة الثامنة في ديوان الخطاب ١٩٣-١٩٤ (٢٩٤-٢٩٥).
[2] البيت العاشر من القصيدة رقم ٢٠ في الديوان ١٥٥ (٢٥١).
[3] عمارة اليمني: المفيد ٢٠٤-٢١٥؛ بامخرمة: قلادة النحر ٢: ٦٣٥-٦٣٦.

اتّفق حضورها ، وكتب بها إلى سُلَيْمان وهو بزَبيد ؛ حيث يقول[١]:

[السريع]

عَـيْنُك عـينُ الـرّشـإ الخاذِلِ … والجيدُ جيدُ الظبية العاطِلِ
قد كنت ذا عقلٍ جليدًا ولـ … ـكنَّ الهوى يلعب بالعاقِلِ
كـأنّـهـا مـن حُـسْـنِـهـا دُرَّةٌ … أخرَجَها البحرُ إلى السّاحِلِ
إذا بلغت العزقَ فاربع به … مُـعَـرِّسًـا تـعـريـسة الـنـازِلِ
واخْصُصْ سليمان بها خير من … يُعلم من حافٍ ومن ناعِلِ
أخـي ومـولاي ومَـنْ لَحْـمُـهُ … لَحْمي ومَن حامِلُهُ حامِلي

وله ولأخيه سليمان أشعارٌ حسنةٌ في ديوان معروف مشهورٌ موجود[٢].

قال مؤلِّفُ ديوانهما : وهما من وَلَد حُرَيْث بن شراحيل ، ثم من ولد موله ابن حَجُور ، ثم من ولد زَيْد بن عليان بن عَرِيب بن جُشَم بن حاشد بن جُشَم ابن حِيوان بن نَوف بن هَمْدان ، ومسكنهما الجُرَيْب ، وجرت المقاديرُ بينهما بعد موت أبيهما الحسن بن أبي الحِفاظ - رحمة الله عليه - بالاختلاف ، وقلّة الائتلاف ؛ وتنافرا وشجرت بينهما الحرب في سني الخمسمائة إلى أربع عشرة وخمسمائة ، فغلب الخَطّاب الأمر ، وهو الأصغر سنًا[٣]، فانتزح عنه سليمان إلى قومه من حَجُور[٤] بني أَفْلَح بالعَرِق ، ثم إلى الأمير أبي الغارات

---

[١] عمارة اليمني : المفيد ٢١٥؛ العماد الكاتب : خريدة القصر (قسم الشام) ٣: ٢٠٧-٢٠٨؛ بوناوالا : السلطان الخطاب ٢٤١.

[٢] نشر إسماعيل قربان (حسين) بوناوالا ديوان السلطان الخطاب مع دراسة حياته وشعره (انظر هامش صفحة ٢٩٥).

[٣] راجع ، عمارة ٦٩(١٠١)؛ بوناوالا : السلطان الخطاب ٣٤- ٣٥، ٤١.

[٤] جاء في هامش نسخة هـ : حجور حيّ من همدان ، وهو ولد حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد . وحجور حيّ عظيم باليمن والشام والعراق يقارب نصف حاشد ومنهم بنو الصُّلَيْحي ببيت الأخروج ، وهم من بني عبيد بن أوام بن حجور .

عليّ بن يحيى بن حمزة بن وَهَاس السُّلَيْماني[1] بالسّاعد، ثم إلى الحَبَشَة آل نَجاح بزَبِيد، وإلى قُوَّادهم الفَواتِك - مُفْلِح ومنصور بن مُفْلِح ومَنّ الله وإسحاق بن مرزُوق وأبي محمد سرور، وأحمد بن مسعود الجَزَلي؛ فجَيَّش مستنصرًا بهم على أخيه، فاستجار بغارات عليه، ولم يتمكن من البلد مع الخَطَّاب، لأن الخَطَّاب تعلّق بآل الصُّلَيْحي بذي جِبلَة أيام الحُرَّة الملكة السَّيِّدَة بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصُّلَيْحي - قدس الله روحها - فبَلَغَ السلطان الخَطَّاب غَرَضَه، واستمكن من سليمان فقتله غيلةً - رماه بحَرْبَة تسمّى المريحة؛ وقبره بموضع يسمى المريح من الطرف. ولبث في الأمر بعده - وبعد قتل أخيه أحمد بن الحسن[2]، لأنه قَتَلهما جميعًا - عشرين سنة[3].

وكانت لهما - أعني الخَطَّاب وسُلَيْمان - معرفةٌ قويةٌ، حتى عُرِفا باسم مِقْوَلَي قَحْطان. وأجيز لسليمان في ستمائة كتاب قرأه، ولأخيه الخَطّاب في أربعمائة كتاب وركب سليمان أيامه في ثلاثمائة فارس، وركب الخَطّاب أيامه في خمسمائة فارس. هذا قول صاحب الديوان.

قال عُمارةَ في كتابه المعروف بـ «أنموذج ملوك اليمن»[4]: «ومما يوصف من أحكام السُّلْطان الخَطّاب بن الحسن، صاحب مدينة الجُرَيْب، أنه كان يُشْرِف من طاق لينظر الداخلين إلى سوق الجُرَيْب. فجاء رجلٌ وهو يصيح:

[1] من الأشراف السُّلَيْمانيين أمراء المِخْلاف السُّلَيْماني يُرْجِعون نسبهم إلى سليمان بن عبد الله بن موسى ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، كما يتّصلون أيضًا بأشراف مكة، وهم موجودون الآن في تهامة وعسير.

[2] يقول عماد الدين إدريس في نزهة الأفكار ١: ٤٣و، «كان أحمد بن الحسن قد قَتَل أختهما [الخطاب وسليمان] جميعًا ظُلْمًا وعدوانًا بغيًا وطغيانًا-وهي امراءة صالحة-وذلك ذنبه الذي فَرّق بينه وبين أخيه سليمان وجرّأه على قتله إنكارًا لما قَدَّم من معاصيه».

[3] راجع أسباب الحرب بين الخطاب وأخيه سليمان عند بوناوالا: السلطان الخطاب ٣٧- ٤٤.

[4] راجع عن هذا الكتاب فيما سبق المقدمة صفحة ٣٣.

« أنا بالله وبمولانا الخطاب ! » . فقال له : « ما شأنك ؟ » فقال : « إني بعتُ ثَوْرًا لي لا أملك غيره ، وأردت أن آخذ بثمنه ما يُقَوِّت أهلي » ، وذكر له عدد دراهمه ، وقال : « إني صَرَرْتُها في ثوبي » . وقُطِعَ طرّارُ الثوب وأخذتْ منه . قال : « أتعلم خَصْمَكَ ؟ » قال : « لا أعلمه » ، قال : « فما الذي أفعل لك » . ثم توقف السلطان الخَطّاب في الطاق وأهل السوق يمرّون به راجعين عنه ؛ حتى نظر إلى رجل قد رجع من السوق وهو يحمل وعاء سَمْن ، فأمر بإحضاره إليه ، فأحضر : فأمرهم أن يصبوا سمنه ، فصبّوه ، ووجدوا الدراهم فيه كما عَدَّها صاحبها ووصفها ؛ وأمر الرجل صاحب السَّمْن بها ، فأعطاها الرجل الذي هي له .

فقيل له : « وما الذي علمتَ به أن صاحب السَّمْن هو الذي أخذها ، وكيف اخترته من بين أهل السوق ؟ » قال : « إني وقفت أنظر إلى من دَخَلَ السوق وقد أنفق بضاعته ورجع ، ونظرت إلى هذا الرجل دخل يحمل السَّمْنَ وخرج به كما دخل ، فعلمت أن ذلك لشأن » . فعجب القوم لذهنه وفِطْنَته ، وما اهتدى إليه في قضيته .

ومن ذلك ما روي أنه جاء رجلٌ يشتكي ويصيح ، وذكر أن بعض الشُّرَط أخذ عليه دراهم ، وأنه لا يعرف خصمه . وكان أحد عبيده يغمز رجليه وجماعة معه ، فقال للعبد الذي يغمزه : « أقرّ بما أخذتَ عليه وإلّا عاقبتك » ، فأقرّ بذلك وسلّم له دراهمه كما وصف .

فقيل للسلطان الخَطّاب : « من أين علمت أن عَبْدَكَ هذا هو الذي أخذ دراهمه ؟ » قال : « إن هذا حين صاح ، أحسستُ يد العبد قد عرقت ، فاتّهمته بذلك » . هذا معنى قول عُمارة ، ولم يحضر كتابه المذكور عندي فأنقل اللفظ [1].

---

[1] نشره صمويل شتيرن في مقاله Stern, «The Succession»., pp. 248-49 .

ومن شعر الداعي الخَطّاب – قَدَّسَ اللهُ روحه – قوله يناجي ربّه تعالى[١].

[السريع]

يا مُوجِدي من عَدَمٍ باعثي   نُورًا من المُظْلمةِ الداجِيَه
ومُخْرِجي من فِرَقٍ أُهْلِكت   ومُلْحِقي بالفِرْقة الناجِيه
تَفَضُّلًا من مَحْضِ إنعامه   فقد غَدَت حالي بها راخيه[a]
وَجَّهْتُ وَجْهي لك ذا نِيَّةٍ   خالصةٍ صادقةٍ صافيه
وصورة لَبَّت نداك الذي   أبْدَيْتَه[b] أسرارك الخافيه
وأقبلت نَحْوَك يا رَبَّها   ساعيةً[c] حاسرةً حافِيَه
مَعتاضَةً من[d] سَقَمٍ أصلُهُ   ذُنوبها بالعَفْو والعافِيَه
تَشْكُرُ نُعْماك وذا شكرها   يقصر عن أنعمك الضافيه[e]

وله أيضًا في ذلك المعنى:

[السريع]

يا من غدا وَجْهي له ساجدًا   مُلْقًى وخَدّي في الثَّرى[f] مُلْصَقا
وصورتي تدعوه في خُفْيَةٍ   دعاءَ من يدعو وقد حَقَّقا
تضرُّعًا منّي إليه كما   تَضَرَّعَ الأبرارُ أهلُ التُّقى

---

[a] ورد هذا البيت في الديوان: تفضُّلا يصدر عن فاضل. هي أنْعُم حالى بها راضية، وسقط البيت السابق له وخلطه الناسخ بهذا البيت وهو: ومُلْحقى من فيض إنعامه ما لم تكن نفسي له راجيه.
[b] الديوان: أسمعتها. [c] الديوان: خاشعة. [d] الديوان: عن. [e] الديوان: القاصر عن أنعمك الضافية. [f] الديوان: بالثرى.

---

[١] القصيدة السادسة عشر في ديوان السلطان الخطاب ١٤٨-١٤٩ (٢٤١-٢٤٢)، ويرى بوناوالا: السلطان الخطاب ٤٢ أن الخطاب يخاطب بهذه القصيدة «مفيده»-وفقًا لاصطلاح الدعوة-الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي.

أطْلِقْ سجينًا قد ثَوى روحُه مَثْوًى من السجن[a] به ضَيِّقا
وفُكَّ أغلالًا طبيعيَّة عليه مكبولًا بها مُوثَقا
والحْظْهُ يا مولاه[b] لحظًا به يُصبح من محبسه مُطْلَقا[c]
فكم وكم عَنَّاه خوضُ العَنا وكم وكم أشقاه طول الشَّقا
فامْنُنْ عليه بفِراقٍ له ليس له من بعده ملتقى[d]
وانقله عَمّا هو فيه إلى حظيرة القُدْس ودار البَقا
عَوْدًا إلى المَبْدأ الشريف[e] الذي إليه من مهبطنا المُرْتَقَى
فقد قَلَى الدنيا وأضحَى إلى فِراقِها ذا طَرَبٍ شَيِّقا[1]

وكان الداعي الخَطّابُ بن الحسن ذا منزلة جليلة ، وهو أرفع الدُّعاة بعد الداعي الذُّوَيْب بن موسى ، وعاضَدَه فى إقامة الدَّعْوَة الآمرية والطَّيِّبيَّة في أوان الحُرَّة السَّيِّدة الصُّلَيْحِيَّة وبعد وفاتها ؛ وكانت له عندها مزية جليلة ، ومرتبة وفضيلة ، وهو من دُعاة أيام الظُّهور والسَّتْر . وإنما كان حربه لإخوته إذ كانوا مخالفين له في المذهب والسيرة ، معاندين للأئمة – عليهم السَّلام – ، مباثنين للدولة الصُّلَيْحِيَّة مناصبين لها ، كثيري البَغْي على الداعي الخَطّاب ، ولذلك مال سُلَيْمان إلى الحَبَشَة[2] بزَبِيد ؛ وكان النَّصْر للداعي الخَطّاب ، وعُلوُّ الأمر وحميد العاقبة .

وكان يستنصر بالحُرَّة الملكة ، ويذكر ما أقام من الدَّعْوَة إلى الإمام الآمر بأحكام الله – عليه السَّلام – ، وإقامة الخُطْبَة له وباسمه ، وضَرْب

[a] الديوان : الجسم . [b] الديوان : يا مولاي . [c] الديوان : معتقا . [d] الديوان : ما بعده بينهما ملتقى . [e] الديوان : القديم .

[1] القصيدة السادسة والعشرون في ديوان السلطان الخطاب ١٦٧–١٦٨ (٢٦٤–٢٦٥).
[2] يقصد النجاحيين.

السِّكَّة ، حيث يقول :

[الطويل]

حرامٌ عَلَيَّ النومُ غير غِرارِ … يُلِمُّ بجَفْني بعد طول نِفارِ
ويَشْلُ على نفسي السلوُّ إلى مدى … أنالُ به حقي وأدرِكُ ثاري
وأظهر أعلامَ الهُدَى مستطيلة[a] … أشعة أقمار لها ودراري
وأظهر للمنصور مولاي دعوة … موطَّدة في مسكني وقراري
وأعلِنها كشفًا بغير تستّر … وأكشفها جَهْرًا بغير سرار[b]
أمِثْلِيَ تُلْهِيه فيلهو بلذّة … ترنُّمُ أوتارٍ وشُرْبُ عُقار
ويرضى بما يرضى به من معيشةٍ . … من الناس في دنياه كلُّ حِمار
سأركبها شَوْسَاءَ عاصيةَ القَرَى … وأكشف داجي ليلها بنهار
وأضربها من عَزْمَتي بصوارم … وأضرمها من هِمَّتي بنيار
فَمَنْ مُبْلِغٌ مولاتنا ابنة أحمد … نهايتي القصوى وقُطْبَ مداري
سلامي وإلمامي وزاكي تحيّتي … وإن بَعُدَتْ داري وشطَّ مزاري
أمولاتنا حَقَّت لديك نصيحتي[c] … حقيقة علم ليس فيه تُماري
وما كان من كَشْفي القناع لمذهبي … جهارًا ولم أخش العِدى فأُداري
خطبتُ لمولانا وأظهرت سِكَّة … عليها اسمه طارت بكل مطار
لدى معشر حبل الضلالة عندهم … مغار وحبل الدين غير مغار
ثلاثة أصناف آباضٍ وناصبٍ … وآخر زيديٍّ أخطِن بداري
ضربتُهم بعضًا ببعض كأنما … أضُكُّ حجارًا منهم بحجار
وألبستُهم من بعد خلعي ما اكْتَسَوْا … من العِزّ ثوبي ذِلَّة وصغار
وفارقتُ أولادي وأهلي وما حوت … جميعا يدي من فِضّة ونَضار

---

[a] الديوان : مستنيرة . [b] جاء هذا البيت في الديوان هكذا : وأكشفها جهرًا بغير شتر وأعلنها كشفا بغير سرار . [c] الديوان : نصيحة .

وَرُمْتُ رضى المنصور فيما أتيته … إذا فارقَتْ دُرِّي قشور محاري
فهل لي يا مولاتنا منك عاضدُ … معينٌ به يُضحى زِنادي واري
أمولاتنا لا تتركيني بقَفْرَةٍ … وحيدًا لأعداء تروم دَماري
وقُومي بأمري والحْظيني بلحظة … فلحظك غادٍ بالسعادة ساري
ولي غرضٌ لابدّ لي من مناله … بلا رقبةٍ مني ولا بحذار
سأمضى لها عزمي فإمّا منيّةٌ … تحينُ بفَكِّ من وثاق أساري
وإنْ لا علت بي دعوة آمرية … بها وإليها نِسْبتي وشعاري[1]

وَفاةُ السّيِّدَة الحُرّة الصُّلَيْحِيَّة

ومازالت الدَّعْوَةُ بالحُرَّة الملكة ظاهرةَ الأعلام، باسمَة الأيام، محروسةَ الجَنَاب، صافيةَ الجلباب، في أوان ظهور الأئمة وبعد سترهم، منتشرةً في الآفاق طيبُ نشرهم؛ وهي تبيِّن فضلَهم، وتنشر عدلَهم، وتُخَفِّت ما ظهر من شعار الفرقة المجيدية، وتُعلن بما استتر من منار الدَّعْوَة الطَّيبية. وأمرت أهل الفَضْل وطُلّاب الآخرة بالدَّعْوَة إلى مولانا الإمام الطَّيِّب، وأعلنت أن عبد المجيد المتسمي بالحافِظ مُضَيِّعٌ لأمانته، متغلِّبٌ مع ميل طُلّاب الدنيا إلى عبد المجيد، واستبدالهم الذي هو أدنى من متاع الدنيا بما هو خير وأبقى من نعيم الآخرة الذي لا يبيد؛ إلى أن توفِّيت الحُرَّةَ الملكة الصُّلَيْحِيَّة السَّيِّدَة بنت أحمد - أعْلَى الله قدسها، وأفاض إلينا من بركاتها -. وكانت وفاتُها - رضي الله عنها - في شهر شعبان من شهور سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة. ودُفِنَت في جامع ذي جِبْلَة أيسرَ القِبْلَة، في منزل متصل بالجامع[2].

---

[1] القصيدة السادسة /٢ في ديوان السلطان الخطاب ١٨٦-١٨٨ (٢٨٦-٢٨٩) وانظر الشرح ٢٨٨- ٢٩٠.

[2] انظر فيما سبق صفحة ٢٩٣؛ حسين الهمداني: الصليحيون ٢٠٧- ٢١١.

وقد ذكر أن بعض المتغلِّبين من ملوك اليمن أراد أن يُخْرِجَ جُثَّتَها الشريفة عن قبرها حين أنكر المتفقِّهون كونها فيه، وأتوا من الشُّبَه بما يبطله الحقُّ وينفيه. ففتحوا عن قبرها حتى انتهوا إلى التابوت، فوجدوا قَفَصًا مقفلًا، ففتحوه، فأصابوا فيه كُتُبًا وأحكامًا تشهد أنها استثنت فيه ذلك المنزل عن المسجد لقبرها فيه، ووجدوا بذلك علامات القُضاة والأحكام، وشهادة الشُّهود الثابتة عند الحكّام؛ فردّوا قبرها على ما كان عليه، وردُّوا أتربته وحجارته إليه.

وقبرُها إلى اليوم يزوره جميع فِرَق الإسلام، ويعترف بفَضْلِها وعَدْلِها الخاصُّ والعام. ويأتي إلى قبرها من أصيب بظُلْم أو جائحة، أو عِلّة في بَدَنِه أو بَلِيّة، فيلتوون بها ويتشفّعون إلى الله تعالى في كَشْف ما أصابهم بفضلها؛ فكلُّ من أخلص لديها النية، وسأل الله تعالى متوسِّلًا بها صحيح الطوية، أزال الله ببركتها ما عراه، وفَرّج عنه بفضلها ما انتابه، واستجاب الله ما به دعاه؛ وذلك مشهورٌ معروفٌ، ظاهرٌ موصوف.

والمسجدُ الجامعُ بذي جِبْلَةَ المذكور هي التي تولّت عمارته وهَيّأت موضع قبرها فيه. وجامعُ صنعاء فهي التي وَسَّعته وصَحَّحَت عمارته وزَيَّنته؛ وأمرت أن يُكْتَب فيه أسماء جميع الأئمة، من عليّ بن أبي طالب إلى إمام عصرها – عليهم السلام –، فأُثْبِتَ ذلك في الحائط القِبْلي من المسجد الجامع بأمرها. ثم كُشِطَ في أيام أحمد بن سُلَيْمان – إمام الزيدية [1]– بَغْيًا وعُدْوانًا وَحَسَدًا وطُغْيانًا؛ وأعيد بجِصٍّ وأشْراس أيام حاتم بن أحمد [بن إبراهيم] بن عِمْران

[1] الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان مؤسِّس الدولة الزيدية الثانية في اليمن، انتظم له الأمر سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م في صَعْدَة وأعمالها ونجران ثم في بلاد الجوف، واستدعاه أهل صنعاء إليهم سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م فبايعوه، ودخل في صدام مع السلطان حاتم بن أحمد الهمداني صاحب صنعاء، وأدّت عودة المتوكل على الله إلى بلاد جنّب لأمور استجدت، إلى عودة السلطان حاتم إلى صنعاء=

ابن الفَضْل اليامي [١]؛ ثم كُشِطَ في دولة آل يحيى من الأشراف – وتلك سجيّة أهل الجَوْر والاعتساف . وأسماء الأئمة – عليهم السَّلام – مكتوبة في سقف ذلك الجامع إلى الآن (a الذي هو شهر جمادي الآخرة سنة ؟ [b] مكتوب بالخط الكوفي قرأه قراءةً محققةً أقلّ عبيد آل محمد – عليهم السَّلام – حسن ابن إدريس بن عليّ بن حسين الأنْف – تجاوز الله عنه a) ، بخطّ كوفي لم يؤبه له كما حقّق لي بعض من رآه وتحقّقه من الإخوان . ولا يزال الظالمون يكدحون في إخفاء ما ظهر من فَضْل أهل الفَضْل ؛ ويأتون من ذلك خلاف القِسْط والعَدْل .

مَراثي السَّيِّدَة الحُرَّة

وقال القاضي الحسين بن عِمْران بن الفَضْل اليامي – رحمة الله عليه – يرثي الحُرَّة الملكة وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن ، السَّيِّدَة ابنة أحمد الصُّلَيْحي – قدَّس الله روحها – ، وقد زار قَبْرَها بذي جِبْلَة ، قوله :

[الطويل]

وَقَفْتُ على قَبْرِ الوحيدة وَقْفَةً   وقد زِين منها مسجدٌ وستورُ
فقبّلته واستَفْتُ رَيًّا ترابه   وعاوَدَ قلبي رنَّةٌ وزَفيرُ
وسالَت دموعُ العين مني كأنها   بشطِّ مجاري المُقلتين سطورُ

(a - a) وردت هذه العبارة في هامش نسخة هـ . b لم يذكر التاريخ .

= واستقراره بها إلى حين وفاته سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٢م (أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية ٢٦٥–٢٦٦) .

١ حاتم بن أحمد بن إبراهيم بن عمران بن الفَضْل اليامي الهَمْداني سلطان صنعاء منذ سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م كانت أسرته مناصرة للصليحيين وأيّدت الدعوة الطيبية ، ودَخَل في صراع مع الإمام الزيدي المتوكل على الله أحمد بن سليمان ، توفي سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٢م .

فللّه منها ما أقَلّ سرير   ولله منها ما أجنّ حفير
ولله منها روحُ قُدُس تميّزت   فصارت بأعلى الدائرات تطيرُ
خلا القصرُ في ذي جِبْلَة من مكارمٍ   يحنّ إليها بائسٌ وفقيرُ
ومن جَوْد بحرٍ بالعطايا نَوالُه   على معتفيه عَسْجَدٌ وحريرُ
ومن دَرَسَ ما ضمّ الكتابُ وبعده   صلاةٌ وتسبيحٌ معًا وطهورُ
وما سَمِعَت أُذني ولا راع ناظري   تجاوب قيناتٍ بها وخمورُ
تحلّ مصيبات وتَغرُو نوائبُ   وتَحْدُث من بعد الأمور أمورُ
وأصبح في قصر المليكة بعدها   عزيزٌ عليها منكرٌ ونكيرُ
ولو كان داعي الموت يَثْنيه دونها   قبيلٌ وينجي من سطاه عسيرُ
لقام لها من حِمْيَرٍ كلُّ أزْعَن   سحاب المنايا حيث حلّ مطيرُ
وصار له من صَيْدٍ كَهْلانَ جحفلٌ   تسير الجبالُ الشُّمّ حيث يسيرُ
ولو حال دون الموت عنها مبلَّطٌ   منيعٌ يردّ الطرفَ وهو حسيرُ
لكان لها في حصن قَيْضان معقلٌ   تُقَصِّر عنه في العُلُوّ طيورُ
ولكن أبى إلّا خفيًّا بشخصه   حقيرٌ وما يسطو عليه كبيرُ[١]

وقال القاضي محمد بن أحمد بنِ عِمْران بن الفَضْل اليامي أيضًا يرثيها – أعلى الله قُدُسَها – :

[الطويل]

نأتْ رَبّة القَصْر الشريف عن القَصْر   فأيأس راجي النَّصْر فيه عن النَّصْر
إذا اجتثّ دهرُ الشّر دوحةَ روضةٍ   فقضبانها لا تستقيم على الهَصْر
سَخِطْتِ على أهل الزمان لفعلهم   حقيقون أهل العصر يا ربة العَصْر
فصاروا بلا نور يتيهون في العمى   وذلك تمثيلٌ لما كان في مصر
فكم ظلمة يغشَوْنها ومَضَلّةٍ   وكم إصْر ذنب يحملون على إصْر

---

١ حسين الهمداني: الصليحيون ٢٠٨– ٢٠٩.

رَجَوْنا بها بدءَ الظهور ونشره ... فعدنا إلى الستْر الحقيقيّ والحصر
وقد ينقص التّيّار من بعد مَدِّه ... ويُضْطرُّ حرف المدّ حينًا إلى القصر
فذاك كسوف الشمس قد طال مُكثُه ... وهذا خسوفٌ دائم المكث للبدرِ
وذاك سِرارٌ لا انْجلاءَ لليله ... وهذا مِحاقٌ ليس يُسفرُ عن فجرِ
ونرجو فروعا ثمر الله نبتها ... وأيّدها بالنصر والفتح والقهرِ
لهم وبهم رَجاؤنا وسُلُونا ... لأنّ رجاء اليُسْر في عقب العسرِ
وأوْرَثَ أملاكُ الأنام وسيطهم ... عليّ بن عبد الله عالي ذُرَا الفخرِ
فصبرًا على رَيْب الزمان وصَرْفه ... فأوفرُ أهلِ الأجر حظًّا أولو الصبرِ[1]

الدَّعْوَة بعد السَّيِّدة الحُرَّة

وكان عمرُ الحُرَّة الملكة السَّيِّدَة ابنة أحمد – أعلى الله قدسها – اثنان وتسعون عامًا وأشهرًا. ولم تُفارق الدنيا إلّا وقد أقامت الدَّاعي الأَجَلّ الذُّوَيب بن موسى الوادِعي، وعَضَّدَته بالداعي الخَطَّاب بن الحسن بن أبي الحِفاظ – رضي الله عنهما –؛ فقاما بالدَّعْوَة إلى الإمام الطَّيِّب – عليه السَّلام – في حياتها وبعد وفاتها، ورفعا قواعد الدَّعْوَة وأظهرا آياتها.

وَضْعُ اليمن بعد الصُّلَيْحِيين.

فأما المُلْك، فإنه صار في عَدَن ونواحيها، إلى تَعِزّ والجَنَد وذي جِبْلَة وما يليها – كما ذكرنا[2]– لبني زُرَيْع بن أبي السُّعود الجُشَمي الهَمْداني، إلى أن أزالهم ابن المَهْدي عن التَّعْكَر وتَعِزّ والجَنَد وجِبْلَة وغير ذلك من المعاقل

---

[1] نشرها حسين الهمداني: الصليحيون ٢٠٩–٢١٠؛ وانظر أيضا رثاء السلطان الخطاب لها عند بوناوالا: السلطان الخطاب ١٣٣–١٣٤ والهمداني: الصليحيون ٢١٠–٢١١.

[2] فيما سبق صفحة ٢٧٤–٢٧٨ .

والمدن ؛ وبقي عَدَنُ في أيديهم حتى أزالهم منه الملك المعظم تُوران شاه بن أيُّوب[١].

وأما الدُّمْلُوة ، فمنعوها حتى تسلَّمها الملك العزيز سَيْف الإسلام طُغْتَكِين ابن أيّوب[٢] بعد أن حاصرها أربعة عشر شهرًا ؛ وكان فيها جَوْهَر المُعَظَّمي والي بني زُرَيْع – وهو من عبيدهم – وكان معه فيها ابنا عِمْران بن محمد بن سَبأ الزُّرَيْعي صغيران خرجا بخروج جَوْهَر منها[٣].

وأَمّا صَنْعَاءُ ، فإنه كان الملك المُكَرَّم أحمد بن عليّ الصُّلَيْحي وَلَّى فيها القاضي عِمْران بن الفَضْل اليامي أيّامَ سكون الصُّلَيْحي في ذي جِبْلَة والتَعْكَر ، ثم عزله عنها – وكان ذلك من الأسباب التي كانت بها المباعدة بين عِمْران بن الفَضْل والداعي المكَرَّم[٤]. وفي ذلك يقولُ القاضي عِمْران بن

---

[١] الملك المعظم شمس الدين (الدولة) توران شاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي أزال دولة الفاطميين من مصر ومؤسس الدولة الأيوبية . أرسله صلاح الدين إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٥م لفتح اليمن والقضاء على فتنة عبد النبي بن مهدي ولإعادة اليمن إلى السيطرة المصرية (راجع ، محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون في اليمن ، الإسكندرية ١٩٨٠ ، ٦٩–٩٥) .

[٢] الملك العزيز سيف الإسلام ظهير الدين طُغْتَكين بن أيوب ، أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، قدم إلى القاهرة إلى أخيه وسمع بالإسكندرية من الحافظ السِّلَفي . وفي سنة ٥٧٨ هـ جهَّزه صلاح الدين للمسير إلى اليمن حيث ملك زبيد واستولى على عدن ، وَوَضع اليمن تحت سيطرة الأيوبيين واستمر به حتى وفاته سنة ٥٩٣ هـ (ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ٢٢– ٤٢ ؛ أبو شامة : ذيل الروضتين ١١ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ :٥٢٣– ٥٢٥ ؛ الصفدي : الوافي ١٦ : ٤٥٠– ٤٥١ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ٤ : ١٤– ١٥ ؛ محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون في اليمن ١١٧– ١٤٧) .

[٣] راجع ، الجندي : السلوك في طبقات العلماء والملوك ١ : ٣٨٣.

[٤] القاضي عمران بن الفَضْل اليامي الهَمْداني أحد الذين ساندوا الداعي عليّ الصُّلَيْحي وأرسله بسفارة تكميلية لسفارة القاضي لمك بن مالك إلى بلاط الإمام المستنصر بالله سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م . وكانت مكانته عظيمة في دولة المكَرَّم أحمد ووصفه الداعي إدريس بأنه « صاحب الأمر عند الأمير المكَرَّم » (فيما سبق ص ١٤٧) ولا نعرف على وجه التحقيق سبب الخلاف الذى نشب بينه وبين الملك المكَرَّم والذي أدّى إلى عَزْل المكَرَّم له عن ولاية صنعاء ، فأخذ في جمع العناصر المختلفة من=

الفَضْل اليامي ، يخاطب الداعي المُكَرَّم أحمد بن عليّ الصُّلَيْحي والأمير سَبَأ ابن أحمد بن المُظَفَّر الصُّلَيْحي من قصيدة يقول فيها :

[الطويل]

ولا تجرحا بالعَزْل أكباد معشر إذا غضبوا علَّ القَنا وتكَسَّرا
فلو أن مولانا مَعَدًّا أتاكما بعَزْل تولّى الكُلُّ مِنّا وأدْبَرا
ولا تفرقا من لَفِّه والداكما وعودا إلى عقليكما وتَدَبَّرا
فإن أنتما أنكرتما ما نظمته فصِدْقي غدًا من طلعة الشمس أشْهَرا

ووَلي صَنْعاء ، وأعمالها حاتم المُغَلِّس ، وهو من الغُزّ ثم من مَذْكَر ثم من يام ؛ وصارت إلى أولاده بعده ؛ ثم لمّا دَخَلَ القاضي الرَّشيد إلى اليمن ، وَقَعَ التخليط في الدين والاعتقاد ، ومالوا إلى عبد المجيد وأتباعه إيثارًا للدنيا على المعاد [1].

ومَلَكَ صَنْعاء وأعمالها السلطانُ حاتم بن أحمد المجيدي بن عِمْران بن الفَضْل اليامي في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وملكها بعده ابنه السلطان عليّ بن حاتم ؛ وضُرِبت باسمهما السِّكَّة ، وأقيمت لهما الخُطْبَة [2].

= الهمدانيين ضد الأسرة الصُّلَيْحية مما أدّى إلى خروج صنعاء من أيدي الصليحيين وسيطرة الهمدانيين عليها ، ولكنه لما وَجَد النجاحيين يهددون السُّلْطَة الصُّلَيْحية فإنه لم يتردَّد في الانضمام إلى صفوف الصُّلَيْحيين حيث قُتِلَ في موقعة الكظائم سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٧م (عمارة : تاريخ اليمن ٣٠ (٦٣) ؛ أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية ١٤٢- ١٤٤).

[1] السلطان حاتم بن الغشيم من بني المغلس تولّى على صنعاء سنة ٤٩٢هـ بعد وفاة السلطان سبأ بن أحمد بمساعدة قبائل هَمْدان له وخرجت صنعاء من سيطرة الصُّلَيْحيين ، وبعد وفاة حاتم سنة ٥٠٢هـ خلفه ابنه عبد الله الذي توفي مسمومًا بعد سنتين ثم تبعه ابنه مَعْن الذي خُلِع سنة ٥١٠هـ. ومن هذا التاريخ وحتى سنة ٥٣٣هـ حكم صنعاء أسرة همدانية أخرى : هشام ابن قُبَيْت وأخيه حماس بن قُبَيْت وحاتم بن حماس الذين والوا الدَّعوة الحافظية (Stern, «The Succession»... p. 251) ويؤكد عباس همداني أن همدانيي صنعاء كانوا يوالون الحافظ عبد المجيد كنوع من التَّقِيَّة بينما كان هواهم الأصلي للسيدة الحُرَّة وأنها هي التي أمرتهم بطاعته (Hamdani, «The Dâ'î Hâtim» b. Ibrâhîm, p. 258).

[2] عن هذه الأسرة التي ظهر منها بعد ذلك الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن =

ولما دَخَل توران شاه بن أيُّوب المسمى الملك المُعَظَّم إلى اليمن، مالَ عليّ ابن حاتم إلى حِصْن براش، وعاد بعد رجوع توران شاه إلى اليمن الأسفل وانصرافه إلى مصر. ثم لما دَخَلَ إلى اليمن المتسمي بالملك العزيز سَيْف الإسلام طُغْتَكين بن أيُّوب، أقام السُّلْطان عليّ بن حاتم بصَنْعاء، حتى عَمَّر الحصون الرفيعة، وشَيَّد المعاقل المنيعة كذَمَرْمَرَ – الحصن المشهور المنعة الرفيع السامي على كل طَوْد منيع – والعروس، والفَصَّيْن، وغيرهما من الحصون – وشَحَنَها وحَصَّنَها؛ ثم ارتفع إليها وحَلَّ حصن ذَمَرْمَر هو وأخوه السلطان بِشْر بن حاتم، وفَرَّق أولاده وأولاد أخيه في الحصون. ومَلَكَ صَنْعاء طُغْتَكين بن أيُّوب؛ والحديث في ذلك يطول إن أخذنا فيه، ولم نقصد إليه فنستقصيه.

وبقي في أيدي بني الصُّلَيْحي من معاقل اليمن المشهورة حِصْن أشْيَح وحِصْن قَيْضَان، إلى أن أزالهم طُغْتَكين بن أيّوب المكنى بسَيْف الإسلام.

الفَاطِمِيُّون المتأخّرون في مصر

وقد ذكرنا تغلُّب عبد المجيد وادعاءه الخلافة والإمامة وإمْرَة المؤمنين، وإنكار الحُرَّة السَّيِّدَة ذلك، ودخول المسمى بالقاضي الرَّشيد إلى اليمن، وإفساده لسلاطينها، وإضلاله لكثيرٍ من ذوي بسطتها وتمكينها فتوالت عبد المجيد قلوبهم، وكثرت به ذنوبهم، ووَقَعَ الاختلاط في الناس، وصار بناءُ دينهم على غير أساس، ووَقَعَ الشَّرُّ واختفى وَليّ الأمر فلم يَعرف مكانه إلاَّ أولياؤه[a] المخَلِّصون، الذين لا يحيدون عن ولاته ولا يَنْكُصون.

---

[a] هـ: الأولياء.

= الفَضْل اليامي الهمداني المتوفى بعد سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م صاحب كتاب «السِّمْط الغالي الثمن» راجع، C.L. Geddes, *EI*² art. *Hamdânides* III, p 128 .

فمكث عبد المجيد في القاهرة مُدَّة أيامه، وأقام بها إلى أن وافاه نازل حِمامه[١]، فاجتمع وزراءُ الدولة وأهل الغَلَبَة منهم والصَّوْلَة[٢]، وأقاموا ابنه الظَّافِر إسماعيل بن عبد المجيد[٣]، ونحلوه إمْرة المؤمنين، وخالفوا في النَّصِّ أمر الدين[a] وما استمر عليه صفوةُ الله وأنبياؤه[b] وأئمة دينه الهادين، وذلك سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وكان التقديم والتأخير في الدولة للملك الصَّالِح[٤]، ولم يكن لابن عبد المجيد من الأمر إلّا اسمه، وإلى الصَّالِح عقده وحكمه، فكثر الجَوْر وانبساطه، وعَظُم الإفْك واختلاطه، وقَلَّ المؤمنون واستتر

---

[a] هـ: أمر النص فى الدين. [b] فى الأصل وهـ: أنبيائه.

---

[١] توفي الحافظ عبد المجيد ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة (ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٠).

[٢] بعد أن قبض الحافظ على الوزير رضوان بن وَلَخْشي واعتقله بالقصر سنة ٥٣٤هـ لم يستوزر أحدًا بعده، بل استخدم كُتَّابًا على سُنَّة الوزراء أرباب العمائم (ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة (الدولة الفاطمية) ٩٩؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٠).

[٣] الظَّافِرُ بأمر الله إسماعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد الخليفة الثاني عشر من المهدي والتاسع في مصر والثاني في الدعوة المجيدية (٥٤٤-٥٤٩هـ/ ١١٤٩-١١٥٤م) بويع يوم وفاة أبيه بوصية منه (انظر نَصّ سجل بيعته عند القلقشندي: صبح الأعشى ٩: ٢٨٦-٢٩١ ونشره الشيال في مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٦٩-٢٧٤ وانظر الدراسة التحليلية ١٠٨- ١١٣؛ وراجع أخبار الظافر عند، ابن ظافر: أخبار الدول ١٠٢- ١٠٧؛ ابن خلكان وفيات الأعيان ١: ٢٣٧- ٢٣٨؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٣١٠- ٣١٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٩: ١٥١- ١٥٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ١٩٣- ٢١٠، المقفى الكبير ٢: ١٢١- ١٢٢؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٢٨٨- ٢٩٧).

[٤] هذا من أوهام عماد الدين إدريس، فلم يستخدم الحافظ وزراء بعد ابن وَلَخْشِي وحتى وفاته، أما وزراء الظافر فهم أبو الفتح سليم بن مصال ثم العادل بن السَّلار ثم عبّاس الصِّنْهاجي الذي حرّض ابنه نصر على قتل الخليفة الظافر، فقتله في داره بالسيوفيين بالقاهرة في آخر المحرم سنة ٥٤٩هـ / أبريل ١١٥٤م. ثم أقام الخليفة الفائز واستنجد نساء القصر بوالي الأشمونين طلائع بن رُزِّيك الذي ضَبَط الأمور فَخَلع عليه الفائز خِلَع الوزارة يوم الخميس ٤ ربيع الآخر سنة ٥٤٩هـ /يونية ١١٥٥م (أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٧٣- ٢٨١).

المتديِّنون وعظم البأسُ واشتد اليأسُ ، وخفيت نجومُ الدين وأقمارُه ، وخمل أولياؤه وأنصاره ما خلا الدَّعْوَة في جزيرة اليمن ، فإنه قام عمودُها ، وعادت قشيبة برودها ، واهتدى إلى الخيرات مريدها ، وأقام الداعي الذُّؤَيْب معالمَها وأحيا مراسمَها ، ولم تطل مُدَّة الظَّافِر ، حتى جرت بينه وبين الملك الصَّالِح الوحشة ، وسعى السُّعاة بينهما بالفساد والحرشة ، فدَسَّ الصَّالِح من كَمُنَ للظَّافِر في بيت الخلافة وقُتِلَ هنالك في الخفية وغفلة الملأ[1].

فلما وُجِدَ هنالك قتيلًا مُضَرَّجا بدمه ، واشتهر عند أولياء دولته وحشمه ، أشاع الصَّالِحُ أن أخا الظَّافِر هو الذي كان بيده قتله وأَمَرَ به فقُتِلَ ليخلو له الأمر كله ولا يعارضه معارضٌ في المُلْك الذي في يديه عقده وحله ، وعمد إلى طفل صغير من أولاد الظَّافِر وهو الفائِز عيسى[2] بن إسماعيل الظَّافِر ابن عبد المجيد الحافِظ ابن محمد بن المُسْتَنْصِر بالله - عليه السَّلام - ، فحمله على جنبه وقال لعبيد الدولة : هذا مولاكم ، فالتزموا به . فعند ذلك صاح الذين حوله صَيْحَةً يظهرون الجَذَل والسُّرور ، فبُهِتَ ذلك الطفل لكثرة الأصوات حوله ، وأراق على ظهر حامله بَوْلَه ، واعترته لذلك عِلَّةٌ لزمته كان لها يَسْقُط مغشيًّا عليه ويفارق عقله وذهنه لما أصابه وحَلَّ لديه ، وعمد به الصَّالِح إلى سرير الخلافة فاقعدوه على ذروته ، وأحضر أولياء الدولة فأمرهم

---

[1] الذى قَتَلَ الخليفة الظافر هو نَصْر بن الوزير عباس الصنهاجي بتحريض من والده ومن أسامة بن منقذ ، ولم يكن الصالح طلائع قد وَصَل بعد إلى القاهرة (أيمن فؤاد : المرجع السابق ٢٧٨- ٢٨١) .

[2] الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى بن الظافر إسماعيل بن الحافظ عبد المجيد (٥٤٩-٥٥٥هـ/ ١١٥٤-١١٦٠م) الإمام الفاطمي الثالث عشر من المهدي والعاشر في مصر والثالث في الدعوة الحافظية (راجع أخباره عند، ابن ميسر : أخبار ١٤٨- ١٥٧؛ ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة (الدولة الفاطمية) ١٠٨- ١١٠؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣: ٤٩١- ٤٩٤؛ النويرى : نهاية الأرب ٢٨: ٣١٨- ٣٢٢؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٢١٣- ٢٣٩؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ٣٠٦- ٣٣٣؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٧٩) .

بيْعَته ووسمه بإمرة المؤمنين، وكتب بذلك إلى الأبعدين من عُمَّال المملكة والأقربين، وذلك في سنة أحد وخمسين وخمسمائة [١]، وأقام في الدَّوْلَة لا يحلّ ولا يَعْقِد ولا يُصْدر ولا يورد، بل في شُغْل لما اعتراه من الزمانة والعِلَّة، شُغِلَ بها أن يلي عَقْد الأمر وحَلّه، فكثر لذلك الاضطراب ووقع في المملكة الخراب، وكثر الريب والارتياب، ونُسِخَتْ أحكامُ الدَّعْوَة الهادية وعُطِّلَت وتركت وبَطُلَت، وعاث الناسُ في المملكة وأفسدوا، وغُلِبَت الشيعة واضْطُهِدوا [٣].

ولما مات الفَائِزُ بن الظَّافِر، وحُمِلَ من القصور إلى المقابر، سعى أربابُ الدَّوْلَة في إقامة ابن عمه الموسوم بالعَاضِد عبد الله بن يوسف [٤] بن عبد المجيد

---

[١] حقيقة هذه الأحداث كما وردت في المصادر المصرية أن الوزير عبّاس الصِّنهاجي بعد أن قَتَلَ ابنه نَصْر الخليفة الظافر، أوْهَم أهل القصر في مشهد درامي أن إخوة الخليفة هم الذين قتلوه وأنه قتلهم به، ثم أحضر طفلًا صغيرًا للظافر يدعى عيسى وأقامه في منصب الخلافة ولَقَّبه «الفائز بنصر الله» وهو لم يبلغ الخمس سنين، فكاد الطفل يموت روعًا من هَوْل ما شاهده من منظر الدماء والقتلى في القصر، وظلَّ طول خلافته القصيرة مصابًا بالصَّرَع (أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٧٩).

[٢] صواب هذا التاريخ: سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

[٣] نظرًا لهذه الأحداث الدامية فقد استنجد أهل القصر وعلى رأسهم أخت الخليفة الظافر المقتول ست القصور بوالي الأشمونين والبَهْنَسا طلائع بن رُزِّيك الذي قدم على رأس جيش إلى القاهرة بعد فرار الوزير عباس الصنهاجي وابنه نصر وأسامة بن منقذ إلى الشام، وأخرج الظافر من المكان الذي دفنه فيه، وغَسَّلَه وكَفَّنه وأعاد دفنه في تربة الأئمة المعروفة بتربة الزعفران، ثم خَلَعَ عليه الخليفة الفائز خِلَع الوزارة ولَقَّبه بـ «الملك الصَّالح» (أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية ٢٨٠– ٢٨١).

[٤] العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف بن عبد المجيد الحافظ (٥٥٥–٥٦٧هـ/ ١١٦٠–١١٧١م) آخر الخلفاء الفاطميين في مصر، ونظرًا لأن الخليفة الفائز توفي دون وريث، فقد أقام الوزير الصالح طلائع عبد الله بن يوسف–وهو أصغر الأقارب–مكانه وسمّاه «العاضد لدين الله»، وبذلك يكون مثله مثل الحافظ عبد المجيد لم يكن أبوه إمامًا، وبوفاته في المحرم سنة ٥٦٧هـ سقطت الدولة الفاطمية وانتهى دورها السياسي في التاريخ (راجع، ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة (الدولة الفاطمية) ١١١– ١١٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ١٠٩– ١١٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٧: ٦٨٥– ٦٩٤؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٣٢٢– ٣٤٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٢٤٣– ٣٣١؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٣٣٤– ٣٥٧).

الحافظِ ، فأقاموه في الخلافة ، فادَّعى إمْرَة المؤمنين ، وكَتَبَ بذلك إلى القاصين والدانين في سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، واستوزر الملك النَّاصِر صلاح الدين يوسف بن أيُّوب ومَلَّكَه ، وفَوَّض إليه جميع ما حازه وملكه ، فقام الملكُ النَّاصر بأمر المُلْك وشَدَّه ، وتَوَلَّى حَلَّه وعَقْدَه ، وحمى أطرافَه ومنع أكنافه ، ودعا للعاضِد بالخلافة والإمامة . ثم إن الملك النَّاصِر رأى الأمورَ قد انقلبت ، وتَحَقَّقَ أن بني عبد المجيد على الخلافة بغير حق قد تَغَلَّبَت وأَئِمَّة الحَقّ قد استترت ، فلم يعلم حيث حلت وذهبت ، فازداد طمعه في المُلْك ، مع أنه كُلَّه قد صار إليه ، ولم تَقْنَع نفسه إلَّا أن يصير الأمرُ إليه ، ومُعَوَّل جميعه عليه ، فجرت وَحْشَةٌ بينه وبين العاضِد وقعد عن الوصول إليه إلى قصر القاهرة كما جرت عليه العوائد ، ووافق ذلك مرضَ العاضِد ، المرض الذي مات فيه ، واشتدت به العِلَّة ، فأمر إلى النَّاصِر بن أيُّوب يوافيه ، وكان في غرضه يخصه ويوصيه ، فخافه يُوسف النَّاصِر على نفسه ، وخشي أن يكون دَبَّرَ على قَتْله أو حَبْسه ، فحين صَحَّت وفاتُه ندم أنْ لو أتاه وعلم مراده [١]. وكانت وفاةُ العاضِد ومدة إقامته في الدولة ثلاث عشرة سنة وثلاثة شهور وسبعة أيام ، في اليوم العاشر من شهر محرم سنة سبع وستين وخمسمائة وزالت الدولة العلوية ، فسبحان من لا يزول ولا يُغَيِّره الحول !

صَلاحُ الدين يستولي على مصر .

واستولى الملك النَّاصِر يوسفُ بن أيُّوب على المملكة في مصر والشام ، وأصله من « تَكْريت » . وبذلك كَتَبَ إلى ابن أخيه إسماعيل المُعِزّ بن طُغْتَكين ابن أيُّوب ، والمُعِزُّ باليمن وقد سُمِّيَ بإمرة المؤمنين وادَّعى أنه من بني أُمَيَّة ،

[١] راجع تفصيل هذه الأحداث التي اختصرها عماد الدين إدريس اختصارًا مُخِلًّا عند أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٨١٠ ٣٠٩.

فقال النَّاصِر : إنما نحن قومٌ من أهل « تَكْريت » مَنَّ الله علينا بالإسلام وبما أَنْعَم [١].

قال ابن حَوْقل البغدادي : تَكْريتُ مدينةٌ بالعراق على [غربيّ] دِجْلَة ، أكثر أهلها نصارى ، مُطِلَّة على جبل [عظيم] شاهق ، وبأعلاه قلعة ذات مساكن وعليها سورٌ حصين ، وبها بِيَعٌ ودياراتٌ من عهد عيسى – عليه السَّلام – ، ومنها يَشُقّ نهر دُجَيْل الآخذ من دِجْلَة [٢]. هذا قوله .

وقد ذكر الشريف الزَّيْدي في كتاب « كَنْز الأخبار » [٣]، أنها لما انقطعت دولةُ العاضِد بموته وُجِدَ بعده ما لم يوجد بعد الملوك من الفصوص الغالية الثمن ، مثل النصاب الزمرد وغيره مما لم يُسْمَع بمثله ، وذلك من ذخائر الأئمة – عليهم السَّلام – . قال : ووجدوا في الموضع الذي يَقْرُب من فراش العاضِد طَبْلاً قد عُلِّق فظنوه للَّهْوِ ، فأخذه بعضهم وضرب فيه فحَبَقَ ، وأخذه آخر وضرب فيه فحَبَقَ ، وما زالوا على ذلك وكل من ضرب به كثر حُباقه ، فكسروه ، ثم علموا بعد ذلك أنه استعمل لوجع القَوْلُنْج [٤]، وأن من أصابه ذلك الوَجَع وضربه تَنَفَّس بالريح ، فتندَّموا على كسره .

---

[١] عن نَسَب الأيوبيين وأصلهم انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ٧: ١٣٩– ١٤٠.

[٢] ابن حوقل : صورة الأرض ٢٢٨ وما بين المعقوفين زيادة منه .

[٣] كتاب « كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار » لعماد الدين إدريس بن على بن عبد الله الحسني اليمني الحمزي المتوفي سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م مؤلف من أمراء وأشراف اليمن رُشّح لإمامة الزيدية ، وعن نسخ كتابه انظر أيمن فؤاد : مصادر تاريخ اليمن ١٣٩.

[٤] طَبْل القَوْلَنْج عُمِلَ في أيام الحافظ عبد المجيد من سبعة معادن والكواكب السبعة في إشراقها ، وكانت خاصته أنه كلما ضرب به ضربة خرج الريح من مخرج الضارب (انظر، ابن ميسر: أخبار مصر ١٤١؛ ابن خلكان : وفيات ٣: ٢٣٧؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨: ٣٠٨؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٣٣١).

وقال الداعي الأَجَلّ محمد بن طاهر الحارثي [١]، حين بلغه انقطاع أمر العاضدِ من أبيات :

[الكامل]

عبدُ المجيد مضى وباء الظّافِرُ   وانهدَّ ما شادا وبدن مأثرُ
والفائِزُ الزَّمِنُ العليل كبا به   عما يؤمِّل فيه دهرٌ عاثرُ
والعاضِدُ ابن العم شَتَّت شمله   وأباح محرمه العدو الآسِرُ
يا للعجائب كيف صاحَت صَيْحَةٌ   فيهم ودارت بالنَّكال دوائرُ

ويقول فيها يخاطب الفرقة المجيديَّة :

[الكامل]

أين المموه كل زور في الورى   والشاهد القدم الغوي الزائر
والناكثون معًا على آثارهم   تبعًا لما نَصَّ الغَوِيُّ الجائرُ
أودى بهم مرضُ النفوس فجاحدٌ   عَهْد الولي وناكثٌ ومناكرُ
زَلَّت بهم قدمُ النِّفاق فقهقروا   فالكل عن نَهْج الهداية جائرُ
جَهِلوا خفيات الأمور وخالفوا   النَّصَّ الجَلِيّ وما نجاه الآمرُ
وتخَلَّفوا عن حاتِمٍ ودعائه   تَبًّا لهم وهو الطبيب الماهرُ
داعي الجزيرة وابن داعيها الذي   شَرُفَت محاريبٌ به ومنابرُ
مبدي حقائق علم آل محمد   منه وما اشتملت عِليه سرائرُ
هو حُجَّةٌ لله فينا شاهدٌ   عَدْلٌ لدينا لا يفند حاضر

وقال الشّاعِر عُمارةُ اليمني [a] يرثي الأئمة - عليهم السّلام - :

---

[a] في هـ: عمارة الشاعر.

---

[١] الداعي محمد بن طاهر بن إبراهيم الحارثي المتوفى سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨ م، صاحب كتاب «مجموع التربية» الذي يعد الكتاب الكلاسيكي في الأدب الإسماعيلي من هذا النوع والذي بنى عليه المؤلفون المتأخرون (Ivanow, *Ismaili Literature* pp. 45- 61).

[البسيط]

هي المنازل الطول ولي فيها علاماتٌ   من بعدها قيل لي أهل العُلا ماتوا
مات الكرامُ وبادوا وانقضوا ومَضَوا   وغبر من بعدهم تلك الكراماتُ
وخَلَّفوني في قومٍ أولي[a] بُخلٍ   لو عاينوا طَيْف ضَيْف في الكَرَى ماتوا[1]

وقال عُمارَةُ أيضًا – رحمه الله – يرثي أهل الدَّوْلَة العلوية بعد زوالها عن مصر :

[البسيط]

رمَيْتَ يا دَهْرُ كَفَّ المجْدِ بالشَّلَلِ   وجيدَهُ بعد حُسْنِ الحَلْى بالعَطَلِ
سَعَيْتَ في مَنْهَجِ الرَّأْيِ العَثُورِ فإن   قدَرْتَ من عَثَرات الدَّهْرِ فاسْتَقِلِ
جَدَعْتَ مَارِنَكَ الأَقْنَى فَأَنْفُكَ لا   يَنْفَكُّ ما بين أَمْرِ الشَيْنِ والخَجَلِ
هَدَمْتَ قَاعِدَةَ المَعْرُوفِ عَن عَجَلٍ   شَقِيتَ ، مَهْلًا أَمَا تَمْشِي على مَهَل
لَهْفِي ولَهْفَ بني الآمَالِ قَاطِبَةً   على فَجِيعَتِهَا في أكرم الدُّوَلِ[b]
قَدِمْتُ مصرَ فَأَوْلَتْني خلَائِقُهَا   من المَكَارِمِ ما أَرْبى على أَمَلي
قَوْمٌ عرفتُ لهم كَسْبَ الأُلوفِ ، ومِنْ   كَمَالِهَا أنها جَاءتْ ولم أَسَلِ
وكُنتُ من وُزَرَاءِ الدَّسْتِ[c] حَيْثُ سَمَا   رَأْسُ الحِصَانِ بِهَادِيهِ على الكَفَلِ
ونِلْتُ من عُظَمَاءِ الجَيْشِ[c] تَكْرِمَةً   وخُلَّةً حُرِسَتْ من عَارِضِ الخَلَلِ
يا عاذلي في هوى أَبْنَاءِ فَاطِمَةٍ   لَكَ المَلَامَةُ إن قَصَّرْتَ في عَذَلي
باللهِ ! زُرْ ساحَةَ القَصْرَيْنِ وَابْكِ مَعِي   عَلَيْهِما لا على صِفِّينَ والجَمَلِ !
وقُلْ لأَهْلَيهِمَا : واللهِ ما الْتَحَمَتْ   فيكم جُرُوحِي ولا قَرْحِي بمُنْدَمِلِ
ماذَا[d] تَرى كَانَتِ الإفْرِنْجُ فَاعِلَةً   في نَسْلِ آلِ أميرِ المؤمنينَ عَلِي

---

[a] في هـ : ذوى . [b] هذا البيت ساقط من الأصل . [c] في الأصل وهـ وردت عظماء الجيش في البيت الأول ووزراء الدست في البيت الثاني . [d] في الأصل وهـ : فما والتصويب من المصادر .

---

[1] لم ترد في ديوان عمارة اليمني .

هَلْ كَانَ في الأَمْرِ شيْءٌ غير قِسْمَة ما ... مَلَكْتُمُو بَيْنَ حُكْم السَّبْي والنَّفَلِ
وقَدْ حَصَلْتُمْ عليها ، واسمُ جَدِّكُمُ ... محمدٌ وأبُوكُمْ خَيْرُ مُنْتَعِلِ
مررتُ بالقَصْرِ والأَرْكَانُ خَالِيَةٌ ... من الوُفُودِ ، وكانتْ قِبْلَةَ القُبَلِ
فَمِلْتُ عَنْهَا بِوَجْهِي خَوفَ مُنْتَقِدٍ ... من الأعادِي ، وَوَجْهُ الوُدِّ لم يَمِلِ[a]
أَسْبَلْتُ من أَسَفي[b] دَمْعِي غَدَاةَ خلت ... رِحَابُكُم وغَدَتْ مَهْجُورَةَ السُّبُلِ
أَبْكِي على مَأْثُراتٍ من مكَارِمِكُمْ ... حَالَ الزَّمَانُ عليها وَهْيَ لَمْ تَحُلِ
(دارُ الضِّيَافَةِ) كانتْ أُنْسَ وَافِدِكُمْ ... فاليوم أوحشُ من رسم ومن طللِ
وقطرة الصوم إذا أضحت مكارمُكم ... تَشْكُو من الدَّهْرِ حَيْفًا غيرَ مُحْتَمَلِ
و(كُسْوَةُ الناس) في الفَصْلَيْنِ قد دَرَسَتْ ... ورَثَّ منها جَدِيدٌ عندهم وَبَلِي
ومَوْسِمٌ كان في (يوم الخَلِيجِ) لَكُمْ ... يَأْتِي تَجَمُّلُكم فيه على الجُمَلِ
و(أَوَّلُ العام) و (العيدين) كَمْ لَكُمْ ... فِيهِنَّ من وَبْلِ جُودٍ ليس بالوَشَلِ
والأرضُ تَهْتَزُّ في (يوم الغدِيرِ) كما ... يهتز ما بين قَصْرَيْكُمْ من الأَسَلِ
والخَيْلُ تُعْرَضُ في وَشْيٍ وفي شِيَةٍ ... مثلَ العَرَائسِ في حَلْيٍ وفي حُلَلِ
وما حَمَلْتُمْ[c] قِرَى الأَضْيَافِ من سَعَةِ الأَطْـ ... ـبَاقِ إلا على الأكتافِ والعَجَلِ
وما خَصَصْتُمْ بِبِرٍّ أَهْلَ مَمْلَكَةٍ ... حتَّى عَمَمْتُمْ به الأَقْصى من المِلَلِ
كانتْ رَوَاتِبُكُمْ للوافدين وللضـ ... ـيفِ المُقِيمِ والطَّارِي من الرسُلِ
وللجَوَامِعِ من أَخْمَاسِكُمْ[d] نِعَمٌ ... لمن تَصدَّرَ في عِلْمٍ وفي عَمَلِ
ورُبَّما عادتِ الدُّنْيا فَمَعْقِلُهَا ... منكم وأَضْحَتْ بكم محلُولَةَ العُقُلِ[e]
واللهِ ! لا فَازَ يومَ الحَشْرِ ضدكُمْ ... ولا نَجَا من عذاب غير منفصل[1]

---

[a] هذان البيتان ساقطان من هـ. [b] في الأصل وهـ : من أَسَفٍ. [c] في الأصـل وهـ : ولا حملتم. [d] الأصل : أحباسكم وهـ : إحسانكم والمثبت من المصادر. [e] هذا البيت ساقط من الأصل وهـ.

---

[1] ديوان عمارة ٦١٢– ٦١٦؛ أبو شامة : الروضتين ١ : ٥٧٠– ٥٧١؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١ : ٢١٢– ٢١٦؛ القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٥٢٦– ٥٢٨؛ المقريزى : الخطط ١ : ٤٩٥– ٤٩٦؛ اتعاظ الحنفا ٣ : ٣٣٢– ٣٣٤.

[وقال عُمارَة اليمني يذكر أهل البيت – عليهم السَّلام – ويذكر عُدْوان بني أُمَيَّة – لعنهم الله – :

[الكامل]

غَصَبَت أُمَيَّة إِرْث آل محمد ... سَفَهًا وشَنَّت غارة الشنئان
وغَدَت تخالف في الخلافة أهلها ... وتقابل البُرهان بالبُهتان
وأتى زيادٌ في القبيح زيادةً ... تركت يَزيد يَزيد في الطُّغيان
وتَسَلَّقوا في رُتْبة نبوية ... لم يبنها لهم أبو سُفيان][1]

استِتارُ الأَئِمَّة

ووقعت الفترة باستتار أمير المؤمنين الإمام أبي القاسم الطَّيِّب ابن الآمر والأئمة من ذريته – صلوات الله عليهم – ودخولهم في كهف « التَّقِيَّة » ، وتَرْكهم ما تغلَّب عليه الظالمون من الدنيا الدَّنِيَّة اقْتداءً بأسلافهم من الأئمة الطاهرين بعد الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب – عليه السَّلام – ، لما تركوا ما تغلَّب عليه بنو أمية وبنو العبّاس من ظاهر السُّلْطان حين كثر أعوانُ الظالمين ، وقَلَّ لهم الأنصار والأعْوان ، واشتدّ الاستتار ، وعظمت محنةُ أوْلياء الله الأطهار في أوان الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر – عليه السَّلام – وبعده ، حتى أَطْلَعَ الله شمس الحَقّ من غربها ، وأظهر حُجَّتَها ، فتجلَّت أنوارُ الهدى للمهتدين ، وأحقب الله الظالمين والمعتدين ، ثم تطاول هذا السَّتْر في أمده ، وتغَلَّب المفسدون في الأرض ، وعَمَّتِ الظُّلْمَة والظُّلْم ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [الآية ٣٧ سورة الأنفال] . وعلى ذلك جرت أمور الدنيا ؛ من تعاقب الظُّلَم والأنوار كما نرى ذلك ونشاهده في الليل والنهار ؛ جريًا على ما مضى في ما سلف في الأدوار ، كما قال النبي المصطفى المختار – عليه وعلى آله صلوات الله العزيز الغفار – ، فقد

---

[1] هذه الأبيات أضيفت في هامش الأصل و هـ.

قال – عليه السَّلام – : « كائنٌ في أمَّتي ما كان في الأمم الماضية حَذْو النَّعْل بالنَّعْل والقُذَّة بالقُذَّة » . وقد وقعت الفترة في دور آدم – عليه السَّلام – ، بعد أن قَتَلَ قابيلُ هابيل ، إلى أن قام شيث – عليه السَّلام – وهو السابع من وَلَد آدم كما قيل . ثم كانت الفترة إلى نَبِيّ الله إدريس ، فأظهر الله نورَه على ظلمة إبْليس ، ووقعت الفترة بعد أوانه ، إلى أن بَعَثَ الله نوحًا – عليه السَّلام – وأهلك مخالفيه بطُوفانه . واستمرت الفترة بعده وبعد وَصِيِّه سام ، حتى بعث الله نبيه هودًا – عليه السَّلام – وعَمَّت الفترة بعده ، حتى أظهر الله صالحًا في ثَمُود وأرسل الله خليله إبراهيم – ﷺ – حنيفًا مسلمًا وأتاه الله الكتاب والحكمة ، وآتاهم الله مُلْكًا عظيمًا ، وجعل بعده إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسُف – صَلَّى الله عليهم وسلم تسليمًا .

وكانت بعدهم فترةٌ عظيمةٌ إلى وقت شُعَيْب نَبِيّ الله صاحب مَدْيَن ، وخرج موسى خائفًا يترقَّب ، حتى وافاه الله – صَلَّى الله عليه – وابتعثه الله نَبِيًّا ، فقام بالدَّعْوَة إلى الله ، وأعلن . ومازالت الفترة بعد وَصِيِّه يُوشَع حتى بَعَثَ الله داود – عليه السَّلام – وجعله خليفةً في الأرض مُوَضِّحًا للدين . ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إنَّ هذا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ ﴾ [الآية ١٦ سورة النمل] . وكانت بعده الفترةُ إلى وَقْت زكريا وعيسى ، وبعث الله عيسى ابن مريم يُبْرِيء الأَكْمَه والأَبْرَص ويحيي الموتى . وكانت بعده فترةٌ عظيمةٌ حتى بَعَثَ الله محمدًا خاتم رُسُله وأرسله بالهُدَى ودين الحق ليظهره على الدين كلِّه . هذا ولم يُخْلِ الله أرضه من أنبيائه وأوليائه ؛ فمنهم من أظهر الله فضله ، ومنهم من لم يعرفه إلَّا قليلٌ ممن عَرَّفَه الله محله . وأما أولادُ إسماعيل بن إبراهيم – عليه السَّلام الخليل – فلم يَعْرِف فَضْلَ أهل الفَضْل منهم إلَّا قليلٌ حتى بعث الله فيهم رسولًا يتلو عليهم آياته ، وأظهر لهم فضائله وبيِّناته ، واختصَّه تعالى بأن بَلَّغ رسالاته ، فكان في دوره كما كان في الأدوار الماضية من الظهور والاستتار ، إن في

ذلك لآيات بيّنات ، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الآية ٢ سورة الحشر] ﴿أفنجعل الذين ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [الآية ٢٨ سورة ص] .

وقد ذكرنا أيام السَّتْر والظُّهور ، وأشار إليها ودَلَّ ونبّه عليها الإمام أحمد ابن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصَّادق – عليهم السَّلام – في رسائله ، بعد أن ذكر الأوقات التي اتخذها الحكماء لها أعيادًا ، وجعلتها لها أفراحًا تجتمع فيها للعبادة ونَشْر الحكمة ، هدايةً للنفوس وصلاحًا ، إلى أن قال[a] – عليه السَّلام – : « فإذا تَأَمَّلْت يا أخي أيَّدَكَ الله وإيّانا بروح منه هذه الثلاثة الأيام الفلسفية التي هي كانت أعيادًا وأفراحًا وكان فرحهم الأكبر[b] في الأول منها ، ودونه في الأوسط ودونه في الآخر ، ويوم حُزْن وكآبة إلى أن يستأنف الدور الآخر عند رجوع الشمس إلى أول برج الحَمَل إلى الأعياد الشرعية الإسلامية وجدتها موافقةً لها ، وذلك أن نَبِيّنا – عليه السَّلام – بَيَّنَ لأمته في شريعته ثلاثة أعياد ، فالأول منها « عيد الفِطْر » ، وهو أعظم فَرَحٍ يكون بخروج الناس من شِدَّة الصَّوْم إلى الفِطْر ، لفَرح أهل الأرض بقدوم الربيع والخِصب ، بعد ذهاب الشتاء .

ثم « عيد الأَضْحَى » ، وهو يوم عيد تَعَبٍ ونَصَب ، وربما كان في قَيْظ وحَرّ ، ويكون الحاضرون عند الحَجّ فيه في شعثِ العيش ، ويكون نعيمًا ممزوجًا بنَصَبٍ وتَعَبٍ ، ويكون الفَرَحُ الأول كفرح الفلاسفة بذلك اليوم ، وإن كانوا يستقبلون من بعده شِدَّة من الصيف ، ولكن فيه تُدْرَك المعيشة من الثمار والحبّ .

واليوم الثالث في السنة الشرعية « يوم الوَصِيَّة » ، عند انصرافه – صَلَّى الله عليه وعلى آله – من حَجَّة الوَداع .

---

[a] في هـ : وقال عليه السلام.   [b] ساقطة من الأصل.

وأما يوم الحُزْن والكآبة فهو « يوم مَوْتِه » وشتات أمته وانقطاع الوَحْيِ، وفَقْدِهم شخصه الكريم – صَلَّى الله عليه.

واعلم يا أخي – أيَّدَكِ الله وإيَّانا بروح منه – إنَّا جماعة « إخْوان الصَّفَا » أحَقّ الناس بالقيام بالعبادة الشرعية ومراعاة أوقاتها وأداء فُروضها والتزام حُقوقها، وقراءة كُتب تنزيلها، وبيان تأويلها، ومعرفة تحليلها وتحريمها، لأنَّا أَخَصُّ الناس بها وأوْلاهم بحملها وأقربُ الناس ممن جاءت على يديه وأولاهم به، وأَحَقُّ الناس أيضًا بالعبادة الفلسفية الإلهية، والقيام بها والأَخْذ لها، والتجديد لما دثر من سُننها؛ فإذا أكملنا ذلك كانت لنا سُنَّةٌ ثالثةٌ نتميَّز بها ونتخصَّص بعملها، ولنا نحن أيضًا ثلاثة أيام نَتَّخِذُها أعيادًا، ونأمر إخواننا بالاجتماع فيها والسَّعْي إليها.

واعلم يا أخي أن أعيادَنا هذه هي أيام ليست تُشابه أيام أعياد الفلاسفة ولا الشرعية في الحقيقة، لكن بالمثل؛ لأن أعيادَنا نحن أعياد ذاتية قائمة بذواتها، تَظْهَر الأفعالُ عنها وبها ومنها، وهي أيضًا ثلاثة: أوَّل، وأوْسَط، وآخر والرابع أصعبها أعمالًا، وأشَدّها فِعلًا. وأمثالُ هذه الأربعة الأيام التي ذكرناها ووصفناها في الزمان والحركات الفلكية وموجبات أحكام نجومية: الرَّبِيع والصَّيْف والخَرِيف والشِّتاء. وفي الشريعة المحمدية والمِلَّة الهاشمية: « عيد الفِطْر » و « عيد النَّحْر » و « عيد الوَصِيَّة »، و « يوم المصيبة به – صلى الله عليه وعلى آله ».

ومن الصور الإنسانية أيام الصِّبىٰ وأيام الشباب وأيام الكُهولَة وأيام الهِرَم الذي به ذهاب الشخص ومفارقة النفس كذلك يبكي عليه ويكون عند أهله الغَمُّ والحُزْن والهَمّ والأَسَف على فَقْده، كما حَزن أهل بيت النبوة، لمَّا فقدوا سَيِّدهم وغاب عنهم واحدهم وتُخُطِّفوا من بعده وتفرَّق شملهم، وطمع فيهم عدوُّهم واغتصبوا حَقَّهم وتبدَّدوا، وكان منهم ما كان في يوم كَرْبلاءَ

وقَتْل من قُتِلَ من الشُّهَداء، ومن قبله ما نال أحَقّ الناس بمقامه ومن قتل من أجِلَّة أصحابه من المصائب، وكان ذلك سببًا لخفاء «إخوان الصَّفَا» وانقطاع دولة أهل الوفا إلى أن يأذن الله عَزَّ وجَلّ بقيام أولهم وثانيهم وثالثهم في الأوقات التي ينبغي لهم القيام فيها إذا برزوا من كهفهم واستيقظوا من طول نومهم.

وأعيادُنا يا أخي هي أشخاصٌ ناطقة وأنفسٌ فَعَّالة تفعل بإذن ربِّها ما يوحيه إليها ويلهمها إيَّاه من الأفعال والأعمال، فاليوم الأول من أيامنا والعيد الأَفْضَل من أعيادنا هو يوم خروج أوَّل القائمين مِنّا، ويكون اليوم الموافق لنزول الشمس برج الحَمَل، ومجيء الربيع بالخِصْب ونزول الرحمة والإظهار والاستتار، وهو يوم فَرَح وسرور لنا ولجميع إخواننا. واليوم الثاني هو يوم قيام الثاني مِنَّا، الموافق يوم قيامه يوم نزول الشمس أول برج السَّرَطان في تناهي طول النهار وقِصَر الليل إذ كان به تَصَرُّم دولة أهل الجور وانقضاؤها وهي الليل المظلم المدلَهِمّ، وهو يوم فَرَحٍ وسرور واستبشار. واليوم الثالث هو يوم قيام ثالثنا، الموافق ليوم نزول الشَّمس أول برج الميزان واستواء اللَّيْل والنهار ومفارقة الصيف ودخول الخَرِيف، وهو مفارقة الحَقّ للباطل وكَوْن الأمر على خلاف ما كان عليه. ثم اليوم الرابع يوم الحُزْن والكآبة يوم رجوعنا إلى كهف التَّقِيَّة والاستتار، وكَوْن الأمر على ما نحن عليه في وقتنا هذا إلى يوم البروز والخروج ورجوع الشمس بعد الشتاء إلى أول برج الحَمَل. ذلك تقديرُ العزيز العليم، وما مِنَّا إلَّا له مقامٌ معلوم.

واعلم يا أخي أن في مثل هذه المدة يُميِّز الله الخبيث من الطَّيِّب ويَرفع أهل العِلْم درجات لم يكونوا ينالونها إلَّا بصبرهم واحتسابهم في رَبِّهم جَلَّ اسمه ما يصيبهم ولا ينكروا ما ذكرناه من أن الزمان لا يدوم بصفاته، لأن الصَّفاء إنما يعرف بالكَدَر، والعَدْل بالظُّلْم، والصِّحة بالسُّقَم. وإنما صَفا «إخوانُ

الصَّفاء » لما اختصوا الصَّبْر على البَلْوى في السَّرَّاء والضَّرَّاء ولم يتسخَّطوا بالحكم والقضاء ، وسَلَّموا واستسلموا لربهم وانقادوا إليه بنفوس طيبة ساكنة مطمئنة » .

هذا قوله – عليه السَّلام – ذكر فيه أعياد الحكماء التي سَنُّوها لتلاميذهم ووضعوها بينهم والأعياد الشرعية المؤسسة في المِلَّة الحنيفية ثم حَقَّق الأعياد الثلاثة الناطقة ، وذكر ظهور القائمين منهم وأوَّلَهم الذي كان به ابتداء الظهور بعد السَّتر والتَّقِيَّة والمِحْنَة التي تطاول على الأولياء أمدُها وامتحنتهم ظلمتها ، فكان في ذلك الفَرَح والسُّرور والجَذَل والحُبور ، وذلك « ظُهور المَهْدى بالله » – عليه السَّلام – الذي وَعَدَ النَّبِيّ – صَلّى الله عليه وعلى آله – بظهوره على رأسي الثلاثمائة صادعًا بالحَقّ معلنًا بالصِّدْق بقوله – عليه الصَّلاة والسَّلام – « على رأس الثلاثمائة للسنة تطلع الشمس من غربها » فلم تر العيون شمسًا طلعت من الغرب غير ظهور المَهْدى الإمام – عليه السَّلام – الذي أشْرَقَت القلوبُ بظهوره وامتلأت من فرحه وسروره ، وكان ذلك من الأزمنة كحلول الشمس برج الحَمَل الذي هو زَهْرَة الربيع وإقبال الزمان وإيناع الزهور وخُضْرَة الأوراق والغُصون ، واعتدال الوقت وذهاب الشتاء والبرد ، وكيوم الفِطْر من الصيام وتعبه ، الذي هو أول الأعياد الشرعية .

واليوم الثاني منهم « ظُهور المُعِزّ لدين الله » – عليه السَّلام – سابع أسبوعين ورابع أربعة الذي كان في وقته قُوَة الظهور وعمومه بالضياء والنور ، وابتهاج الدَّعْوَة وأهلها بعلمه المنشور وخَوْف الظالمين من سيفه المشهور ، وهو الذي قَوي في أوانه الأمر ، واستوسقت المملكة وفَتَحَ مصر ، وذلك كحُلُول الشمس برج السَرَطان في تناهي طول النهار وقِصَر الليل وتصرُّم دولة أهل الجَوْر الذين تعدَّوْا بدعوى الإمامة الطَّوْر ، وهو أوان الفَرَح والسُّرور والجَذَل والحُبور ، وهو كيوم الحَجّ إلى بيت الله الحرام وقضاء المناسك العِظام أوان الإشْعار والإحْرام .

واليوم الثالث منهم هو «قيام مَعَدّ أبي تميم المُسْتَنْصِر بالله» – صَلَّى الله عليه – الذي خُطب له ببَغداد وأزيل العَبَّاسي عما ادَّعاه من الخلافة، واستولت العساكرُ المستنصرية على البلاد، وهو من الأزمان كنزول الشمس أول بُرْج الميزان وحُلُول الخريف ويناع الثمار ودُنُوّ حصادها، وفيه انتهت دَعْوَة الأئمة – عليهم السّلام – إلى غاية قوتها، ثم ابتدأت الدَّعْوَى العلوية في الانحطاط بعد العُلُوّ، وسعى الساعون بالطُّغْيان في الأرض والعُتُوّ، وذلك كالظهيرة التي هي غاية النهار، ويبتديء بعد ذلك إلى زوال الشمس وابتداء ميلها إلى الغرب، ونقص الأنوار، وهو كيوم النَّضْر في الأعياد الشرعية، وقيام النَّبِيّ – صَلَّى الله عليه – بأمر الوَصِيَّةِ حين أظهر الله أمره وأعلا ذكره وجَنَحَت شمس الحقيقة إلى الغروب، ودَنَت نقلته – صَلَّى الله عليه – وأَوْحَى إليه بذلك علّامُ الغيوب.

واليوم الرابع هو «يوم الحُزْن والكآبة»، وهو يوم رجوعهم إلى كهف تَقِيَّتهم واستتارهم بعد عُلُوّ كلمتهم كما قال – عليه السّلام – في كون الأمر على ما نحن عليه في وقتنا هذا، إذ وقته – عليه السّلام – كان وقت السّتْر والتَّقِيَّة وعموم المحنة والبَلِيَّة. يشير إلى وقوع هذا السّتر وغيبة الإمام الطَّيِّبِ – عليه السّلام – وأولاده أولي الأمر كما قال داود النبي – عليه السّلام –: «مَثَلُ ما كان سيكون وما عُلِمَ سيُعْلَم وما تحت الشمس شيء بجديد». وذلك كزوال النهار وغروب الشمس ودخول الليل وشدة ظلمته، وكدخول الشتاء وصِرام الزرع ودخول البرد، وكمغيب النَّبِي – صَلَّى الله عليه – وارتقائه إلى العالم الأعلىٰ وتَغَلُّب المتغلِّبين على كرسي الخلافة ودَفْعهم من هو أحَقُّ به وأوْلَى، جريًا على سَنَن الأمم السالفة وقصدًا كقصد طُغاتهم للعُتُوّ والمخالفة.

ولابد وإن طال أمَدُ الليل من رجوع النهار، وبعد تكاثف الظلمة من

طلوع الأنوار، وبعد اشتداد المحنة من فَرَجٍ يطلع طلوع الصُّبْح بعد الليل الدَّجوجيّ، فقد قال النَّبِيّ – صَلَّى الله عليه وآله –: «اشتدي أزْمَةُ تنفرجي»[١]. وقد بشَّر صاحب الرسائل – عليه السَّلام – بالظهور بعد الاستتار وذكر ما يكون من تبلُّج الحَقّ وظهور الأنوار، حيث قال – عليه السَّلام –: «وكَوْن الأمر على مثل ما نحن عليه في وقتنا هذا إلى يوم البروز والخروج ورجوع الشمس بعد ذهاب الشتاء إلى أول برج الحمل»، فأبان – عليه السَّلام – أوان الظُّهور قبل كونه ووَعَد به وذكر السَّتْر كمثل ما كان في أوانه وكل ذلك قد كان كما ذكر – عليه السَّلام – وسيكون الظُّهُورُ كما ذكر والبروز من مُحجَب الاستتار، إذ لا يزال يتعاقب السَّتْر والظهور، حتى ينقضي دَوْرُ السَّتْر ويزول الليل ويصير نورًا كله ونهارًا كله، كما قال تعالى في كريم كتابه وشريف خطابه: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَٰئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [الآية ٤ سورة المعارج].

وإلى ما كان من استتار الإمام الطَّيِّب – عليه السَّلام – توَجَّه قولُ الإمام الصَّادق جعفر بن محمد – عليه السَّلام – حيث قال – صَلَّى الله عليه – في بعض كلامه: «يغيب في آخر الزمان إمامٌ تضِلُّ الأمَّة من بعده، حتى يقال: مات وهَلَكَ في أي وادٍ سَلَك. ويكون المؤمن في دينه كالذي يخرط بيده القتاد. قيل له: فكيف حالُ من يَطْلُب النجاة؟ قال: يلتزم بالأول إلى أن يثبت الثاني، فإن أشَدَّ الناس عداوةً لنا ولكم بنو فاطمة، فإن أتاكم ابن عم، وقال: إنه مَرَّضَه وغَمَّضَه وحَنَّطَه وكَفَّنَه، فلا تُصَدِّقُوه». هذا قول الصَّادق – صَلَّى الله عليه –. وفي ذلك يقول الداعي الأَجَلّ جَعْفَر بن منصور اليمن – رضْوان الله عليه – في «سيرة» أبيه أبي القاسم بن الفَرَج[١]، حيث قال: «وإذا وَقَعَ

---

[١] السيوطي: جمع الجوامع ١: ١١١.

[١] سيرة منصور اليمن ابن حوشب لولده جعفر بن منصور اليمن من المصادر المفقودة، راجع=

استتار الإمام لم تكن دعوته بمعدومة ولو في جزيرة من الجزائر بأمره أو بأمر الناصّ عليه والمشير إليه، فهو موجود بوجود حدوده الذين يدعون إليه ويدلُّون عليه ويقيمون مناسك دعوته وفروضها وسننها وحلالها وحرامها ودعوته، وإقامتها بوجود ثلاثة مراتب؛ الداعي المُطْلَق، والمأْذُون المُطْلَق، والمأْذُون المحدود[١]. فأما الأبوابُ والحُجَج ودُعاةُ البَلاغ فلا يفارقون من وراء سجن الاستتار، هذا قوله - رضي الله عنه وأرضاه.

فكانت دَعْوَةُ الإمام - عليه السَّلام - ظاهرةً في هذه الجزيرة اليمنية، معلنةً بها دُعاتُه وحدودُه بين البرية. وقد قال أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب - صلوات الله عليه - في كتاب «الفَتَرات والقِرانات»[٢] إن الإمامة لا تَنْقِطع عن العالَم طَرْفَة عَيْنٍ، لأنها الحُجَّة على الخَلْق، غير أنه لم يَبْد في أمر ولا نَهْي لفساد نِيّات أهل عصره وكثرة ما يكتسبه مستجيبوا أهل دعوته من الشكوك ويَدَّعُون ذلك أنه الحَقّ وهم عن الحَقّ مبعدون، فيكون سكوته وانفراده وخروجه من بينهم مثلًا على انقطاع الإمامة من بينهم ويكون في دعوته من المحقين الفائزين المنتظرين الفرج والداعين إلى الله منهم لتصل إلى أبناء الحكمة مواده، وبهم تثبت الحُجَّة على الخلق إذ كانوا مُتَّصلين به. وإنما انفراده وانقطاعه لأولي العِناد والزَّيْغ ومن حَقَّت عليه كلمة العذاب، فبذلك يدعو الصابرين من أهل دعوته أن يزيل عنهم تلك المحنة ويرفع منهم النَّقْمَة بظهور الإمام علانيةً وليس قول الطَّيِّبِيَّة في الإمام - عليه السَّلام - كقول

Ivanow, *Ismaili Literature* p, 22 (23); H. Halm, «Die Sirat Ibn Hawšab», *Die Welt des Orients* XII (1981), pp. 108-35 .

١ عن مراتب الدعوة وتطورها انظر A. Hamdani, «Evolution of the Organisational Structure of the Fatimi Dawah . The Yemeni and Persian Contribution», *Arabian Studies* III (1970), pp. 85- 114؛ أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية ١٩١- ١٩٤.

٢ كتاب «الفَتَرات والقِرانات» أحد مؤلَّفات جعفر بن منصور اليمن ويُعْرَف أيضًا باسم «كتاب الجفْر الأسود». ويرى بول كراوس أن الكتاب الموجود الآن ضمن مجموعة البُهْرَة في الهند لا يمكن أن يكون النّصّ الأصلي للكتاب لأنه يحتوي إشارة إلى الإمام الطَّيِّب بن الآمر الذي اختفى عام ٥٢٤هـ/١١٣٠م (P. Kraus, «La bibliographie ismaëlienne de W.Ivanow», *REI* VI (1932), p. 486).

الكِيسانِيَّة في ابن الحَنَفِيَّة ، إنه حيٌّ لم يمت ، وأنه برَضْوَىٰ عنده عَسَلٌ وماءٌ[١] ، ولا كقول الإمامية الاثنى عشرية في محمد بن الحسن العَسْكَري أنه القائم المُنْتَظَر ، لا يموت حتى يظهر . بل قولُها الحَقّ واعتقادُها الصِّدْق ، أن الطَّيِّب ابن الآمر – عليهما السَّلام – هو الإمام بصِحَّة النُّصوص من أبائه في واحد بعد واحدٍ ، ومولودٍ بعد والدٍ ، حتى انتهى ذلك إليه ووَضُحَ فَضْلُه لديه ، وأن الإمامة جاريةٌ في عَقِبِه ، متسلسلةٌ في الأئمة من ذُرِّيَّته ، وأن الإمامة غير منقطعة من الأرض ، لتقوم الحُجَّة على جميع العِباد ، كما قال الله تعالى لرسوله – صَلَّى الله عليه وعلى آله – : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الآية ٧ سورة الرَّعْد] ، وكما قال أميرُ المؤمنين – عليه السَّلام – في حديثه لكميل بن زياد[a] ، حيث قال : «ألا وإنها لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحُجَّة ، إما كان ظاهرًا موجودًا أو[b] خائِفًا مغمودًا» ، وهم على سترهم وانكتامهم من أهل دَهْرهم معلومون عند بُلَغاء أهل دعوتهم يَعْرِفونهم بأسمائهم ودلالاتهم وإليهم أشار رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وعلى آله – لأبي هُرَيْرَة : «عليك يا أبا هُرَيْرَة بطريقِ أقوامٍ إذا فَزِعَ الناسُ لم يَفْزَعوا ، وإذا طَلَبَ الناسُ الأمانَ من الفساد لم يخافوا» . قال : فقلت : مَنْ هم[c] يا رسول الله ؟ صِفْهم لي حتى أعرفهم . قال : «هم يخرجون في آخر الزمان ، يُحْشَرون يوم القيامة حَشْر الأنبياء ، إذا نَظَرَ الخَلْقُ إليهم ظَنُّوهم أنبياء مما يرون من حالهم ، يمرُّون مثل الريح والبَرْق ، يَغْشَى أبصار الجميع من نورهم» . إلى غير ذلك في خبرٍ طويل يقول فيه : «تركوا الحلال مخافة الحساب ، صحبوا الدنيا بأبدانهم من غير أن يَعْلَق منها شيء بقلوبهم ، يتعجَّب الأنبياءُ والملائكة من طاعتهم لربِّهم ،

---

[a] ساقطة من هـ. [b] في الأصل: وإلّا . [c] في النسختين: منهم.

---

[١] انظر مناقشة قول الكيسانية عند وداد القاضي : الكيسانية في التاريخ والأدب ، بيروت–دار الثقافة ١٩٧٤، ١٦٨– ٢٠١.

طُوبَى لهم ، وَدَدْتُ أن الله جَمَعَ بيني وبينهم » ، ثم بكى – عليه السَّلام – وقال : « يا شَوْقاه إلى رُؤْيتهم ، إذا أراد الله بأهل الأرض عذابًا فنَظَرَ إليهم ، صَرَفَ العذابَ عنهم ، أولئك إخواني فطُوبَى لإخواني ، إذا نَظَر الله إليهم شَرَّفَهم وباهى كرام الملائكة بهم » . وقال : « في آخرهم الأصفياء الأبرار إن شهدوا لم يُعْرَفوا وإن غابوا لم يُفْتَقدُوا ، يَعْرِفُهُم أهلُ السماء ويُخْفَوْن عند أهل الأرض تشتاق بقاع الأرض إليهم ، نِعْمَ الناسِ بالدنيا ونَعِموا بتركهم لها إلّا أن لهم الشَّرَف الأَعْلى يوم القيامة ، وَدَدْتُ أنى رأيتهم[a] ، وفي الله صحبتهم ، فبِقاع الأرض بهم رحيمة ، والجَبَّار عنهم راضٍ ، فالراغبُ إلى الله مَنْ رَغِبَ فيما رَغِبوا ، والخاسرُ من خالفهم ، تبكي الأرض إذا فَقَدتهم ويَسْخَط الجَبَّار على بلد ليس فيها أحدٌ من أوليائهم » . وقال : « يا أسامة ، اتخذهم لنفسك أصحابًا ، عساك تنجو معهم ، وإيّاك أن تسلك غير طريقهم فتزل قدمك فتهوى في النار » في حديث طويل .

وأما ما جاء من معالم الظُّهور ، فمن ذلك ما رُوِيَ عن أبي جعفر محمد ابن علي بن الحسين – عليهم السَّلام – أنه قال : « إذا قام قائمنًا أهل البيت نَزَعَ البُخْل والجُبْن عن قلوب شيعتنا ، فيلقى الرجل المائة فلا يبالي بهم ، ويشرف أهل هذا الأمر ويحفظ نَسْلَهم ، إلى أن تنقضي الدنيا ، ويتقرّب الناسُ إلى الإمام بزيارة قُبُور المؤمنين ، ويُزار قَبْر كل مؤمن من عهد رسول الله – صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم – في مشارق الأرض ومغاربها ، ويَقِف المؤمن على قبر المؤمن فيقول : يا أخي ، قد وَدَدْت أنك كنت باقيًا حتى تشهد هذه الدولة ، فقد كنت تُوالي أهلها وتُناصِب عدوها فبارك الله لك فيما أنت فيه وثَبِّتنا على ما كنت عليه » .

---

[a] في هـ : وددت إلى روايتهم .

وعن مُجاهِد يرفعه ، وذكر أخبارًا مما يكون ، قال : « ثم ينبعث قائمٌ من آل محمد في عصابة لهم أدق في أعين الناس من الكُحْل ، يفتح الله عليه مشارق الأرض ومغاربها ألَا وهم المؤمنون حقًّا ، ألا وإن خير الجهاد في آخر الزمان » . ومما يؤيد ذلك مما هو في معناه ما روى عن سَلْمان الفارسي – رضي الله عنه – مما أثره عن رسول الله – صَلَّى الله عليه وعلى آله – أنه ذكر المَهْدي – عليه السَّلام – فقال : « إنه قاتِلُ الضَّالين ، يقتل الزَّنادِقَة ولا يقبل منهم تَوْبَة ولا يأخذ منهم جِزْيَة ، ولا يدع في الأرض أحدًا على غير دين الإسلام إلَّا قتله ، ويُهْلِك التُّرْك والخَزَر والدَّيْلَم والحَبَش ، ويؤتي بملوك الرُّوم مُصَفَّدين في الحديد ، ولا يدع يهوديًّا ولا نصرانيًّا ، ولا يوجب لهم ذِمَّة ويردّ الناس على دين محمد وإبراهيم – عليهما السَّلام – » ، وقولُ رسول الله – صَلَّى الله عليه وعلى آله – الحق ، ونطقه الصِّدق ، وهذا مما يُنْتَظَر وقته وأوانه ، فيكون في المستقبل زمانه .

قال القاضي النُّعْمان بن محمد – رضى الله عنه وأرضاه [a]: فهذا مما ذكرنا أنه يجري شيئًا بعد شيء على يد المَهْدي والأئمة من ولده – صلوات الله عليهم أجمعين – ويُنْسَب إليه ، إذ هو أوَّل من فَتَحَه وقام به ، وإلى رسول الله – صَلَّى الله عليه – ، إذ هو صاحب الشَّريعة والمِلَّة ووليّ الأئمة والأمَّة ، وصاحب الرِّسالة والدَّعْوَة ، فكل ما قيل إنه يكون لبعض الأئمة فلم يكن فيه حتى قُبِضَ فهو يكون في ولده من بعده وينسب ذلك إليه . وقد جاء أيضًا عن أبي عبد الله[b] جعفر بن محمد – صلوات الله عليه – فيما رواه حمزة بن حمران عنه – عليه السَّلام – قال : عددت الأئمة بعد رسول الله – صَلَّى الله عليه وعلى آله – واحدًا واحدًا ، حتى بلغَت إليه – رضوان الله عليه –

---

[a] في الأصل : رضوان الله عنه وأرضاه .   [b] ساقطة من هـ .

وشهدت أن الله عَزَّ وجَلَّ قد فَرَضَ طاعتهم ، فلما سَمَّيْته أومأ بيده إليَّ أنِ اسكتْ ، فسكتُّ ، فقال : ما كانت الأئمة على حال مُذ قَبَضَ الله نَبِيَّه إلَّا ومَنْ سَمَّيته أولى الناس بالناس ، ثم قال : إني إذا حَدَّثتكم في رجل منَّا بشيء أنه يكون فيه فلم يكن ، فهو كائن في ولده من بعده . فهذا بيانُ ما ذكرته ومصداقه ، يؤيد ذلك ويشيده ويؤكده قول الله عَزَّ وجَلَّ في رسوله – صَلَّى الله عليه وعلى آله – : ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [الآية ٣٣ سورة التوبة] . وهذا وَعْدٌ من الله لرسوله – صَلَّى الله عليه وعلى آله – أنجز له بعضه في حياته بما أظهره عليه من الأديان ، وينجز باقيه على يدي الأئمة من ذريته – صلوات الله عليهم أجمعين .

ومن مثل ذلك ما رواه الحسن بن محبوب بإسناده ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد – صلوات الله عليه – أنه قال : « إذا قام القائمُ مِنَّا ، عرض الإيمان على كل ناصب ، فإن دَخَلَ فيه بحقيقة ، وإلَّا ضَرَبَ عُنُقَه ، أو يؤدي الجِزْيَة كما يؤديها أهل الذِّمَّة اليوم ، ويشد على وسطه الهِمْيان ويطردهم من الأمصار إلى السَّواد ، وهذا مما لم يكن بعد ممن مضى من الأئمة ، وهو كائن لمن قام منهم إذا دان له العالم وقوي أمره وكان الدين واحدًا كما وَعَدَ الله عَزَّ وجَلَّ ذكره . ومما رواه زادان ، عن سَلْمان الفارسي – رحمة الله عليه – وذلك مما أثَرَه عن رسول الله – صلَّى الله عليه وعلى آله – أنه قال : « لا يفتح بلنجر ولا جيل الدَّيلم[1] ولا القسطنطينية إلا رجلٌ من بني هاشم » . قال القاضي النُّعْمان – رحمه الله : يعني بإمامِ ذلك الزمان من ولد المَهْدي ولم يكن ولا يكون إمامٌ من بني هاشم إلا عليّ بن أبي طالب – صلوات الله عليه – والأئمة من نسله نسل رسول الله – صلَّى الله عليهما وآلهما وذريته من فاطمة الزَّهْراء ، سَيِّدَة نساء العالمين ، كما جاء في ذلك كما تقدم ذكره ،

[1] أي بلاد الجيل (جيلان) والدَّيْلَم جنوب بحر قزوين.

فلا يَفْتَح هذه المواضع إلّا هم – صلوات الله عليهم – ومن ذلك ما رواه الشَّعْبي قال : « أخبرني مالك بن صُحار الهَمْداني ، قال : غَزَوْنا بَلَنْجَر في خلافة عثمان فَنُكِبْنا وجُرِحَ أخي فحملته بين يدي جريحًا وقد انصرفنا وإني لأسير يومًا إذ أدركني رجلٌ من خلفي ، فضرب على ظهري بسَوْط في يده ، فالتفتُّ فإذا هو حُذَيْفَة بن اليَمان ، فسَلَّمت عليه ، فقال : من هذا بين يديك ؟ فقلت : أخي مجروحًا ، وقد رأيت ما لقينا في غزوتنا هذه ، ولكن نرجو أن نَفْتَحَها من قابل إن شاء الله . فقال حُذَيْفَة : الذي يفتح الدَّيْلَم وبَلَنْجَر والقُسْطنطينية رجلٌ من بني هاشم ، بهم فَتَحَ الله الأمر وبهم يَخْتِمه .

قال القاضي النُّعْمان بن محمد – رضي الله عنه – :

فما عسى أنه فَتَح ويفتح من هذه المواضع وغيرها ، فلابد أن يفتحه الفَتْح الكامل ، الذي لا يكون بعده دين غير دين الإسلام قائمُ ذلك الزمان من آل محمد – صلّى الله عليه وعلى آله – الذي يجمع الله عَزّ وجَلّ له أمر العباد ، ويُظْهِرُ دينه على الدين كله كما وَعَدَ الله سبحانه في الكتاب . ومن حديث وَكِيع بن الجرّاح يرفعه إلى النّبي – صلّى الله عليه وعلى آله – قال : « لتُفتحن القسطنطينية ، ولنِعْمَ الأمير أميرهم ، ولنِعْمَ الجيش ذلك الجيش » . قال القاضي النُّعْمان بن محمد – رضي الله عنه وأرضاه : والقسطنطينية بعد لم تُفْتَح ، والذي يفتحها كما جاء في الخبر قبل هذا : قائمُ الأئمة من آل محمد – صَلّى الله عليه وعلى آله – . وروي عن أبي صادق أنه سمع رجلًا يقول : فَتَحَ المُهَلّب طَبَرِسْتان . فقال أبو صادق وحكاه عن حُذَيْفَة ، فيما أَثَرَه عن رسول الله – صَلّى الله عليه وعلى آله – أنه « يفتح طَبَرِسْتان والدَّيْلَم ومدينة بَلَنْجر وقُسْطَنْطينية رجلٌ من بني هاشم في آخر الزمان » . قال القاضي النُّعْمان ابن محمد – رضي الله عنه –: فما فتحه المسلمون من هذه البلدان وغيرها وسلطان من كانت في يديه من المشركين وغيرهم قائم ، وأمرهم ثابتٌ

يحاربون من افتتحها ، ويغلب هؤلاء مَرّة وهؤلاء مَرَّة عليها ، ويَنالُ كل فريق منهم من الفريق الآخر ، فليس ذلك مما يعد فَتْحًا ، وإنما الفَتْح كان مع هلاك العدو والظهور عليه وحَسْم أثره وانقطاع مدته وخبره وزوال سلطانه ، وذلك مايكون على أيدي أولياء الله الذين وَعَدَهُم الله عَزَّ وجَلّ في كتابه أنهم يَرِثُون الأرض ، وأنه يُظْهر بهم دينه على الدين كله ، والله عَزَّ وجَلَّ هو ينجز وَعْدَه ولا يُخْلِف الميعاد ، فما جاء أنهم يفتحونه وقد فتحه غيرهم من قبل ظهور أمرهم وتمام وَعْد الله ، فليس ذلك الفَتْح مما يعد فَتْحًا ، حتى يكون لهم الفَتْح بهلاك أعداء الله أجمعين على أيديهم وإيراثهم جميع الأرض ، وظهور دين الله عَزّ وجَلّ علىالدين كله ، كما وَعَدَ في كتابه ، وإهلاك أعدائه وانقطاع أمرهم ، وانحسام ذكرهم وما كانوا به يدينون وما كانوا يعبدون ، وذلك هو الفَتْح المبين ، كما قال أصْدَق القائلين لنبيه محمد – صَلّى الله عليه وعلى آله –: ﴿إنّا فَتَحْنا لَكَ فتحًا مُبِينًا﴾ [الآية ١ سورة الفتح] ، وذلك فَتْحُ مكة عليه وظهوره على أهلها وانقطاع دينهم الذي كانوا به يدينون وعبادتهم وما كانوا يعبدون ، وكذلك وَعَدَ الله – عَزّ وجَلَّ – عباده الصالحين ، وهم أولياء الأئمة الطاهرين أن يُوَرِّثَهم الأرض ويُظْهِر دينه بهم ولو كره المشركون ، فهذا هو الفَتْحُ المبين ، والله – عَزّ وجَلَّ – ينجزه ولا يُخْلِف وَعْدَه .

ومما رواه غَيّاث بن إبراهيم ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد – صلوات الله عليهم – أنه قال : لو كان لي من الأمر شيء لهدمت كل بناء يحول بين الصَّفَا والمَرْوَة ولا يكون ذلك إلّا على يد رجل من بني هاشم . قال القاضي النُّعمان بن محمد – قَدَّس الله روحه –: فما بين الصَّفا والمَرْوَة مسعى الحجيج وأول من سعى فيه آدَم – عليه السَّلام – فلما صار ببطن الوادي تراءى له إبْليس اللَّعين ، الذي أخرجه من الجنة ، وقد انحدر من الصَّفَا يريد المَرْوَة ، فلما رآه سعى – صَلَّى الله عليه – فصار السَّعْي هناك سُنَّةً وأَحْدَثَ الناسُ بعد

رسول الله – صَلّى الله عليه وعلى آله – هناك أبنيةً بين الصَّفا والمَرْوَة ، فأخبر الصَّادق – عليه السَّلام – أن ذلك مما أحدثوه وابتدعوه ، وأن هدمه من الواجب ، وأخبر أن ذلك لا يكون إلّا على يدي رجل منهم ، فلم يكن ذلك إلى اليوم ، وسيكون وشيكًا لمن يُظْهِرَه الله من أئمة الحَقّ إن شاء الله .

وروى الشَّعْبي عن تميم الداري ، أنه قال : ما دخلتُ مدينة من مدائن الشام أحَبَّ إليّ من مدينة أنطاكية . قال ابن حَوْقَل البغدادي : أنطاكية مدينةٌ أنزه بلد بالشام بعد دمشق ، وعليها سورٌ من صخر يحيط بها وبجبلٍ مشرف عليها لهم فيه مزارع وأشجار ، يقال إن دَوْر السور يومٌ للراكب وتجري مياهم في أسواقهم ودورهم وخاناتهم[1]، قال رسولُ الله – صَلّى الله عليه وعلى آله : « بها كَسْر ألواح موسى ومائدة سليمان ومنبره ، وعصا[a] موسى في غار من غاراتها ، فما من غَمامَة شرقية ولا غربية ولا قِبْلية إلّا إذا جازت ذلك الغار أَرْخَت عليه من بركاتها ، أمّا أنه لا تذهب الأيام والليالي حتى ينزلها رجلٌ من ولدي ؛ من عِتْرتي يواطيء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي خَلْقًا وخُلُقًا .
وروى محمد بن سلّام بإسناده عن أبى جعفر محمد بن عليّ ، أنه قال : إذا قام القائم مِنّا نَزَلَ إلى أنطاكية فيستخرج منها التَّوْراة من غار هى فيه مع عصا[a] موسى والحجَر . قال القاضي النُّعْمان بن محمد – رضى الله عنه –: قوله : يواطيء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ، وكذلك جاء في غير موضع أن القائم بالإمامة من آل محمد من ولد المَهْدي – صلوات الله عليه – الذي يجمع الله عَزّ وجَلّ له الأمر ويكون له الدين واحدًا ، ويظهر الله – عَزّ وجَلّ – دينه على الدين كله ، وكذلك اسمه محمد بن عبد الله ، وهذا لا يكون كما ذكرنا دفعة واحدة ، بل يُعْلي الله عَزّ وجلّ بالأمة من ولد المَهْدي – صلوات

---

[a] في النسختين : عصى .

---

[1] ابن حوقل : صورة الأرض ١٧٩–١٨٠ .

الله عليه – أمره ودينه والإيمان والمؤمنين شيئًا شيئًا ، ويفتح على يدي كل واحدٍ منهم ما يفتحه ، حتى يكون الذي يدين له جميع أهل الأرض ، يَفْتَح ما بقي منها ، ويَقْتُل باقي من فيها من أعداء الله ، ويكون الدين كله لله ، كما أخبر – عَزَّ وجَلّ – بذلك في كتابه ، وَوَعَد عبادَه الصالحين أئمة دينه يوم تقوم القيامة وتكون النقلة من الدنيا إلى الآخرة .

ومن رواية ابن سَلّام بإسناده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – صلوات الله عليه – أنه قال : الفِتَنُ ثلاث : فِتْنَةُ السَّرّاء ، وفِتْنَةُ الضَّرّاء ، وفِتْنَة يُمَحَّص الناس فيها تمحيص ذَهَب المعدن ، ولايزالون كذلك حتى يخرج رجلٌ منّا عِتْرة النَّبِيّ ، فيُصْلح الله – عَزَّ وجَلَّ – به أمرهم . ففتنة السَّرّاء ما افتتن الناس به بعد غَيْبَة نبيه وأسرُّوه من عداوة أهل بيته ، واستيلائهم على كرسي الخلافة وفِتْنَة الأمة حتى انتهى ذلك إلى سَمّ الحسن وقَتْل الحسين فاستتر فَضْلُ الأئمة ، وتغلَّبت الفراعنة من بني أُمَيَّة . ووقعت فتنةُ الضَّرّاء بتغلُّب جبابرة بني العبّاس واستيلائهم على الناس وقتلهم لذرية الرسول ونَسْل فاطمة الزَّهْراء البتول ، وتتبعهم بالجَوْر والعدوان ونفيهم عن القرار والأوطان ، فاستتر سابع الأئمة محمد بن إسماعيل والأئمة من ولده حتى طَلَعَت شمسُ الحَقّ من غربها بعد الغُروب وزال ما اعترى أولياءَ الله من ضُرٍّ كضُرِّ أيُّوب ، وقام المَهْدي بالله – عليه السَّلام – والأئمة من آله ، فأظهر الله بهم الحَقَّ منشورة أعلامه بمَنّ الله وإفضاله . ثم كانت فِتْنَةُ التمحيص باستتار الإمام الطَّيِّب أبي القاسم أمير المؤمنين والأئمة من ذريته الطاهرين ﴿ لِيُمَحِّصَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ ﴾ [الآية ١٤١ سورة آل عمران] . والمحص في لغة العرب : إخلاصُ الشيء ، يقول : مَحَصته مَحْصًا ، أي أخلصته من كل عيب .

وسوف يصِحُّ وَعْد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب – صلوات الله عليه – ويخرج من عِتْرَة الرسول من يُجْلي أنواره دياجير هذا الظلام ،

ويَنْشُر الحَقّ ظاهر الأعلام ويقام بمعالم الإيمان والإسلام.

وروى شُرَيْك بن عبد الله عن جابر الجَعْفي عن أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين – عليه السّلام – أنه قال: «إذا قام قائمُنا أهلَ البيت قَسَّم بالسَّوية وَعَدَلَ في خلق الرحمٰن؛ البَرّ منهم والفاجِر مَنْ أطاعه منهم أطاع الله، ومَنْ عصاه منهم عَصَى الله، يستخرج التوراة والإنجيل وسائر كتب الله من غار بأنطاكية فيحكم بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفُرْقان بفُرْقانهم، وتُخْرِج له الأرض كنوزَها من الذهب والفضة، فيقول: ياأيُّها الناس هَلُموا فخذوا ماسفكتم فيه الدماء وقَطَعْتم فيه الأرحام ويُعْطِي مالم يعطه أحدٌ قبله، ولا يُعْطاه أحدٌ بعده، اسمه اسم نَبِيّ يملأُ الأرض عَدْلًا كما ملئت جَوْرًا وظُلْمًا.

قال القاضي النُّعْمان بن محمد – رضى الله عنه –: فهذا مما ذكرناه أنه يكون لبعض الأئمة من آل محمد – عليه وعليهم السّلام – من وَلَد المَهْدي – صلوات الله عليه – ويُنْسَب ذلك إليه؛ لأنه أوّلُ قائم منهم ومفتاح أمرهم. وروى صَفْوان قال: قال ثابت يومًا لأبي عبد الله جَعْفَر بن محمد – صلوات الله عليه –، وأنا عنده: يا ابن رسول الله، أمِنْكم السَّفَّاح؟ فأطرق إلى الأرض مَلِيًا، ثم قال: مِنّا السَّفَّاح، ومِنّا النَّفّاح، ومنّا الصِّدِّيق، ومِنّا الفاروق، ومِنّا الهادي، ومنا المَهْدي، ومنا المهتدي، ومنّا من يُهْتَدى به، ومِنّا من تغرب الشمس على رأسه وتَطْلُع من مغربها، ونحن ثُلَّة الله، ومِنّا أَسَدُ الله، ونحن خُزّان الله ياثابت، ما نحن خُزّانه على ذهب ولا فِضّة، ولكن على العِلْم المكنون، نحن دعائم الله، نحن خيرة الله ورسوله أبونا الأكبر، وعليٌّ أبونا الأصغر، وفاطمة أُمُّنا، وخديجة بنت خُوَيْلِد والدتنا، وجعفر الطَّيَّار في الجنة عَمُّنا، وحمزة سَيِّد الشُّهَداء عم أبينا، فمن ذا له حَسَبٌ كحَسَبِنا ونَسَبٌ كَنَسبنا، استودعنا

الله سِرَّه ، وائتمننا على وَحْيه ، وعَلَّمَنا كتابه ، وأَنْطَقَنا بحكمته ، فهذه حالُنا عنده .

قال القاضي النُّعمان بن محمد – رضوان الله عليه – فالذين سَمَّاهم هم أئمة منهم من قَضى ، ومنهم من يأتي كَنَّى عنهم بصفاتهم وأفْعالهم . وقوله نحن ثُلَّة الله . الثُّلّة في لغة العرب الجماعة ، ويقال لخاصة الرجل : جماعته[a]، يعني أنهم أهل الخاصة عند الله عَزَّ وجَلَّ، الذين اختصهم بفضله .

وعن أبي جعفر محمد بن عليّ – صلوات الله عليه – إذا قام آل محمد ، أُوتي عصًا موسى ، وأخرج التَّوْراة من أنطاكية ، ونَزَعَ الله الرُّعْبَ من قلوب شيعته وألقاه في قلوب عَدُوّهم ، حتى تكون قلوبُهم كزُبَر الحديد وحتى تدعو بالرجل فيضرب عنقه ، فيقال : فيم قتلته ؟ فلا يكون قتله إلّا بعلمه . ومن ذلك ما وَرَدَ في كتاب « الفَتَرات والقِرانات »[1]– وقد ذكر الأئمة عليهم السّلام – حتى قال : ثم يَظْهَر من وَلَدِ المَنْصور فينشر العَدْل في الآفاق ، فوَيْلٌ لأهل مصر ووَيْلٌ لأهل الشام ، في كلام طويل ، ثم قال : ويسير إلى مكة ويقف بين الرُّكْن والمقام ويُبايع الناس على إظهار دين الله وإقامة شريعة جَدِّه محمد رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – ولا يَدَع من يُغَيِّر دين الإسلام ، وليصعدن مِنبَر جده ولينصبنَّ الشَّمْسَة بيده ، ويخرج منه نورُ عليّ بين الخافقَيْن وهو يومئذ لتسع وثلاثين من عمره[b]، فهذه الدلائل والشواهد من سَيِّد النَّبِيِّين ووصيّه الأمين والأئمة من ذريتهما الطاهرين – واضحة أعلامها ،

---

[a] في الأصل : الجماعة. [b] في هـ : وهو يومئذ تسع وثلاثين سنة من عمره.

---

[1] انظر فيما سبق صفحة ٣٢٧ .

بيّنة أحكامها ، وكثير مما أورده في ملاحمهم وأورده في كتبهم مالو استقصيناه لطال الشرح ، وفيما أوردناه منه أوْضَح الدلائل وأَبْيَن الشَّواهِد في البشارة بظهور الأئمة – عليهم السَّلام – بعد استتارهم وتجلّيهم وتبلّج أنوارهم وإزالة الظُّلْمَة باستيلائهم على أهل الجَوْر الظَّلَمة ، وكشف ما عَرَى الأمَّة .

فمن ذلك ما يكون لمن يُقَرِّب الله ظهوره ويُجَلي لأوليائه نوره ، ومن ذلك ما يكون لصاحب القَيِّمَة ، الذي يُظْهِر الله به دين محمد على الأديان ويجتثّ به عن جريد الأرض شجرات أهل الجَوْر والعدوان ، ولا يبقي على الأرض إلّا أهل الولاية والإيمان ، وقد قال بعض الأئمة – عليهم السَّلام –: كُلُّنا قائمٌ ، وكُلُّنا مَهْديٌّ ، وإنها قد سدلت الظُّلْمَة وعَمَّ جَوْر أولي الطُّغْيان في الأمَّة ، وقَلَّ اتِّباع الأئمة ، فما أَقَلَّ الرجال الذين هم بالحقيقة رجال ، وأكثر من هو أشبه بالنساء في النقصان عن ذوي الكمال ، وقد قال النَّبِيّ – صَلَّى الله عليه وعلى آله – سيد أصحاب الكساء : « لا تقومُ السَّاعَة حتى يَقِلّ الرجال وتَكْثُر النِّساء » ، فقد قامت الشَّواهِدُ بدُنُوّ قيام الحَقّ وإشهاره ، وعُلُوّ أوليائه وأنصاره ، ووافق القران وقَرُب الزمان ودنا الأوان واستبشروا أيُّها الإخوان ، وأبشروا يا ذوي الإيمان ولا تَقْنَطوا عن نُزُول الرَّحْمَة ويَنْبُوع النِّعْمَة لطول انتظارها وامتداد أَمَد اختفاء أولياء الله واستتارها واعتبروا بما كان من الفَتَرات في سالف الأعصار ، وما كان بعدها من ظهور أنبياء الله وأوليائه صَفْوة الله العزيز الغَفّار .

وانظروا إلى ما كان بعد خاتم النبيين من تَغَلُّب أهْل الظُّلْم والطُّغْيان وما ناله معاوية بن أبي سُفْيان وابنه واللُّعَناء من آل مَرْوان ، وما نال الحسن والحسين وآلهما في تلك الزمان وما عَمَّ أولياءهم من الامتحان حتى قام بنو العَبّاس ، فكانوا أَعْظَم عُتُوًّا وعِنادًا وأكثر في الأرض فسادًا وأَظْلَم ظُلْمًا وأشد إثْما ، فاستتر أولياءُ الله وشيعتهم الأخيار ، وتُتُبِّعَ من

بقي منهم بالقَتْل والأَسْر والنَّفْي إلى أقاصي الأقطار.

ثم جَلَّا [a] الله تلك الظُّلْمَة بطُلُوع شمس الغرب مهدِيّ الأُمَّة[1] وكاشف الغُمَّة، فاستولى على الغرب وظهرت دعوته في البُعْد والقُرْب، ونال الأولياءُ به ما أملوه من نعمة الرَّبّ، ثم كان في وقت أولياء الله من أبنائه الظهور والضِّياء، فأنارت بهم آفاقُ الدين وتجلّت الظَّلْماء، واستولى المنصور بالله على الدَّجّال وقَتَل أتباعه من الخَوارج المارقين في الوَهْد والتلال[2]، وما كان في وقت الإمام المُعِز من الظهور والقوة والاستيلاء على مصر والشام، وكيف أعَزّ الله وَلِيّه وأذَلّ عَدُوّه، ثم ما كان في أوان العَزيز بالله والحاكم بأمر الله من قرار مُلْكٍ ثابت الأركان، وركب الحاكم - عليه السَّلام - في ألف ألف عنان، وحاز المُسْتَنْصر بالله - عليه السَّلام - مُلْك العرب ومصر والشام واليمن، وخُطِب له في الكُوفَة وبَغْداد مُدَّة من الزمان، ثم عرى السِّتر بعد الظهور، وكذلك دوائر الدَّهْر تدور، والدنيا دُوَل والأمر بيد الله - عَزّ وجَلّ - يؤتي المُلْك من يشاء ويُعِزّ من يشاء ويُذِلّ من يشاء ويَنْزع المُلْك ممن يشاء وبيده تعالى الإبلاء والإنشاء ولله عاقبة الأمور، الذي بيده المُلْك وهو على كل شيء قدير، ﴿ الَّذى خَلَقَ المَوتَ والحَيَوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ ﴾ [الآية ٢ سورة الملك]. وكذلك يكون الفَرَج عقيب الشِّدَّة، والنور بعد الظُّلْمَة؛ فمن أدرك مِنّا الفَرَج فقد نال الأمنية وأدرك المعيشة الرضيّة، ومن وافاه قَبْل ذلك حِمامُه وانقطعت عن الدنيا أيامُه، وهو على صِحَّة العقيدة وخلوص النيَّة، متولّيًا [b] لأولياء الله خيرالبرية، قائمًا بأعمالهم

[a] في هـ: تجلّى. [b] في الأصل: متواليا.

[1] فقدت الورقتين الأخيرتين من مصورة نسخة الهمداني واعتمدت عوضًا عنهما نسخة الأصل فقط، فإلى هنا آخر الموجود معي من نسخة الهمداني.

[2] يقصد حركة أبي يزيد مَخْلَد بن كَيْداد المعروف بصاحب الحمار.

الصالحة وسِيَرهم المرضية ، صابرًا على ما أصابه من الامتحان في الدنيا الدنيّة ، فيافوزه فيما يقدم في الأخرى ، ويابُشْراه بما يصير إليه من النعيم الأبدي ، الذي تترى ، كما قال الصَّادِقُ جعفر بن محمد – صلوات الله عليه – لبعض شيعته يوصيهم ويبشرهم وبما يفوزون به وينجيهم يأمرهم ، فقال لهم : «عليكم بالوَرَع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة ، والتمَسُّك بما أنتم عليه ، فإنما يغتبط أحدُكم إذا انتهت نفسه إلى هاهنا ، وأومأ بيده إلى حَلْقِه ، ثم قال لهم : إن تعيشوا تَرَوا ما تَقَرُّ به أعينكم ، وإن مِتُّم تُقَدَّمُوا على نِعَم السَّلَف لكم ، أما والله إنكم لعلى دين الله ودين آبائي ، أما والله ما أعني محمد بن علّي ولا عليّ بن الحسين وحدهما ، ولكني أعنيهما وأعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، وإنه لدين واحد ، فاتَّقوا الله وأعينونا بالوَرَع ، فوالله ما يَقْبَل الصلاة ولا الزكاة ولا الحَجّ إلَّا منكم ، ولا يَغْفِر إلَّا لكم ، وإنما شيعتُنا من اتَّبَعَنا ولم يخالفنا ، إذا خِفْنا خاف ، وإذا أمِنا أمِنَ ، أولئك شيعتُنا ، فعصوه فأغرى الناس بهم ، فلذلك ما يلقون منهم ، فاتَّعِظوا أيها الإخوان بمواعظ أولياء الله ، والزموا سِيَرَهُم ، وقوموا بما افترض الله عليكم ؛ اقتداءً بهم واهتداءً بهَدْيهم ، واتِّباعًا لسُنَّتهم ، وامتثالًا لأمرهم ، في ذلك الفَوْزُ في المعاد والنجاة من عَذاب الله الذي هو للظالمين بالمِرْصاد ، فمن فاته في الدُّنْيا ما يروم وهو على الالتزام بهم والولاية لهم يقعد ويقوم ، فلا يفوته في الآخرة النعيم والخير الدائم المقيم ، وعلى قَدْر محبته وإحسانه يكون ما يرجوه من جليل نِعَم الله وجزيل ثَوابه ، ومن امْتُحِنَ في الدُّنْيَا بمِحَنِها وأصيب ببلائها وفِتَنِها ، وأبلى بالجَوْر فيها من الجبابرة ، وحَلَّت به من قِبلهم معضلة أو فاقرة ، فليذكر ما يحظى به إن صَبَر على ذلك في الآخرة ، وليقرأ قول الله تعالى في الكتاب ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الآية ١٠ سورة الزمر] ، وليعتبر بأولياء الله وما نالهم من المِحَن ومَسَّهم من أعداء الله ، ومن بهم افتتن ، وليعلم

أن قدره حقير في قدرهم ، وليصبر على مامَسَّه من البَلْوَى كصبرهم ، ويعلم أن الدنيا دار البَلاء والابْتِلاء ومحل البأساء لأولياء الله وأتباعهم الفُضَلاء .

وقد وردت عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصَّادِق – صلَّى الله عليه – أن رجلًا من أصحابه شكا ما يلقون من الناس إليه ، فقال : يا ابن رسول الله : ماذا نحن فيه من أَذَى الناس ومطالبتهم لنا وبُغْضهم إيّانا وطَعْنهم علينا ، حتى كأنَّا عندهم لَسْنا من المسلمين ؟ فقال له أبو عبد الله – عليه السَّلام –: « أو ما تَحْمَدون الله على ذلك وتشكرونه ، إن الشيطان لما ييئس منكم أن تطيعوه في خَلْعِ ولايتنا التي يعلم أن الله – عَزّ وجَلّ – لا يقبل عملًا من عامل خلعها ، أغرى الناس بكم حَسَدًا لكم عليها فاحمدوا الله على ما وهب لكم من العِصَمة ، وإذا تعاظمكم ما تلقون من الناس ، ففكِّروا في هذا وانظروا إلى مالقينا نحن منهم ، ونلقى ما لقى أنبياء الله ورُسُله من قَبْلِنا ، فقد سُئل رسول الله – صَلَّى الله عليه وعلى آله : من أعظم الناس امتحانًا وبلاءً في الدنيا ؟ فقال : « الأنبياء ، ثم الأئمة ، ثم المؤمنين الأَوّل فالأَوّل ، والأَفْضَل فالأَفْضل » . وإنما أعطانا الله وإياكم ورضى لنا ولكم صَفْو عيش الآخرة ، ثم قال : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » وما أعطى الله عبدًا مؤمنًا حظًّا من الدنيا إلا مشوبًا بتكدير لئلّا يكون ذلك حَظُّه من ثواب الله وليكمل له صَفْوَ عيش الآخرة » .

والآن نختم كتابنا بما به كان فيه الابتداء ، فنقول : الحمد لله على ما أنعم وأسدى ، وأعاد وأبدى ، وأَخفَى وأَبْدَا ، حَمْدًا يدوم دائمًا أبدا ، ويتصل اتصالًا سَرْمدًا ولا ينقطع على المدى ، وأشهد أن لا إله إلّا الله إلهًا واحدًا صَمَدًا ، لم يتخذ صاحبةً ولا وَلَدًا ، ولم يجعل له مما أبدع وخلق كُفْوًا أحدًا ، ولا مُلْكًا روحانيًا مجردًا ، وأشهد أن خَيْر أنبيائه الذين بهم أَرْشَد وهدى رسوله الذي أرسله إلى جميع البرية بالهُدَى ، وسمَّاه أحمد أو محمدًا ، وأنقذ

باتباعه من الهلاك والردى ، وجعل بحرعلمه لأنبيائه وأوليائه موردًا ، وكان له بجنود سمائه من ملائكته مؤيَّدًا ، وصبره في إقامة دينه قويًّا أبدًا ، صَلَّى الله عليه صلاةً لا تُحْصى عددًا ، يبقى له فضلها وشرفها ، مُخَلَّدًا وعلى وصيه خير من تَعَمَّم بعده ، وارتدى وارتقى في الفضائل والمفاخر ، صُعُدًا وَجدل من بارزه من العِدا[a] ، وجادل عن الدين من أَلْحَدَ واعتدى ، عليّ بن أبي طالب العالي قدرًا وفضلًا ومحتِدًا ، الذي أقامه الله من رسوله مقام هارون من موسى أخًا ووَصيًّا وخليفةً وسَيِّدًا وعَضُدًا ، أشجع من امتطى طرفًا ، وانتضى مُهَنَّدًا ، وطعن وضرب في حَوْمَة الوَغَى موردًا من كافحه موارد الردى ، وعلى الأئمة من ذريتهما اللاجئين لأتباعهم سبيلًا إلى الهُدَى ، جددا الذي لم يزل شَرْعُ جدهم بهم مُجَدَّدًا كلمات الله التي لا ينفد فضلها وإن كان البحر لها مددًا ، وآياته البَيِّنات لمن آمن واهتدى ، وحُجَجَهُ القاطعات لمن أَلْحَدَ واعتدى ، الذين لا يخلو الأرض من قائم لله بُحجَّة منهم ، هاديًا مرشدًا ، وعلى خَلَفهم الطَّيِّب أصلًا وفرعًا ومولدًا المتلفح بُحجب الاستتار ، وآله الطاهرين إلى أن يبلغ وقت ذلك أَمَدًا تمحيصًا للعباد المخلصين ، وإملاءً لمن طغى متمردًا ، سُنَّة الله التي خَلَت في عباده ، ولن يجعل سبحانه الليل سَرْمَدا ، صلوات الله وبركاته وسلامه عليهم ما راح رائحٌ واغتدى ، وحَسْبُنا الله ونِعْم الوكيل ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله العَلي العظيم .

تَمَّ السُّبْع السابع من كتاب « عُيُون الأخْبار » بخط العبد الفقير المعترف بالعَجْز والنَّقْص حَسَن بن عبد الله بن عبد الله بن حمزة بن أحمد بن عبد الله بن النعمان ، رَزَقه الله رضا مواليه ، وغَفَرَ له ولوالديه ، إنه هو الغفور الرحيم .

---

[a] الأصل : من تعدى .

وكان الفراغُ من نساخة هذا الكتاب المبارك يوم الخميس نصف النهار ثاني شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، نُسِخ هذا الكتاب من الكتاب الذي بخط المؤلّف رَزَقَنا الله شفاعته وحَشَرَنا في زُمْرَته ، بحق محمد وآله بحصن القلعة المحروس حرسها الله ببقاء صاحبها بحق محمد وآله الميامين[١] .

[١] هذا نَصّ حَرْد المتْن الـ Colophon لنسخة الأصل .

ثبت المصادر والمراجع والإحالات وبيان طبعاتها

المصادر العربية

ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد) المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م.

«التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية»، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة ١٩٦٣.

«الكامل في التاريخ»، ١-١٣، بيروت - دار صادر ١٩٦٥-١٩٦٧.

«اللُّباب في تهذيب الأنساب»، ١-٣، تصحيح حسام الدين القدسي، القاهرة - مكتبة القدسي ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

الأَشْرَف الرَّسولي (الملك أبو العبّاس إسماعيل بن الأَفْضَل عبّاس) المتوفى سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م.

«فاكهة الزَّمَن ومُفاكَهَة ذَوي الآداب والفِطَن في أخبار من ملك اليمن»، مخطوط بالمكتبة التيمورية - دار الكتب المصرية برقم ١٤٠٩ تاريخ.

ابن أيبك الدَّواداري (أبو بكر عبد الله بن أيبك) المتوفى بعد سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م.

«كنز الدُّرر وجامع الغُرر» - الجزء السادس المسمى «الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية»، تحقيق صلاح الدين المنجد، الجزء السابع المسمى «الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب»، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة - المعهد الألماني للآثار ١٩٦١، ١٩٧٢.

بامَخْرَمَة (أبو محمد عبد الله الطَّيِّب بن عبد الله) المتوفى سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م.

«تاريخ ثَغْر عَدَن»، ١-٣، حققه أوسكر لوفجرين، ليدن - بريل ١٩٣٦.

«قِلادَةَ النَّحْر في وَفيات أَعْيان الدَّهْر»، مخطوطة مكتبة ينّي جامع في استانبول رقم ٨٨٣ (مصورة في دار الكتب المصرية برقم ١٦٧ تاريخ).

بُرْهانْبوري (قُطْب الدين سليمان جي بُرْهانْبوري) المتوفى سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م.

« مُنْتَزَع الأخبار في أخبار الدُّعاة الأخيار من الداعي الذُّؤَيْب بن موسى الوادعي إلى الداعي داود جي بن قُطْب شاه » ، تحقيق سامر فاروق طرابسي ، بيروت - دار الغرب الإسلامي ١٩٩٩.

ابن جُبَيْر (أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني) المتوفى سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م .

« الرِّحلة » ، بيروت - دار صادر ١٩٦٧.

الجَنَدي (بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف) المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م.

« السُّلوك في طبقات العلماء والملوك » ، تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي ، صنعاء - مكتبة الإرشاد ١٩٩٣.

الجَوْهَري (أبو نصر إسماعيل بن حَمّاد) المتوفى سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م .

« الصِّحاح - تاج اللُّغَة وصِحاح العربية » ، ١ - ٦، تصحيح أحمد عبد الغفور العَطّار ، القاهرة - مطابع دار الكتاب العربي ١٩٥٧.

ابن حاتم اليامي (بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران) المتوفى بعد سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م .

« كتاب السِّمْط الغالي الثَّمَن في أخبار الملوك من الغُزّ باليمن » ، تحقيق ركس سمث G. Rex Smith، لندن - مجموعة جب التذكارية *GMS* ١٩٧٤.

الحامِدي (إبراهيم بن الحسين) المتوفى سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م .

« كَنْز الوَلَد » ، تحقيق مصطفى غالب ، بيروت - النشريات الإسلامية ٢٤، ١٩٧١.

الحامِدي (حاتم بن إبراهيم بن الحسين) المتوفى سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م .

« تُحْفَة القُلوب وترتيب الهُداة والدُّعاة في الجزيرة اليمنية » ، مخطوطة عبّاس همداني ، وقسم متضمن في كتاب «الأزهار» للحسن بن نوح نشره صمويل شتيرن في مجلة أوريانس S.M. Stern, *Oriens* IV (1951), p. 233-34 .

ابن حَجَر العَسْقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي) المتوفى سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م .

« ذيل الدرر الكامنة » ، تحقيق عدنان درويش ، القاهرة – معهد المخطوطات العربية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

« رَفْع الإصر عن قضاة مصر » الجزء الأول في قسمين تحقيق حامد عبد المجيد وآخرين ، القاهرة – الإدارة العامة للثقافة ، وزارة التربية والتعليم ١٩٥٧– ١٩٦١.

« لِسان الميزان » ، ١– ٦، حيدرآباد الدكن ١٣٢٩هـ/١٩١١م–١٣٣١هـ/١٩١٣م.

ابن حَوْقَل (أبو القاسم محمد بن على) المتوفى بعد سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م.

« صورة الأرض » ، نشرة كريمرز ، ليدن ١٩٣٨.

الخَزْرَجي (موفَّق الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر) المتوفى سنة ٨١٢هـ/١٤١٠م.

« الكفاية والإعلام فيمن وَلِيَ اليمن وسكنها من ملوك الإسلام » ، مخطوط مكتبة خُدابَخْش بتنة بالهند برقم ٢٨٨٣ تاريخ (مصور بمعهد المخطوطات العربية برقم ١١٨٢ تاريخ).

ابن خَلِّكان (شمس الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد) المتوفى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م.

« وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » ، ١– ٨، تحقيق إحسان عبّاس ، بيروت – دار الثقافة ١٩٦٩– ١٩٧٢.

ابن الدَّيْبَع (وجيه الدين عبد الرحمن بن علي الشَّيْباني) المتوفى سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٣م.

« قُرَّةُ العُيون في أخبار اليمن الميمون » ، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٢٤ تاريخ؛ ونشره محمد بن علي الأكوع ، ١– ٢، القاهرة – مطبعة السعادة ١٩٧٧.

الرَّشيد بن الزُّبير (رشيد الدين أبو الحسين أحمد بن علي بن إبراهيم الأسواني) المتوفى سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م.

« الذَّخائر والتحف » ، تحقيق محمد حميد الله ، الكويت – سلسلة التراث العربي ١٩٥٩.

ساويرس بن المُقَفَّع ، أسقف الأشمونين.

« تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية » المعروف بـ« سِيَر البِيْعَة المقدّسة » (المنسوب إلي) ، ٢– ٤، نشره : يَسّى عبد المسيح وعزيز سوريال عطية وأزولد بورمستر وأنطوان خاطر ، القاهرة – جمعية الآثار القبطية ١٩٥٩– ١٩٧٤.

سِبْط ابن الجَوْزي (شمس الدين أبو المُظَفَّر يوسف بن قِزْأوغلي) المتوفى سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م.

« مِرْآة الزمان في تاريخ الأعيان » ، المجلد الثامن ، حيدرآباد الدكن – الهند ١٣٣٧-١٣٣٩هـ.

القسم الخاص بالسّلاجِقَة ، تحقيق علي سويم في مجلة *BELGELER - Turk Tarih Belgeleri Dergise* XIV (1989-92), p. 1-260 .

السُّبْكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي) المتوفى سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م.

« طبقات الشافعية الكبرى » ، ١-١٠ ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ، القاهرة – دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٣- ١٩٧٦.

السِّجِلّات المستنصرية.

« سِجِلّات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، إلى دعاة اليمن وغيرهم قَدَّس الله أرواح جميع المؤمنين » ، تحقيق عبد المنعم ماجد ، القاهرة – دار الفكر العربي ١٩٥٤.

ابن سعيد (عليّ بن سعيد المغربي) المتوفى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م.

« النجوم الزاهرة في حُلَىٰ حضرة القاهرة » ، تحقيق حسين نَصّار ، القاهرة – مركز تحقيق التراث ١٩٧٢.

ابن سَمُرَة (عمر بن علي بن سَمُرَة الجَعْدي) المتوفى بعد سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م.

« طبقات فُقَهاء اليمن » ، تحقيق فؤاد سَيِّد ، القاهرة – مطبعة السُّنّة المحمدية ١٩٥٧.

الصَّفَدي (صلاح الدين خليل بن أَيْبَك) المتوفى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م.

« الوافي بالوفيات » ، ١-١٩ و٢١- ٢٢ ، ٢٤- ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ ، تحقيق مجموعة من العلماء (النشرات الإسلامية- ٦) ، استامبول-بيروت ١٩٤٩- ١٩٨٨.

ابن الصَّيْرَفي (تاج الرِّئاسة أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان) المتوفى سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٨م.

« القانون في ديوان الرّسائل والإشارة إلى مَنْ نال الوزارة » ، حققهما وكتب مقدمتهما وحواشيهما ووَضعَ فهارسهما أيمن فؤاد سَيِّد ، القاهرة - الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠.

ابن طَباطَبا (محمد بن علي بن الطِّقْطَقي العلوي) المتوفى سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م.

« الفَخْري في الآدابِ السلطانية والدول الإسلامية » ، بيروت - دار صادر د.ت .

ابن الطُّوَيْر (أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن الفِهْري القيسراني) المتوفى سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م.

« نُزْهَة المقلتين في أخبار الدولتين » ، أعاد بناءه وحققه وقدّم له أيمن فؤاد سيد ، النشرات الإسلامية - ٣٩، شتوتجارت ١٩٩٢.

ابن ظَافِر (جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي منصور ظافر الأَزْدي) المتوفى سنة ٦١٢هـ/ ١٢١٥م.

« أخبار الدُّوَل المنقطعة » ، دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع مقدّمة وتعقيب أندريه فريه ، القاهرة - المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٧٢.

ابن عبد الظّاهِر (محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري) المتوفى سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م.

« الرَّوْضَة البَهِيّة الزّاهِرَة في خطط المعزية القاهرة » ، حققه وقدّم له وعلّق عليه أيمن فؤاد سيد ، بيروت - أوراق شرقية ١٩٩٦.

عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبد الله الأنف المتوفى سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م .

« تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب » ، تحقيق محمد اليعلاوي ، بيروت - دار الغرب الإسلامي ١٩٨٥.

« عيون الأخبار وفنون الآثار » ، ٤-٦، تحقيق مصطفى غالب ، بيروت - دار الأندلس ١٩٨٤.

الجزء السابع ، مخطوطة المكتبة الهمدانية .

« نزهة الأفكـار وروضة الأخبار في ذكر من قام باليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار »، مخطوطة عباس همداني.

العماد الكاتب الأصفهاني (أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبو الفرج) المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م.

« خريدة القصر وجريدة العصر »، قسم شعراء الشام، ١ - ٣، تحقيق شكري فيصل، دمشق - المجمع العلمي العربي ١٩٥٥ - ١٩٦٤.

عماد الدين الأصفهاني من علماء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

« البُسْتَان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان »، حققه كلود كاهن Cl. Cahen, « Une chronique syrienne du VI°-XII° siècle», *BEO* VII-VIII (1937-38), pp. 113-158.

عُمارة اليمني (نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي) المتوفى سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م.

« تاريخ اليمن »، نشره حسن سليمان محمود، القاهرة - مكتبة مصر ١٩٥٧.

« تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها »، حققه وعلّق عليه محمد بن علي الأكْوَع الحوالي، صنعاء - المكتبة اليمنية للنشر والتّوزيع ١٩٨٥. وانظر Kay, H.C.

« النُّكَت العصرية في أخبار الوزارة المصرية »، تحقيق هرتويج درنبرغ، شالون ١٨٩٧.

الفاسِي (تقي الدين محمد بن أحمد المكي) المتوفى سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٩م.

« العِقْد الثمين في تاريخ البلد الأمين »، ١ - ٨، تحقيق فؤاد سيّد، القاهرة ١٩٥٩ - ١٩٦٨.

القاضي النُّعْمان بن محمد بن حَيّون المتوفى سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م.

« دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام »، ١ - ٢، تحقيق آصف بن علي بن أصغر فيضي، القاهرة - دار المعارف ١٩٦٥.

« رسالة افتتاح الدَّعْوَة » تحقيق وداد القاضي، بيروت - دار الثقافة ١٩٧٠.

« المجالس والمسايرات »، تحقيق الحبيب الفقي، إبراهيم شبّوح، محمد اليعلاوي، تونس - الجامعة التونسية ١٩٧٨.

ابن أبي القبائل (محمد بن مالك الحَمّادي) المتوفى نحو سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م.

« كَشْف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة »، نشره عزت العَطّار الحسيني مع مقدمة للشيخ محمد زاهد الكوثري في مجلد واحد مع كتاب «التبصير في الدين» للإسفراييني، القاهرة - مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ١٩٥٩.

ابن القَطّان (أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكُتامي) منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

« نَظْم الجُمان لترتيب ما سَلَف من أخبار الزمان »، درسه وقدّم له وحققه محمود علي مكي، بيروت - دار الغرب الإسلامي ١٩٩٠.

ابن القَلانِسي (أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي) المتوفى سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م.

« ذيل تاريخ دمشق »، تحقيق آمدروز، بيروت ١٩٠٨.

القَلْقَشَنْدي (شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن علي) المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م.

« صُبْح الأعشى في صناعة الإنشا »، ١-١٤، طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩١٢-١٩٣٨.

ابن القُمّ (أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد) المتوفى سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م.

« مجموعة رسائل كتبها بلسان الصُلَيْحيين إلى الفاطميين في مصر وغيرهم »، مخطوطة عباس همداني.

ابن المأمون (الأمير جمال الدين أبو علي موسى) المتوفى سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م.

« أخبار مصر - نصوص من »، حقّقَها وكتب مقدمتها أيمن فؤاد سيّد، القاهرة - المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٨٣.

ابن المجُاوِر (..... بن محمد بن مسعود بن علي النَّيْسابُوري) كان حيًّا سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م.

«صِفَة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز» المعروف بـ «تاريخ المُسْتَبْصِر»، حققه أوسكر لوفجرين، ليدن - بريل ١٩٥١.

المجّدوع (إسماعيل بن عبد الرسول الآجيني) من علماء الإسماعيلية في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

«فهرسة الكتب والرسائل ولمن هي من العلماء والأئمة والحدود والأفاضل»، حققه علينقي منزوي، طهران ١٩٦٦.

أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغري بردي) المتوفى سنة ٨٧٤هـ/١٤٧٠م.

«النجـوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، ١-١٦، نشرة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٢٩- ١٩٧٢.

المَقْريزي (تقي الدين أحمد بن علي) المتوفى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م.

«اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا»، ١-٣، الأول تحقيق جمال الدين الشّيال، الثاني والثالث تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٧- ١٩٧٣.

«إغاثة الأمة بكَشْف الغُمَّة»، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيّال، القاهرة ١٩٥٧.

«الخِطَط» = «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، ١- ٢، بولاق ١٢٧٠هـ.

«مُسَوَّدة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار»، حققها وكتب مقدمتها ووضع فهارسها أيمن فؤاد سيد، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٥.

«المُقَفَّى الكبير»، ١-٨، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت - دار الغرب الإسلامي ١٩٩١.

المُؤَيّد في الدين هبة الله بن موسى الشِّيرازي المتوفى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م.

« سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة - ترجمة حياته بقلمه »، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين، القاهرة - دار الكاتب المصرى ١٩٤٩.

ابن مُيَسَّر (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جَلَب راغب) المتوفى سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م.

« أخبار مصر - المنتقى من »، حقَّقَه وكتب مقدمته وحواشيه أيمن فؤاد سيّد، القاهرة - المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٨١.

النُّويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) المتوفى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م.

« نهاية الأرَب في فنون الأدب »، المجلد الثامن والعشرون تحقيق محمد محمد أمين ومحمد حلمي محمد أحمد، القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢.

« الهداية الآمرية في إبطال الدعوى النِّزارية »، نشرها آصف علي أصغر فيظي في كلكتا سنة ١٩٣٨؛ وجمال الدين الشَّيّال في « مجموعة الوثائق الفاطمية »، القاهرة ١٩٥٨، ٢٠٥- ٢٣٠.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله) المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م.

« معجم الأدباء »، ١- ٢٠، نشره أحمد فريد رفاعي، القاهرة - دار المأمون ١٩٣٦- ١٩٣٨.

« معجم البلدان »، ١- ٦، نشره وستنفلد، ليبتسج ١٨٦٦- ١٨٧٠.

يحيى بن الحسين بن المنصور بالله القاسم بن محمد المتوفى نحو سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م.

« غاية الأماني في أخبار القُطْر اليماني »، ١- ٢، تحقيق سعيد عبد الفتح عاشور، القاهرة - دار الكتاب المصري ١٩٦٨.

المراجع العربيّة والمعرّبة

إسماعيل بن علي الأَكْوَع : « البُلْدان اليمانية عند ياقوت الحموي » (تحقيق)، الكويت – الجمعية الجغرافية الكويتية ١٩٨٥.

إسماعيل قُرْبان بوناوالا : « السُّلْطان الخطّاب – حياته وشعره »، القاهرة – دار المعارف د.ت ؛ بيروت – دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٠.

أيمن فؤاد سيّد : « تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري »، القاهرة – الدار المصرية اللبنانية ١٩٨٨.

ـــــ : « دراسة نقدية لبعض مصادر جنوب غرب الجزيرة في العصر الفاطمي »، في كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الرياض ١٩٧٩، ١:٢٤٥– ٢٥١.

ـــــ : « الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد »، القاهرة – الدار المصرية اللبنانية ٢٠٠٠.

ـــــ : « مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامى »، القاهرة – المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٧٤.

وانظر : ابن الصَّيْرَفي، ابن الطُّوَيْر، ابن عبد الظاهر، ابن المأمون، المقريزي، ابن مُيَسَّر، Fu'âd Sayyid, A..

جمال الدين الشَّيَّال : « مجموعة الوثائق الفاطمية »، القاهرة – الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٥٨.

حسين الهَمْداني : « الصُّلَيْحيُّون والحركة الفاطمية في اليمن »، القاهرة – المعهد الهَمْداني للدراسات الإسلامية – ١، ١٩٥٥.

درويش النُّخيلي : « السفن الإسلامية على حروف المعجم »، جامعة الإسكندرية ١٩٧٤.

زاهِر رياض : « دولة حبشية في اليمن – دولة بني نجاح »، المجلة التاريخية المصرية ٨ (١٩٥٩)، ١٠١– ١٣٠.

كَحّالَة ، عمر رضا : « معجم قبائل العرب » ، ١ - ٣، دمشق - المكتبة الهاشمية ١٩٤٩.

محمد أمين صالح : « دولة الخوارج في اليمن - بنو مهدي في زبيد » ، المجلة التاريخية المصرية ٢٥ (١٩٧٨) ، ١٢٧ - ١٤٧.

محمد حمدي المناوي : « الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي » ، القاهرة - دار المعارف ١٩٧٠.

محمد جمال الدين سرور : « سياسة الفاطميين الخارجية » ، القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٦٧.

محمد رمزي : « القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ » ، القاهرة - دار الكتب المصرية ١٩٥٣ - ١٩٦٨.

محمد عبد العال أحمد : « الأيوبيون في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي إلى عصرهم » ، الإسكندرية - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠.

محمد كامل حسين : « في أدب مصر الفاطمية » ، القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٧٠.

المَرَاجِعُ الأَجْنَبِيَّة

Bianquis, Th., *Damas et la Syrie sous la domination fatimide (359-468/969-1076)*, I-II Damas 1986 - 89.

Brockelmann, C., *GAL = Geschichte der arabischen Litteratur* Bd I-II Leiden 1943-49; Suppl. I-III, Leiden 1937-42 .

Creswell, K.A.C., *MAE : The Muslim Architecture of Egypt*, I. Ikhshidids and Fatimids, Oxford 1952 .

Daftary, F., *The Ismāʿilis : Their History and Doctrines*, Cambridge 1990 .

———(ed.), *Mediaeval Ismāʿili History and Thought*, Cambridge 1996.

———, «Hasan-i Sabbâh and the Origins of the Nizâri Ismaʿili movement», in *F. Daftary (ed.) Mediaeval Ismāʿili History and Thought*, pp. 181-204.

———, «Sayyida Hurra : The Ismâ^cili Sulayhid Queen of Yemen» in Gavin R.G. Hambly (ed.) *Women in the Medieval Islamic World*, New York 1998, pp. 117-30 .

EI[2] = *Encyclopédie de l'Islam*, Nouvelle édistion, Leiden, 1960 -

Fischel, W.J. *Jews in the Economic and Political Life of Mediaeval Islam*, New York 1969.

Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Egypte jusqu'à l'époque fatimide (al-Qâhira et al-Fustât) - Essai de reconstitution topographique*, Beirut, 1998.

Fyzee, A.A.A., «A Chronological List of the Imâms and Dâ^cis of the Musta^clian Ismailis», *Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society* X (1934), pp. 8-16 .

Hamdani, A., «The Dâ^cî Hâtim ibn Ibrâhîm al-Hâmidî (D. 596 A.H./ 1199 A.D) and his Book *Tuhfat al-Qulûb*», *Oriens* 23-24 (1970-71), pp. 258-300 .

———, «Evolution of the Organisational Structure of the Fatimi Da^cwah. The Yemeni and Persian Contribution», *Arabian Studies* III (1976), pp. 85-114 .

Hamdani, H., «The History of the Ismâ^cili Da^cwat and its Literature during the Last Phase of the Fatimid Empire», *JRAS* (1932), p. 126-36.

———, «The Letters of al-Mustansir bi'llâh», *BSOS* VII (1933-35), pp. 307-24 .

———, «The Life and Times of Queen Saiyidah Arwa the Sulayhid of the Yemen», *JRCAS* 18 (1931), pp. 505-17 .

———, «Some Unknown Ismâ^cili Authors and their Works», *JRAS* (1933), pp. 359-18 .

Idris, H.R., *La Berbérie orientale sous les Zirides X*[e]-XII[e] siècles, I-II, Paris 1962.

al-Imad, Leila, «Women and Religion in the Fatimid Caliphate : the Case of al-Sayyidah al-Hurrah, Queen of Yemen», in M. Mazzaoui and V. Moreen (eds.), *Intellectual Studies on Islam : Essays written in Honor of Martin Dickson Salt Lake city,* Utah 1990, pp. 137-44 .

Ivanow, W., *Ismaili Literature - A Bibliographical Survey,* Tehran 1963 .

Kay, H.C., *Yaman its Early Mediaeval History,* London 1892 .

Mann, J., *The Jews in Egypt and Palestine during the Fatimid Caliphate,* Oxford 1920 .

Poonawala, I.K., *Biobibliography of Ismâ°ili Literature,* Malibu, Calif., 1977.

————, «Ismâ°ili Sources for the History of South-West Arabia» in *Sources for the History of Arabia,* Riyadh 1979, I, pp. 151-59 .

Qutbuddin, Bazat Saifiyah, *A Section from the °Uyûn al-Akhbâr... vol. VII and the Succession Controversy following the death of the Fatimid Caliph al-Mustansir: The Claims of the Musta°liyya and the Nizâriyya,* M.A. Thesis American University of Cairo 1993 .

Stern, S.M., «Cairo as the Centre of the Isma°li Movement», *Colloque international sur l'histoire du Caire,* Cairo, 1972, pp. 437-450.

————, *Fatimid Decrees. Original Documents from the Fatimid Chancery,* London 1964 .

————, «The Succession of the Fatimid Imam al-Amir, the Claims of the Later Fatimids to the Imamate, and the Rise of Tayyibi Ismailism», *Oriens* IV (1951), pp. 193-255.

Tritton, A.S., «Notes on some Ismaili Manuscripts», *BSOS* VII (1933-35), pp. 33-39 .

Traboulsi, S.F., *Gender, Authority and Legitimacy in Medieval Yemen : The Case of Arwa Bint Ahmad,* Master's thesis, American University of Beirut 1998 .



ABBREVIATIONS

BSO(A)S = Bulletin of the School of Oriental (and African) Studies.

JBBRAS = Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society.

JRAS = Journal of the Royal Asiatic Society.

الكشافات التحليلية

١- الأعلام

الأماكن والبلدان

آ – البلدان اليمنية

ب – الأماكن غير اليمنية

٣- المُصْطَلَحات

٤ - الآياتُ القرآنيّة

٥- الحَدِيثُ النّبَويُّ

« أَقْرَبُ ما يكون العبد من الله إذا كان ساجدًا » ٥٧: ٢١- ٢٢

« كائِنٌ في أُمّتي ما كان في الأمم الماضية حذو النّعْل بالنّعْل والقَذّة بالقَذّة » ٣٢٠: ١- ٢

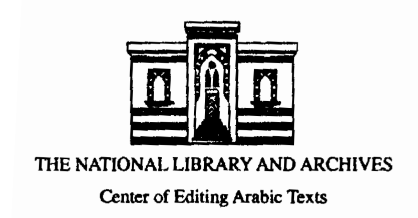
« عليك يا أبا هُرَيْرَة بطريق أقوامٍ إذا فَزِعَ الناسُ لم يَفْزَعوا ، وإذا طَلَبَ الناسُ الأمانَ من الفساد لم يخافوا » . قال : فقلت : مَنْ هم يا رسول الله ؟ صِفْهم لي حتى أعرفهم . قال : « هم يخرجون في آخر الزمان ، يُحْشَرون يوم القيامة حَشْر الأنبياء ، إذا نَظَرَ الخَلْقُ إليهم ظَنّوهم أنبياء مما يرون من حالهم ، يمرّون مثل الريح والبَرْق ، يَغْشَى أبصار الجميع من نورهم » . ٣٢٨: ١٣- ١٨

٦- القَــوَافي*

٧- القَبَائِلُ والأُمَمُ والجَمَاعَاتُ

٨- المُؤَلِّفُونَ والشُّعَراء والرُّواة

٩ـ أسماءُ الكُتُب



THE NATIONAL LIBRARY AND ARCHIVES
Center of Editing Arabic Texts

The Fatimids and their Successors in Yaman

ʿUYŪN AL-AKHBĀR

WA FUNŪN AL-ATHĀR

vol. 7

of

Idrís ʿImād al-Dīn

A critical Edition by

AYMAN FU'ĀD SAYYID

THE NATIONAL LIBRARY AND ARCHIVES PRESS

2019